تفسير
كتاب الله العزيز

للشيخ هود بن محكّم الهوّاري

من علماء القرن الثالث الهجري

حققه وعلق عليه

بالحاج بن سعيد شريفي

الجزء الثاني

دار الغرب الإسلامي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1990

دار الغرب الإسلامي

ص. ب: 5787 - 113

بيروت - لبنان

تفسير

كتاب الله العزيز

الجزء الثاني

تفسير سورة الأَعْرَافِ

وهي مكية كلها إلا آية واحدة[1]

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ آلمّصَ ﴾ كان الحسن يقول: لا أدري ما تفسير (آلمّصّ) و (آلَـمّ) و (آلـرَ) غير أن قوماً من السلف كانوا يقولون: أسماء السور ومفاتيحها. وقد فسّرنا ما بلغنا في هذا في غير هذا الموضع[2].

قوله: ﴿ كِتَـٰبٌ أُنزِلَنَـٰهُ إِلَيْـكَ ﴾ أي القرآن: ﴿ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾ أي: شك منه بأنه من عند الله، في تفسير الحسن ومجاهد وغيرهما. ﴿ لِتُنْذِرَ بِهِ ﴾ أي من النار ﴿ وَذِكْـرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يذكرون به الآخرة.

قوله: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾ أي القرآن ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ يعني الأوثان. ﴿ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ أي أقلُّكم المتذكّر. كقوله: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣].

قوله: ﴿ وَكَم مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا ﴾ يعني ما أهلك من الأمم السالفة حين كذّبوا رسلهم. ﴿ فَجَاءَهَا بَأْسُنَا ﴾ أي عذابنا ﴿ بَيَـٰتاً ﴾ أي ليلاً ﴿ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ أي عند

---

(1) جاء في نسخة ج، مخطوطة الشيخ سالم بن يعقوب في أول ورقة منها ما يلي: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ » صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. الربع الثاني من تفسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم الهواري رحمه الله، تفسير سورة الأعراف، وهي مكية كلها إلا آية واحدة.

(2) انظر ذلك فيما مضى ج 1، ص: 78.

القائلة بالنهار. وهو كقوله: ﴿ قُلْ أَرَيْتُمْ إِنْ أَتَـٰكُمْ عَذَابُهُ بَيَـٰتاً أَوْ نَهَاراً ﴾ [يونس: ٥٠].

قال: ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَيهُـمْ ﴾ أي: [قولهم][1] إذ جاءهم بأسنا، أي عذابنا ﴿ إِلَّآ أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴾. قال بعضهم: لم يكن لهم هجّيرى[2] حين جاءهم العذاب إلا أن قالوا إنا كنا ظـٰلمين. كقوله في سورة الأنبياء: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَـٰلِمَةً ﴾، أي مشركة، يعني أهلها، إلى قوله. . : ﴿ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَايهُمْ ﴾ [سورة الأنبياء: 10 - 15] أي لم يكن لهم هجّيري ﴿ إِلَّآ أَنْ قَالُوا: يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴾. قال: الهجّيرى: الذي يلزمه الرجل يردده.

ذكروا عن الحسن انه كانت هجيراه سبحـٰن الله العظيم، سبحـٰن الله وبحمده. وكانت هجّيرى بعضهم: ﴿ أَلَآ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾. يعني بهجّيراهم أنه لم يكن لهم قول حين جاءهم العذاب ﴿ إِلَّآ أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴾.

قال الحسن: فَمَا كَانَ دَعْوَايهُمْ، أي ما دعوا به حين جاءهم العذاب إلا أن قالوا: يا ويلنا إنا كنا ظلمين. فاقرّوا بالظلم على أنفسهم ونادوا بالتوبة حين لم تنفعهم التوبة. قال: فهي مثل قوله: ﴿ فَنَادَوا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [سورة صٓ: 3] أي ليس حين نزو[3] ولا فرار. وكقوله: ﴿ وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ [سورة سبإ: 52 - 53]، وأنّى لهم التّناوُش، أي وأني لهم الرّدّ إلى الدنيا، أي فيؤمنوا، فهذا تفسير ابن عباس. وقال الحسن: التّناوُش: الإيمان، أي: وكيف لهم بالإيمان وقد جاءهم العذاب.

قوله: ﴿ فَلَنَسْئَلَنَّ الذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾، كقوله: ﴿ يَوْمَ

---

(1) زيادة من ز، ورقة: 104.

(2) كذا في ج وفي ق وع: «هجّيري»، وهو الصواب، وفي د: «لم يكن لهم مخبر، وهو تصحيف. وفي اللسان: هجِّيراه وإهجيراه، أي دأبه وديدنه وشأنه وعادته. انظر اللسان: (هجر).

(3) وردت هذه الكلمة في ق وع هكذا: «برد»، وفي ج و د: «فروا»، وهي في كلها مصحفة صوابها ما أثبته: «نزو»، وهو ضرب من العدو، وهكذا وردت الكلمة في تفسير ابن كثير، ج 6، ص: 45، وفي تفسير القرطبي ج 15، ص 145، ونسب القول فيهما إلى ابن عباس.

يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ) [المائدة: 109] أي ماذا أجابكم قومكم. ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ ﴾ أي أعمالهم ﴿ بِعِلْمٍ ﴾ بها ﴿ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ أي عن أعمالهم.

قوله: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ[1] فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوٰزِينُـهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ أي: السعداء، وهم أهل الجنة. ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَـٰئِكَ الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ فصاروا إلى النار. ﴿ بِمَا كَانُوا بئَايٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ أي يظلمون أنفسهم. وهو ظلم فوق ظلم وظلم دون ظلم.

وبلغنا أن المومن توزن حسناته وسيئاته، فمنهم من تفضل حسناته على سيئاته، وإن لم تفضل إلا حسنة واحدة يضاعفها الله له فيدخله الجنة: وهو قوله: (وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُـؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً) [النساء: 40]، ومنهم من تستوي حسناته وسيئاته، وهم أصحاب الأعراف، ومنهم من تفضل سيئاته على حسناته. قال الله: (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَـٰئِكَ الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ) [المؤمنون: 103 - 105].

وقوله: بما كانوا بآياتنا يظلمون، أي: أنفسهم، وهو ظلم فوق ظلم، وظلم دون ظلم. فالآية محتملة لظلم الشرك وظلم النفاق[2].

---

(1) لم تذكر المخطوطات الأربع تفسيراً لقوله تعالى: (وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ). وجاء في ز، ورقة: 104 بعد قوله: (والْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ) ما يلي: «يحيى عن حماد عن ثابت البناني عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال: يوضع الميزان يوم القيامة، ولو وضع في كفته السماوات والأرض لوسعتهما، فتقول الملائكة: ربنا ما هذا؟ فيقول: أزن به لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: ربنا ما عبدناك حق عبادتك». وفي تفسير مجاهد، ص: 231: «عن عبيد بن عمير الليثي في قوله تعالى: (والوزن يومئذٍ الحق) قال: يؤتى بالرجل العظيم الطويل الأكول الشروب، فلا يزن عند الله جناح بعوضة. ومثله نص حديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير من آخر سورة الكهف عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة.

(2) هذه الجملة من زيادات الشيخ هود الهواري ولا شك.

قوله: ﴿ وَلَقَد مَكَّنَّـٰكُمْ فِي الأَرْضِ ﴾. قال الحسن: يعني المشركين بعد الماضين، فجعلناكم خلائف بعدهم. ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ أي: أقلكم الشاكرون، يعني أقلكم المؤمنون، أي أقلكم من يؤمن.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ﴾ أي الخلق الأول: آدم من طين، ونسله بعده من نطفة ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ﴾ أي: بعد خلق آدم، قبل خلقكم من النطف ﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّـٰجِدِينَ ﴾.

قال بعضهم: خلق الله آدم من طين، ثم صوّرناكم في بطون أمهاتكم. وقال مجاهد: ثم صورناكم في ظهر آدم.

وقال الكلبي: خلقناكم من نطفة، ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً ثم لحماً، ثم صورناكم، أي العينين والأنف والأذنين واليدين والرجلين صوراً نحوا من هذا. ثم جعل حسناً وقبيحاً، وجسيماً وقصيراً وأشباه ذلك. ثم رجع إلى قصة آدم عليه السلام فقال: ثم قلنا للملـٰئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من السـٰجدين. قال بعضهم: كانت الطاعة لله والسجود لآدم.

قوله: (إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّـٰجِدِينَ. وقال في آية أخرى: (فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ) [الكهف: 50]. ذكروا عن ابن عباس أنه قال: لو لم يكن من الملـٰئكة لم يؤمر بالسجود. وقال بعضهم: كان من الجن وهم جنس من الملائكة يقال لهم الجن. وقال بعضهم: جن عن طاعة ربّه.

وقال الحسن: إن إبليس ليس من الملائكة وإنه من نار السّموم، وإن الملائكة خلقوا من نور الله، وإن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم وأمر إبليس أيضاً بالسجود له، فجمع المأمورين جميعاً.

قوله: ﴿ قَالَ: مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ[1] إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ

(1) جاء في ز، ورقة 104 ما يلي: «قال محمد: (أَلَّا تَسْجُدَ) معناه: أن تسجد، ولا مؤكدة. وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص: 211: «مجازه: ما منعك أن تسجد، والعرب تضع لا في موضع الإيجاب، وهي من حروف الزوائد...».

وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ. قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ يعني في السماء ﴿ فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّـٰغِرِينَ. قَالَ أَنْظِرْنِي ﴾ أي أخرني ﴿ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ [سورة صٓ: 81] أي إلى النفخة الأولى. وأما قوله ها هنا: ﴿ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ ففيها إضمار: إلى يوم الوقت المعلوم.

﴿ قال فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ أي: فبما أضللتني. وقال الحسن: فبما لعنتني ﴿ لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ أي: فأصدّهم عنه.

ذكروا عن الحسن قال: ليس من هذا الخلق شيء إلا وقد توجه حيث وجه. ولولا أن ابن آدم قعد له على الطريق، أي الشيطان، فيخبل له[1] حتى عدله، مضى كما مضى سائر الخلق. يعني أن بني آدم ابتلوا بما لم يُبتل به غيرهم من الخلق.

قوله: ﴿ ثُمَّ لآتِيَنَّهُـمْ مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ من حيث لا يشعرون ﴿ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴾ أي مؤمنين.

أما قوله: ﴿ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِم ﴾ فمن قِبَلِ الآخرة فأخبرهم أنه لا بعث بعد الموت ولا جنة ولا نار. وأما قوله: ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ فمن أمر دنياهم [فازينُها في أعينهم وأخبرهم][2] أنه لا حساب عليهم في الآخرة فيما صنعوا في الدنيا، لأنهم إذا كانوا في الآخرة كانت الدنيا خلفهم. كقوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ من أمر الآخرة ﴿ وَمَا خَلْفَهُم ﴾ [البقرة: 255] من أمر الدنيا إذا كانت الآخرة. وقوله: ﴿ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ ﴾ فأثبطهم عن الخير، كقوله: ﴿ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾ [الصافات: 28] أي من قِبَل الخير فتثبطوننا عنه. وأما ﴿ عَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ فيعني من قبل المعاصي. يأمرهم بمعصية الله. ﴿ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴾ أي مؤمنين. وكان ذلك ظناً منه، فكان

(1) في ج و د: «فيحمل له»، وفي ق وع: «فيخبل له» ولست مطمئناً للعبارتين معاً، وأثبت الأخيرة إذا كانت تعني أن الشيطان يصيب ابن آدم بخبال، أي بمسّ، يقال خَبَله وخبّله واختبله، إذا أفسد عقله وانظر اللسان (خبل).

(2) زيادة من ز، ورقة 104.

الأمر على ما ظن. كقوله: (وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) [سبأ: 40] أي إلا الفريق الذين آمنوا.

قوله: ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً ﴾ قال الحسن: مذموماً. وقال مجاهد: منفياً. قوله: ﴿ مَّدْحُوراً ﴾. قال مجاهد: مطروداً منفياً. وقال بعضهم: مباعداً. وقال بعضهم: مقصياً. وقال بعضهم: (اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَّدْحُوراً) أي: مقيتاً منفياً. وتفسير مجاهد فيها على التقديم: اخرج منها مطروداً منفياً. قال: ﴿ لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي لأنفسكما بخطيئتكما.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: الشجرة التي نهى عنها آدم وحواء هي السنبلة التي فيها رزق ابن آدم. وقال بعضهم: هي التين.

قوله: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمُ الشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا ﴾ وكانا كسيا الظفر، فلما أكلا الشجرة بدت لهما سوءاتهما.

ذكروا عن الحسن عن أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ: كان آدم طوالاً كأنه نخلة سحوق، كثير شعر الرأس، فلما وقع فيما وقع فيه بدت له عورته، وكان لا يراها قبل ذلك، فانطلق هارباً في الجنة، فأخذت شجرة من شجر الجنة برأسه، فقال لها: أرسليني. فقالت: لست بمرسلتك. فناداه ربه: أَمِنِّي تفرّ؟ قال: يا رب إني استحييتك[1].

قوله: ﴿ وَقَالَ مَا نَهَـٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ ﴾ أي من الملائكة ﴿ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَـٰلِدِينَ ﴾ أي من الذين لا يموتون. أي إنكما إذا أكلتما من الشجرة كنتما مَلَكين من ملائكة الله.

(1) أخرجه يحيى بن سلام عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب مرفوعاً، وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 12، ص 352، 354 موقوفاً ومرفوعاً، وأخرجه ابن كثير كذلك وقال: الموقوف أصح إسناداً.

﴿ وَقَاسَمَهُمَا ﴾ بالله ﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّـٰصِحِينَ ﴾. قال: [بعضهم][1]: حلف لهما بالله وقال لهما: خُلِقْتُ قبلكما، وأنا أعلم منكما، فاتبعاني أرشدكما. قال: إنما يخدع[2] المؤمن بالله. قال الله: ﴿ فَدَلَّـٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَتُهُمَـا﴾ وقد فسّرناه قبل هذا الموضع.

قوله: ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَّرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ ذكروا أن مجاهدا قال: يرقّعان كهيئة الثوب. ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي بيِّن العداوة.

﴿ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَـٰسِرِينَ ﴾.

﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ آدم معه حواء وإبليس والحية التي دخل فيها إبليس فكلمهما فيها، فهي لا تقدر على ابن آدم في موضع إلا لدغته، ولا يقدر عليها في موضع إلا شدخها.

ذكر بعضهم قال: من قتل حية أو عقرباً فقد قتل كافراً. وذكر بعضهم أن رسول الله ﷺ قال في الحيات: ما سالمناهن منذ حاربناهن[3].

ذكر عن عبد الله بن عمر قال: الحيات مما مسخ من ذرية إبليس، وما سالمناهن منذ حاربناهن، فمن تركهن تقية منهن قال في ذلك قولاً عظيماً.

ذكروا عن عائشة أنها قالت: من ترك حية خشية ثأرها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

(1) زيادة يقتضيها السياق، والقول لقتادة.

(2) في المخطوطات الأربع: «يروع» وهو خطأ صوابه ما أثبته: «يخدع». والتصحيح من تفسير الطبري ج 12 ص 351.

(3) أخرجه الربيع بن حبيب في مسنده ج 3 ص 2، (رقم: 744) عن جابر بن زيد مرسلاً ولفظه: اقتلوا الحيات صغارها وكبارها، فإنا ما سالمناهن منذ حاربناهن، فمن تركهن خشية الثأر فقد كفر، وأخرجه الحميدي مرفوعاً عن أبي هريرة، وفي آخره: «من ترك منهن شيئاً خيفة فليس مني».

ذكر بعضهم أن رسول الله ﷺ قال: من رأى في بيته من هذه الحيات شيئاً فَلْيُحَرِّج عليه ثلاثاً فإن ظهر بعد ذلك فليقتله فإنه كافر[1].

قوله: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ أي تكونون فيها ﴿ وَمَتَـٰعٌ ﴾ يعني متاع الدنيا تستمتعون به ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ أي: إلى الموت.

﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ ﴾ أي في الأرض تولدون ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ أي يوم القيامة.

قوله: ﴿يَـٰبَنِي ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَرِي سَوْءَاتِكُمْ ﴾ يعني الثياب ﴿ وَرِيشاً ﴾ يعني المال والمتاع في تفسير الحسن. وقال مجاهد: المال[2]. قال: ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (ذَٰلِكَ خَيْرٌ) كلام مستقل، ومن قرأها بالنصب يقول: أنزلنا عليكم لباس التقوى، أي العفاف. إن العفيف لا تبدو له فيه عورة وإن كان عارياً، وإن الفاجر بادي العورة وإن كان كاسياً. قال: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ اللهِ لَعَلَّكُمْ تَذَّكَّرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ يَـٰبَنِي ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَـٰنُ ﴾ أي: لا يضلّنّكم الشيطان. ﴿ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَـا﴾ إنه لما أمرهما بالأكل من الشجرة فأكلا بدت لهما سوءاتهما.

قال: ﴿ إِنَّهُ يَرَيكُـمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾. ذكروا أن مجاهداً قال: قبيله الجن والشياطين. وقال بعضهم:

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها، رقم 2236، وفيه قصة رواها أبو السايب عن أبي سعيد الخدري، وأخرجه الترمذي في أبواب الصيد، باب في قتل الحيات، ولفظه في مسلم: «إن لهذه البيوت عوامر فإذا رأيتم شيئاً منها فحرجوا عليها ثلاثاً. فإن ذهب وإلا فاقتلوه فإنه كافر». والتحريج كما في شرح الترمذي أن يقال لها: «أنت في حرج أي ضيق إن عدت إلينا فلا تلومينا أن نضيق عليك بالتتبع والطرد والقتل. كذا في النهاية وفي شرح مسلم للنووي».

(2) قال أبو عبيدة في معاني القرآن ج 1 ص 212: «[الرياش والريش واحد]، وهو ما ظهر من اللباس والشارة. . . والرياش أيضاً الخصب والمعاش».

إن عدوا يراك من حيث لا تراه لشديد المؤونة إلا من عصمه الله. وقال الحسن: قبيله، الجن وهم ولده. وقال الكلبي: قبيله جنوده.

قوله: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَـٰحِشَةً ﴾ أي من الكفر والشرك ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾. وهذا على الاستفهام، يقول: نعم، قد قلتم على الله ما لا تعلمون.

قوله: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ أي بالعدل ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ كقوله: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً) [الجن: 18] أي: إن كل قوم سوى المسلمين إذا صلوا في مساجدهم أشركوا بالله، وقال مجاهد: (وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) أي إلى الكعبة حيث صلّيتم في كنيسة أو غيرها[1].

قوله: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) أي عراة كما خلقوا[2].

ذكروا عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ: يبعث الله الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً[3].

قال: ﴿ فَرِيقاً هَدَىٰ وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَـٰلَةُ ﴾ ذكروا أن مجاهداً قال: يعني شقياً وسعيداً.

---

(1) هذا المعنى الذي ذهب إليه المؤلف هنا حين استشهد بآية سورة الجن من إخلاص السجود لله دون ما سواه من الآلهة والأنداد هو قول الربيع بن أنس، وهو ما رجحه الطبري في تفسيره ج 12 ص 381، وهو فيما يبدو لي أولى وأقرب إلى الصواب مما ذهب إليه مجاهد.

(2) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في أبواب منها في كتاب التفسير في آخر سورة المائدة، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (رقم 2860) كلاهما يرويه مرفوعاً من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس؛ وأوله: أنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً... والأغرل هو الأقلف الذي لم يختتن.

(3) ورد هذا الحديث في ز هكذا: «يحيى عن همام عن القاسم بن عبد الواحد عن عبد الله بن محمد عن جابر بن عبد الله عن عبد الله بن إياس قال قال رسول الله ﷺ: يحشر الله العباد أو قال الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بُهما، قال: قلت: ما بُهما؟ قال: ليس معهم شيء.

قال: ﴿ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ قال مجاهد: يعني قريشاً لتركهم الثياب في الطواف[1].

قوله: ﴿ يَـٰبَنِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾. قال الحسن: كان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت عراة، الرجال والنساء، فأمر الله المسلمين فقال: (خُـذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ، أمرهم أن يلبسوا الثياب.

قال: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ أي الحلال في الإضمار ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ أي: فتحرموا ما أحل الله لكم كما حرم أهل الجاهلية من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وما حرموا من زروعهم ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ أي المشركين. وقال مجاهد: هم السافكون الدماء بغير حلّها.

قوله: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾، يعني الثياب، لأنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة ﴿ وَالطَّيِّبَـٰتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ أي ما حرموا من أنعامهم وحروثهم[2]. ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَـوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ وقد خالطهم المشركون والمنافقون فيها في الدنيا، وهي للذين ءامنوا ﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ ﴾ دون المشركين والمنافقين.

قال بعضهم: من عمل بالإيمان في الدنيا خلصت له كرامة الله يوم القيامة.

قال: ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْأَيَـٰتِ ﴾ أي نبين الآيات بالحلال والحرام والأمر والنهي: ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ وهم المؤمنون الذين قبلوا ذلك عن الله. فأما المشركون فصدوا عنه وجحدوه، والمنافقون فرّطوا وضيّعوا، ولم يوفّوا بما أقرّوا به من العمل الذي انتقصوه.

---

(1) في النسخ اضطراب وتقديم وتأخير في تفسير بعض الآية فأثبت صحتها مما جاء في تفسير مجاهد، ص: 235.

(2) يبدو أن تأويل الآية أعم من أن يحصر في أسباب نزولها وفيما كان يقوم به المشركون في الجاهلية، فمظاهر الإسراف في كل زمان ومكان متنوعة متجددة، والطيبات من الرزق كذلك. والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وأوامر الله ونواهيه باقية موجهة إلى الناس على مر الأيام والدهور، وحِكَم تشريع الله وأحكامه صالحة لكل زمان ومكان.

ذكر بعضهم قال: كان هذا الحي من كندة يطوفون بالبيت وهم عراة، إلا أن يستعير أحدهم مئزراً من أهل مكة فيطوف فيه. فأنزل الله ما تسمعون حتى انتهى إلى قوله: قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبـٰت من الرزق، وهو ما حرّم أهل الجاهلية من أموالهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام[1].

قوله: ﴿ قُل إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الفَوٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ ما ظهر منها: العلانية، وما بطن منها: السّرّ. وقال بعضهم: الزنا، سرُّه وعلانيته. ﴿ وَالإِثْمَ ﴾ المعاصي كلها ﴿ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ ﴾ [يعني الظلم] ﴿ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَـٰناً ﴾ أي حجة، يعني أوثانهم التي عبدوا من دون الله ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ زعموا أن الله أمرهم بعبادتها بغير علم جاءهم من الله.

قوله: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَـٰخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ يعني أن القوم إذا كذّبوا رسلهم فجاء الوقت الذي يأتيهم فيه العذاب، فإنهم لا يستأخرون ساعة عن العذاب ولا يستقدمون.

قوله: ﴿ يَـٰبَنِي ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾. هي مثل قوله: (اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى)، والهدى ها هنا الرسول (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ). [البقرة: 38] أي في الآخرة[2].

ذكر بعضهم أنه ذكر هذه الآية فقال: ماكان الله ليخلي الأرض لإبليس حتى لا يجعل له فيها من يعمل بطاعته.

قوله: ﴿ وَالذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَـٰتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ أي لا يموتون ولا يخرجون منها.

قوله: ﴿ فَمَنَ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِئَايَـٰتِهِ ﴾ أي لا أحد

(1) هذا نوع من التكرار الذي أشار إليه ابن أبي زمنين في مقدمته لمختصر تفسير ابن سلام.
(2) انظر ما سلف من هذا التفسير، ج 1 ص: 100.

أظلم منه ﴿ أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَـٰبِ ﴾ قال بعضهم: ما كتب لهم من أعمالهم التي عملوا. وقال بعضهم: ما كتب في أم الكتاب من أعمالهم التي هم لها عاملون. قال مجاهد: هذا شقي وهذا سعيد ينالهم ما كتب عليهم. وقال الكلبي: نصيبهم من الكتـٰب أي أن الله قضى أنه من افترى عليه سوّد وجهه. قال: (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ) [الزمر: 60].

قوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا ﴾ أي الملائكة ﴿ يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾ قال الحسن: هذه وفاة إلى النار. ﴿ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ يعني أوثانهم ﴿ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا ﴾ في الدنيا ﴿ كَـٰفِرِينَ ﴾.

﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ ﴾ أي مع أمم ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُم مِّنَ الجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَت أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ كقوله: (ثُمَّ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً) [العنكبوت: 25]. قوله يكفر بعضكم، أي بولاية بعض.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً ﴾ أي إذا صاروا فيها جميعاً ﴿ قَالَت أُخْرَيٰهُمْ لأُولَيٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا ﴾ كل أمة تقوله أخراها لأولاها. ﴿ فَئَاتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾. ذكروا أن مجاهداً قال: لكل ضعف مضاعف لأولاهـم ولأخـراهم. [وقوله: ولكن لا تعلمون أي أيها المخاطبون ما لكل فريق منكم][1].

قوله: ﴿ وَقَالَتْ أُولَيٰهُمْ لأُخْرَيٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ﴾ أي في تخفيف العذاب قال الله: ﴿ فَذُوقُوا العَذَابَ ﴾ أي: جميعاً ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ أي تعملون.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَـٰتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ أي: لأعمالهم ولأرواحهم إذا ماتوا.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 106.

[ذكر بعضهم قال][1] إن المؤمن إذا مات صعد بروحه ملائكة، فإذا بلغوا السماء الدنيا شيعتهم منها ملائكة إلى السماء الثانية، وكذلك كل سماء حتى ينتهى به [إلى الله، فيؤمر بالسجود فتسجد الملائكة قبله، ثم يسجد][1]، ويقوم الملائكة المقربون فيصلون عليه كما تصلون أنتم على موتاكم وأنتم ها هنا. ثم يقول: ردوه فإني قضيت أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى. وأما الكافر فينتهي بروحه إلى السماء الدنيا فيقال: ردوه إلى برهوت أسفل الثرى من الأرض السفلى[2].

قوله: ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ وهي تقرأ على وجه آخر: حتى يلج الجُمَّل في سمّ الخياط. ذكروا عن الحسن قال: هو الذي يقوم في المربد على أربع. ذكروا عن ابن مسعود أنه قال: هو الجمل زوج الناقة. وقال مجاهد: هو حبل السفينة[3].

وقوله: في سم الخياط، أي: حتى يلج الجمل، في القراءتين جميعاً، في سم الخياط، أي في ثقب الإبرة، ولا يدخل في ثقب الإبرة أبداً.

قال: ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي المشركين والمنافقين جميعاً، وهو جرم فوق جرم، وجرم دون جرم.

---

(1) زيادة من ز، وقد أورد ابن سلام هذا الخبر بسند عن أبي موسى الأشعري بألفاظ مختلفة. وفي آخره: «قال ابن عباس: فيُرَدُّ إلى وادٍ يقال له برهوت أسفل الثرى من الأرضين السبع، من حديث يحيى بن محمد» هكذا. فهل يفهم من هذا أن في تفسير يحيى بن سلام زيادات من حفيده يحيى بن محمد؟ انظر تفسير ابن أبي زمنين، ورقة 106.

(2) برهوت، اسم لواد به بئر عميقة بحضرموت، وهي من الأعاجيب، انظر تفاصيل أخبارها في معجم ياقوت ج 1 ص 405. وقد ذكر الداودي في طبقات المفسرين ج 2 ص ٣٠٨ أن مجاهداً ذهب إلى حضرموت ليرى بئر برهوت.

(3) قراءة الجمهور في لفظ الجمل هي التي بفتح الجيم والميم المخففة، أما قراءتها بضم الجيم وتشديد الميم فهي قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير، وهي بمعنى الحبال المجموعة التي تكوّن الحبل الغليظ من حبال السفينة، ويسمى القلس. انظر تفصيل هذا في المحتسب لابن جني ج 1 ص 249، وفي تفسير الطبري، ج 12 ص 428 فما بعدها، وفي اللسان: (جمل).

﴿ لَهُم مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ يعني بالمهاد الفراش، ومن فوقهم غواش، ما يغشاهم من النار. وهو كقوله: ﴿ لَهُم مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر: 16]. ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي المشركين والمنافقين جميعاً وهو ظلم فوق ظلم وظلم دون ظلم.

قوله: ﴿ وَالذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ أي إلا طاقتها ﴿ أُولَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ أي لا يموتون ولا يخرجون منها.

قوله: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ [يعني العداوة والحسد][1].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: يحبس أهل الجنة على باب الجنة، أو قال: على قنطرة باب الجنة، حتى تذهب عنهم ضغائن كانت في الدنيا[2].

وقال بعضهم: قال رسول الله ﷺ: يحبس أهل الجنة كلهم دون الجنة حتى يقضي لبعضهم من بعض ويفاضل بينهم كمثل كوكب بالمشرق وكوكب بالمغرب[3].

ذكروا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إذا توجه أهل الجنة عرضت لهم عينان فاغتسلوا في إحداهما فجرت عليهم نضرة النعيم، ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من أذى وقذى وغلّ. فإذا جاءوا إلى منازلهم تلقتهم الملائكة وقالت لهم: (سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُم فَادْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ) [الزمر: 73]. وبعضهم يقول: فيخرج ما في بطونهم من أذى وقذى أو غل وغش.

ذكر بعضهم عن علي في قوله: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّن غِلٍّ) قال: منهم عثمان بن مظعون[4] وطلحة والزبير.

(1) زيادة من ز، ورقة: 106.
(2) أخرجه ابن أبي حاتم عن الحسن مرسلاً بألفاظ قريبة مما هي هنا.
(3) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 12 ص 439 بزيادة ونقصان عن أبي نضرة مرسلاً.
(4) كذا في المخطوطات الأربع: ق، ع، د، وج: «عثمان بن مظعون» وهو خطأ ولا شك صوابه عثمان بن عفان؛ فإن عثمان بن مظعون الصحابي الجليل توفي بعد غزوة بدر بإجماع الرواة، وقَبّل رسول الله ﷺ بين عينيه بعد أن غسل وكفن، فلما دفن قال: نعم السلف هو لنا عثمان بن =

قال: ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَـٰرُ ﴾ وقد فسّرنا الأنهار من قبل هذا الموضع.

﴿ وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الذِي هَدَيْنَا لِهَـٰذَا ﴾ أي للإيمان ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَيْنَا اللَّهُ ﴾ أي لم نكن لنهتدي له لولا أن هدانا الله. ﴿ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ ﴾ أي في الدنيا. ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾. أي على قدر أعمالكم.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: الدرجة في الجنة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض. وإن العبد من أهل الجنة ليرفع بصره فيلمع له برق يكاد يخطف بصره فيقول: ما هذا؟ فيقال: هذا نور أخيك فلان. فيقول أخي فلان! كنا نعمل في الدنيا وقد فضّل عليّ هكذا. فيقال له: إنه كان أحسن منك عملاً[1].

قوله: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَـٰبُ الجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ ﴾. هذا من قول الله وانقطع كلام الفريقين. ﴿ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي المشركين والمنافقين، وهو ظلم فوق ظلم، وظلم دون ظلم.

قوله: ﴿ الذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ هذا الآن في الدنيا، وانقطعت القصة الأولى من قول أهل الجنة وقول أهل النار. قال: ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً ﴾ أي ويبغون سبيل الله، أي طريق الهدى، عوجاً. ﴿ وَهُمْ بِالآخِرَةِ كَـٰفِرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾ أي بين الجنة والنار حجاب. ﴿ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَـٰهُمْ ﴾ والحجاب هو الأعراف. والأعراف هو المكان المشرف المرتفع فيما ذكروا عن ابن عباس. وذكروا أن مجاهداً قال: الأعراف حجاب بين

= مظعون؛ فلم يشترك إذن عثمان بن مظعون في الفتنة وإنما المقصود من قول علي هنا بعض جلة الصحابة الذين أدركتهم الفتن. واستظهرت هذا مما أخرجه الطبري في تفسيره ج 12 ص 438 عن قتادة قال: «قال علي رضي الله عنه: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى ذكره فيهم: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ)، رضي الله عنهم».

(1) أنظر ما سلف ج 1 ص 329.

الجنة والنار. وقال بعضهم: الحجاب حائط بين الجنة والنار.

قوله: ﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُمْ ﴾ قال بعضهم: السيما الأعلام، فهم يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه، ويعرفون أهل النار بسواد الوجوه. وقال مجاهد: بسواد وجوههم وزرقة عيونهم[1].

ذكروا عن ابن عباس قال: أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم تفضل حسناتهم على سيئاتهم ولا سيئاتهم على حسناتهم، فحبسوا هنالك. وقال بعضهم: وقد نباكم الله بمكانهم من الطمع إذ قال: ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ ﴾ [الحديد: 13]. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن أُحُداً جبلٌ يحبّنا ونحبه. وإنه يمثل يوم القيامة بين الجنة والنار، يحشر عليه أقوام يعرفون كلا بسيماهم، هم إن شاء الله من أهل الجنة[2].

وقال بعضهم عن حذيفة بن اليمان قال: أصحاب الأعراف رجال تجاوزت بهم حسناتهم عن النار، وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة ﴿ إِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَـٰبِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ ﴾. فبينما هم كذلك إذ قال الله لهم: ادخلوا الجنة[3].

قوله: ﴿ وَنَادَوا أَصْحَـٰبَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ أي سلموا عليهم. وقال بعضهم: يميل بهم الصراط مرة إلى الجنة ومرة إلى النار، ثم يدخلون الجنة.

(1) وقع اضطراب في ذكر هذه الأقوال، وقد أثبت صحتها تبعاً لما يناسبها معتمداً على بعض ما جاء منها في تفسير ابن أبي زمنين ورقة: 106.

(2) رواه يحيى بن سلام عن أبي أمية عن المتلمس السدوسي عن إسحق بن عبد الله بن الحارث قال قال رسول الله ﷺ، وأخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة أحد، باب أحد جبل يحبنا ونحبه، وأخرجه مسلم في كتاب الحج، باب: أُحد جبل يحبنا ونحبه، عن أنس. وليس فيما أخرجاه: «وإنه يمثل يوم القيامة بين الجنة والنار. . .» الخ.

(3) أورد ابن أبي زمنين في ورقة 106 هنا حديثاً رواه «يحيى عن إبراهيم بن محمد عن محمد بن المنكدر قال قال رسول الله ﷺ أصحاب الأعراف هم قوم غزوا بغير إذن آبائهم فاستشهدوا فحبسوا عن الجنة لمعصيتهم آباءهم وعن النار بشهادتهم».

قال الله: ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا ﴾ يعني أصحاب الأعراف ﴿ وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ أي: في دخولها. قال الحسن: هذا طمع اليقين كقول إبراهيم عليه السلام: (وَالذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ). [الشعراء: 82].

قال: ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَاءَ ﴾ أي نحو ﴿ أَصْحَـٰبِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي من ظالم مشرك ومن ظالم منافق، وهو ظلم فوق ظلم وظلم دون ظلم، وهم أهل النار جميعاً.

قوله: ﴿ وَنَادَى أَصْحَـٰبُ الْأَعْرَافِ ﴾ وهؤلاء ملئكة نادوا ﴿ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَـٰهُمْ ﴾ أي بسواد وجوههم وزرقة أعينهم، يعني أهل النار ﴿ قَالُوا ﴾ لهم ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ ﴾ في الدنيا ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ أي عن عبادة الله.

﴿ أَهَـٰؤُلَاءِ ﴾ على الاستفهام، يعنون أهل الجنة. ﴿ الذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾. يعني أصحاب الأعراف في تفسير مجاهد. وفي تفسير الحسن يعنون أهل الجنة كلهم. يقول: لأن أصحاب الأعراف من أهل الجنة، كقوله: (وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ) في الدنيا (مِّنَ الْأَشْرَارِ) [سورة صٓ: 62]، وكقوله هنا: أَهَـٰؤُلَاءِ الذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ) ثم انقطع كلام الملائكة، وقال لهم الله: (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ). وهذا كلام مقطوع من كلام الملئكة يعرفه الراسخون في العلم. وهذا من نحو حديث حذيفة إذ قال: فبينما هُم كذلك إذ قال الله لهم: ادخلوا الجنة.

قوله: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَـٰبُ النَّارِ أَصْحَـٰبَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ أي الطعام. قال بعض التابعين: الخبز[1]. ﴿ قَالُوا ﴾ أي قال أهل الجنة: ﴿ إِنَّ اللَّـهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَـٰفِرِينَ ﴾ أي الكافرين جميعاً من كافرٍ مشرك أو كافر منافق.

﴿ الذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ ﴾ أي في الدنيا ﴿ لَهْواً ﴾ أي ملهاة يتلاهون به

(1) كذا في ق و ع: «الخبز»، وفي ج و د: «الخير».

﴿ وَلَعِباً ﴾ أي من جهة اللعب والباطل ﴿ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَـوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ بزخرفها وغرورها ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنْسَـٰهُمْ أي نتركهم في النار ﴿كَمَا نَسُوا﴾ أي كما تركوا ﴿لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا ﴾ أي كما تركوا العمل للقاء هذا اليوم. وإنما نسوا من الخير ولم ينسوا من الشر: أي: تركوا من الخير ولم يتركوا من الشر. قال:

﴿ وَمَا كَانُوا بِئَايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ يعني أنه ليس أصحاب النار كلهم جاحدين. يقول: وما كانوا، أي ولم يكونوا. أي: أهل النار جميعاً بآياتنا يجحدون. أي: إن من أهل النار الجاحد بآياتنا وغير الجاحد. وهذا حقيقة التأويل؛ لأنه قد دُخِلت النار بغير الجحود؛ دخلها أكلة الربا، وراكبو الزنا، وقاتلو الأنفس، وآكلو أموال اليتامى وأموال الناس بالباطل، وغير ذلك من الكبائر الموبقة. والآية جامعة لجميع الكفار من كافر مشرك وكافر منافق على المعنى الذي فسّرنا. فمن قال إن أهل النار كلهم جاحدون أكذبه الوجود، فقد دخلها بغير جحود من وصفنا. ومن قال إنهم جميعاً غير جاحدين لقول الله وما كانوا بآياتنا يجحدون، أي: إنهم جميعاً لم يكونوا جاحدين، أكذبه الوجود أنَّ أهل الجحد والإنكار من أهل النار[1]. قال الله: وما كانوا بآياتنا

(1) هذا الاحتجاج الذي جاء هنا استطراداً في هذه الفقرة غير موجود في مخطوطة ز. وأكاد أجزم أنه للشيخ هود الهواري، فهو إلى فكره أقرب وبأسلوبه أشبه. وسواء أكان له أو لغيره فإن صاحبه قد نزع في تأويل الآية منزعاً بعيداً، وتكلف من الأعراب ما لا تحتمله الجملة، إذ جعل «ما» في قوله تعالى (وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) نافية. وهي لا تعرب كذلك إلا بتكلف شديد وإغراب في الإعراب. ولم أجد فيما بحثت ـ من أعربها نافية. والمفسّرون الذين تعرّضوا للآية جعلوا «ما» معطوفة على «ما» التي قبلها في قوله: (كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذا)؛ فيكون المعنى، فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا، وكما كانوا بآياتنا يجحدون.

فتكون على هذا الإعـراب كالأولى مصدرية في محل جر. قال ابن الأنباري في كتابه: البيان في غريب إعراب القرآن ج 1 ص 364: «(ما) الأولى و(ما) التي بعدها في تأويل المصدر، وهي في محل جر بالكاف. وتقديره: فاليوم ننساهم كنسيانهم لقاء يومهم هذا. وما الثانية في موضع جر بالعطف على ما الأولى). وإلى هذا الإعراب ذهب أيضاً الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في تفسير التحرير والتنوير، ج 8 ص 151. وهذا في نظري هو التأويل الصحيح الأليق بكلام الله في يسره ووضوحه. وانظر تفسير الطبري ج 12 ص 476، وتفسير ابن =

يجحدون، فانقطعت قصة أهل الجنة وأهل النار ها هنا.

ثم ابتدأ الكلام فقال: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُمْ﴾ يعني المشركين ﴿بِكِتَـٰبٍ﴾ يعني القرآن ومعنى جئناهم أي: جاءتهم به الرسل، إنه جاءهم به، أي فجعل ما جاءتهم به الرسل أنه جاءهم به، أي بالرسل والكتاب[1] ﴿فَصَّلْنَـٰهُ﴾ أي بيّنّا فيه الحلال والحرام، والأمر والنهي، والوعد والوعيد والأحكام ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي هدى يهتدون به طريق الجنة.

ثم قال: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ أي ثوابه في تفسير الحسن وغيره. وقال مجاهد: جزاءه، وهو واحد. قال: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ﴾ أي ثوابه والجزاء به [في الآخرة][2] ﴿ يَقُولُ الذِينَ نَسُوهُ ﴾ أي الذين تركوه ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي في الدنيا. أي: اعرضوا عنه. والإعراض من وجهين: أحدهما لم يؤمنوا به، والآخر لم يعملوا بفرائضه وأحكامه. وهذا إعراض المنافقين. كقوله: (وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ) أي عن العمل بما أقروا به والاستكمال لما عاهدوا عليه (وَهُم مُّعْرِضُونَ) [النور: 48 و49][3] أي عن استكمال الفرائض التي أقرّوا بها.

﴿ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ إذ نحن في الدنيا فآمنوا حيث لا ينفعهم الإيمان. ﴿ فَهَل لَّنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ﴾ أن لا نعذب ﴿ أَوْ نُرَدُّ ﴾ إلى الدنيا ﴿ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ سألوا الله أن يَرُدُّهُم إلى الدنيا فيعملوا بالإيمان ويكملوا الفرائض.

= الجوزي: زاد المسير، ج 3، ص 209.

(1) كذا جاءت هذه الجمل مقطعة مضطربة، ومعناها أوضح من أن يحتاج إلى هذا الشرح الذي لا طائل تحته.

(2) زيادة من ز، ورقة 107.

(3) ليست هذه آية متصلة، بل هما آيتان: هما قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ. وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ).

قال الله: ﴿ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ فصاروا في النار ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ أي أوثانهم التي عبدوها فلم تغن عنهم شيئاً.

قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الذِي خَلَقَ السَّمَـوٰتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ وفيها إضمار، وإضمارها: الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما. وهذا موضع الإضمار. كقوله: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) [سورة قٓ: 38].

قوله: ﴿ ثُمَّ آسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي الَّيْـلَ النَّهَارَ ﴾ [أي أن الليل يأتي على النهار][2] ويغطيه ويُذهبه ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثاً﴾ فيذهبه ﴿ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّـرٰتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ ﴾ من البركة، وهو تفاعل ﴿ رَبُّ العَـٰلَمِينَ﴾.

قوله: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً ﴾ أي من الضراعة والخضوع ﴿ وَخُفْيَةً ﴾ أي: وسرّا ﴿ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾.

﴿ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾ قال بعضهم، يعني بعدما بعث النبي عليه السلام واستجيب له ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً ﴾ أي خوفاً منه وطمعاً في رحمته. ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي إنها للمحسنين دون سواهم.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشُراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ قال بعضهم: أي يبسطها بين يدي المطر. وتفسير الحسن في قوله نشرا، أي: تلقح السحاب.

قال: ﴿ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً ﴾ قال بعضهم: الثقال: التي فيها الماء ﴿سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ أي: إلى بلد ليس به نبات ﴿ فَأَنْزَلْنَا بِهِ المَاءَ ﴾ أي: بذلك البلد. قال الحسن: إن الله ينزل الماء من السماء فيسكنه السحاب ثم يصرفه حيث يشاء. ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ﴾ أي أنبتنا بالماء ﴿ مِنْ كُلِّ الثَّمَـرٰتِ﴾.

قال: ﴿ كَذَٰلِكَ﴾ أي هكذا ﴿ نُخْرِجُ المَوْتَىٰ ﴾ يعني البعث.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: يرسل الله مطراً منياً كمني الرجال، فتنبت به لحمانهم وجسمانهم كما تنبت الأرض الثرى. ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ [فاطر: 9] أي كذلك البعث. وقال مجاهد: ﴿ كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾، أي: بمطر السماء حتى تنشق عنهم الأرض.

قوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ قال الحسن: يقوله للمشركين. يقول: فالذي أنزل الماء فأخرج به هذا النبات من هذه الأرض الميتة قادر على أن يحيي الموتى.

قوله: ﴿ وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً ﴾. قال الحسن: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر: إن عمل المؤمن مقبول، وعمل الكافر ليس بمقبول؛ مثل الأرض التي ليست بطيبة والتي لا يخرج نباتها إلا نكداً.

وقال الكلبي: هذا مثل المؤمن والمنافق. أما البلد الطيب فمثل المؤمن يعمل ما عمل من شيء ابتغاء وجه الله، وأما الذي خبث فالمنافق لا يفعل شيئاً، ولا يعمله إلا رياء وسمعة، إلا نكداً، ليست له فيه حسبة[1].

وقال مجاهد: كل هذا من الأرض، الخبيث وغيره، مثل آدم وذريته، كلهم منه؛ منهم طيب وخبيث.

وقال بعضهم: ﴿ البَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾، هذا مثل المؤمن، سمع كتاب الله فأقر، فانتفع به وعقله، كمثل هذه الأرض الطيبة أصابها الغيث فأنبتت وأمرعت. ﴿ وَالذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً ﴾ أي إلا عسراً[2]. هذا مثل الكافر، سمع كتاب الله فلم يعقله ولم ينتفع به، كمثل هذه الأرض الخبيثة أصابها الغيث فلم تنبت شيئاً ولم تمرع عنه.

(1) كذا في ق و ع: «ليست له فيه حسبة» وهو الصواب، وفي ج و د: «ليست له فيه خشية».

(2) في مجاز أبي عبيدة، ج 1 ص 217: «(نكداً) أي: قليلاً عسراً في شدة»، وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن، ص 169: «لا يخرج إلا نكداً» أي: إلا قليلاً، يقال: عطاء منكود: منزور».

قال: ﴿ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْأَيَٰتِ﴾ أي نبيّن الآيات. وقال بعضهم: أي نكرر الآيات ونأتي بها من الوجوه التي فيها البيان والشرح. ﴿ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ أي لقوم يؤمنون.

قوله: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُم مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ! إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي في ضلال بيّن، أي فيما تدعونا إليه. ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَبِّ الْعَٰلَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

قال الحسن يقول: أعلم من الله أنه مهلككم ومعذبكم إن لم تؤمنوا.

قال: ﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُم ذِكْرٌ ﴾، أي وحي ﴿ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنْكُمْ ﴾ [أي على لسان رجل منكم][1] وذلك أنهم عجبوا من ذلك ﴿ لِيُنْذِرَكُمْ ﴾ أي لكي ينذركم العذاب في الدنيا والآخرة. ﴿ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ أي لكي ترحموا إن اتّقيتم[2]. ولعل من الله واجبة للمؤمنين[3].

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَٰهُ وَالذِينَ مَعَهُ فِي الفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَٰتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ ﴾ أي عن الهدى[4].

قوله: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً ﴾ يقول: وأرسلنا أخاهم هوداً، تبعاً للكلام الأول: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً). هو أخوهم في النسب وليس بأخيهم في الدين. ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ ﴾ [يعني الرؤساء][1] ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ ﴾ أي من

(1) زيادة من ز، ورقة 107.

(2) كذا في ع و ق: «إن اتقيتم» وهو أنسب، وفي ج و د: «إن أيقنتم» وهو تصحيف.

(3) كلمة «للمؤمنين» وردت في كل المخطوطات إلا في ز، وهي من زيادة الشيخ هود ولا شك.

(4) كذا في المخطوطات: عمين عن الهدى، وفي ز، ورقة 107، وفي تفسير مجاهد ص 239: «عمين عن الحق»، وهو واحد.

الرأي، سفّهوه وسفّهوا دينه وزعموا أنه مجنون. ﴿ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَـٰذِبِينَ﴾ كان تكذيبهم إياه بالظن.

﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ العَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ ﴾ أي ادعوكم إلى الله وإلى ما ينفعكم في الدنيا والآخرة ﴿ أَمِينٌ ﴾ على ما جئتكم به من عند الله.

قوله: ﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أي بيان من ربكم ﴿ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ ﴾ عذاب الله في الدنيا والآخرة، ولم يبعث الله نبياً إلا وهو يحذر أمته عذاب الله في الدنيا وعذابه في الآخرة إن لم يؤمنوا.

﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ أي استخلفكم في الأرض بعدهم. ﴿ وَزَادَكُمْ فِي الخَلْقِ بَصْطَةً ﴾ يعني الأجسام والقوة التي أعطاكم. قال الله: (التِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي البِلَادِ) [الفجر: 8].

قوله: ﴿ فَاذْكُـرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ ﴾ أي نعماء الله. وقال بعضهم: نعمة الله ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي لكي تفلحوا.

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ﴾ دعاهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام. ﴿ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا ﴾ يعنون أصنامهم ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ﴾.

﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ ﴾ أي قد وجب عليكم من ربكم رجس، والرجس العذاب ﴿ وَغَضَبٌ أَتُجَـٰدِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُم وَءَابَاؤُكُمْ ﴾ يعني أصنامهم ﴿ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَـٰنٍ﴾ أي من حجة تأمركم بعبادتها ﴿ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ أي فارتقبوا إني معكم من المرتقبين، فإن عذاب الله نازل بكم.

﴿فَأَنْجَيْنَـٰهُ وَالذِينَ مَعَهُ ﴾ يعني من ءامن معه ﴿ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾ أي: بمنّ منا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَـٰتِنَا﴾ أي أصلهم ﴿ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحاً﴾ أي وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً، تبعاً للكلام الأول: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نوحاً إِلَى قَوْمِهِ) هو أخوهم في النسب وليس بأخيهم في الدين. ﴿ قَالَ يَـٰقَـوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُم مِّن إِلَهٍ غَيْرُه قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَبِّكُمْ ﴾ يعني النبوة التي جاءهم بها ﴿ هَـٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ ﴾ أي لا تعقروها ﴿ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي موجع.

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنَ بَعْدِ عَادٍ ﴾ أي استخلفكم في الأرض من بعد عاد ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ أي واسكنكم في الأرض ﴿تَتخِذُوْنَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا ءَالاَءَ اللَّهِ ﴾ أي: نعم الله ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾. قال بعضهم: لا تسيروا في الأرض مفسدين. وقال الحسن: ولا تكونوا في الأرض مفسدين[1].

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ أي عن عبادة الله ﴿ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا ﴾ وهم المؤمنون ﴿لِمَنْ ءامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَـٰلِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ أي مصدقون. ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ ﴾ أي صدقتم به ﴿كَـٰفِرُونَ﴾.

﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ والعتوّ الاستكبار ﴿ وَقَالُوا يَـٰصَـٰلِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾.

﴿ فَأَخَذَتْهُم الرَّجْفَةُ ﴾ قال الحسن: تحركت بهم الأرض فكان موتهم في ذلك. وقال في ءاية أخرى: (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ) [الحجر: 73]. والصيحة اسم موت إلا أنه على وجوه. ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾ أي موتى[2].

(1) وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 41: «(ولا تعثوا) أي: لا تفسدوا، من عثيت، تعثى، عثوا، وعثا: يعثو عثواً وهو أشد الفساد».

(2) وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 218 «(جاثمين) أي بعضهم على بعض جثوم، وله موضع آخر جثوم على الركب». والأصل في الجثوم: البروك على الركب».

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّـٰصِحِينَ﴾ وهذا بعد ما هلكوا.

قوله: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ﴾ أي: وأرسلنا لوطاً، تبعاً للكلام الأول في قصة نوح وهود وصالح ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَـٰلَمِينَ﴾ أي إن هذا لم يكن فيما خلا من الأمم قبلكم أن ينكح الرجال بعضهم بعضاً.

﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ أي: مشركون. قال الحسن: كانوا لا يفعلون ذلك إلا بالغرباء، ولا يفعله بعضهم ببعض.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن أخوف ما أخافه على أمتي عمل قوم لوط[1].

قال: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ أي يتنزهون عن إتيان الرجال في الأدبار. وقال مجاهد: يتطهرون من أدبار الرجال وأدبار النساء. وقال الحسن: يتطهرون من أعمالكم، فلا يعملون ما تعملون. وهذا وقول مجاهد واحد في إتيان الرجال في أدبارهم إلا أن مجاهدا ذكر النساء.

قال: ﴿فَأَنْجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَـٰبِرِينَ ﴾ أي في عذاب الهالكين[2]. ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً ﴾ أي الحجارة التي رموا بها، رمى بها من كان خارجاً من المدينة في حوائجهم وأهل السفر منهم، وأصاب قريتهم الخسف. قال: ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ وهذا جرم شرك. وهو جرم فوق جرم، وجرم دون جرم. وقال بعضهم: عاقبتهم أن دمّر الله عليهم ثم صيّرهم إلى النار.

قوله: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً ﴾ أي وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيباً، تبعاً

---

(1) حديث صحيح رواه ابن ماجه عن جابر بن عبد الله مرفوعاً في كتاب الحدود، باب من عمل عمل قوم لوط (رقم: 2563).

(2) هذا قول قتادة. وأصل معنى الغابرين أي الباقين، وانظر في تفسير الطبري ج 12 ص 552 - 553 معنى آخر لكلمة الغابرين.

للكلام الأول، هو أخوهم في النسب وليس بأخيهم في الدين.

﴿ قال يَـٰقَـوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِهِ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أي النبوة التي أتاهم بها. ﴿ فَأَوْفُوا الكَيْلَ وَالمِيزَانَ ﴾ وكانوا يطففون في المكيال وينقصون الميزان. ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ أي: لا تنقصوا الناس أشياءهم ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾. قال بعضهم: هذا بعدما بعث إليكم النبي عليه السلام واستجيب له. ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ يقول: ولا ينفعكم أن توفوا المكيال والميزان في الآخرة إن لم تكونوا مؤمنين(1).

قوله: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ ﴾ قال: توعدون من أتى شعيباً وغشيه وأراد الإسلام. من آمن به: أي تصدون المؤمنين عن سبيل الله. ﴿ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً ﴾ أي تبغون طريق الهدى عوجاً؛ وهو قعودهم على الطريق يتهددون المؤمنين الذين يأتون شعيباً بالقتل، ويصدونهم عنه. وقال مجاهد: وتبغونها عوجاً. أي تلتمسون لها الزيغ.

قال: ﴿ واذْكُـرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ ﴾ يذكرهم نعمته. ﴿ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ المُفْسِدِينَ ﴾ يعني من أهلك من الأمم السالفة حين كذّبوا رسلهم؛ كانت عاقبتهم أن دمّر الله عليهم ثم صيّرهم إلى النار.

قال: ﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الحَـٰكِمِينَ﴾. كقول هود: (فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ المُنْتَظِرِينَ) [الأعراف: 71]، وكقول الله للنبي عليه السـلام: (فَارْتَقِب إِنَّهم مُّرْتَقِبُونَ) [الدخان: 59].

قوله: ﴿ قَالَ المَلأُ الذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ أي: عن عبادة الله ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ

(1) كذا في المخطوطات ق وج و د، وسقطت هذه الجملة من ع. ويبـدو أن هذا تأويل بعيد عن ظاهر مدلول الآية، والمعنى أبسط وأظهر من أن يتكلف له هذا التأويل. ولم أرَ هذا التأويل في كتب التفسير التي بين يدي. على أن هذه الجملة غير واردة في ز.

﴿ يَـٰشُعَيْبُ وَالذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ ﴾ أي الذين صدقوا معك ﴿ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ أي: في دِينِنَا حتى تعبدوا ما نعبد ﴿ قَالَ ﴾ شعيب ﴿ أَوَ لَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ ﴾ أي لدينكم. وهذا على الاستفهام.

قوله: ﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّـٰنا اللَّهُ مِنْهَا ومَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَّشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ قال بعضهم: ملأ ربنا كل شيء علماً ﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا ﴾ أي اقضِ بيننا[1] وبين قومنا ﴿ بِالحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الفَـٰتِحِينَ ﴾ أي خير القاضين. وقال في الآية الأخرى: (وَأَنْتَ خَيْرُ الحَـٰكِمِينَ) [الأعراف: 87]. وهذا واحد؛ احكم بيننا، وافتح بيننا، واقضِ بيننا واحد. وإذا دعا النبي ربه أن يحكم بينه وبين قومه جاءهم العذاب، في تفسير بعضهم[2]. وقال الحسن: إن النبي إذا جاء الوقت الذي يهلك الله فيه القوم أمره الله بالدعاء عليهم، ثم استجاب له فأهلكهم.

قوله: ﴿ وَقَالَ المَلأُ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ يقوله بعضهم لبعض ﴿ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَـٰسِرُونَ ﴾ قال الله: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ أي الصيحة. قال: ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴾ أي قد هلكوا.

قال: ﴿ الذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ أي: كَأَن لَّمْ يَعِيشُوا فِيهَا[4] ﴿ الذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُوا هُمُ الخَـٰسِرِينَ ﴾.

---

(1) كذا في ق وع و د: «اقضِ بيننا»، وفي ز، ورقة 108: «أي احكم»، وفي مجاز أبي عبيدة ج 1 ص 220: «أي: احكم بيننا. قال: والقاضي يقال له الفتاح». وقال الفراء في معاني القرآن ج 1 ص 385: «يريد: اقضِ بيننا، وأهل عُمان يسمون القاضي الفاتح والفتاح».

(2) هذا قول لقتادة كما في ز، ورقة 108.

(3) كذا في ق و ع و د، «الصيحة»، والرجفة غير الصَّيحـة، ففي مجاز أبي عبيدة ج 1 ص 221: الرجفة «من رجفت بهم الأرض أي: تحركت ـ وفي معاني الفراء ج ص 384: «والرجفة هي الزلزلة، والصاعقة هي النار، يقال: أحرقتهم».

(4) في ق و ع: «يعيشوا فيها»، وهو صحيح المعنى، وفي ج و د: «يغشوا»، وفيه تصحيف، وهو خطأ، وفي ز، ورقة 108: «يقيموا فيها». وهو صحيح المعنى أيضاً. وفي مجاز أبي عبيدة، ج 1 ص 221: «(كَأَنْ لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا) أي: كأن لم ينزلوا فيها ولم يعيشوا فيها».

قوله: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ وهذا بعدما هلكوا ﴿ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ ﴾ أي فكيف أحزن، ﴿ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ﴾ أي لا أحزن عليهم.

قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيءٍ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ البأساء: البؤس والجوع وقحط المطر، والضراء: اللأواء من الأمراض والشدائد. ﴿ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾.

قال: ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ ﴾ أي مكان البأساء والضراء، وهي الشدة ﴿ الْحَسَنَةَ ﴾ والحسنة ها هنا، الرخاء والعافية. ﴿ حَتَّىٰ عَفَوْا ﴾ أي حتى كثروا. قال الحسن: سمنوا بعد الجوع، فهو من الكثرة ﴿ وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ ﴾ أي الشدة والرخاء فلم يكن شيء، يعنون ما كان يعد النبي به قومه من العذاب إن لم يؤمنوا.

قال الله: ﴿فَأَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً ﴾ أي فجأة بالعذاب ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ السَّمَاءِ الْأَرْضِ ﴾. قال بعضهم: لأعطتهم السماء قطرها والأرض نباتها. ﴿ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَـٰهُم ﴾ بالعذاب ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي: بما كانوا يعملون يعني: يشركهم.

قوله: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ﴾ أي عذابنا ﴿بَيَـٰتاً﴾ أي: ليلاً وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾ أي نهاراً، مثل قوله: (وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ) [الضحى: 1 - 2]. قال: ﴿ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ أي ليسوا بآمنين من ذلك. وقد كان المشركون يقولون للنبي عليه السلام: إيتنا بعذاب الله.

قال: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ﴾ أي إنهم ليسوا بآمنين من ذلك ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ ﴾ أن يمكر بهم فيهلكهم ﴿ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَـٰسِرُونَ﴾. وهو قوله: ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس ءاباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون هكذا مكره بهم.

قوله: ﴿ أَوَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: (يَهْدِ)

و (نَهْدِ). فمن قرأها (نَهْدِ) فيقول نُبين. ومن قرأها (يَهْدِ) فيقول: يبيّن الله للذين يرثون الأرض. ﴿ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا ﴾ أي الذين هلكوا من الأمم السالفة ﴿ أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾ فأهلكناهم بالعذاب كما أهلكنا من كان قبلهم حين كذّبوا رسلهم. ﴿ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ أي لو شئنا أصبناهم بذلك.

ثم قال: ﴿ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ﴾ أي: من أخبارها، يعني ما قص في هذه السورة من أخبار الأمم ورسلها وكيف أهلكهم. قال: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ﴾ أي بما كفروا به من قبل. ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَـٰفِرِينَ﴾ وهي مثل قوله: (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَـٰتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا) [يونس: 13].

قوله: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ﴾ يعني الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب ءادم. ﴿ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ﴾.

قوله: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَـٰتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ﴾ أي: العصا واليد ﴿ فَظَلَمُوا بِهَا ﴾ أي: فظلموا أنفسهم بها بتكذيبهم بالآيات ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾. فكان عاقبتهم إن دمّر الله عليهم ثم صيّرهم إلى النار.

قوله: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ يعني الوحى والنبوءة التي جاء بها ﴿ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ ﴾ وكان بنو إسراءيل في أيديهم كمثل أهل الجزية فينا في ذلّ.

﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ. فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ أي بيّن إنها حيّة.

قال بعضهم: فإذا هي أشعر[1] ذكر، تكاد تبلع وتسترط فرعون.

(1) الحيّة اسم يطلق على الذكر والأنثى من الأفاعي، ولذا جاء الوصف هنا بلفظ أشعر، لا شعراء، ثم وصفت بأنها ذكر. ويقال: فلان حيّة ذكر؛ يعنون شجاعته وشدته.

﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّـٰظِرِينَ﴾، أي أخرج يده من جيب قميصه. ذكروا عن مجاهد أنه قال: من جيبه: أي: من جيب قميصه. قال الحسن: أخرجها والله كأنها مصباح.

وقال الكلبي: بلغنا أن موسى عليه السلام قال: يا فرعون، ما هذه بيدي؟ قال: هي عصا. فألقاها موسى، فإذا هي ثعبان مبين قد ملأت الدار من عظمها، ثم أهوت إلى فرعون لتبتلعه فنادى: يا موسى يا موسى، فأخذ موسى بذنبها فإذا هي عصا بيده. فقال فرعون: يا موسى، هل من آية غير هذه؟ قال: نعم. قال: ما هي. فأخرج موسى يده فقال: ما هذه يا فرعون؟ قال هذه يدك. فأدخلها موسى في جيبه ثم أخرجها فإذا هي بيضاء للناظرين تعشى البصر من بياضها. وبلغنا عن ابن عباس أنه قال: غرزت ذنبها في الأرض ورفعت صدرها ورأسها وأهوت إلى فرعون لتأخذه فجعل يميل ويقول: يا موسى، خذها يا موسى خذها، فأخذها موسى.

﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ أي بالسحر ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّن أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ أي إنه إذا أخرج بني إسرائيل عنكم فقد أخرجكم من أرضكم، وهو كقوله: ﴿ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴾ [طه: 63] أي بعيشكم الأمثل؛ يعني بني إسرائيل.

قوله: ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ أي احبسه وأخاه[1] ﴿ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَـٰشِرِينَ﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴾. قال له أصحابه: لا تقتله، فإنما هو ساحر، وليس سحره بالذي يغلب سحر سحرتك؛ فإنك إن قتلته أدخلت على الناس في أمره شبهة، ولكن أرجه وأخاه واجمع له السحرة.

قوله: ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْراً ﴾ يعنون العطية ﴿ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الغَـٰلِبِينَ. قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ أي في المنزلة والقربة.

(1) كذا في المخطوطات الأربع: «احبسه وأخاه»، وفي ز، ورقة 108 «أَخِّرْه وأخاه». وفي مجاز أبي عبيدة، ج 1 ص 225: (أرجه وأخاه). مجازه: أخره». وفي معاني الفراء ج 1 ص 388: «جاء في التفسير: احبسهما. عندك ولا تقتلهما، والإرجاء تأخير الأمر».

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ. قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾ أي من الرهب والمخافة[1] ﴿ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾. فخيّل إلى موسى أن حبالهم وعصيهم حيات كما كانت عصا موسى. فألقى موسى عصاه فإذا هي ثعبان مبين، أعظم من حياتهم. ثم رموا فازدادت حبالهم وعصيهم عظماً في أعين الناس، وجعلت عصا موسى تعظم، وهم يرمون حتى أنفدوا سحرهم، فلم يبقَ منه شيء، وعظمت عصا موسى حتى سدّت الأفق، ثم فتحت فاها فابتلعت ما ألقوا. ثم أخذ موسى عصاه بيده فإذا حبالهم وعصيهم قد ذهبت.

قال: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ قال الحسن: فإذا هي تسترط حبالهم وعصيهم، أي تلقفه بفيها. قوله: (مَا يَأْفِكُونَ) قال مجاهد: ما يكذبون. وَسَرِطَتْ حبالهم وعصيهم.

قوله: ﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ قال بعضهم: فظهر الحق، وهو تفسير مجاهد وبطل ما كانوا يعملون[2].

قال: ﴿ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾. قال الكلبي: فقال السحرة بعضهم لبعض: لو كان هذا سحراً لبقيت حبالنا وعصينا.

﴿ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ فبهت فرعون وألقى بيده، وخلّى سبيل موسى، ولم يعرض له.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ﴾ لهم (آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ﴾ على الاستفهام، أي إنكم فعلتم ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ أي: قلتم لموسى: يا موسى اذهب فاصنع شيئاً، فإذا صنعت ذلك دعانا فرعون فصدّقنا مقالتك ﴿ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ﴾

---

(1) كذا في المخطوطات، وفي ز، ورقة 108: «أي أخافوهم. وفي مجاز أبي عبيدة ج 1 ص 225: «خوّفوهم».

(2) في معاني الفراء ج 1 ص 391 ما يلي: «(فَوَقَعَ الْحَقُّ) معناه: أن السحرة قالوا: لو كان ما صنع موسى سحراً لعادت حبالنا وعصينا إلى حالها الأولى، ولكنها فُقِدت. فذلك قوله: (فَوَقَعَ الْحَقُّ) فتبين الحق من السحر.

أي لتخرجوني وقومي بسحركم وسحر موسى. ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

قَالُوا: إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ فآمنوا. ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ﴾ وهو كقوله في أصحاب الأخدود (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) [البروج: 8] ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾. قال بعضهم: كانوا أول النهار سحرة وآخره شهداء.

قوله: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي أرض مصر فيخرجوا منها بني إسرائيل. وقال بعضهم: ليقتلوا أبناء أهل مصر، كقول فرعون: (وَأَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) [غافر: 26]. أي يقتل أبناءكم كما قتلتم أبناءهم، وإنما عيشكم من بني إسرائيل.

قال: ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ أي فلا يعبد ما تعبد. قال الحسن: وكان فرعون يعبد الأوثان. وكان بعضهم يقرأها: ويذرك وإلاهتك. أي: وعبادتك[1]. ومن قرأها بهذا المقرأ قال: ألا تراه يقول: (أَنَا رَبُّكُمُ الأعلى) [النازعات: 24].

قوله: ﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ أي فلا نقتلهن ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ﴾ أي: إنا قاهرون لهم.

﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وكان الله قد أعلم موسى أنه مهلك فرعون وقومه وأن الله سيورث بني إسرائيل الأرض من بعدهم وقال في آية أخرى: (كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) [الشعراء: 59]. قوله: ﴿وَالْعَـٰقِبَـةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ العـاقبة هي الجنـة، وهي للمتقين ليست لمن سواهم.

(1) هذه قراءة ابن عباس ومجاهد. روى الطبري في تفسيره ج 3 ص 39: «عن ابن عباس أنه قرأ: (وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ) قال: وعبادتك، ويقول: إنه كان يُعبَد ولا يَعبُد». والإلاهة، والألوهة، والألوهية كلها تأتي بمعنى العبادة. انظر اللسان: (أله).

قوله: ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ يقوله بنو إسرائيل لموسى عليه السلام؛ يعنون ما كان يصنع بهم فرعون وقومه. قال مجاهد: من قبل إرسال الله إياك ومن بعده.

وقال الكلبي: إنه لما ألقى السحرة ساجدين فبهت فرعون فألقى بيده وخلّى سبيل موسى، قال الملأ من قوم فرعون لفرعون: أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك والهتك. قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون. فأمر فرعون ببني إسرائيل أن يكلفوا من العمل ما لا يطيقون. فمر موسى عليهم كذلك فقالوا: أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا[1].

﴿ قَالَ ﴾ لهم موسى ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ فأخذ الله آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات.

قال: ﴿وَلَقَد أَخَذْنَا ءالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فأجدبت أرضهم وهلكت مواشيهم ونقصت ثمارهم فقالوا: هذا مما سحرنا به هذا الرجل.

قوله: ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَـٰذِهِ ﴾ قال الحسن: أي نحن أولى بالحسنة ومنا جاءت. قال مجاهد: الحسنة في هذا الموضع العافية والشبع والرخاء والمطر والخير والخصب. ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ أي جدوبة أو شدة ﴿ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ﴾ ويقولوا: إنما أصابنا هذا من شؤم موسى ومن معه.

قال الله: ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَـٰئِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ أي محفوظ. عليهم حتى يجازيهم به يوم القيامة[2]. ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿وَقَالُوا﴾ له يا موسى ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن ءايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾ أي ما تأتنا به،

(1) في هذه الصفحة والتي تليها اضطراب وخلط بين الآيات في المخطوطات، وفيها تكرار أحياناً، جعلت كل آية وتفسيرها حسب الترتيب الذي جاءت عليه في المصحف.

(2) في مجاز أبي عبيدة ج 1 ص 226: «(أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ) مجازه إنما طائرهم عند الله، وتزاد (أَلَا) للتنبيه والتوكيد. ومجاز طائرهم: حظهم ونصيبهم».

وهي كلمة عربية: ما تأتنا به، ومهما تأتنا به، وهو واحد، لتسحرنا بها ﴿ فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ أي بمصدقين.

قال الله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم الطُّوفَانَ والجَرَادَ وَالقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَاتٍ مُفَصَّلَتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِيْنَ ﴾.

قال بعضهم: فمطروا الليل والنهار ثمانية أيام ولياليهن لا يرون فيها شمساً ولا قمراً، فصرخ الناس إلى فرعون، وخافوا الغرق. فأرسل فرعون إلى موسى فأتاه فقال له: يا موسى اكشف عنا فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل. فدعا موسى ربه فأقلعت السماء ونَشِفَت[1] الأرض ماءها، وأنبتت من الكلأ والزرع ما لم يروا مثله قط في مصر. فقالوا: لا والله، لا نؤمن لك ولا نرسل معك بني إسرائيل. ولقد جزعنا من أمر كان خيراً لنا فنكثوا وعصوا. فأرسل الله عليهم الجراد فأكل ما أنبتت الأرض وبقي الجراد عليهم ثمانية أيام ولياليها لا يرون الأرض. وركب الجراد بعضه بعضاً ذراعاً. وفي تفسير مجاهد، إن الجراد أكل مسامير أبوابهم وبنيانهم. قال الله: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ﴾... الآية.

قال الكلبي: فصرخ أهل مصر إلى فرعون فأرسل إلى موسى فقال: أيها الساحر، ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ فدعا موسى ربه فأرسل الله ريحاً شديدة فاحتملت الجراد فألقته في البحر، فلم تبقَ منه جرادة واحدة. فنظر أهل مصر فإذا قد بقيت لهم بقية من زروعهم وكلإهم ما يكفيهم عامَهم ذلك. فقالوا له: والله لقد بقي لنا ما يكفينا هذه السنة، فلا والله لا نؤمن لك ولا نرسل معك بني إسرائيل. فأرسل الله عليهم القمَّل، وهو الدبى[2] فلم يُبْقِ في أرضهم عوداً أخضر إلا أكله. فصرخوا إلى فرعون. فأرسل إلى

(1) في المخطوطات «انشقت الأرض»، ولم ترد الكلمة في المعاجم إلا مجردة في هذا المعنى، يقال: نَشِفت الأرض ماءها تنشفه ويقال أيضاً: نشّفت، بالتضعيف. أما أنشفه، فهو بمعنى أعطاه النُّشافة، وهي الرغوة التي تعلو اللبن إذا حُلِب. انظر اللسان: (نشف).

(2) الدبى: جمع دباة، وهي صغار الجراد قبل أن يطير.

موسى فأتاه، فقال: يا موسى اكشف عنا هذا الدبى فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل. فدعا موسى ربه فأمات الدبى حتى لم تبقَ منه واحدة. فلما نظر القوم أنه لم يبقَ لهم شيء يعيشون به قالوا: يا موسى، هل تستطيع أن تفعل بنا أسوأ مما فعلت، فوالله لا نؤمن لك، ولا نرسل معك بني إسرائيل. فأرسل الله عليهم الضفادع، فدبت في أرضهم وبيوتهم ومخادعهم وظهور بيوتهم، حتى جعل الرجل منهم يستيقظ وعليه منهم ما لا يحصى. فصرخوا إلى فرعون. فأرسل إلى موسى فأتاه فقال: ادع لنا ربك فليهلك هذه الضفادع من أرضنا ونؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل. فدعا موسى ربه فأذهب الضفادع من أرضهم، فأماتها. ثم أرسل مطراً فآحتملها فألقاها في البحر. فقالوا: لا والله لا نؤمن لك ولا نرسل معك بني إسرائيل. فأرسل عليهم الدم فجرت أنهارهم دماً، ودكا[1] ماؤهم، فلم يكونوا يقدرون على الماء، وأنهار بني إسرائيل تجري ماء عذباً طيباً. فإذا دخل الرجل من آل فرعون في أنهار بني إسرائيل صار ما دخل فيه دماً، والماء من بين يديه ومن خلفه صافٍ عذب لا يقدر منه على شيء. فمكثوا ثمانية أيام ولياليهن، لا يذوقون الماء حتى بلغهم الجهد. فصرخ أهل مصر إلى فرعون: إنا قد هلكنا وهلكت دوابنا ومواشينا من الظمإ، فأرسل فرعون إلى موسى فدعاه. فأتاه فقال: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الرجز ونعطيك ميثاقنا لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل.

قال الله: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ [أي العذاب] إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ أي البحر ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَـٰفِلِينَ﴾.

وقال بعضهم في قوله: ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات،

(1) كذا في ق وفي د: «دكا»، وفي ع «ذكا»؛ ولم أوفق إلى تصحيح ما به من تصحيف إن كان، اللهم إلا أن تكون الكلمة دكّ بمعنى قل الماء. ففي اللسان: «مطر دك: قليل ضعيف... وكل شيء قليل دقيق من ماء ونبت وعلم، فهو دكيك» أو لعل الكلمة: «ركد» كما ذكِر في بعض الروايات.

قال: جهدهم الله بالجوع عاماً فعاماً. وفي قوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم الطُّوفَانَ وَالجَرَادَ وَالقُمَّلَ وَالضفَادِعَ والدم. . . ﴾ إلى آخر الآية: أما الطوفان فالماء أرسله الله عليهم حتى قاموا فيه قياماً. فدعوا موسى، فدعا ربه، فكشفه عنهم، ثم عادوا لسوء ما يخطر لهم؛ فأرسل الله عليهم الجراد، فأكل عامة حروثهم. فدعا موسى ربه، فكشفه عنهم. ثم عادوا لسوء ما يخطر لهم. فأرسل الله عليهم القمل، وهو الدبى، فأكل ما أبقى الجراد من حروثهم ولحسه. فدعوا موسى فدعا ربه، فكشفه عنهم. ثم عادوا لسوء ما يخطر لهم، فأرسل عليهم الضفادع حتى ملأت فرشهم وأفنيتهم، فدعوا موسى، فدعا ربه، فكشف عنهم، ثم عادوا لسوء ما يخطر لهم، فأرسل عليهم الدم فجعلوا لا يغترفون إلا دماً أحمر، حتى لقد ذكر لنا أن فرعون جمع رجلين أحدهما إسرائيلي والآخر قبطي على إناء واحد، فكان الذي يلي الإسرائيلي ماء، والذي يلي القبطي دماً. فدعوا موسى فدعا ربه فكشفه عنهم.

قال الله: ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا ﴾، أي: عن عبادة الله، ﴿ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾. وهذا جرم شرك، وهو جرم فوق جرم وجرم دون جرم.

قوله؛ ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ ﴾، أي العذاب، في تفسير مجاهد والعامة. قوله: ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِي اليَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِئَايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَـٰفِلِينَ﴾، أي: تاركين لها معرضين عنها.

قوله: ﴿ وَأَوْرَثْنَا القَوْمَ الذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ ﴾ وهم بنو إسرائيل ﴿مَشَـٰرِقَ الأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا التِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ قال الحسن وغيره: أرض الشام. وقال الكلبي: مقدس فلسطين والأردن. وإنما سكنها أبناء من كان مع موسى، لم يبقَ منهم يومئذٍ إلا يوشع بن نون معه، دخل أبناؤهم.

قوله: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الحُسْنَىٰ ﴾ يعني ظهور قوم موسى على فرعون[1] في

(1) أثبت هذا من مخطوطة ز، ورقة 109، وهو الصواب. وفي المخطوطات الأربع الأخرى: «﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الحُسْنَىٰ ﴾ أي: «وعد ربك بالجنة». وهذا غير مرتضىً، ولعله سهو من النساخ، =

تفسير مجاهد ﴿ عَلَى بَنِي إِسْرَاءِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ أي على دين الله.

قوله: ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾. قال بعضهم: وما كانوا يبنون. وقال مجاهد: وما كانوا يبنون [من البيوت والمساكن ما بلغت][1]، قال: وكان عنبهم غير معروش.

قوله: ﴿وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَـٰمُوسَىٰ اجْعَل لَّنَا إِلَـٰهاً كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَـٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾. قال بعضهم: إن هؤلاء مفسَد ما هم فيه. قال بعضهم: بلغنا إنها نزلت بالسريانية[2].

قال الحسن: لما قطعوا البحر خرجوا إلى أرض بيضاء ليس معهم فيها طعام ولا شراب ولا بناء. فظلل الله عليهم الغمام وأنزل الله عليهم المنّ والسلوى. وقال بعضهم: فعل ذلك بهم في تيههم.

قال الحسن: فبينما هم كذلك نجاهم الله من البحر ومن آل فرعون، وأغرق فرعون وقومه، وأنزل عليهم المنّ والسلوى وظلل عليهم الغمام. وفيهم نبيهم،

= اللهم إلا أن يكون التقدير، وعد ربك بالجنة ءاذا اتبعوا موسى وأطاعوه عندما ينبأ ويرسل إليهم، وهذا تأويل ظاهرٌ بُعدُه وتكلّفه. والصحيح ما ذهب إليه جمهور المفسرين من أن قوله: (وتمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الحُسْنَىٰ) يعني وفاء الله بوعده لبني إسرائيل أن ينجيهم من قهر فرعون ويمكن لهم في الأرض. وكلمة الله الحسنى هي قوله في سورة القصص: 5 - 6: «(وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ) [القصص: 5 - 6]. وانظر تفسير الطبري ج 13 ص 77 - 78.

(1) زيادة من مجاهد، ص: 245.

(2) كذا في المخطوطات: «بلغنا أنها نزلت بالسريانية» ولم أفهم ما يعنيه المؤلف بهذه الجملة؛ فإن كان يعني أن هذا الحوار الذي جرى بين موسى وقومه كان بالسريانية فنعم، لأن الله يقول: (وَمَا أَرْسَلْنَا من رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ). وإن كان يعني شيئاً أخر قيل له: إن كل ما ورد في القرآن إنما أنزل بلسان عربي مبين.

وحجرهم معهم، فيه آية عظيمة، إذا استسقوا ضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، لكل سبط عين، قد علم كل أناس مشربهم، لا يخالط بعضهم بعضاً، إذ أتوا على قوم عندهم أوثان يعكفون على أصنام لهم، ﴿ قَالُوا يَـٰمُوسَىٰ اجْعَل لَّنَا إِلَـٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾، فارتدّوا كفاراً.

قوله: ﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَـٰلَمِينَ ﴾ يعني عالَمي زمانهم، ولكل زمان عالَم.

قوله: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَـٰكُم مِّنَ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ قال الحسن: يذيقونكم سوء العذاب. ﴿ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ أي فلا يقتلونهن ﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ أي نعمة عظيمة من ربكم إذ نجاكم منهم[1].

قوله: ﴿وَوَٰعَدْنَـا مُوسَىٰ ثَلَـٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَـٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ الثلاثون: ذو القعدة، وعشر من ذي الحجة.

قال الكلبي: إن موسى لما قطع البحر ببني إسرائيل، وأغرق الله آل فرعون قالت بنو إسرائيل لموسى: يا موسى، أيتنا بكتاب من عند ربنا كما وعدتنا وزعمت أنك تأتينا به إلى شهر. فاختار موسى من قومه سبعين رجلاً لينطلقوا معه، فلما تجهزوا قال الله لموسى: أخبر قومك أنك لن تأتيهم أربعين ليلة، وذلك حين أتمت بعشر. وقال الحسن: كانت أربعين من أول؛ يقول: وواعدنا موسى ثلاثين ليلة، وبعدها عشر، مثل قوله: (فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) [البقرة: 191].

قال الكلبي: فلما خرج موسى بالسبعين، أمرهم أن ينتظروه في أسفل الجبل. وصعد موسى عليه السلام الجبل؛ فكلمه الله أربعين يوماً وأربعين ليلة وكتب له فيها بالألواح. ثم إن بني إسرائيل عدوا عشرين يوماً وعشرين ليلة فقالوا: قد أخلفنا موسى

(1) انظر ما سلف من هذا التفسير، ج 1 ص 104.

الوعد. وجعل لهم السامري العجل، فقال: ﴿ هَـٰذَا إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ ﴾ [طه: 88] فعبدوه. وقد فسّرنا ذلك في سورة البقرة[1].

قوله: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾. هذا حيث انطلق موسى للميعاد.

قوله: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾. قال الحسن: لما كلّمه ربه دخل قلبَ موسى من السرور من كلام الله ما لم يصل إلى قلبه مثلُه قطّ. فدعت موسى نفسُه إلى أن يسأل ربّه أن يريَه نفسَه. ولو كان فيما عهد إليه قبل ذلك أنه لا يُرى لم يسأل ربه ما يعلم أنه لا يعطيه إياه.

﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَـٰنِي وَلَـٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَـٰنِي ﴾ أي إن الجبل لا يستقرّ مكانه، وكذلك لا تراني لأني لا تدركني الأبصار وأنا أدرك الأبصار.

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ يعني أنه أبدى بعض آياته للجبل فجعله دكاً، وخرّ موسى صعقاً. قوله: جَعَلَهُ دَكًّا. قال بعضهم: جعل بعضه على بعض[2]. وبعضهم يقرأها: دكاء، ممدودة. وسمعت بعضهم يقول: إن الدكاء الأرض المستوية.

قال: ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾. غشيته الصاعقة[3]. ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ ﴾ قال بعضهم: فلما ردّ الله إليه نفسَه[4]. وقال بعضهم: فلما أفاق من غشيته، أي أنه غشي عليه. وكانت صعقة موسى أن غشي عليه، ولم تكن صعقةَ موت، ألا تراه يقول: فلما

(1) انظر ما سلف من هذا التفسير ج 1، ص 104 - 107.

(2) كذا في المخطوطات، وفي ز ورقة 110: «فعفر الجبل بعضه على بعض».

(3) كذا في المخطوطات، وفي ز، ورقة

(4) كذا في المخطوطات، وفي ز: «فلما رد الله إليه حياته». ويبدو من ملاحظة محمد ابن أبي زمنين أن المؤلف ذهب إلى أن الصعق هنا هو الموت، وفي التعليق التالي بيان ذلك.

أفاق، أي من غشيته، والإفاقة لا تكون من الموت. وكان دل على صعقةٍ أنها صعقة موت؛ دل على ذلك قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ قال: ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ قال: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1] [البقرة: 55، 56].

قال: فلما أفاق ﴿ قَالَ سُبْحَانَكَ ﴾ ينزه الله ﴿ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ أي مما تقدمت بين يديك من المسألة[2]. ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾. قال مجاهد: وأنا أول قومي إيماناً. وقال بعضهم: وأنا أول المؤمنين بأنك لا ترى، وهو أيضاً أول قومه إيماناً بهذا، وقد آمن الناس قبله[3].

قوله: ﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ ﴾ أي اخترتك ﴿ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ ﴾ أي ما أعطيتك ﴿ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ أي لأنعمي عليك.

قوله: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ قال

---

(1) كأنّ في عبارة المؤلف شيئاً من التكرار والتعقيد، ولكن المعنى واضح كل الوضوح؛ فهو يريد أن يبيّن أن من الصعق ما يكون موتاً، ومنه ما يكون غشية كالإغماء. فصعق موسى عندما اندك الجبل صعق غشية، وصعق قومه عندما طلبوا رؤية الله جهرة صعق موت، لأن الله ذكر عنهم أنه بعثهم من بعد موتهم حين أخذتهم الصاعقة. وفي هذا من بديع الأسلوب القرآني ودقة تعبيره ما يدل على إعجازه، فتأمله فإنه نفيس. وتأمل كيف نسب الفعل في موسى إليه نفسه فقال الله: «فَلَمَّا أَفَاقَ». أما قوم موسى فإن الله هو الذي بعثهم ونسب الفعل إلى ذاته العلية فقال: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾. وتلك هي بلاغة النص القرآني. وصدق من قال: ما فسّر القرآن مثل القرآن.

(2) كذا في المخطوطات الأربع، وفي ز، ورقة 110: «أي من قولي انظر إليك».

(3) جاء في مسند الربيع بن حبيب، ج 3، 247، (رقم 870) ما يلي في تفسير الآية «﴿ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾: أي من مسألتي أني أنظر إليك ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ المصدّقين بأنك لا يراك أحد. وقال مجاهد مثل ذلك. وقال الحسن: لن تراني ولا ينبغي لبشر أن يراني. قال الربيع بن حبيب: لن حرف من حروف الإياس عند النحويين وأهل اللغة، أي لن يراه أحد في الدنيا ولا في الآخرة».

الحسن: تفصيلاً من الحلال والحرام والأحكام والهدى والضلالة. وقال مجاهد: ما أمروا به وما نهوا عنه، وهو واحد.

قال: ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾ أي بجد. قال بعض العلماء: إن الله يحب أن يؤخذ أمره بقوة، والقوة: الجد. ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ وأحسنها أن يأخذوا بما أمرهم الله به وأن ينتهوا عما نهاهم الله عنه.

﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَـٰسِقِينَ﴾، يعني دار فرعون وقومه، يريد مصر، يعني منازلهم في الدنيا في تفسير بعضهم[1]. قال: فأراهم الله إياها. كقوله: (كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) [الشعراء: 59]. وقال مجاهد: (سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ) أي مصيرهم في الآخرة.

قوله: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ الذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ قال الحسن: سأصرفهم عنها بفعلهم حتى لا يؤمنوا بها. قال: ﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ يخبر بعلمه فيهم. ﴿ وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾ أخبر أنهم لا يؤمنون أبداً. ثم أخبر لِمَ ذلك وبِمَ هو، فقال:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِئَايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَـٰفِلِينَ﴾ أي معرضين جاحدين.

قوله: ﴿ وَالذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَٰتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ أي حسناتهم في الآخرة، أي استوفوها في الدنيا ﴿ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾. كقوله: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) أي لا ينقصون (أُولَٰئِكَ الذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [هود: 15 - 16].

(1) هذا قول يحيى بن سلام. وقد أشار الطبري إلى هذا القول ولكنه لم يُذْكر قائله لوجود بياض في الأصل. انظر تفسير الطبري ج 13 ص 111. وانظر علوم الحديث لابن الصلاح، وتعليق المحقق الدكتور نور الدين عتر، ص 254. ونسب ابن الجوزي في زاد المسير، ج 3 ص 260 هذا القول إلى عطية العوفي.

قوله: ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ ﴾ أي من بعد موسى حين ذهب للميعاد. ﴿ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ ﴾. قال بعضهم: جعل يخور خوار البقرة. وقال مجاهد: خوار فيه الريح.

وقال الحسن: إن موسى عليه السلام لما مضى للميعاد عمد السامري فألقى ما كان معه من الحليّ، وألقى بنو إسرائيل ما كان معهم من الحليّ أيضاً. وكانت معهم تلك الحليّ عوارى استعاروها من آل فرعون ليوم الزينة، يوم العيد الذي وعدهم موسى حيث يقول: (مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ) [طه: 59]. وهو قول بني إسرائيل: (حُمِّلْنَا أَوْزَاراً، أي آثاماً، مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ) [طه: 87] أي ما معه كما ألقينا ما معنا. وكان الله أمر موسى أن يسير بهم ليلاً، فكره القوم أن يردوا العواري على آل فرعون، فيفطن بهم آل فرعون، فساروا من الليل والعواري معهم. فعمد السامري فصاغ عجلاً من ذلك الحليّ؛ قال: وكان صائغاً[1]. قال: وقد كان أخذ تراباً من أثر فرس جبريل يوم قطعوا البحر فكان معه، فقذف ذلك التراب في ذلك العجل، فتحول لحماً ودماً له خوار للبلا[2]. (فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ) [طه: 88] أي ولكن نسي موسى إلٰهه فأضله فذهب في طلبه، وهو عندكم.

قال الله: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ ﴾ يعني العجل ﴿ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً ﴾ أي طريقاً. ﴿ اتَّخَذُوهُ ﴾ إلٰهاً ﴿ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ لأنفسهم باتخاذهم إياه.

قوله: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ [أي ندموا][3] وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ

(1) كذا في ق وع وج: «وكان صائغاً»، وفي د: «وما كان صائغاً». ولم أجد فيما بين يدي من المصادر من أشار إلى هذا حتى أثبت كونه صائغاً أو أنفيه.

(2) كذا وردت هذه الكلمة: «للبلا»، منقوطة أحياناً وغير منقوطة في المخطوطات، ولم اهتد لمعناها.

(3) زيادة من ز، ورقة 110. وقال الطبري في تفسيره ج 13 ص 118: «وكذلك تقول العرب لكل نادم على أمر فات منه أو سلف، وعاجز عن شيء: «قد سقط في يديه» و«أسقط» لغتان فصيحتان. وأصله من الاستئسار. وذلك أن يضرب الرجل الرجل أو يصرعه. فيرمي به من يديه إلى الأرض ليأسره، فيكتفه، فالمرمي به مسقوط في يدي الساقط به. فقيل لكل عاجز عن شيء، وضارع لعجزه، متندم على ما قاله: «سقط في يديه» و«أسقط».

يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا ﴾ أي: لئن لم يفعل ذلك بنا ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَـٰسِرِينَ﴾. وهي تقرأ على وجه آخر: لَئِن لَّمْ تَرْحَمْنَا رَبَّنَا ﴾ أي لئن لم ترحمنا يا ربنا، صراخ منسوب، (لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ). قالوا ذلك لما صنع موسى بالعجل ما صنع، فطلبوا التوبة، فأبى الله أن يقبل منهم إلا أن يقتلوا أنفسهم، فَغَلِظَ عليهم في المتاب. وهو قوله: (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ العِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ). أي إلى خالقكم (فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ...) إلى آخر الآية. [البقرة: 54].

قوله: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً ﴾ أي حزينا[1]. وقال بعضهم: الأسف شدة الغضب ﴿ قَالَ بِئسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ القَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ القَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ﴾ قال مجاهد: مع أصحاب العجل.

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ﴾ يعني الجنة ﴿ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّحِمِينَ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ اتَّخَذُوا العِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الحَيَـٰوةِ الدُّنْيَا ﴾ يعني بالذلة الجزية. ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي المُفْتَرِينَ ﴾ أي لعبادتهم العجل. افتروا على الله إذ زعموا أن العجل إلـههم.

قوله: ﴿ وَالذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا ﴾ أي من بعد تلك السيئات وَءَامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

---

(1) هذا قول ابن عباس والسدي والحسن في تفسير أسفا. كما جاء في الطبري ج 13، ص 121، وفيه عن ابن عباس: «وقال في الزخرف: آية: 55 (فَلَمَّا ءَاسَفُونَا) يقول: أغضبونا. والأسف على وجهين: الغضب والحزن». وقال الطبري قبل ذلك في ص 120: «والأسف شدة الغضب». وروى بسند عن أبي الدرداء قال: «قول الله: (غَضْبَانَ أسفاً) قال: «أَسِفَ منزلة وراء الغضب».

قوله: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ ﴾ أي سكن ﴿ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا ﴾ يعني الكتاب الذي نسخت منه التوراة ﴿ هُدىً وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ والرهب الخوف. وقال بعضهم: (وَفِي نُسْخَتِهَا هُدىً) قال:

إن موسى لما أخذ الألواح قال: يا رب، إني أجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويسارعون في طاعة الله، رب فاجعلهم من أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال رب أني أجد في الألواح أمة هم الآخرون والسابقون يوم القيامة، أي الآخرون والسابقون في دخول الجنة، فاجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرأونها، وأجد قوماً يقرأون كتابهم نظراً، إذا رفعوه لم يحفظوا منه شيئاً ولم يعوه؛ فإن الله أعطى هذه الأمة من الحفظ شيئاً لم يعطه أحداً من الآدميين، قال: رب اجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ويقتلون فضول الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب، رب فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة يأكلون صدقاتهم في بطونهم ويؤجرون عليها، وإن الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم، وكان من قبلكم إذا تصدق أحدهم بصدقة أنزلت عليها نار من السماء فأكلتها، فاجعلها اللهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد. [قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا همّ أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة، رب اجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد][1]. قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بسيئة لم تكتب عليه، وإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة، رب فاجعلهم أمتي. قال تلك أمة أحمد.

وذكر لنا أنه نبذ الألواح، وقال: رب اجعلني من أمة أحمد. فأعطى اثنتين لم

(1) زيادة من تفسير الطبري ج 13 ص 123، رأيت من المناسب إثباتها هنا، وكأني بها سقطت من الناسخ الأول، وقد جاءت هذه الرواية في تفسير الطبري أتم وأوفى مع بعض اختلاف في ألفاظها، وجاءت فيه منسوبة إلى قتادة.

يعطوهما. قال: (إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي) فرضي. ثم أعطى الثانية: (وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) [الأعراف: 159] فرضي موسى كل الرضى.

قوله: ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ أي بليّتك ﴿ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ﴾ أي تأمر وتنهي، لا يكون أحد ضالاً ولا مهتدياً إلا بعد الأمر والنهي، فمن فعل ما أمر به كان مهتدياً، ومن فعل ما نُهِيَ عنه كان ضالاً. ﴿ أَنْتَ وَلِيُّنَا ﴾ في المنّ والتوفيق والعصمة ﴿ فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَـٰفِرِينَ ﴾.

قال الكلبي: إن السبعين قالوا لموسى عليه السلام حين كلمه ربه: يا موسى، إن لنا عليك حقاً؛ كنا أصحابك، لم نختلف ولم نصنع الذي صنع قومنا، فأرنا الله جهرة كما رأيته. فقال موسى: لا والله ما رأيته. [ولقد أردته على ذلك فأبى][1]، ولا يُرى. ولقد أبدى الله بعض آياته للجبل فكان دكاً، وهو أشد مني، وخررت صعقاً، فلما أفقت سألت الله تعالى واعترفت بالخطيئة التي كانت مني إذ تقدمت بين يدي الله. فقالوا: فإنا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة. فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا عن آخرهم. فظن موسى أنهم إنما احترقوا بخطيئة أصحاب العجل. فقال: لربه: (رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّنْ قَبْلُ وَإِيَّ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا)، يعني أصحاب العجل، (إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ. . .) إلى آخر الآية. ثم بعثهم اللَّهُ من بعد موتهم فقال: (ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [البقرة: 56]. وقد فسّرنا ذلك في سورة البقرة[2].

قال بعضهم: ذكر لنا أن ابن عباس قال: إنما تناولت الرجفة السبعين لأنهم لم

(1) زيادة من ز، ورقة 111.

(2) انظر ما سلف، ج 1 ص: 106 - 107.

يزايلوا القوم حين نصبوا العجل، وقد كرهوا أن يجامعوهم عليه. وذكر لنا أن أولئك السبعين كانوا يلبسون الثياب الطاهرة ثم يبرزون صبيحة[1] شاتية إلى البرية فيدعون الله فيها، فوالله ما سأل القوم يومئذٍ شيئاً إلا أعطاه الله هذه الأمة.

ذكر بعضهم في قول الله: (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْطُّوْرِ إِذْ نَادَيْنَا) [القصص: 46] قال: نودي بأمة محمد: أجبتكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني.

قوله: ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْأَخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾. قال مجاهد: إنا تبنا إليك. ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنَ أَشَاءُ ﴾ يعني النار.

قال: ﴿ وَرَحْمَتِي ﴾ يعني الجنة ﴿ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ يعني أهلها. وهذا الحرف من خفي القرآن.

قال بعضهم: لما نزلت هذه الآية تطاول لها إبليس والأبالسة وقالوا: إنا من ذلك الشيء، وطمع فيها أهل الكتابين والمنافقون، فقال الله: ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا ﴾ أي فسأجعلها ﴿ لِلذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ قال بعضهم: يتقون الشرك. وقال بعضهم...[2] ﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ ﴾. قال بعضهم: الزكاة في هذا الموضع التوحيد؛ كقوله: (وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) [فصلت: 6 - 7] أي لا يوحّدون الله ولا يُقِرّون به. ﴿ وَالذِينَ هُمْ بِئَايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي يصدّقون.

﴿ الذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِـيَّ الْأُمِّيَّ الذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاية وَالإِنْجِيلِ ﴾ يعني أهل الكتاب. ﴿ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ أي ما يعرف العباد عدله ﴿وَيَنْهَيٰـهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ أي ما ينكر العباد عدله. ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَٰتِ﴾ أي الحلال منه والشحوم وكل ذي ظفر ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ أي الحرام[3]

(1) كذا في المخطوطات ق و ع ود: «ثم يبرزون صبيحة شاتية» لعل صوابها في «الصبيحة الشاتية».

(2) وردت هذه الجملة في ج و د، وسقطت من ق و ع، وورد هذا البياض في ج ود بدون ذكر لما قاله بعضهم.

(3) مثل الخنزير والربا، كما ذكره بعض المفسرين القدامى، وحكم التحريم هذا يتناول كثيراً من =

﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: إصرهم وآصارهم. فمن قرأها إصرهم فيقول عهدهم، ومن قرأها آصارهم فيعني عهودهم فيما كان حرم عليهم ببغيهم، أي بكفرهم. ﴿ وَالأَغْلَـٰلَ التِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ يعني ما كان شدد عليهم فيه؛ فأمرهم الله أن يؤمنوا بمحمد عليه السلام ويتبعوا ما جاء به.

وقال بعضهم في قوله: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ فقال إبليس: أنا من ذلك الشيء، فأنزل الله: (فَسَأَكْتُبُهَا لِلذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالذِينَ هُمْ بِئَايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ). ثم زاد في نعتهم ليبينهم الله ممن سواهم فقال: (الذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيءَ الأُمِّيَ . . .) إلى آخر الآية.

وقال: ﴿ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ ﴾ [أي عظموه][1] ﴿ وَنَصَرُوهُ ﴾ وهو كلام مثنى ﴿ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ﴾ وهو القرآن، فأحلّوا حلاله، وحرّموا حرامه، وعملوا بفرائضه، وانتهوا عن زواجره ﴿ أُولَـٰئِكَ ﴾ أي: الذين هذه صفتهم، ﴿ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ أي: هم السعداء؛ أولـئك الذين جعلت رحمتي لهم، فأيس منها إبليس وجميع جنوده، وجميع الكفار (كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ القُبُورِ) [الممتحنة: 13].

قوله: ﴿ قُلْ يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ ذكروا عن الحَسَن قال: قال رسول الله ﷺ: بعثت إلى كل أحمر وأسود[2]. وفي تفسير عمرو عن الحسن قال: بعثت إلى الناس كافة، ولم يُعْطَ هذه المنزلة نبي قط، قال: إنّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جميعاً).

= أنواع الخبائث التي جدّت، أفعالاً كانت، أو مآكل ومشارب، مما تجره ويلات المدينة الفاجرة في هذا العصر.

(1) زيادة من ز، ورقة: 111.

(2) أخرجه أحمد في مسنده عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود». وأخرجه البخاري. وأخرجه مسلم في أول كتاب المساجد ومواضع الصلاة من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري (521) وأوله: أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي؛ كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود.

﴿ الذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِ﴾ وهي تقرأ على وجهين: (وكَلِماتِهِ) (وكَلِمَتِـه). وكان الحسن يقرأها: (وَكَلِمَاتِه) قال: كلمات الله وحيه الذي أنزل على محمد عليه السلام. ومن قرأها: (وَكَلِمَتِهِ) فهو يعني عيسى روحَ الله وكلمته. وقال بعضهم: (وكَلِمَاتِهِ) أي: وآياته. قال: ﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ أي لكي تهتدوا. ولعلّ من الله واجبة.

قوله: ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ ﴾ أي عصابة وجماعة. ﴿ يَهْدُونَ بِالحَقِّ ﴾ أي يهتدون بالحق ﴿ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾. به يحكمون. وقال بعضهم: يهدون بالحق أي: يدعون بالحق؛ كقوله: (وَجَعَلْنَاهُم أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا) [الأنبياء: 73] أي يدعون بأمر الله. وقد فسّرناه في الآية الأولى. قال فرضي موسى كل الرضا.

قوله: ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً) يعني بني إسرائيل. ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَـٰهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِّعَصَاكَ الحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً ﴾. قال بعضهم: كان موسى احتمل معه من الجبل، جبل الطور، حجراً؛ فإذا نزلوا ضربه موسى فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، لكل سبط عين مستعذَب ماؤها ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ وذلك في تيههم.

قوله: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ المَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴾. قال بعضهم: كان المن ينزل عليهم من السماء في محلتهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وكان أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل، والسلوى السّمّان. وهو هذا الطائر الذي يقال له السمّان، كانت تحشرها عليهم الجَنوب. وقد فسَّرنا أمرهم في سورة البقرة[1]. وقال الحسن: السلوى السمّان.

قوله: ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾ يعني المنّ والسلوى. وقال الحسن: هذا حين خرجوا من البحر، أعطاهم الله ذلك لأنهم خرجوا إلى أرض بيضاء ليس فيها

(1) انظر ما سلف، ج 1، ص: 108 - 109.

نبات ولا بناء، وليس معهم طعام ولا شراب. قال: ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَـٰذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ قال بعضهم: بيت المقدس ﴿ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً تُغْفَرْ لَكُمْ خَطِيئَـٰتُكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ قد فسّرناه في سورة البقرة[1].

قال: ﴿ فَبَدَّلَ الذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾. وقد فسرناه في سورة البقرة[1].

قوله: ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ التِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ ذكر بعضهم قال: ذكر لنا أنها كانت قرية على ساحل البحر يقال لها أيلة[2]. فكان إذا كان السبت أقبلت الحيتان فتنبطح على سواحلهم وأفنيتهم لما بلغها من أمن[3] الله في الماء. فإذا كان غير يوم السبت بعدت في الماء حتى يطلبها طالبهم. فخدعهم الشيطان فقال: إنما نهيتم عن أكله ولم تنهوا عن صيده. فاصطادوها يوم السبت، ثم أكلوها بعد ذلك.

وقال الكلبي: هي أيلة، وهو مكان من البحر تجتمع فيه الحيتان في شهر من السنة كهيئة العيد، تأتيهم متها [حتى لا يروا الماء وتأتيهم في غير ذلك الشهر كل يوم سبت][4] كما تأتيهم في ذلك الشهر. قال: وذلك بلاء من الله ليعلم من يطيعه ممن يعصيه. وذلك في زمان داود عليه السلام.

وقال الكلبي: فإذا جاء السبت لم يمسوا منها شيئاً. فعمد رجال من سفهاء تلك

---

(1) انظر ما سلف، ج 1، ص: 109 - 111.

(2) هي مدينة مشهورة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر)، لا تزال موجودة إلى يومنا هذا، قيل: «هي آخر الحجاز وأول الشام». إقرأ وصف موقعها وشيئاً من تاريخها في معجم البلدان للحموي، ج 1، ص 292.

(3) كذا في المخطوطات الأربع، وفي تفسير الطبري ج 13 ص 190 من أمر الله، وهو الصحيح، والقول لقتادة.

(4) زيادة من ز، ورقة 111، وقد سقطت من المخطوطات الأربع، وسياق الكلام يقتضيها.

المدينة فأخذوا الحيتان ليلة السبت ويوم السبت، فأكثروا منها، وملّحوا وباعوا؛ ولم تنزل بهم عقوبة فاستبشروا وقالوا: إنا نرى السبت قد حلّ وذهبت حرمته؛ إنما كان يعاقب به آباؤنا في زمن موسى، ثم استنّ الأبناء سنة الآباء، وكانوا يخافون العقوبة، ولو كانوا فعلوا لم يضرهم شيء. فعملوا بذلك سنين، حتى أثروا منه، وتزوجوا النساء، واتخذوا الأموال.

فمشى إليهم طوائف من صالحيهم فقالوا: يا قوم، إنكم قد انتهكتم حرمة سبتكم، وعصيتم ربكم، وخالفتم سنة نبيّكم، فانتهوا عن هذا العمل الرديء قبل أن ينزل بكم العذاب، فإنا قد علمنا أن الله منزل بكم عذابه عاجلاً ونقمته. قالوا: فلمَ تعظوننا إذ علمتم أن الله مهلكنا، والله لقد عملنا هذا العمل منذ سنين، فما زادنا الله به إلا خيراً؛ وإن أطعتمونا لتفعلن مثل الذي فعلنا؛ فإنما حرم هذا على من قبلنا، وهم الذين نهوا عنه. قالوا: ويلكم لا تغتروا ولا تأمنوا بأس الله، فإنه كأن قد نزل بكم. قالوا: فـ (لِمَ تعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً). قالوا: معذرة إلى ربكم؛ إما أن تنتهوا فيكون لنا أجر، أو تهلكوا فننجو من معصيتكم. فأنزل الله: (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُوءِ وَأَخَذْنَا الذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بِيسٍ ، أي شديد، بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ). فأصبح الذين استحلّوا السبت قردة خاسئين.

وقال بعضهم: إنهم صاروا ثلاث فرق: فرقة اجترأت على المعصية، وفرقة نهت، وفرقة كفّت فلم تصنع ما صنعوا ولم تنههم؛ فقالوا للذين نهوا: لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً، قالوا معذرة إلى ربكم. ولعلهم يتقون.

قوله: ﴿ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ ﴾ أي يعتدون في السبت، وهو من الاعتداء ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً ﴾ قال الحسن: إن الله حرم عليهم أخذ الحيتان يوم السبت بخطيئة كانت منهم، وأحل لهم الأيام كلها إلا يوم السبت. فإذا كان يوم السبت أتتهم على أبوابهم فتنبطح وتشرع[1]. ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ﴾ أي في غير يوم

(1) أي تظهر على الماء، قيل رافعة رؤوسها، وقيل خافضة لها للشرب، انظر اللسان (شرع).

السبت ﴿ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾. قال الله: ﴿ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُمْ ﴾ أي نبتليهم ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾. أي بما تعدوا وأخذوا في السبت.

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾.

قوله: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ أي ما وعظوا به، أي ما نهاهم عنه المؤمنون الذين نهوهم عما يصنعون، أي ذكروهم الله ﴿ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ﴾. قال الحسن: نجت فرقتان وهلكت فرقة، وهم الذين أخذوا الحيتان. ﴿ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بِيسٍ ﴾ قال مجاهد: بعذاب أليم شديد ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾.

قوله: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ قال مجاهد: إلا طائفة منهم لم يفعلوا.

قال الحسن: (خَاسِئِينَ): صاغرين(1). قال: وهي كقوله: (اِخْسَأُوا فِيهَا) أي اصغروا فيها، أي في النار (وَلَا تُكَلِّمُونِ) [المؤمنون: 108]. قال بعضهم: فصاروا قردة تَعَاوى لها أذناب بعد أن كانوا رجالاً ونساء.

ذكروا أنه دُخِل على ابن عباس، وبين يديه المصحف، وهو يبكي، وقد أتى على هذه الآية: (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) فقال: قد علمتُ أن الله أهلك الذين أخذوا الحيتان، ونجّى الذين نَهَوْهم، ولا أدري ما صنع بالذين لم ينهوا ولم يواقعوا المعصية(2).

وقال الحسن: وأي نهى أشد من أنهم أثبتوا لهم الوعيد، وخوّفوهم العذاب

(1) كذا في المخطوطات الأربع، وفي ز، ورقة 112: «أي مبعدين». وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 231: «أي قاصين مبعدين. يقال خسأته عني وخسأ هو عني».

(2) إقرأ هذا الخبر الذي رواه عكرمة عن ابن عباس بتفصيل أكثر في تفسير الطبري؛ ج 13، ص 188 - 190، وفي الدر المنثور، ج 3، ص 137 - 138.

فقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾.

قوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ قال مجاهد: وإذ قال ربك. وقال الحسن: أعلم ربك[1] ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي يذيقهم[2] سوء العذاب، أي شدته.

وقال بعضهم: بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب إلى يوم القيامة يعني بالجزية والذل، يعني أهل الكتاب[3].

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ قال الحسن: إذا أراد الله أن يعذّب قوماً كان عذابه إياهم أسرعَ من الطرف. ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي لمن تاب وآمن وعمل صالحاً.

قوله: ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [أي فرّقناهم][4] ﴿أُمَماً﴾ مختلفين. قال الحسن: بني إسرائيل. وقال مجاهد: يعني اليهود. ﴿مِّنْهُمُ الصَّـٰلِحُونَ﴾ يعني المؤمنين ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ يعني المنافقين، ومنهم مشركون[5]. ﴿وَبَلَوْنَـٰهُمْ﴾ أي ابتليناهم، أي اختبرناهم ﴿بِالْحَسَنَـٰتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ أي بالشدة والرخاء. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي لكي يرجعوا إلى الإيمان.

---

(1) في المخطوطات الأربع: «شعر»، وصوابها: أشعر، وأثبت ما جاء في ز، ورقة 112: «اعلم»، ومعناهما واحد.

(2) كذا في المخطوطات، «يذيقهم». وفي ز ورقة 112: «يولونهم».

(3) ذلك يوم كان المسلمون مؤمنين حقاً. ويوم كان الإسلام في عز ومنعة من أهله. أما اليوم فقد تغيرت الأوضاع، وأصبح بعض العرب في ذل من اليهود، يُسامون سوءَ الهوان، ويُخرجون من ديارهم بغير حق. وسيبقون كذلك إلى أن يعودوا إلى دينهم الحق، وينبذوا ما بينهم من عداوة وبغضاء، ويجتمعون كلهم حول كلمة لا إلـه إلا الله محمد رسول الله. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11].

(4) زيادة من ز، ورقة 112.

(5) كذا في ق: «يعني المنافقين ومنهم مشركون». وفي ع: «يعني المنافقين وهم المشركون»، وفي ج و د: «يعني المنافقين وهم مشركون». وفي ز، ورقة 112: «يعني كفاراً». وهذا نموذج من الخلط أو الزيادة التي تأتي من قبل النساخ غالباً عن قصد أو غير قصد.

قال: ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ أي من بعد الماضين ﴿ خَلْفٌ ﴾ والخلْف هو الخلف السوء، والخلَف الصالح[1]. قال بعضهم: الخلف: اليهود، وقال مجاهد: النصارى بعد اليهود، وقال بعضهم: الخلف من كل، وهو الخلف السوء من جميع الخلق.

قال: ﴿ وَرِثُوا الكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِم مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ﴾. [قال مجاهد: يعني ما أشرف لهم في اليوم من حلال أو حرام أخذوه ويتمنّون المغفرة، وإن يجدوا الغد غيره يأخذوه][2]. وقال الحسن: لو عرضت لهم الدنيا ومثلها معها لاصطلموها[3] ولتمنوا المغفرة بعد ذلك.

قوله: أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ الكِتَابِ أَلَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ﴾ أي وقرأوا ما فيه، أي ما في هذا الكتاب بخلاف ما يقولون وما يعملون. ﴿ والدَّارُ الآخِرَةُ ﴾ يعني الجنة ﴿ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ والتقوى اسم جامع لخصال الإيمان. ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ يقول: أفلا تعقلون ما تدرسون؛ ينبههم لكي ينتبهوا.

قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا الصَّلَـٰوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ المُصْلِحِينَ ﴾ قال الحسن: هؤلاء أهل الإيمان منهم. وقال مجاهد: من آمن من اليهود والنصارى.

قوله: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ أي بجدّ. ﴿ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾. أي واحفظوا ما فيه، أي: من الأمر والنهي فاعملوا به.

---

(1) انظر الخطابي، غريب الحديث، ج 1 ص: 54.

(2) زيادة من ز، ورقة 112، ومن تفسير مجاهد، ص 249.

(3) وردت هذه الكلمة في ق وع بلفظ: «لاصطلحوها»، وفي ج و د: «لاصطلموها» ولست مطمئناً للكلمتين معاً اللهم إلا أن تكون الكلمة الثانية: لاصطلموها هي الصحيحة، بمعنى لقضوا عليها عن آخرها، لأن معنى اصطلم، قطعه واستأصله. ويبدو أن في الكلمة تصحيفاً لم أهتدِ إليه، ولم أجد من روى هذا الخبر عن الحسن فيما بين يدي من المصادر.

قال بعضهم: اقتلع الجبل من أصله، فأشرف به عليهم فقال: لتأخذنّ أمري أو لأرمينّكم به[1].

قوله: ﴿وَإِذ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُـمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا شَهِدْنَا﴾.

ذكروا عن عطاء بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أهبط الله آدم بالهند بأرض يقال لها بجنا[1] ثم مسح على ظهره فأخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، ثم قال: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا). ثم أعادهم في صلب آدم.

وقال الكلبي: مسح ظهر آدم فأخرج منه كل خلق هو خالقه إلى يوم القيامة ثم قال: ألست بربكم قالوا بلى، فقال للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا.

قوله: ﴿ أَنْ تَقُولُوا ﴾ أي لئلا تقولوا: ﴿ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾. قال: ﴿ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ ءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ﴾ [وجدناهم على ملة فاتبعناهم][3] ﴿ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ المُبْطِلُونَ ﴾.

قال الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَـٰتِ﴾ أي هكذا نبين الآيات ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي إلى الإيمان.

قوله: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الذِي ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا ﴾ أي كفر ﴿ فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ ﴾ أي الضالّين.

ذكروا عن مجاهد قال: هو بلعام بن بعران[4]. وقال بعضهم هو بلعم آتاه الله

(1) انظر ما سلف، ج 1 ص 106 و 112.

(2) كذا وردت هذه الكلمة «بجنا» في ق و ع، وفي د و ج «لحا» هكذا بدون نقط، وانظر تحقيقاً مفصلاً لهذا العلم في تفسير الطبري ج 13، ص 225 - 226 حيث يرجح المحقق أنها دجنا، وهي تعريب لـ: «دهنج» التي في أرض الهند، والله أعلم.

(3) زيادة من ز، ورقة 112.

(4) كذا في المخطوطات الأربع، وفي تفسير الطبري ج 13 ص 253. بلعم بن أبر، وبلعم بن باعر، وفي تفسير مجاهد ص 250: بلعام بن باعر.

علماً فتركه وكفر. وبعضهم يقول: هو أمية بن أبي الصلت. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال في أمية بن أبي الصلت: آمن شعره وكفر قلبه[1].

قوله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا ﴾ أي بآياتنا ﴿ وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي اختار الدنيا[2]. وقال مجاهد: سكن، أي اطْمَأَنَّ إلى الدنيا. وقد قال في آية أخرى: (إِنَّ الذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالحَيَواةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا) [يونس: 7] قال: ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ قال بعضهم: أبى أن يصحب الهدى. فضرب الله مثلاً فقال:

﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ قال: فمثله في العلم الذي آتاه الله فتركه كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، فهو على كل حال يلهث، أي فلم ينتفع بالعلم الذي علم.

وقال مجاهد: إن تحمل عليه أي: أن تطرده بدابتك[3] أو برجلك، وهو مثل الكافر بالكتاب. وقال بعضهم: فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، وأذل ما يكون الكلب إذا لهث، يقول: فكذلك مثل هذا الذي يعلم ولا يعمل بما يعلم هو كالكلب الذليل.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه[4].

---

(1) أورد هذا الخبر بعض المفسرين في سبب نزول الآية مثل الطبري والقرطبي، ورواه مسلم في كتاب الشعر عن الشريد بن سويد الثقفي (رقم 2255) وفي بعض ألفاظه: «فلقد كاد يسلم في شعره»، ورواه ابن الأنباري وابن عساكر في تاريخيهما عن ابن عباس، وانظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ج 1 ص 459.

(2) كذا في المخطوطات الأربع، وفي ز ورقة 112: «ركن إلى الدنيا».

(3) في ع بياض قرر كلمة، وفي ق بداية (كذا) وسقطت الجملة من د. والتصحيح من القرطبي في تفسيره ج 7 ص 323.

(4) أخرجه البيهقي من حديث ابن عباس جاء فيه: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً أو قتله نبي، أو قتل أحد والديه، وعالم لم ينتفع بعلمه. انظر الدر المنثور ج 14 ص 174.

وقال الكلبي: (إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ) يقول: هو ضال على كل حال، وعظته أو تركته.

﴿ ذَلِكَ ﴾ يقول هذا المثل ﴿ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ ﴾ أي الحق يا محمد ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ أي لكي يتفكروا فيما يقص عليهم.

ثم قال: ﴿ سَاءَ مَثَلاً ﴾ أي: بئس المثل مثل: ﴿ الْقَوْمُ الذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾.

قوله: ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ أي: خسروا أنفسهم فصاروا في النار وخسروا الجنة.

قوله: ﴿ وَلَقَد ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ ﴾ ذرأنا، أي: خلقنا لجهنم في تفسير الحسن وغيره ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ الهدى ﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾ الهدى ﴿ وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ الهدى ﴿ أُولَـٰئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ من الأنعام فيما تُعُبِّدوا به ﴿ أُولَـٰئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ ﴾ عن الآخرة.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾. ذكر بعضهم قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله تسعة وتسعين إسماً، مائة غير واحد، من أحصاها دخل الجنة[1]. قال الحسن: منها الله ومنها الرَّحْمَـٰنُ قال: ﴿ وَذَرُوا الذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ أي الذين يكذبون في أسمائه.

قال الكلبي: من أسمائه الله والرحمٰـن والرحيم والعزيز وأشباه هذا؛ قال: (فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الذِينَ يُلْحِدُونَ في أَسْمَائِهِ)، أي يميلون في أسمائه، فسموا مكان الله اللات، ومكان العزيز العُزَّى، يعبدون اللات والعزّى. كل ذلك نهى الله عنه. نهاهم أن يسموا آلهتهم بشيء من أسمائه.

(1) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب: لله مائة اسم غير واحد. وأخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، وأخرجه الترمذي كذلك، كلهم يرويه عن أبي هريرة.

قال: ﴿ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾. وذروا في هذا الموضع منسوخ نسخه القتال[1].

قوله: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ ﴾ أي عصابة، أي جماعة ﴿ يَهْدُون بِالحَقِّ ﴾: أي يهتدون بالحق ﴿ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ أي بالحق يعدلون، أي يحكمون. قال الكلبي: يعني الذين أسلموا مع النبي ﷺ من أهل الكتاب.

وذكر بعضهم قال: ذكر لنا أن نبي الله عليه السلام قال: هذه لكم، وقد أعطى الله القوم بين أيديكم مثلها[2]؛ يعني قوله: (وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ، وَبِهِ يَعْدِلُونَ) [الأعراف: 159].

قوله: ﴿ وَالذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ هو كقوله: (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ) [الأنعام: 44]. وكقوله: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ) [الأنفال: 30]. وقد فسَّرناه في غير هذا الموضع في هذه السورة وفي سورة الأنعام[3].

قوله: ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾ أي [وأطيل لهم][4] ﴿ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ أي عذابي شديد.

قوله: ﴿ أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّنْ جِنَّةٍ ﴾ وهذا جواب من الله للمشركين لقولهم للنبي عليه السلام إنه مَجنون. يقول: لو تفكروا لعلموا أنه ليس بمجنون ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ ﴾ ينذر عذاب الله ﴿ مُّبِينٌ ﴾ يبين عن الله.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَٰوٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي ما أراهم الله من آياته

(1) انظر في تفسير الطبري، ج 13، ص 285، كيف يرد الطبري رداً محكماً على من قال بالنسخ هنا.

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 13، ص 286، عن قتادة مرسلاً. وكذلك أورده يحيى بن سلام عن قتادة مرسلاً حسبما أورده ابن أبي زمنين في مخطوطة ز، ورقة 113.

(3) انظر ما مضى من هذا التفسير ج 525، 526.

(4) زيادة من ز، ورقة: 113.

فيهما ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ مما يرونه، فيتفكروا فيعلموا أن الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يحيي الموتى. قال: ﴿وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ فيبادروا للتوبة قبل الموت. ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ أي بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي يصدقون.

قوله: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. قال الحسن: في ضلالتهم يتمادون، وقال غيره: في ضلالتهم يلعبون.

قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ أي متى قيامها في قول الكلبي. وقال الحسن: متى مجيئها.

قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ أي إنما علم مجيئها عند ربي ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا﴾ أي [لا يظهرها في وقتها][1] الذي وقت ﴿إِلَّا هُوَ﴾ قال مجاهد: لا يأتي بها إلا هو.

قال: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ذكروا عن عبد الله بن القاسم بن يسار[2] مولى أبي بكر الصديق، رضي الله عنه قال: إن الوحى إذا نزل سمع أهل السماوات، قال بعضهم مثل جر السلاسل على الصخور قال: فيفزعون ويخافون أن تكون الساعة. فإذا انجلى الخوف عن قلوبهم قال أهل كل سماء لأهل السماء الذين فوقهم: ماذا قال ربكم؟ فيقولون الحق، يعنون الوحي، وهو العلي الكبير. فلا يزال ذلك من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى السماء الدنيا. وهو قوله في سورة سبإ [الآية: 23] (حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) أي انجلى عن قلوبهم (قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) وقد قال في آية أخرى: (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ) [الشورى: 18].

---

(1) زيادة من ز، ورقة: 113.

(2) هو عبد الله بن القاسم بن يسار المدني، وردت الرواية عنه في حروف القرآن، ذكره ابن الجزري في غاية النهاية في طبقات القراء، ج 1 ص 441.

وقال الحسن: ثقلت على أهل السماوات حتى تشققت لها السماوات، وانتثرت لها النجوم، وذهب الشمس والقَمر، وعلى الأرض، حتى ذهبت جبالها وذهبت بحارها.

قوله: ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ أي فجأة. ذكر بعضهم قال: قضى الله لا تأتيكم إلا بغتة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه، فما يطويانه حتى تقوم الساعة. وتقوم الساعة والرجل يخفض ميزانه ويرفعه، وتقوم الساعة والرجل يليط[1] حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم الساعة. وتقوم الساعة والرجل قد رفع أكلته إلى فيه، فما تصل إلى فيه حتى تقوم الساعة[2].

قوله: ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾. فيها تقديم. يسألونك عنها، يعني الساعة متى قيامها، كأنك حفيٌّ بهم. وقال الكلبي: كأنك بينك وبينهم صداقة، وهو واحد.

وذكر بعضهم عن مجاهد أنه قال: كأنك استحفيت عنها السؤال حتى علمتها. ومن قال بهذا فليس فيها على هذا التفسير تقديم. قال الحسن: يعني قريشاً؛ يقول: تعلّمهم ما لا تعلّم غيرَهم، أي: لقرابتهم منك. قال الكلبي: كأنك عالم بها؛ وهي عنده مقدمة.

وقال بعضهم: قالت قريش: يا محمد، أَسِرَّ إلينا أمر الساعة لما بيننا وبينك من

(1) لاط حوضه يليطه ويلوطه، أي طيّنه وأصلحه لسقي ماشيته؛ انظر اللسان: (لوط).

(2) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب طلوع الشمس من مغربها، من حديث أبي هريرة وأوله: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها. وفيه... ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها. وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة (2954) عن أبي هريرة وفي ألفاظه: «والرجل يلط في حوضه فما يصدر حتى تقوم».

قرابة. فقال الله: (يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا)، أي كأنك حفي بهم. قال: وهي في هذا التفسير مقدمة؛ (يَسْأَلُونَكَ عَنْهَا كَأَنَّكَ حَفِيٌّ بِهِمْ)(1).

قال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: خمس لا يعلمهن إلا الله: (إِنَّ ٱللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ). [لقمان: 34](2).

قوله: ﴿ قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ أي إنما ذلك بما شاء الله ﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ ﴾ أي: لو اطلعني الله على أكثر مما أطلعني عليه من الغيب لكان أكثر لخيري عنده(3)؛ ولم يطلعني الله على علم الساعة متى قيامها.

قوله: ﴿ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ ﴾ هذا جواب لقول المشركين إنه مجنون؛ فقال الله له: قل: (وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ) أي الجنون، كقولهم لنوح عليه السلام: إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) [هود: 54] أي بجنون. ﴿ إِنْ أَنَـا إِلاَّ نَذِيرٌ ﴾ أي من العذاب ﴿ وَبَشِيرٌ ﴾ بالجنة ﴿ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ وهذا تبع للكلام الأول: (أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ).

قوله: ﴿ هُوَ الذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِـدَةٍ﴾ أي: آدم ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ يعني حواء من ضلعه القصيري اليسرى وهو نائم ﴿ لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾.

(1) قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن، ص 175: «(حَفِيٌّ عَنْهَا) أي: معنيٌّ بطلب علمها، ومنه يقال: تَحَفَّى فلان بالقوم».

(2) أخرجه أحمد عن بريدة مرفوعاً بهذا اللفظ: وأخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب: لا يدري متى يجيء المطر إلا الله. وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ: خمس لا يعلمهن إلا الله. وفي الباب عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله...

(3) هذا وجه من وجوه التأويل؛ وقال الفراء في تفسير الآية في معاني القرآن ج 1 ص 400: «يقول: لو كنت أعلم الغيب لأعددت للسنة المجدبة من السنة المخصبة، ولعرفت الغلاء فاستعددت له في الرخص. هذا قول محمد ﷺ». وانظر تفسير الطبري ج 13 ص 302.

قال: ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّيٰهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ أي [استمر بها الحمل فأتمته][1]. ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴾ قال بعضهم: استبان حملها، أي فاشتهر بها الحمل. ﴿ دَعَوا اللَّهَ رَبَّهُمَا ﴾ أي: آدم وحواء ﴿ لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَالِحاً ﴾ أي غلاماً[2] ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّٰكِرِينَ﴾ أي لأنعمك.

قال الله: ﴿ فَلَمَّا ءَاتَيٰهُمَا﴾ أي أعطاهما ﴿صَٰلِحاً﴾ أي غلاماً ﴿ جَعَلَا لَهُ شِرْكاً فِيمَا ءَاتَيٰهُمَا﴾. قال لهما إبليس: سمِّياه عبد الحارث، فسمَّياه عبد الحارث؛ فكان شركا في طاعة إبليس في تسميتهما إياه عبد الحارث، ولم يكن شركاً في عبادة، في تفسير بعضهم. انقضت قصة آدم وحواء من هذا الموضع.

قال: ﴿فَتَعَٰلَى اللَّهُ ﴾ أي ارتفع الله وعلا، من قبل العلو ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

وقال الكلبي: (حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً)، يعني حواء. (فَمَرَّتْ بِهِ) أي قامت به وقعدت. ثم أتاها الشيطان في غير صورته فقال: يا حواء، ما هذا في بطنك؟ فقالت: لا أدري. قال: لعله بهيمة من هذه البهائم. قالت: لا أدري. فأعرض عنها. حتى إذا أثقلت أتاها، فقال لها: كيف تجدين نفسك يا حواء؟ قالت: إني أخاف أن يكون في بطني الذي خوفتني؛ ما أستطيع القيام إذا قعدت. فقال: أفرأيت إن دعوت الله فجعله إنساناً مثلك، أو مثل آدم، أتسمينه بي؟ قالت نعم؛ فانصرف عنها. فقالت لآدم: إن الذي في بطني بهيمة من هذه البهائم، وإني لأجد له ثقلاً. ولقد خفت أن يكون كما قال، [فلم يكن لآدم ولا لحواء همٌّ غيره][3] حتى وضعت. فذلك قوله: (دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَالِحاً، أي إنساناً، لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ).

كان هذا دعاءهما قبل أن تلد. فلما ولدت أتاها إبليس فقال: ألاَ تَسمِّينه بي كما وعدتني. قالت: وما ٱسْمُكْ؟ قال: اسمي عبد الحارث. فسمته عبد الحارث،

(1) زيادة من مجاز القرآن لأبي عبيدة، ج 1 ص 236.

(2) قال ابن سلام في كتاب التصاريف ص 280: في تفسير معنى الصلاح: «لئن أعطيتنا ولداً سَوِيَّ الخلق في صورة البشر».

(3) زيادة من ز، ورقة 114. لا بد من إثباتها حتى يستقيم المعنى.

فمات. يقول الله: (فَلَمَّا، أَتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شِرْكاً فِيمَا ءَاتَيهما). ثم انقضت قصة آدم وحواء ها هنا. ثم قال الله: (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) يعني المشركين من بني آدم.

قوله: ﴿ أَيُشْرِكُونَ ﴾ أي: أيشركون بالله، على الاستفهام، أي قد فعلوا. ﴿ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً ﴾ يعني الأوثان. ﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ كقوله: (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: 95 - 96] أي بأيديكم، يعني أصنامهم. قال: ﴿ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً ﴾ أي ولا تستطيع الأوثان أن تنصر من عبدها. ﴿ وَلاَ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرونَ ﴾ أي: ولا تنصر الأوثان أنفسها. قال في آية أخرى: (وَإِنَّ يَسْلُبْهُم الذُّبَابُ شَيْئاً لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ) أي الوثن (وَالمَطْلُوبُ) أي الذباب [الحج: 73].

قال: ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الهُدَىٰ ﴾ يعني المشركين ﴿ لاَ يَتَّبِعُوكُمْ ﴾ أخبر بعلمه فيهم. ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَم أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ وهو كقوله: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَانْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ) [البقرة: 6].

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ يقوله للمشركين، يعني أوثانهم ﴿ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ أي مخلوقون ﴿ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنهم آلهة.

ثم قال: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ﴾ على الاستفهام، يعني الأوثان ﴿ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ أي: إنه ليس لهم شيء من هذا، كقوله: (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ) [النحل: 21] ﴿ قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ﴾ يعني أوثانكم التي أشركتموها بالله. ﴿ ثُمَّ كِيدُونِ ﴾ أنتم وأوثانكم ﴿ فَلاَ تُنْظِرُونِ ﴾ أي: اجهدوا عليّ جهدكم.

---

(1) انظر لزيادة الإيضاح تفسير الطبري ج 13 ص 303 - 317، وانظر ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 258 - 259.

قال: ﴿ إِنَّ وليّيَ اللَّهُ الذِي نَزَّلَ الكِتَـٰبَ﴾ أي: القرآن، وأولياؤكم أنتم أيها المشركون الشياطين. قال: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّـٰلِحِينَ ﴾ أي: يتولى المؤمنين، وهو وليهم.

﴿ وَالذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ يعني الأوثان ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ ﴾ من عذاب الله ﴿ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ ثم قال: ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ ﴾ يعني المشركين ﴿ لَا يَسْمَعُوا ﴾ أي: الحجة، لا يسمعونها سمع قبول، وقد سمعوها بآذانهم وقامت عليهم الحجة. ﴿ وَتَرَيٰهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾ يعني النبي عليـه السلام ﴿ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ يعني الحجة.

قوله: ﴿ خُذِ العَفْوَ﴾ ذكروا عن عبد الله بن الزبير قال: خذ العفو من أخلاق الناس. [وقال مجاهد: يقـول: خذ العفـو من أخلاق النـاس وأعمالهم بغيـر تجسس][(1)].

وقال الحسن: خذ العفو من المؤمنين من أنفسهم ما لا يجهدهم، يعني الصدقة. والعفو: الفضل عن نفقتك ونفقة عيالك. وكان هذا قبل أن تفرض الزكاة.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إن خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وأبدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى، ولا يلوم الله على الكفاف[(2)].

وقال الكلبي: (خُذِ العَفْوَ) أي: ما عفا من أموالهم، وهو الفضل، وذلك قبل أن تفرض الزكاة.

قوله: ﴿ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ ﴾ أي بالمعروف ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَـٰهِلِينَ﴾ أي عن

---

(1) زيادة من ز، ورقة 114، ومن تفسير مجاهد، ص 253، وقال ابن أبي زمنين: العفو في كلام العرب ما أتى بغير كلفة.

(2) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب النفقات، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال عن أبي هريرة. وانظر ما مضى من هذا التفسير، ج 1 ص جـ 1 ص: 207.

المشركين. الجاهلون ها هنا المشركون[1]. قال بعضهم: نسخها القتال.

قوله: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ ﴾ قال بعضهم: الغضب. وقال الحسن: وساوسه. ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَٰنِ ﴾ ذكروا أن مجاهداً قال: الطائف: الغضب. وقال الحسن: الطائف من الطَّوَفان، أي: يطوف عليهم الشيطان بوساوسه؛ يأمرهم بالمعصية، فتقبل وساوسه من معاصي الله. قال: ﴿ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ أي تائبون من المعصية[2].

قال: ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ ﴾ يعني من الشياطين ﴿ يُمِدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ﴾ يمدون المشركين في الغي استجهالاً ﴿ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ عن هلكتهم[3].

(1) هذا القول لا يقبل على ظاهره، فإن للجهل معاني كثيرة. والجهل هنا إلى معنى السفه والحمق وسوء الأخلاق أقرب. وأكاد أجزم أن صفة الجهل هنا لا تعني الشرك، وقد تكون من معانيه في سياق آخر. وأقول إنه لا نسخ في الآية؛ فإن هذه الآية عامة فيما أدب الله به نبيه، وأدبنا به بالتبَع، من الأدب العالي والسلوك الحسن حتى قيل: «ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها». يدل على ذلك قصة عيينة بن حصن الفزاري التي رواها البخاري في كتاب التفسير عن ابن عباس قال: «إن الحرّ بن قيس استأذن لعمه عيينة بن حصن على عمر بن الخطاب، فأذن له. فلما دخل عليه قال له عيينة: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى همّ أن يوقع به. فقال له الحرّ: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه: خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين. وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمرُ حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند حدود الله».

فلم يكن عيينة بن حصن حينئذٍ مشركاً، فقد أسلم زمن الفتح، وكان من المؤلفة قلوبهم، ولكنه كان أحمق سفيهاً. وصدق فيه قول ابن أخيه إنه من الجاهلين. فقد روى أنه دخل يوماً على رسول الله ﷺ بيته، وعائشة جالسة معه ـ وذلك قبل أن ينزل الحجاب ـ فسألت عائشة النبي عليه السلام عن الرجل فقال عليه السلام: هذا أحمق مطاع، وهو على ما ترين سيد قومه. انظر ابن عبد البر، الاستيعاب؛ ج 3 ص 1249.

(2) في المخطوطات تقديم وتأخير وتكرار في تفسير هذه الآية، صححت كل ذلك من ز، ورقة 114.

(3) كذا في ق، وع، ود، وفي ز ورقة 114: «وإخوانهم يعني إخوان المشركين»، وأثبت ما جاء في تفسير مجاهد، ص 254. وقد اختلف المفسرون في هذه الهاء والميم في (إِخْوَانُهُمْ) هل هي =

وبلغنا عن الحسن أنه قال: الناس في الغضب أربعة: رجل بطيء الغضب سريع الرضا؛ فذلك له ولا عليه، ورجل سريع الغضب سريع الرضا؛ فذلك لا له ولا عليه، ورجل بطيء الغضب بطيء الرضا؛ فذلك أيضاً لا له ولا عليه، ورجل سريع الغضب بطيء الرضا؛ فذلك عليه ولا له.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: الغضب جمرة من نار توقد في جوف ابن آدم؛ ألم ترَ إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه؛ فإذا غضب أحدكم فإن كان قاعداً فليلزم الأرض، وإن كان قائماً فليجلس(1).

قوله: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِئَايَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ أي: لولا تلقيتها من الله(٢)، في تفسير مجاهد. وقال بعضهم: (لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) أي: لولا جئت بها من قِبَلك. وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا أبطأ عنه الوحي، قال له المشركون: لولا اجتبيتها، أي هلا اجتبيتها من عندك فأتيت بهذا الوحي، فإنما تجيء به من عندك. وإذا أتاهم بآية كذّبوا بها، يعني بآية من القرآن. وإذا أبطأ الوحي سألوا أن يأتيهم بآية.

قال الله: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ﴾ ليس ذلك من عندي، إنما هو من عند الله ﴿ هَـٰذَا بَصَائِرُ ﴾ يعني القرآن ﴿ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي لكي ترحموا. قال بعضهم: ذلك في الصلاة، وهو قول الحسن.

= عائدة على المشركين، أو هي راجعة إلى المتقين؛ ولكل تقدير وجه مقبول من التأويل. انظر تفصيل ذلك في تفسير ابن الجوزي، زاد المسير، ج 3 ص 203 - 204.

(1) هذه الفقرة، مع ما ذكر عن الحسن قبلها، جُمَلٌ من خطبة لرسول الله ﷺ رواها الترمذي عن أبي سعيد الخدري. وقال الترمذي: حديث حسن.

(2) كذا في ق و ع و د: «لولا تلقيتها من الله»، وهو قول لابن عباس وقتادة كما في تفسير الطبري، ج 13، ص 342. وفي تفسير مجاهد، ص 254. «يقول: لولا ابتدعتها من قبل نفسك». وفي معاني الفراء، ج 1 ص 1402 «يقول: هلا افتعلتها». وذكر الطبري في تفسيره، ج 13 ص 343 أنه «حكى عن الفراء أنه كان يقول: اجتبيت الكلام، واختلقته، وارتجلته، إذا افتعلته من قبل نفسك». وأصل الاجتباء هو الاختيار والاصطفاء، انظر اللسان (جبي).

وقال الحسن: كانوا يتكلمون في الصلاة حتى نزلت هذه الآية. قال: وصارت سنة بعد في غير الصلاة، أن ينصت القوم إذا جلسوا لمن يقرأ عليهم القرآن.

قال الكلبي: بلغنا أنهم كانوا، قبل أن تنزل هذه الآية، يتكلم الرجل بالحاجة وهو في صلاته، فيجيء الرجل إلى القوم وهم يصلون، فيقول: كم صليتم، فيقولون: كذا وكذا، يسألهم عما فاته، فأنزل الله هذه الآية.

قوله: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً ﴾ أي مخافة منه ﴿ وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾. يقول: واذكره في نفسك أيضاً بالغدو والآصال. والآصال العشيات، يعني صلاة مكة، حين كانت الصلاة ركعتين غدوة، وركعتين عشية قبل أن تفرض الصلوات الخمس.

قال: ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ الغَـٰفِلِينَ﴾ أي عن الله وعن دينه.

قوله: ﴿إِنَّ الذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعني الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُون عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ أي في الصلاة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أَطَّتِ السماء وحقَّ لها أن تئِطَّ؛ ليس فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راكع أو ساجد، أو مسبّح أو مهلّل، أو معظّم لله.

(1) أخرجه ابن أبي حاتم عن حكيم ابن حزام، ولفظه: «بينما رسول الله ﷺ بين أصحابه إذ قال لهم: هل تسمعون ما اسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء، فقال رسول الله ﷺ: إني لأسمع أطيط السماء، وما تلام أن تَئِط؛ ما فيها من موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم».

تفسير سورة الأنفال،
وهي مدنية كلها.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾ والأنفال الغنائم.
﴿ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾.

قال الحسن: كانت السرية تسري، فينفلهم الرسول ما شاء بعد الخُمْس.

ذكروا أن رسول الله ﷺ كان ينفل في البدأة الربع، وفي الرجعة الثلث؛ فقيل لبعضهم: لِمَ كان يجعل في الرجعة أكثر؟ قال: لأنهم إذا رجعوا كانوا أشد لخوفهم.

ذكروا أن أبا إدريس [قال][1]: إن الناس كانوا معسكرين؛ فأتاهم أبو عبيدة بْنُ الجراح حتى بلغ حبيب بن مسلمة أن علجا من الروم يقال له بن [2] توجه نحو أرمينية؛ فطلبه فأدركه، فقتله وأخذ سلبه. فوجد معه وقر خمسة أبغال ديباج ولؤلؤ من أصناف المتاع. فلما رجع قال له أبو عبيدة: أرنا ما جئت به. فقال: إنما هو لي، وأنا قتلته، ولي سلبه. فقال له أبو عبيدة: ليس كذلك، إنما لك ما أعطيتك منه وطابت به نفسي. فقال: أناشدك الله أن تظلمني وأن تأخذ مني ما أعطاني الله، حتى ارتفعت أصواتهما. فسمعهما معاذ بن جبل، فجاء فقال: يا حبيب بن مسلمة، لا تسأل ما ليس

(1) زيادة لا بد منها لتستقيم العبارة.

(2) كذا في ج و د بياض قدر كلمتين، وفي ق و ع: «فقال له بأني قد توجه» (كذا) ولم أجد فيما بين يدي من المصادر من روى هذه القصة حتى أتبين اسم العلج الرومي؛ ولعلها مما انفرد بروايتها ابن سلام؛ ولم ترد في ز.

لك. فقال حبيب: أليس يقول رسول الله ﷺ: من قتل قتيلاً فله سلبه؟[1] فقال: إنما قال ذلك في غزوة واحدة عام حُنين[2]، ولم يقله لأبد. وسمعت رسول الله ﷺ يقول: ذلك إلي الإمام، إن شاء أعطى وإن شاء منع. وهو على ما يرى الإمام. فأخذه منه أبو عبيدة فخمّسه، ثم أعطاه الخمس بعد الخمس[3]. فبلغ ما أعطي عشرة آلاف.

ذكروا عن الحسن أنه قال: ما نَفل الإمام فهو جائز.

ذكروا عن سعيد بن المسيب أنه قال: لا نفل بعد رسول الله. وقال سعيد بن المسيب: إنما ينفل الإمام في الخمس. معنى قوله: إن النبي كان ينفل الخمس من بعد الخمس، ولا يُنفل بعده إلا في الخمس.

ذكروا عن ابن عمر أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فبلغت سهامهم اثني عشر بعيراً، قال: ونفّل كل إنسان منا بعيراً سوى ذلك.

ذكروا عن الحسن أن رجلاً سأل النبي ﷺ زماماً من شعر قبل أن تقسم الغنيمة، فقال: سألتني زماماً من نار، فوالله ما كان لك أن تسألنيه، وما كان لي أن أعطيكه، ولو أعطيتكه لأعطيتك به زماماً من نار[4].

---

(1) حديث متفق على صحته. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من لم يخمس الأسلاب، ومن قتل قتيلاً فله سلبه، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد واليسر، باب استحقاق القاتل سلب القتيل (رقم: 1751)، وأخرجه الربيع بن حبيب في مسنده في كتاب الجهاد (رقم: 467). وأخرجه مالك في الموطأ، باب ما جاء في السلب في النفل (رقم: 24) كلهم يرويه عن أبي قتادة ولفظه: «من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه».

(2) في المخطوطات الأربع: «عام خيبر» وهو تصحيف صوابه ما أثبته: «عام حنين».

(3) كذا في د و ج: «بعد الخمس»، وهو أصح، وفي ق و ع: «بعد الخصم».

(4) أورده السرخسي في شرح كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني ج 3، ص 597. «عن ابي الأشعث الصنعاني قال: جاء رجل إلى النبي عليه السلام ومعه زمام من شعر، فقال: مُرْ لي بهذا الزمام، فإنه ليس لراحلتي زمام. فقال: سألتني زماماً من نار. مالك أن تسألينه، ومالي أن أعطيكه. فرمى به في المغنم».

وأما قوله: ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولُ﴾ فيقول: ذلك كله لله، وجعل حكمه إلى رسول الله[1].

قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾.

قال الكلبي: بلغنا أن رسول الله ﷺ، لما صافّ المشركين يوم بدر، قال ليحرض الناس على القتال: إن الله وعدني أن يفتح لي بدراً، وأن يغنمني عسكرهم، فمن قتل قتيلاً فله كذا وكذا إن شاء الله من غنيمتهم، ومن أسر أسيراً فله كذا وكذا إن شاء الله[3]. فلما تواقفوا ألقى الله في قلوب المشركين الرعب، فانهزموا، واتبعهم سرعان[3] من الناس، فقتلوا سبعين رجلاً، وأسروا سبعين، وغنموا العسكر وما فيه. وأقام وجوه الناس مع رسول الله ﷺ في مصافّه، فلم يشذ عنه منهم أحد.

ثم قام أبو اليسر بن عمرو الأنصاري من بني سلمة، فكلم رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنك وعدت من قتل قتيلاً أو أسر أسيراً من غنيمة القوم، الذي وعدتهم، وإنا قد قتلنا سبعين، وأسرنا سبعين. ثم قام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله، إنه ما منعنا أن نطلب كما طلب هؤلاء زهادة في الأجر، ولا جبن عن العدو، ولكنا خفنا أن نعري صفك، فتعطف علينا[4] خيل المشركين فأعرض عنهما رسول الله. ثم قال أبو اليسر مثل كلامه الأول. وعاد سعد فتكلم مثل كلامه الأول وقال: يا رسول الله، الأسرى والقتلى كثير، والغنيمة قليلة، وإن تعطِ هؤلاء الذي ذكرت لهم لم يبقَ لسائر أصحابك كبير شيء، فنزلت هذه الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ

---

(1) سقط هذا السطر كله من د و ج.

(2) وسقطت هذه الجملة: «ومن أسر أسيراً...» من د وج. والحديث صحيح؛ أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب النفل، وأخرجه النسائي، وابن جرير الطبري في تفسيره، ج 13 ص 371 - 367، كلهم يرويه عن ابن عباس.

(3) سرعان الناس وسرْعانهم: أوائلهم المستبقون إلى الأمر.

(4) في ق و ع: «علينا»، وفي د و ج: «عليك»، وما أثبته أصح وأليق بأدب الصحابة في مخاطبة الرسول ﷺ.

وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ. . .) إلى آخر الآية[1].

ذكروا عن الكلبي أنه قال: كان النبي وعد الأنصار المغنم، فتكلّم فيه المهاجرون فأنزل الله هذه الآية وقال: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) فقسمه النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار.

ذكر بعضهم قال: كان نبي الله ينفل الرجل من المؤمنين سلَب الرجل من الكفار إذا ما قتله، فأمرهم الله أن يردّ بعضُهم على بعض فقال: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) أي: لِيَرُدَّ بعضكم على بعض.

قال: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: رقّت قلوبهم مخافة عقابه. وقال مجاهد: (وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)، أي: فَرِقت قلوبهم[2].

قال: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً ﴾ أي: تصديقاً. أي كلما نزل من القرآن شيء صدّقوا به. كقوله: (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَّقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِ إِيمَاناً) هذا قول المنافقين. قال الله: (فَأَمَّا الذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) [التوبة: 124].

قوله: ﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَواةَ ﴾ أي: يقيمونها على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها. ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ أي الزكاة المفروضة على ما سنّ رسول الله ﷺ. وقد فسّرنا ذلك في سورة البقرة وسورة الأنعام[3].

قال: ﴿ أُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حقّاً لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ أي في الجنة على

---

(1) انظر للتوسع فيما جاء في أوائل هذه السورة، شرح كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني، شرح السرخسي، ج 2 ص 592 - 620، أبواب الأنفال، ففيه فقه كثير، وعلم غزير وفوائد جمة.

(2) ورد في المخطوطات بعض الاختلاف في ألفاظ تفسير هذه الآية، فأثبت التصحيح من ز، ورقة 115، ومن تفسير مجاهد، ص 257.

(3) انظر ما سلف، ج 1 ص: 250 - 253، وص: 566 - 568.

قدر أعمالهم. قال (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا) [الأحقاف: 19]. قوله: ﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ أي لذنوبهم ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ أي في الجنة.

قوله: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالحَقِّ ﴾ أي: أخرجك من مكة إلى المدينة، ومن المدينة إلى قتال أهل بدر. وقال مجاهد: لهم درجات عند ربهم. كما أخرجك ربك من بيتك كذلك لهم درجات عند ربهم[1].

قوله: ﴿ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ المُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الحَقِّ ﴾ قال مجاهد والحسن: يعني: في القتال. قال الحسن: ومعنى مجادلتهم أنهم كانوا يريدون العير، ورسول الله يريد ذات الشوكة، أي القتال، بما وعده الله أن ينصره على أهل بدر.

قوله: ﴿ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ ﴾. قال الحسن: من بعد ما أخبرهم الله أنهم منصورون، إلا أن بين ذلك قوماً يقتلون. ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى المَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ وهم في ذلك ماضون لأمر الله.

وذلك أن عيراً أقبلت من الشام لقريش تحمل التجارة فيها أبو سفيان، وهو أمير القوم، وخرج المشركون العرب من الحرم [فيهم][2] أبو جهل لقتال رسول الله، فوعده الله إحدى الطائفتين فقال:

---

(1) كذا في ق، و ع، ود، وز، ورقة 115. ولكن جاء في تفسير مجاهد، ص 258 ما يلي: «(كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) يقول: كذلك أخرجك ربك من بيتك بالحق». ويبدو أنه خطأ، صوابه: «كذلك يجدلونك في الحق». فقد روى الطبري بإسناد في تفسيره ج 13 ص 392: «عن مجاهد: كما أخرجك ربك من بيتك بالحق كذلك يجادلونك في الحق، القتال». وهذا الوجه الأخير هو ما رجحه الطبري: «ومعناه كما أخرجك ربك بالحق على كره من فريق من المؤمنين، كذلك يجادلونك في الحق بعدما تبين، لأن كلا الأمرين قد كان، أعني خروج من خرج من المدينة كارهاً، وجدالهم في لقاء العدو وعند دنو القوم بعضهم على بعض. .» وأورد أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 240 قولاً لم أره لغيره فقال: (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالحَقِّ) مجازه مجاز القَسَم، كقولك: والذي أخرجك ربك لأن (مَا) في موضع الذي، وفي آية أخرى: (وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا) أي والذي بناها». وهذا تأويل بعيد.

(2) زيادة لا بد منها ليستقيم المعنى، أي خرج المشركون وفيهم، أو، وعلى رأسهم أبو جهل.

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ ووعدهم الله ذات الشوكة في الإضمار. [ومعنى الشوكة السلاح والحرب][1] .

﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِ﴾ وكلمات الله وعده الذي وعدهم أن لهم إحدى الطائفتين. ﴿ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَـٰفِرِينَ﴾ أي أصل الكـفرين.

﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ ﴾ فيظهر محمداً، ومعه الحق ﴿ وَيُبْطِلَ الْبَـٰطِلَ﴾ أي ما جاء به المشركون. ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ وهم المشركون في هذا الموضع.

وهذه الآية نزلت قبل قوله: (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ)، وهي بعدها في التأليف. هذا في تفسير الحسن. وكان جبريل يأتي النبي بالوحي فيقول: إن الله يأمرك أن تضع آية كذا وكذا بين ظهراني آية كذا وكذا من السورة.

وقال بعضهم: الطائفتان: إحداهما أبو سفيان أقبل بالعير من الشام، والطائفة الأخرى: أبو جهل معه نفير قريش[2]؛ فكره المسلمون الشوكة والقتال، وأحبوا أن يصيبوا العير، وأراد الله أن يصيبوا ثَمَّ ما أراد.

قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَـٰئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ أي متتابعين. وقال مجاهد: مردفين: ممدين[3]. وقال الحسن: دعوا الله أن ينصرهم على عدوهم، فاستجاب لهم فقال: إني ممدّكم بألف من الملائكة مردفين.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 116. وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 241: «مجاز الشوكة: الحدّ، يقال: ما أشد شوكة بني فلان، أي: حدّهم».

(2) في ق و ع: «معه عير قريش»، وهو خطأ، وفي ج ود: «معه عسكر قريش» وهو صحيح، وفي ز، ورقة 116: «معه نفير قريش» وهو أصح وأدق تعبيراً، لأن مشركي قريش استُنفِروا استنفاراً من مكة.

(3) وقال أبو عبيدة: « (بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) مجازه: مجاز فاعلين، من أردفوا أي: جاءوا بعد قوم قبلهم، وبعضهم يقول: ردفني. أي جاء بعدي، وهما لغتان. ومن قرأها بفتح الدال وضعها في موضع مفعولين، من أردفهم الله من بعد من قبلهم وقُدّامهم».

قوله: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ ﴾ أي ما جعل المدد من الملائكة إلا بشرى ﴿ ولِتَطْمَئِنَّ ﴾ أي [لتسكن][1] ﴿ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أي عزيز في نقمته، حكيم في أمره.

قوله: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ أي: أماناً منه. قال الحسن ومجاهد: أماناً من الله. ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُمْ بِهِ ﴾ أي يطهّر ما في قلوبكم من الخوف ﴿ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَـٰنِ ﴾ أي ترهيب الشيطان الذي كان دخل قلوبكم[2] في تفسير الحسن: ﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ﴾. فأنزل الله ذلك الماء على المسلمين، فاذهب الله ما في قلوبهم مما كان أوقع الشيطان في قلوبهم من تخويفه.

وقال بعضهم: ذكر لنا أنهم مطروا يومين حتى سال الوادي ماء واقتتلوا على كثيب أعفر، فلبّده الله بالماء، وشرب المسلمون، وتوضأوا، واستقوا، وأذهب الله عنهم وساوس الشيطان.

قال الكلبي: بلغنا أن المشركين سبقوا رسول الله ﷺ حتى نزل حيالهم، وبينه وبينهم الوادي؛ ونزل على غير ماء؛ فقذف الشيطان في قلوب المؤمنين أمراً عظيماً فقال: زعمتم أنكم عباد الله، وعلى دين الله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلّون محدثين مجنبين، فأحبّ الله أن يذهب من قلوبهم رجز الشيطان، فأغشى المؤمنين نعاساً أمنة منه، وأنزل عليهم من السماء ماء ليطهرهم به من الإحداث والجنابة، ويذهب عنهم رجز الشيطان [أي ما كان قذف في قلوبهم][3] وليربط على قلوبهم ويثبّت به الأقدام.

وكان بطن الوادي فيه رملة تغيب فيه الأقدام؛ فلما مطر الوادي اشتدت الرملة،

(1) زيادة من ز، ورقة 116.

(2) كذا في ق وع، وفي ج ود: «الذي كان أدخل في قلوبهم».

(3) زيادة من ز، ورقة 116.

فمشى عليها الرجال، واتخذ رسول الله ﷺ حياضاً على الوادي(4)، فشرب المسلمون منها واستقوا، ثم صفّوا. وأوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبّتوا الذين ءامنوا. . إلى قوله واضربوا منهم كل بنان؛ وهي أطراف الأيدي والأرجل(2).

قوله: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَـٰئِكَةِ إِنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ ﴾ قال الحسن: يعني فاضربوا الأعناق ﴿ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ أي كلّ عُضو. وقال الكلبي: أطراف الأيدي والأرجل. وقال بعضهم: كل بنان، أي: كل مفصل.

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ قال الحسن: حادّوا الله وعادوه ورسوله. وقال بعضهم: الشقاق هو الفراق. ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾.

قال: ﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ ﴾ أي في الدنيا، يعني القتل ﴿ وَأَنَّ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾ بعد القتل ﴿ عَذَابَ النَّارِ ﴾ أي في الآخرة.

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلَا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ﴾ أي: منهزمين ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ ﴾ أي: ينهزم ﴿ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ ﴾ أي: يوم بدر ﴿ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ ﴾ أي يتحرّف للقتال، أن يدع موقف مكان لمكان. ﴿ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ ﴾ أي ينحاز إلى جماعة ﴿ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ أي استوجب غضباً من الله ﴿ وَمَأْوَيـٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ ﴾ أي بئس مصير من صار إلى جهنم.

---

(1) كذا في ق وع، وفي ز، وهو الصواب، وفي د: «وانحدر رسول الله ﷺ حتى وطىء على الوادي. . .» وهو تصحيف ولا شك.

(2) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 242: «(وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ) مجازه: يفرغ عليهم الصبر وينزله عليهم فيثبتون لعدوهم».

وقال: «(فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ) مجازه: على الأعناق، يقال: ضربته فوق الرأس وضربته على الرأس».

قال الحسن: لم يكن الفرار من الزحف من الكبائر إلا يوم بدر، لأن تلك العصابة من المسلمين لـو أُصيبت لذهب الإسلام. فكان الله قد آفترض في هذه الآية: ﴿ إِن يَكُنْ مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ تَكُنْ مِنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِّنَ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الأنفال: 55] فأمر الله المسلمين أن يصبروا لعشرة أمثالهم[1] إذا لقوهم. ثم أنزل الله بعد ذلك التخفيف فقال: ﴿ أَلآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضُعْفاً فَإِن تَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُن مِنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [الأنفال: 66]. فلم يقبض رسول الله ﷺ حتى اظهر الله الإسلام وصار الجهاد تطوّعاً.

فإن جاء المسلمين عدوٌّ لا طاقة لهم به تحيّزوا إلى البصرة، أو قال: إلى بصرتهم. وإن جاءهم ما يغلبهم تحيّزوا إلى الكوفة، فإن جاءهم ما يغلبهم تحيّزوا إلى الشام، وإن جاءهم ما يغلبهم تحيّزوا إلى المدينة، فإن جاءهم ما يغلبهم فليس ثَمَّ تحيّز، وصار الجهاد فريضة.

ذكروا عن الحسن أنه قال: إن عمر بن الخطاب لما بلغه قتل أبي عبيدة بن الجراح وأصحابه بالقادسية قال: يرحم الله أبا عبيدة؛ لو انحاز إلينا لكنا فئته[2].

ذكروا عن الحسن قال: لو أن أهل سمرقند انحازوا إلينا ـ ونسأل الله العافية من ذلك ـ لكنا فئتهم.

ذكروا أن أبا بكر وعمر كانا يقولان للجيوش: وإن غلبكم أمر فانحازوا إلينا، فإنا فئتكم.

ذكر بعضهم قال: أوجب الله لمن فرّ يوم بدر النار، ثم كانت أُحُد بعدها فأنزل الله: ﴿ إِنَّ الذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُم الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: 155]. ثم كانت حنين بعدها

(1) في ق وع ود: «أن تصبر العشرة مكانهم. وأثبت ما جاء في ز، فهو أصح وأدق تعبيراً.
(2) كذا في المخطوطات الأربع، وفي ز ورقة 117: لو انحاز إليّ لكنت له فئة.

بسبع سنين فأنزل الله: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ. ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: 25 - 27].

قال بعضهم: يوم الدجّال كيوم بدر. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أفضل الشهداء شهداء بدر، وشهداء الأعماق، والأعماق أنطاكية[1].

ذكروا عن عبد الله بن عون أنه قال: كتبت إلى نافع أسأله عن الفرار من الزحف، فقال: إنما كان يوم بدر.

قوله: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾. قال الحسن: لما واقف رسول الله المشركين يوم بدر أمره الله أن يرميهم بثلاثة أحجار، فكان النصر فيما رماهم به، وألقى في قلوبهم الرعب. قال: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ﴾ أي: بقوتكم، حين قال هذا: قتلت، وقال هذا: قتلت. ﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾.

وقال الكلبي: لما صافّ رسول الله ﷺ المشركين دعا بقُبضة[2] من حصى الوادي وترابه، فرمى بها في وجوه المشركين، فملأ الله منها وجوههم وأعينهم تراباً، وقذف في قلوبهم الرعب، فانهزموا، واتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم.

وقال بعضهم: ذكروا أن رسول الله ﷺ أخذ ثلاثة أحجار يوم بدر، فرمى بها في وجوه الكفار، فهزموا عند الحجر الثالث.

---

(1) في ق: «وشهداء الأعماق أعماق أنطاكية»، وفي ع: «شهداء أعماق وأنطاكية»، وأثبت ما جاء في د: وشهداء الأعماق، والأعماق أنطاكية. ولم أجد فيما بين يدي من مصادر التفسير أو الحديث والسِّيَر هذا الحديث بهذا اللفظ. إلا إشارة وردت في حديث رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في فتح قسطنطينية (رقم 2897) تشير إلى الأعماق ولفظه: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق... إلى أن يقول: ويقتل ثلثهم، أفضل الشهداء عند الله».

(2) القبضة، بضم القاف: قدر ما تقبض عليه الكف.

قوله: (وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَناً) أي ينعم على المؤمنين بقتلهم المشركين يوم بدر. ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ ذَالِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَـٰفِرِينَ﴾ أي مُضعِف كيد الكافرين الذين قاتلوا رسول الله ﷺ.

قوله: ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴾ قال الكلبي: إن المشركين لما صافّوا رسول الله ﷺ يوم بدر قالوا: اللهم ربنا أيُّنا كان أحبَّ إليك، وأرضى عندك، فانصره. فنصر الله نبيَّه، وقال: (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا) يعني أن تستنصروا (فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ) والفتح النصر.

قال: ﴿ وَإِنْ تَنْتَهُوا ﴾ عن قتال محمد ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا ﴾ لِقتاله ﴿ نَعُدْ ﴾ عليكم بالهزيمة ﴿ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

وقال مجاهد: (فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ) بدعاء كفار قريش في قولهم: ربنا افتح بيننا وبين محمد، ففتح الله بينه وبينهم يوم بدر[1].

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ ﴾ أي عن رسول الله ﴿ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ يعني الحجة.

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الهدى][2]. قال مجاهد: يعني عاصين. وقال الحسن: ليسوا سمعاء ولا بصراء بالحق إذ لم يقبلوه.

قوله: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ ﴾ أي الخلق ﴿ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ ﴾ أي عن الهدى فلا يسمعونه، أي فلا يقبلونه ﴿ الْبُكْمُ ﴾ أي عنه فلا ينطقون به ﴿ الذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أي الهدى. وقال مجاهد: لا يتبعون الحق وهو واحد.

---

(1) المشهور في التفاسير وفي التاريخ أن المستفتح كان أبا جهل، وأنه قال حين التقى الجمعان: اللهم أيُّنا كان أقطع للرحم، وآتانا بما لا نعرف، فأحِنه الغداة. فكان ذلك استفتاحاً منه. انظر الواحدي، أسباب النزول، ص 230، وتفسير الطبري ج 3 ص 451 - 452.

(2) زيادة من ز، ورقة 117.

قال الله: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً ﴾ أي إيماناً ﴿ لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾. قال الحسن: هي كقوله: (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لكاذبون) [الأنعام: 28] أخبر بعلمه فيهم.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ قال مجاهد: لما يحييكم به، أي الحق، يعني الهدى. وقال بعضهم: هو القرآن. وقال: هو القرآن، فيه الحياة والبقاء[1].

قوله: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾. قال بعضهم: يحول بين قلب المؤمن وبين معصيته بفعله، وبين قلب الكافر وبين طاعته بفعله. قال: ﴿ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أي يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ [يعني أنها إذا نزلت تعم الظالم وغيره][2]. قال بعضهم: يعني [يوم] الجمل. وقال الحسن: يعني أصحاب النبي عليه السلام.

ذكروا أن الزبير بن العوام كان يقول: لقد تلوتُ هذه الآية زماناً ما أحدث نفسي أن أكون من أهلها، فإذا نحن أصحاب النبي المعنيّون بها: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً)[3]. ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾.

قوله: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ [أي مقهورون في أرض

[٨)٣(هذا قول لقتادة، فقد أورده الطبري في تفسيره، ج 13 ص 465 بلفظ: «هو هذا القرآن، فيه الحياة والثقة والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة».

(2) زيادة من ز، ورقة 117.

(3) وأرى أن الآية أعم من أن تنحصر في أصحاب النبي عليه السلام أو في صدر الإسلام؛ فقد خوطب بها المؤمنون كلهم في كل زمان ومكان. وقد أظلتنا اليوم فتن كقطع الليل المظلم قد لا تعد فتن الصدر الأول أمامها شيئاً، نعوذ بالله من شرورها وويلاتها، ونسأل الله النجاة منها، والعصمة والسلامة في ديننا ودنيانا، إنه لطيف بعباده، رؤوف رحيم بهم، لا إلـٰه إلا هو.

مكة][1] ﴿ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخطَّفَكُمُ النَّاسُ ﴾ أي فارس والروم في تفسير بعضهم. ﴿فَئَاوَيكُمْ ﴾ [أي ضمّكم][2] إلى المدينة حين أسلمتم[3]. ﴿ وَأَيَّدَكُمْ ﴾ أي أعانكم ﴿ بِنَصْرِهِ ﴾ أي نصركم على المشركين ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَـٰتِ﴾ أي: الحلال من الرزق والغنيمة بعد، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي لكي تشكروا هذه النعم.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. قال الكلبي: أما خيانتكم الله فمعصيتُه، وكذلك خيانتكم الرسول هي معصية الرسول. أما خيانتكم أماناتكم فكل عبد مؤتمَن على ما افترض الله عليه، لم يطلع عليها إلا الله.

وقال بعضهم: إن أبَا لُبَابة أشار لليهود إلى النحور حتى لا ينزلوا على الحكم، [فكانت خيانة منه وذنباً][4].

وقال الحسن: لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم كما صنع المنافقون الذين قالوا ولم يعملوا[5] فإنهم خانوا الله والرسول في ترْكهم الوفاء بفرائضه، إذ لم يستكملوا العمل مع القول. (وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ) يقول: إذا خنتم الله والرسول خنتم أماناتكم إذ لم توفوا بالعمل الذي أقررتم به مع القول، (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنكم قد خنتم. وتخونوا أماناتكم أيضاً فيما بينكم وبين الناس.

قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَٰلُكُـمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي بلية، ابتلاكم الله بالأموال والأولاد لكي تطيعوه فيما ابتلاكم به. ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ أي الجنة.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً ﴾. قال مجاهد:

---

(1) و (2) زيادة من ز، ورقة 117.

(3) في ع وق ود: «أي إلى المدينة حتى أسلموا. والصواب إن شاء الله ما أثبته.

(4) زيادة من ز، وفي المخطوطات اضطراب في العبارة صوابه ما أثبته. وقصة أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري مع يهود بني قريظة وتوبته بعد ذلك مشهورة. انظر تفاصيلها في سيرة ابن هشام، ج 3 ص 236، وفي أسباب النزول للواحدي ص: 231.

(5) كذا في ق وع: «ولم يعملوا» وفي د وج: «ولم يوفوا».

يجعل لكم فرقاناً، أي حجة. وقال بعضهم: مخرجاً [في الدين من الشبهة والضلالة][1]. وقال بعضهم: يجعل لكم نجاة. وقال الحسن: فُرْقَاناً. أي: يفرق فيه بين الحق والباطل، فتعرفون ما أحل لكم وما حرم عليكم. ﴿ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ أي ذنوبكم ﴿ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ ﴾.

قوله: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ المَـٰكِرِينَ﴾.

قال الكلبي: بلغنا أن عصابة من قريش اجتمعوا في دار الندوة يمكرون بنبي الله عليه السلام، فدخل معهم إبليس عليه لعنة الله، عليه ثياب له أطمار، في صورة شيخ كبير، فجلس معهم؛ فقالوا ما أجلسك في جماعتنا بغير إذننا، فقال لهم: أنا رجل من أهل نجد، قدمت مكة فأحببت أن أسمع من حديثكم، وأقتبس منكم خيراً، ورأيت وجوهكم حسنة، وريحكم طيبة؛ فإن أحببتم جلست معكم، وإن كرهتم مجلسي خرجت. فقال بعضهم لبعض: هذا رجل من أهل نجد، ليس من أهل تهامة، فلا بأس عليكم منه.

فتكلموا بالمكر بنبي الله؛ فقال أبو البَخْتري بن هشام[2]، أحد بني أسد بن عبد العزى: أما أنا فأرى لكم من الرأي أن تأخذوا محمداً فتجعلوه في بيت ثم تسدّوا عليه بابه، وتجعلوا فيه كوّة، فتدخلوا إليـه طعامـه وشرابه، ثم تذروه فيه حتى يموت. فقال القوم: نعم الرأي رأيت. فقال إبليس: بئس الرأي رأيتم، تعمدون إلى رجل له فيكم صغو[3]، وقد سمع به من حولكم، فتحبسونه وتطعمونه وتسقونه، فيوشك ذلك

(1) زيادة من ز، ورقة 117.

(2) كذا في المخطوطات الأربع وفي ز أبو البختري بن هشام، وكذلك جاء في المعارف لابن قتيبة. أما البلاذري في أنساب الأشراف ج 1 ص 146، وابن حزم في جمهرة أنساب العرب فيذكران أنه العاص أو العاصي بن هاشم.

(3) في ج ود وردت الكلمة هكذا: «صفو»، وفي ع: «عضو»! والصحيح ما جاء في ق وز: «صغو» وقد ضبط ابن أبي زمنين في ورقة 118، والجوهري في الصحاح الكلمة بفتح الصاد وكسرها، وتفيد معنى الميل، يريد أن يقول هنا: فيكم من يميل إليه. والصغو أو الصاغية هم خاصة =

الصغو الذي له فيكم أن يقاتلوكم عليه، فتفسد فيه جماعتكم، وتسفك فيه دماؤكم. فقالوا صدق والله.

ثم تكلم أبو الأسود، وهو هاشم بن عمير بن ربيعة، أحد بني عامر بن لؤي، فقال: أما أنا فأرى أن تحملوا محمداً على بعير، فتخرجوه من أرضكم، فيذهب حيث شاء، ويليه غيركم. فقالوا: نعم والله الرأي رأيت. فقال إبليس: بئس الرأي والله رأيتم؛ تعمدون إلى رجل أفسد جماعتكم، واتبعته منكم طائفة فتخرجونه إلى غيركم، فيأتيهم فيفسدهم كما أفسدكم؛ يوشك والله أن يُقبل[1] بهم عليكم. قالوا: صدق والله.

ثم تكلم أبو جهل فقال: أما أنا فأرى من الرأي أن تأخذوا من كل بطن من قريش رجلاً، ثم تعطوا كل رجل سيفاً، فيأتونه، فيضربونه جميعاً، فلا يدري قومه من يأخذون به، وتؤدي قريش ديته. فقال إبليس: صدق والله هذا الشاب، إن الأمر لَكَما قال؛ فاتفقوا على ذلك.

فنزل جبريل على النبي ﷺ فأخبره، وأمره بالخروج؛ فخرج من ليلته إلى المدينة. قال الله: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ).

قال بعضهم في قوله: (لِيُثْبِتُوك) أي وثاقاً، أرادوا ذلك ونبي الله بمكة[2].

قوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَا إِنْ هَـٰذَا إِلَّا أَسَـٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾.

قال الكلبي: لما قصّ رسول الله ﷺ على قومه شأن القرون الأولى قال النضر إبن الحارث، أخو بني عبد الدار: لو شئت لقلت مثل هذا (إِنْ هَـٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)، أي: كذب الأولين وباطلهم.

= الرجل وأتباعه الذين يميلون إليه، ويأتونه يطلبون ما عنده. ولم أجد هذه الكلمة فيما بين يدي من مصادر السيرة والتاريخ التي روت حديث دار الندوة.

(1) كذا في ع ود: «يقبل، وفي ز، ورقة 118 «أن يميل بهم عليكم».

(2) كذا في ع وق، وفي ج ود: «أرادوا بذلك نبي الله بمكة».

(3) هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلَدَة بن عبد مناف بن عبد الدار، كان من الذين آذوا =

قال الكلبي: يقول له عند ذلك عثمان بن مظعون: اتقِ الله يا نضر، فإن محمداً يقول الحق. قال النضر: وأنا أقول الحق. قال عثمان: فإن محمداً يقول لا إله إلا الله. فقال النضر: وأنا أقول: لا إلـه إلا الله، ولكن هذه بنات الله عندنا: اللات والعزى ومناة. فأنزل الله: (قُل إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ العَابِدِينَ). [الزخرف: 81] وتفسيرها في حَمَ الزخرف؛ فقال النضر: ألا تَرون أنه قد صدّقني: إن للرحمـٰن ولداً؟ فقال الوليد بن المغيرة: لا والله ما صدقك، ولكن قال: (إِنْ كَانَ)[1]، منكراً لقولك. فصعق لها النضر فغضب، فقال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك.

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّـهُمَّ إِنْ كَانَ هَـٰذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ أي إن كان ما يقوله محمد حقاً ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ قال مجاهد: وهم يسلمون.

وقال الكلبي: بلغنا أن رسول الله ﷺ لما دعا قومه إلى الهدى قال الحارث بن عامر بن نوفل[2]: يا محمد، (إن نَّتَّبِعِ الهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنَ أَرْضِنَا)،

= رسول الله ﷺ بمكة. وقد أُسِرَ يوم بدر، وأمر رسول الله بقتله، قتله علي بن أبي طالب بالصفراء، أنظر سيرة ابن هشام ج 1 ص 644. وقد رَثَتْهُ أخته قُتَيلة بنت الحارث. كما ذكره ابن إسحاق، وصحح السهيلي أنها بنته ـ بأبيات رقيقة. «قال ابن هشام: فيقال. والله أعلم. أن رسول الله ﷺ لما بلغه هذا الشعر قال: لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه. انظر سيرة ابن هشام ج 2 ص 42.

(1) يريد أن يقول: إنّ (إنْ) هنا نافية. وهو قول رواه أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 2 ص 206 حيث قال: «(إنْ) في موضع (ما) في قول بعضهم: ما كان للرحمٰن ولد. والفاء مجازها الواو: ما كان للرحمـٰن ولد وأنا أول العابدين». وانظر في معنى الآية ووجوه إعرابها ابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، ج 2 ص 355، والزمخشري، الكشاف، ج 4 ص 265 - 266.

(2) عده ابن هشام فيما يرويه عن ابن إسحاق من المطعمين الذين كانوا يطعمون الحاج في الموسم، وكان من سادة بني نوفل بن عبد مناف، وقد حضر بدراً في صفوف المشركين فقتل هناك، انظر سيرة ابن هشام، ج 1 ص 665 وص 710.

[القصص: ٥٧] وإنما تتقي العربُ حرمَنا أنا على دينهم. يقول الله قد متعتهم بهذا الحرم، وهم يأكلون رزقي، ويعبدون غيري، وقد مكنت لهم حرماً آمناً تجبى إليه ثمرات كل شيء، فكانوا يخافون أن لو عبدوني أن أسلط عليهم من يقتلهم ويسبيهم، ما كنت لأفعل ذلك بهم لو فعلوا واستغفروا، فلما لم يفعلوا [عذبوا][1].

يقول الله: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وهم الذين لا يؤمنون.

قال الحسن: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) أي: حتى يخرجك من بين أظهرهم. وقد قضى الله أنه إذا أهلك قوماً نجّى المؤمنين. (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) أي: لا يزال منهم مستغفر يستغفر من الشرك ويدخل في الإيمان. ولا يعذب الله قوماً حتى يبلغوا الحدَّ الذي لا يؤمن منهم أحد.

وقال بعضهم: (وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) أي: يعملون عمل الغفران. قال: (وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ) [زعم المشركون أنهم أولياء المسجد الحرام فقال الله: وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ][2] (إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ). أي: من كانوا وأين كانوا (وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) يقول: إن القوم لم يكونوا يستغفرون، أي يعملون عمل الغفران، ولو عملوا عمل الغفران ما عذبوا.

وكان بعض أهل العلم يقول: هما أمانان أنزلهما الله. أما أحدهما فمضى، وهو نبي الله ﷺ. وأما الآخر فأبقاه الله رحمة: هذا الاستغفار.

وذكر بعض أهل العلم قال: ما من أمة يكون فيها خمسة عشر رجلاً من المسلمين يستغفرون الله إلا رحم الله تلك الأمة بهم.

---

(1) زيادة يقتضيها السياق، فجواب لما غير مذكور في المخطوطات الأربع.

(2) زيادة من ز، ورقة 118.

ذكروا عن رجل من المهاجرين قال: قال رسول الله ﷺ: استغفروا الله وتوبوا إليه، إني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة[1].

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ قال ابن عمر[2]: المكاء الصفير، والتصدية التصفيق، يقول: يفعلون ذلك مكان الصلاة. وقال مجاهد: يخلطون على النبي عليه السلام بذلك صلاته. وقال بعضهم: كنا نحدث أن المكاء التصفير في الأيدي، يعارضون به القرآن؛ مثل قوله: (وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) [فصلت: 36].

قال: ﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ يعني القتل بالسيف قبل عذاب الآخرة.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَلَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾. لما هزم رسول الله أهل بدر رجعوا إلى مكة، فأخذوا ما جاءت به العير من الشام فتجهزوا به لقتال النبي، واستنصروا بقبائل من قبائل العرب؛ فأوحى الله إلى النبي عليه السلام، وهو بالمدينة: (إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ. .) إلى قوله: ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ فبيّن الله لنبيه أنهم سيغلبون من قبل أن يقاتلوا. قوله: (فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً) أي: النفقة يعذّبون عليها كما يعذّبون على كفرهم.

وقال بعضهم: لما قدم أبو سفيان بالعير إلى مكة ندب الناس ودعاهم إلى القتال حتى غزا نبي الله يوم أُحد في شوّال، يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من شوّال في العام المقبل الذي يلي بدراً.

---

(1) حديث صحيح متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة عن أبي هريرة ولفظه: والله إني لأستغفر الله وأتوب في اليوم أكثر من سبعين مرة. وأخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (رقم 2702) عن الأغر المزني ولفظه: إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة، وعنه أيضاً بلفظ:. يا أيها الناس، توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة.

(2) كذا في المخطوطات الأربع، قال ابن عمر»، وفي ز، ورقة 118: «قال الحسن».

وقال مجاهد في قوله: (إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا) قال: هذا في نفقة أبي سفيان على الكفار يوم أُحد.

قوله: ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ أي ليميز نفقة المؤمنين من نفقة الكفار. ﴿ فَيَجْعَلَ الخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ ﴾ أي نفقاتهم التي أنفقوها في حرب النبيّ من كسبهم الخبيث. ﴿ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً ﴾ أي بعضه على بعض ﴿ فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ﴾ أي معهم ﴿ أُولَـٰئِكَ هُمُ الخَـٰسِرُونَ﴾ قال الحسن: هي كقوله: (يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَـيْهَـا فِـي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ) [التوبة: 35].

قوله: ﴿ قُل لِّلذِّينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا ﴾ لقتال محمد ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ ﴾ أي بالقتال، والاستئصال. وقال مجاهد: في قريش يوم بدر، وفي غيرهم من الأمم [قبل ذلك](1).

قوله: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ أي: حتى لا يكون شرك. وهذه في مشركي قريش خاصة؛ وأما من سواهم من المشركين فإذا أدوا الجزية قبلت منهم ولم يقتلوا إذا أقروا بالجزية، إلا من كان دخل من العرب في دين أهل الكتاب، فإن عمر لم يقتلهم، وقبِل منهم الضِّعف مما يؤخذ من المسلمين من مواشيهم؛ وهو قول العامة(2). وكان علي يرى قتلهم(3).

قوله: ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ يعني الإسلام. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال:

---

(1) زيادة من ز، ورقة 119.

(2) انظر ما رواه في الموضوع أبو يوسف صاحب أبي حنيفة في كتاب الخراج ص 249 - 251.

(3) روى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال ص 37 عن زرعة بن النعمان أو النعمان بن زرعة قال: «فصالحهم [أي نصارى بني تغلب] عمر بنُ الخطاب على أن أضعف عليهم الصدقة، واشترط عليهم أن لا ينصِّروا أولادَهم. قال مغيرة: فحدِّثتُ أن علياً قال: لئن تفرغت لبني تغلب ليكونن لي فيهم رأي: لأقتلنّ مقاتلتهم، ولأسبينّ ذراريهم، فقد نقضوا العهد، وبرئت منهم الذمة حين نصّروا أولادهم».

أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلـه إلا الله فإذا قالوها عصموا بها دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله[1].

قوله: ﴿ فَإِنِ انْتَهَوْا ﴾ أي عن كفرهم ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾. قال الكلبي فإن انتهوا عن القتال، وهو واحد. ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أي: وإن أبو إلا القتال ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَيكُمْ ﴾ أي وليّكم ﴿ نِعْمَ المَوْلَىٰ ﴾ أي نعم الولي ﴿ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ أي لأوليائه.

قوله: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَىٰ وَاليَتَامَىٰ وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾.

ذكر عبد الله بن الخير قال: بينما نحن جلوس بهذا المربد[2] إذ أقبل علينا أعرابي أشعر الرأس، أو مشعار الرأس، قال: قلنا: والله لكأنّ هذا ليس من أهل البلد. قال: أجل. قال وإذا معه أديم أو قطعة من جواب، قال: هذا كتاب كتبه لي رسول الله ﷺ. فأخذنا الكتاب، فقرأناه. فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبي، رسول الله، لبني زهير بن أُقَيْش[3]: إنكم إن شهدتم أن لا إلـه

(1) حديث صحيح أخرجه البخاري عن ابن عمر مرفوعاً في كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم، وانظر فيما مضى من الجزء الأول ص 573، تعليق 2.

(2) المربد محلة من محلات البصرة، كانت سوقاً للإبل، وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء والأدباء. وكان بعض اللغويين يقصدونه ليتلقفوا الفصاحة من أفواه الأعراب عندما بدأ اللحن يفشو على ألسنة العامة في المدن.

(3) في ج ود: «لبني زهيرة وقيس»، وفي ق وع: «لبني زهير بن قيس» والصواب ما أثبته. وهم بنو زهير بن أُقَيْش ابن عبد بن كعب بن عوف بن الحارث، وهم من عُكل، كما ذكره ابن حزم في جمهرة أنساب العرب، ص 199. ومنهم النَّمر ابن تولب بن زهير، الشاعر الإسلامي الصحابي الذي وفد على النبي ﷺ مسلماً، ومدحه بقصيدة مطلعها:

إنَّـا أَتَيْنَـاكَ وَقَـد طَـالَ السَّفَـرْ نَقُودُ خَيْلاً ضُمَّراً فِيهَا عَسَـرْ

وكان فصيحاً شاعراً جواداً. انْظُرْ ترجمته في كتب الصحابة مثل ابن عبد البرّ، الاستيعاب، ج 3 ص 1531، وفي كتب الأدب مثل الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج 1 ص 309 - 311. وقد أشار =

إلا الله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وفارقتم المشركين، وأعطيتم من الغنائم الخمس، وسهم الصفي، وربما قال: وصفيّه، فأنتم آمنون[1] بأمان الله وأمان رسوله.

وسهم الصفي ـ فيما بلغنا ـ أنه إذا جمعت الغنائم كان للنبي شيء يُصْفَى به قبل أن تقسم الغنائم، فرساً كان أو بعيراً أو غير ذلك[2].

وقال الحسن: كانت إذا جمعت، للنبي أن يأخذ منها ما شاء قبل أن تقسم الغنائم، وهو الصفي الذي أصفاه الله محمداً عليه السلام. وأن النبي عليه السلام لم يستأثر على المسلمين من ذلك السهم قط. وقد جعله الله له يريد بذلك كرامته. فتركه رسول الله ﷺ للمسلمين، وصار أجره وذخره لرسول الله عند الله. ثم يجعل الغنائم على خمسة أخماس؛ يقوم ويقسم، ثم يقرع عليها، فيخرج منها خمساً لله.

وبلغنا أن عثمان بن عفان كان يقول لصاحب الجيش إذا بعثه: إذا غنمتم غنيمة فاقسمها على خمسة أخماس. ثم خذ خمسة أسهم، فاكتب على سهم منها: لله. ثم ألقها عليها، فأيها وقع عليها ذلك السهم فاجعله الخمس.

قال الحسن: فيأخذ رسول الله ﷺ من الخمس ما شاء. وليس فيه وقت[3]. ويعطي قرابته من ذلك ما رأى. ويعطي اليتامى والمساكين وابن السبيل على قدر ما يرى من قلتهم وكثرتهم وفقرهم. وليس ذلك على الأمراء. ثم يقسم رسول الله والأئمة بعده تلك الأربعة الأخماس على أهل العسكر، فيعطي الفرس سهمين وفارسه سهماً.

= ابن دريد في كتابه الاشتقاق إلى كتاب النبي عليه السلام هذا فقال في ص 183: «وكتب النبي ﷺ كتاباً لبني أقيش في ركية بالبادية، فهو في أيديهم إلى اليوم؛ كما أشار إليه ابن عبد البرّ في الاستيعاب.

(1) في ق: «فأنتم مؤمنون بأمان الله» والصحيح ما أثبته: «آمنون». وسقطت الجملة كلها من ع ود.

(2) جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف، ص 66 ما يلي: «قال أبو يوسف: حدثني أشعث بن سوار عن محمد بن سيرين قال: كان لرسول الله ﷺ من كل غنيمة صفيّ يصطفيه، فكان الصفيّ يوم خيبر صفيةَ بنت حييّ.

(3) أي: شيء محدّد مقدرّ.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: والذي نفسي بيده، ما أعطيكم شيئاً ولا أمنعكموه، إنما أنا خازن أضع حيث أمرت[1].

ذكروا عن معاوية أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما أنا قاسم، والله يعطي[2].

ذكر بعض أهل العلم قال: تقسم الغنائم على خمسة أخماس؛ فخمس منها لله والرسول، فهذا سهم واحد، ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وأربعة أخماس لأهل القتال. فأما سهم ذي القربى فإن أبا بكر وعمر حملا عليه في سبيل الله.

ذكروا أن نجدة كَتَبَ إلى ابن عباس يسأله عن سهم ذي القربى فكتب إليه: إنا كنا نراه لقرابة رسول الله فأبى ذلك علينا قومنا[3].

ذكر بعض أهل العلم قال: ما بيع بذهب أو فضة ففيه خمس الله وسهام المسلمين. ولا بأس بأكل الطعام ما لم يُبع فيصير ذهباً أو فضة.

ذكر ابن عمر أن رسول الله ﷺ جعل يوم خيبر[4] للفارس سهمين وللراجل سهماً.

ذكروا أن أربعة من المسلمين قدموا على النبي ﷺ ومعهم فرس، فأعطى الفرس سهمين، وأعطاهم سهماً سهماً.

(1) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى فإن لله خمسه عن أبي هريرة وفيه: أنا قاسم أضع حيث أمرت.

(2) رواه البخاري أيضاً في نفس الكتاب والباب بلفظ: إنما أنا قاسم وخازن والله يعطي. وفيه عن معاوية: قال رسول الله ﷺ: والله المعطي وأنا القاسم.

(3) انظر نص كتاب ابن عباس إلى نجدة بن عويمر في صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم (رقم 1812) عن يزيد بن هرمز، واقرأه في كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ص 417 - 418.

(4) كذا في قع وع: «يوم خيبر»، وهو الصحيح، وفي ج ود: «يوم حنين».

ذكروا عن خالد بن الوليد أنه أُتِي بهجين فقال: لأن أَسَفَّ التراب أحبُّ إليّ من أن أقسم له. ذكر بعضهم قال: إن رسول الله ﷺ قسم للهجين سهماً[1].

وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يكون معه الأفراس فقال: لا يقسم لأكثر من فرسين، ولو كانت معه عشرة أفراس[2].

ذكروا أن نجدة كتب إلى ابن عباس يسأله عن المرأة والعبد يشهدان الغنيمة، فقال: ليس لهما من الغنيمة شيء، إلا أنه قال: يُحْذَيان[3].

وقال بعضهم: إذا قسمت الغنائم فلا يُخَص أحد دون أحد إلا راعٍ أو دليل.

ذكروا أن رسول الله ﷺ صلّى إلى جنب بعير ثم أخذ وَبَرَة منه فقال: ما لي ولكم منها مثل هذه، إلا الخُمُس، ثمَّ هو ردٌّ عليكم، فأَدُّوا الخيط والمِخيط، فإن الغلول نار وشنار[4] على أهله يوم القيامة[5].

ذكروا أن رجلاً من يعلين[6] قال لرسول الله ﷺ: هل أحد أحق بالمغنم من

(1) الهجين في الناس وفي الخيل من كان أبوه خيراً من أمه. فإذا كان الأب عتيقاً والأم ليست كذلك كان الولد هجيناً.

(2) وهذا رأي أبي يوسف القاضي ورأي مكحول كما ذكره أبو يوسف في كتاب الخراج ص 60.

(3) في ج ود: «يحذيان» كذا بدون نقط، وفي ق «يَحْذِيان» كذا ضبطت، وفي ع: «يجديان»، وفي كل منها تصحيف، والصواب: يُحذَيان، أي: يعطيان شيئاً ولكن لا يُسهم لهما. قال الجوهري: «أحذيته من الغنيمة إذا أعطيته منها». والحذِيّة، والحِذوة والحُذَيا، العطية القليلة من الغنيمة. وترجم أبو داود في كتاب الجهاد من سننه، باب في المرأة والعبد يحذيان من الغنيمة.

(4) الشنار: العيب والعار.

(5) رواه الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت، ورواه النسائي عن عمرو بن عَبَسَة السّلمي، ورواه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في فداء الأسير بالمال (رقم 2694) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده في قصة وفد هوازن.

(6) كذا في ق وع: «يعلين»، وفي د بياض، وفي ج لمن (كذا) ولم أهتدِ إلى كلمة تشبه هذه علَماً لقبيلة أو مكان حتى أحققه، وقد ورد هذا الحديث في تفسير ابن كثير ج 3 ص 321 من رواية البيهقي عن عبد الله بن شفيق عن رجل، ولم ينسب الرجل.

أحد؟ قال: لا، حتى السهم يأخذه أحدكم من جنبه فليس بأحق منه.

ذكروا عن الحسن. قال: قيل لرسول الله ﷺ: استُشْهِدَ فتاك فلان قال: كلّا، إني رأيته يُجر إلى النار بعباءة غَلّها[1].

قوله: ﴿ إِنْ كُنتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ ﴾ أي يوم بدر، فرق الله فيه بين الحق والباطل [فنصر الله نبيه وهزم عدوه][2]. قال: ﴿ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ أي جَمْع المسلمين وجمع المشركين ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا ﴾ أي عدوة الوادي بأعلى الوادي ﴿ وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ ﴾ أي أسفل الوادي. ﴿ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ يعني أبا سفيان وأصحاب العير.

قال الكلبي: كان أبو سفيان والعير أسفل من الوادي ـ زعموا ـ بثلاثة أميال في طريق الساحل، لا يعلم المشركون مكان عيرهم، ولا يعلم أصحاب العير مكان المشركين.

قال بعضهم: العدو كان شفير الوادي؛ كان المسلمون بأعلاه، وكان المشركون بأسفله، والركب يعني به أبا سفيان والعير، الخدم فانطلق على حورسه[3].

(1) حديث صحيح أخرجه الترمذي في أبواب السير، باب ما جاء في الغلول عن ابن عباس عن عمر ابن الخطاب مرفوعاً، وكذلك رواه أحمد من طريق ابن عباس عن عمر بن الخطاب، وانظر ما سلف ج 1 ص 329، تعليق 1.

(2) زيادة من ز، ورقة 119.

(3) كذا وردت هذه الجملة في ع وق: «الخدم فانطلق على حورسة»، وفي ج ود: «الحرم فانطلق على حورسه» ولم أهتدِ لما في الجملة من تصحيف حتى أصححه. وقد أشكلت الجملة من قبل على المحقق الكبير الشيخ محمود محمد شاكر في تفسير الطبري ج 13 ص 564. حيث ذكر أنها جاءت في المخطوطة: «انخدم بالعير على حورمه». أما عبارة الواقدي في المغازي ج 1 ص 41 فهكذا: «فضرب وجه عيره، فساحل بها، وترك بدراً يساراً، وانطلق سريعاً». ونقل هذه الجمل الطبري في تاريخه ج 2 ص 437 نقلاً يكاد يكون حرفياً. نقلها من مغازي الواقدي، ولم يشر إلى هذا المصدر.

قال: ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ ﴾ أي: أنتم والمشركون ﴿ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي المِيعَادِ ﴾ قال الحسن: لو تواعدتم فيما بينكم فقلتم نصنع كذا وكذا لاختلفتم في الميعاد. ﴿ وَلَـٰكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً ﴾ أي فيه نصركم والنعمة عليكم.

قوله: ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ﴾ أي بعد الحجة والبيان. كقوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَّشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَّشَاءُ) [إبراهيم: 4] أي بعد البيان. ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَـٰزَعْتُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ قال الكلبي: إن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر وأخبره الله بسير المشركين أراه المشركين في منامه قليلاً، فقال رسول الله: أبشروا فإن الله أراني المشركين في منامي قليلاً[1]، فقال المسلمون عند ذلك: رؤيا رسول الله حق، والقوم قليل.

قوله: (وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ) قال الحسن: لجبنتم. (وَلَتَنَـٰزَعْتُمْ فِي الأَمْرِ) أي: ولاختلفتم في الأمر، أي أمر الله ورسوله. وقال مجاهد: لفشلت يا محمد فيفشل بذلك أصحابك. ﴿ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ﴾ أي من ذلك، سلم للمسلمين أمرهم، وهزم عدوهم. ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾. أي بما في الصدور. قال الحسن: من علمه بما في صدوركم قلّلهم في أعينكم، وأذهب الخوف الذي كان في صدوركم.

قوله: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾. قال الكلبي إن المسلمين لما عاينوا المشركين يوم بدر رأوهم قليلاً فصدقوا رؤيا رسول الله. وقلّل الله المسلمين في أعين المشركين، فاجترأ المؤمنون على المشركين لقلتهم في أعينهم، واجترأ المشركون على المؤمنين لقلتهم في أعينهم. ﴿ لِيَقْضِيَ

(1) لم أجده بهذا اللفظ، ولكنه تفسير واضح للآية؛ ففي تفسير الطبري ج 13 ص 570: «عن مجاهد.. قال: أراهم الله إياهم في منامه قليلاً، فأخبر النبي ﷺ أصحابه بذلك، فكان تثبيتاً لهم».

اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً ﴾ أي: فيه نصركم والنعمة عليكم. ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورِ ﴾.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً ﴾ يعني من المشركين ﴿ فَاثْبُتُوا ﴾ في صفوفكم ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي لكي تفلحوا.

قال بعضهم: افترض الله ذكره عند أشغل ما يكون الناس، عند الضراب بالسيوف.

ذكروا عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: لا تتمنّوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإن جاءوكم يرجفون ويصيحون ويبرقون فالزموا الأرض جلوساً، واعلموا أن الجنة تحت الأبارق[1].

ذكر الحسن عن قيس بن عباد قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون الصوت عند ثلاثة: عند القتال، وعند الجنائز، وعند قراءة القرآن.

ذكروا عن ابن عباس أنه كان يكره التلثم عند القتال.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: اطلبوا إجابة الدعاء عند ثلاثة: عند إقامة الصلاة، وعند التقاء الجيوش، وعند نزول الغيث[2].

قوله: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا ﴾ قال بعضهم: لا تختلفوا فتجبُنوا. قوله: ﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ أي يذهب نصركم. قال مجاهد: ويذهب نصركم؛ قال: فذهب نصر أصحاب محمد ﷺ حين نازعوه يوم أُحد. قال:

---

(1) هذا لفظ حديث مختصر. وقد أخرجه عبد الرزاق عن يحيى بن أبي كثير، وفيه قبل آخره: «فإذا دنوا منكم فثوروا إليهم، واعلموا أن الجنة تحت البارقة. وجاء في صحيح البخاري، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس؛ عن عبد الله بن أبي أوفى قال رسول الله ﷺ حين قام خطيباً في الناس: أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف. وفي رواية لعبد الله بن عمرو: فإذا لقيتموهم فأثبتوا واذكروا الله كثيراً، فإن صخبوا وصاحوا فعليكم بالصمت.

(2) أخرجه البيهقي في المعرفة عن مكحول مرسلاً.

﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّـٰبِرِينَ﴾ أي في العون والتأييد.

قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني المشركين. ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ أي: يحفظها عليهم حتى يجازيهم بها.

قوله: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَـٰنُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

قال الكلبي[1]: إن المشركين لما خرجوا من مكة إلى بدر أتاهم الخبر، وهم بالجحفة[2] قبل أن يصلوا إلى بدر، أن عيرهم قد نجت؛ فأراد القوم الرجوع. فأتاهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم[3]، فقال: يا قوم، لا ترجعوا حتى تستأصلوهم، فإنكم كثير، وعدوكم قليل، فتأمن عيركم. وإني جار لكم على بني كنانة ألا تمروا على حي من بني كنانة إلا أمدوكم بالخيل والرجال والسلاح. فمضوا كما أمرهم للذي أراد الله من هلاكهم.

فالتقوا هم والمسلمون ببدر؛ فنزلت الملائكة مع المسلمين [في صف][4]، وإبليس في صف المشركين في صورة سراقة بن مالك. فلما نظر إبليس إلى الملائكة مع المسلمين نكص على عقبيه. وأخذ الحارث بن هشام المخزومي بيده فقال: يا سراقة، على هذه الحال تخذلنا؟ فقال: إني أرى ما لا ترون، أي الملائكة، إني أخاف الله والله شديد العقاب. فقال له الحارث: ألا كان هذا القول أمس. فلما رأى

(1) في بعض المخطوطات اضطراب وحذف أثبت التصحيح والزيادة من ز، ورقة 120.

(2) الجحفة، قرية على طريق المدينة على ثلاث مراحل وقيل أربع مراحل من مكة، وسميت كذلك لأن السيل أجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام. وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ج 2 ص 111.

(3) هو سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، يكنى أبا سفيان. انظر ترجمته في الاستيعاب لابن عبد البر، ج 2 ص 581.

(4) زيادة من ز، ورقة 120.

إبليس أن المؤمنين أقبلوا إليهم، دفع في صدر الحارث فخرّ، وانطلق إبليس وانهزم المشركون.

فلما قدموا مكة قالوا: إنما انهزم بالناس سراقة بن مالك ونقض الصف، ثم انهزم الناس. فبلغ ذلك سُراقة، فقدم عليهم مكة فقال: بلغني أنكم تزعمون أني انهزمت بالناس؛ فوالذي يحلف به سراقة ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم. فجعلوا يذكّرونه: أما أتيتنا يوم كذا وكذا، وقلت لنا كذا وكذا؟ فجعل يحلف لهم. فلما أسلموا علموا أنه الشيطان.

ذكروا أن مجاهداً قال: هو أبو جهل وأصحابه يوم بدر.

ذكر بعضهم قال: كان الذين قاتلوا نبي الله يوم بدر خرجوا ولهم بغي وفخر. وقد قيل لهم يومئذٍ: ارجعوا فقد انطلقت عيركم، وقد ظفرتم. فقالوا: لا والله حتى يبلغ أهل الحجاز مسيرُنا وعددُنا.

وأما قوله: (لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ) أي إنه ليس أحد من الناس يغلبكم اليوم في تفسير الحسن. (وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ) أي معكم. وقوله: (نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ) أي رجع على عقبيه هارباً. وقوله: (إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ) إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ أي أنه رأى جبريل يزع الملائكة. وقال الحسن: رأى الملائكة تضرب وجوه المشركين. وقال بعضهم: ذكر لنا أن الشيطان رأى جبريل تنزل معه الملائكة.

قوله: (إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ) قال بعضهم: كذب، ولكن علم أن لا طاقة لهم بهم. قال الكلبي: أما قوله: (إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ) فصدق. وأما قوله: (إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ) فكذب.

قوله: ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَـٰفِقُونَ وَالذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ وهم المنافقون أيضاً. والمرض في تفسير الحسن الشك[1]. وفي تفسير العامة المرض النفاق، وهو واحد، إلا أنه كلام مثنى[2].

---

(1) كذا في ق وع: «الشك»، وفي ج ود: «الشرك» وما أثبته هو الصحيح إن شاء الله.

(2) أي كلام مكرر، أو مترادف، وسياق الكلام وروح اللغة العربية تأبى ما ذهب إليه المؤلف هنا. =

﴿ غَرَّ هَـٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ﴾ قال الكلبي: بلغنا أن المشركين لما نفروا من مكة إلى بدر لم يخلفوا بعدهم أحداً قد احتلم، فنفر معهم أناس كانوا أجابوا إلى الإسلام وتكلموا به. فلما رأوا قلة المؤمنين ارتابوا ونافقوا وقاتلوا مع المشركين، وقالوا: غَرَّ هَـٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ، يعنون المؤمنين. قال الله: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أي عزيز في نقمته، حكيم في أمره.

قوله: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الذِينَ كَفَرُوا المَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴾ يعني في يوم بدر ضربت الملائكة وجوه المشركين وأدبارهم ﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ ﴾ أي في الآخرة. ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾.

قوله: ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ قال الحسن: كفعل آل فرعون وجحودهم؛ يقول فعل المشركون كما فعل آل فرعون. ﴿ وَالذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي الكفار ﴿ كَفَرُوا بِئَايَـٰتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بذنوبهم ﴾ أي فعذبهم الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾.

قوله: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ أي إذا جحدوا الرسول وكذبوه أهلكهم الله. ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

قوله: كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ والذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِئَايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ وفرعون معهم. أي غيّر هؤلاء كما غيّر آل فرعون والذين من قبلهم فأهلكهم الله. كقوله: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ). [إبراهيم: 28] وهم المشركون من أهل بدر. والبوار الهلاك. قال: ﴿ وَكُلٌّ كَانُوا ظَـٰلِمِينَ﴾ لأنفسهم.

قوله: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي الذين

= فليس المنافقون والذين في قلوبهم مرض صنفاً واحداً. وقد نسب إلى ابن عباس القول بأن المنافقين هم قوم من أهل المدينة من الأوس والخزرج. أما الذين في قلوبهم مرض فهم الذين تكلموا بالإسلام في مكة وأخرجهم المشركون معهم إلى بدر. وانظر مختلف مذاهب العلماء في هذين النوعين في زاد المسير لابن الجوزي، ج 3 ص 367 - 368.

يموتون على كفرهم. وقوله: ﴿ شَرَّ الدَّوَابِّ ﴾ أي: شر الخلق. كقوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّم خَالِدِينَ فِيهَا أُولَـئِكَ هُمْ شَرُّ البَرِيئَةِ ﴾ [البينة: 6] والبرية خلق الله.

قوله: ﴿ الذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ فَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ ﴾. قال الكلبي. هؤلاء قوم ممن كان وادع رسول الله عليه السلام، وكانوا ينقضون العهد فأمر الله فيهم بأمره فقال:

﴿ فإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ [أي تظفر بهم][1] ﴿ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ أي لعل من بقي منهم أن يذكر ما فعل بمن عذب. وقال مجاهد: أهل قريظة مـالأوا[2] على النبي يوم الخندق.

وقال الحسن: لعلهم يؤمنون مخافة أن ينزل بهم ما نزل بالذين نقضوا العهد.

قال بعضهم: كان أنزل في سورة محمد [الآية: 4]: ﴿ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ فكانوا إذا أخذوا أسيراً لم يكن لهم إلا أن يفادوه، أو يمنوا عليه فيرسلوه، فنسختها هذه الآية: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾ أي: فعظ بهم من سواهم لعلهم يذكرون.

ذكر رجل من خولان قال: كنا مع عبد الله بن مسعود صاحب النبي عليه السلام في غزوة فكان إذا أُتي[3] بأسارى قال: لعل لأحد منهم عندكم عهداً، فإن قالوا لا قُسِم أو قُتِل.

---

(1) زيادة من ز ورقة 120.

(2) في كل المخطوطات: «مالوا على النبي» وأثبت ما في تفسير مجاهد، ص 266: «مالأوا على نبي الله» وفي تفسير الطبري ج 14 ص 22: «مالأوا على محمد يوم الخندق أعداءه».

(3) كذا في المخطوطات كلها «أوتي»، وصوابه: أُتِي بأسارى. نعم جاء في اللغة العربية: آتى به، ولكن معناه جازى؛ وقد جاء في معاني القرآن للفراء ج 2 ص 205 ما يلي: وقرأ مجاهد: ﴿ آتينا بها ﴾ بمد الألف، يريد جازينا بها على فاعلنا وهو وجه حسن». وذلك في قوله تعالى: ﴿ وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ﴾ [الأنبياء: 47].

قوله: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾ أي تعلمن من قوم خيانة، أي: نقضاً للعهد، يعني إذا هم نقضوا. كقوله: (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا) [النساء: 35] أي: وإن علمتم شقاق بينهما، وذلك إذا كانا قد وقع الشقاق بينهما. ﴿ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ أي على أمر بيِّن. أي أعلمهم أنك حَرْبٌ لهم. وقوله: (عَلَى سَوَاءٍ) أي: يكون الكفار كلهم عندك سواء. ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الخَائِنِينَ ﴾ لدينهم أذا نقضوا العهد. وقال مجاهد: هم أهل قريظة.

قوله: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ﴾ [أي: فاتوا. ثم ابتدأ فقال][1] ﴿ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ أي لا يعجزون الله فيسبقونه حتى لا يقدر عليهم.

قوله: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ قال بعضهم: النَّبل. وقال الحسن: ما استطعتم من قوة تقوون بها عليهم.

ذكر عمرو بن عبسة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من رمى سهماً في سبيل الله فأصاب العدو أو أخطأه فهو كعتق رقبة[2].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن الله ليدخل الجنة بالسهم الواحد الثلاثة من الناس: صانعه يحتسب به في صنعته الخير، والمُمِدَّ به، والذي يرمي به. ثم قال رسول الله ﷺ: ارموا واركبوا، وأن ترموا أحبّ إليّ من أن تركبوا، ومن ترك الرمي بعد ما علمه فهي نعمة كفرها[3].

قوله: ﴿ وَمِن رِّبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ أي تخوفون به عدو الله وعدوكم. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من ارتبط فرساً في سبيل الله فهو كباسط يده بالصدقة لا يقبضها[4].

---

(1) زيادة من ز، ورقة 120.

(2) أخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد، باب الرمي في سبيل الله عن عمرو بن عبسة. (رقم 2812).

(3) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن عقبة بن عامر الجهني. فأخرجه ابن ماجة في كتاب الجهاد، باب الرمي في سبيل الله (رقم 2811) وفي آخره: وكل ما يلهو به المرء المسلم باطل إلا رميَه بقوسه، وتأديبَه فرسه، وملاعبتَه امرأتَه، فإنهن من الحق.

(4) هذا من حديث رواه البيهقي عن الحسن بن أبي الحسن عن سهل ابن الحنظلية قال: سمعت =

ذكروا عن علي بن أبي طالب قال: من ارتبط فرساً في سبيل الله كان روثه وأثَرُهُ في أجره.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال في الخيل: من اتخذها يعدها في سبيل الله فله بكل ما غيّبت في بطونها أجر. وإن مرت بمرج فرعت فيه كان له بكل ما غيبت في بطونها أجر. وإن استنّت[1] شرفاً كان له بكل خطوة أجر، حتى ذكر أرواثها وأبوالها[2].

قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي: من دون المشركين ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ قال مجاهد: هم قريظة. وقال الحسن: هم المنافقون. وقال بعضهم: الجن. قوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

قوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾ أي مالوا ﴿لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ والسلم هو الصلح. قوله: ﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾ أي للموادعة. قال مجاهد: هم قريظة. وقال بعضهم: نسخها في هذه الآية: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) [التوبة: 5]. قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي فلا أسمع منه ولا أعلم منه.

قوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ قال مجاهد: هم قريظة.

= رسول الله ﷺ يقول: الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها، ومن ربط فرساً في سبيل الله كانت النفقة عليه كالمادِّ يده بالصدقة لا يقبضها. وانظر الأحاديث الواردة في فضل ارتباط الخيل في الدر المنثور للسيوطي ج 3 ص 194 - 198.

(1) أي عَدَت لِمَرَحها ونشاطها شوطاً أو شوطين (انظر اللسان: (سنن) و(شرف) وانظر الخطابي، غريب الحديث ج 1 ص 522. وفيه: «سنّت شرفاً: أي عدت طَلَقاً. يقال سن الفرس إذا لَجَّ في عدوه مقبلاً ومدبراً».

(2) حديث متفق على صحته، أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة عن أبي هريرة وقد سُئِلَ النبي عليه السلام عن الخيل. فأجاب بلفظ أطول مما هو هنا، وأخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من احتبس فرساً لقوله تعالى: ومن رباط الخيل، عن أبي هريرة ولفظه: من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة. وأخرجه ابن ماجة في كتاب الجهاد، باب ارتباط الخيل في سبيل الله (رقم 2788).

وقال الحسن: يعني المشركين، يقول: إن هم اظهروا لك الإيمان وأسرّوا الكفر ليخدعوك بذلك [لتعطيهم حقوق المؤمنين وتكف عن دمائهم وأموالهم][1] فإن حسبك الله.

﴿ هُوَ الذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ ﴾ أي أعانك بنصره ﴿ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ يعني قلوب المؤمنين ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ يعني أنهم كانوا أهل جاهلية يقتل بعضهم بعضاً ويسبى بعضهم بعضاً، متعادين، فألّف الله بين قلوبهم حتى تحابّوا وذهبت الضغائن التي كانت بينهم بالإسلام ﴿ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أي عزيز في نقمته حكيم في أمره.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ أي: حثهم على القتال، حرضهم بما وعد الله الشهداء في الجنة والمجاهدين.

قوله: ﴿ إِن يَكُنْ مِّنْكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ تَكُنْ مِّنْكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِّنَ الذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ قال الحسن: كان الله افترض هذا في هذه الآية فأمر المسلمين أن يصبروا لعشرة أمثالهم إذا لقوهم. ثم أنزل الله التخفيف بعد ذلك فقال:

﴿ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ تَكُن مِّنْكُم مائة صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُنْ مِّنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّـٰبِرِينَ﴾ فأمر الله المسلمين أن يصبروا لمِثلَيْهم إذا لقوهم. فلم يقبض رسول الله ﷺ حتى أظهر الله الإسلام[2] وصار الإسلام تطوّعاً.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 121.

(2) كذا من المخطوطات، وفي ز: «حتى أظهر الله الدين وأعزّه وصار الجهاد تطوّعاً. قال ابن عباس: =

ذكروا عن ابن عباس قال: كان جعل على كل رجل عشرة فجعل بعد ذلك على كل رجل رجلين.

قوله: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾. كان هذا في أسارى بدر.

قال بعضهم: كان أبو بكر أحبّ أن يقبل منهم الفداء، وأراد عمر أن يُقتلوا. فأنزل الله هذه الآية ثم قال: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

وقال الكلبي: ما كان لنبي قبلك يا محمد أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض. قال: لولا كتاب من الله سبق أنكم الذين تأكلون الغنائم لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم.

وقال الحسن: يقول: فأخذتم الفداء من الأُسارى في أول وقعة كانت في المشركين من قبل أن تثخنوا في الأرض. وقال الحسن: لم يكن أوحِيَ إلى النبي في ذلك بشيء فاستشار المسلمين فأجمع رأيهم على الفداء.

ذكر بعضهم قال: كان أراد أصحاب نبي الله يومئذٍ الفداء، ففادوا أسارى بدر يومئذٍ بأربعة آلاف أربعة آلاف. وما أثخن نبي الله يومئذٍ في الأرض.

وقال بعضهم في قوله: (لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) أي سبق لهم من الله الخير، وسبق لهم أنهم استُحلّ لهم الغنائم.

وقال الحسن: لولا كتاب من الله سبق أن لا يعذب أهل بدر لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: لا يدخل النار من شهد بدراً

= فمن فرّ من ثلاثة من المشركين فلم يفر، ومن فر من اثنين فقد فرّ، ولا ينبغي لرجل من المسلمين أن يفر من رجلين من المشركين». انظر ز ورقة 121.

والحديبية، فقالت حفصة بلى، فانتهرها، في حديث بعضهم، فقالت أليس يقول الله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فقال: أوليس قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾ [مريم: 71 - 72][1].

ذكروا عن عكرمة قال: ما أُحلّت الغنيمة قبلكم ولا حُرِّمت الخمر على أحد قبلكم. وقال بعضهم: لم تحل الغنيمة إلا لهذه الأمة؛ كانت تجمع فتنزل عليها نار من السماء فتأكلها.

قال: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَلاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي فلا تعصوه ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا النَّبِي قُل لِّمَنْ فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ إِن يَّعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً﴾ أي إسلاماً ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ﴾ أي يعطيكم في الدنيا خيراً مما أخذ منكم ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ أي كفركم وقتالكم النبي. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي لمن تاب وآمن وعمل صالحاً.

ذكروا أن رسول الله ﷺ لما قدم عليه مال البحرين أمر العباس أن يأخذ منه. فجعل العباس يحثى في جيوبه ويقول: هذا خير مما أخذ منا، وأرجو المغفرة مع ذلك.

وقال الحسن: إن النبي أطلق الأسارى فمن شاء منهم رجع إلى مكة، ومن شاء منهم أقام معه. ذكروا أن الطلقاء أهل مكة، والعتقاء أهل الطائف.

قوله: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾ قال الحسن: يعني الطلقاء، بما أقروا لك به من الإيمان. ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل إقرارهم لك بالإيمان. وهي خيانة

---

(1) أخرجه مسلم وأحمد والترمذي وابن ماجة وغيرهم، أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة... عن أم مبشر الأنصارية امرأة زيد بن حارثة (رقم 2496). وأخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد، باب ذكر البعث (رقم 4281).

(2) رواه الطبري في تفسيره ج 14 ص 73 - 74 عن قتادة مرسلاً، وعن ابن عباس.

فوق خيانة، وخيانة دون خيانة. قال: ﴿ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ حتى صاروا أسارى في يديك. ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

ذكر بعضهم قال: ذكر لنا أن رجلاً[1] كان يكتب لرسول الله ثم نافق ولحق بالمشركين بمكة فقال: والله ما كان محمد يكتب إلا ما شئت. فلما سمع ذلك رجل من الأنصار نذر لئن أمكنه الله منه ليضربنّه بالسيف. فلما كان يوم الفتح جاء به رجل من عامة المسلمين كانت بينه وبينه رضاعة فقال: يا نبي الله، هذا فلان قد أقبل تائباً نادماً. فأعرض عنه نبي الله. فلما سمع به الأنصاري أقبل متقلداً سيفه. فطاف به ساعة. ثم إن نبي الله قدم يده للمبايعة فقال: أما والله لقد تَلَوَّمتك[2] هذا اليوم لتوفي فيه نذرَك. فقال: يا نبي الله، هَيْبَتُك والله منعتني، فلولا أومضت إليّ[3]. قال: إنه لا ينبغي لنبي أن يومض، إنما بعثوا بأمر علانية ليس فيه دنس ولا رمس[4].

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا ﴾ أي إلى المدينة ﴿وَجَـٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِـمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ يعني المهاجرين ﴿ وَالذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوا ﴾ يعني الأنصار آووا المهاجرين لأنهم أهل الدار ونصروا الله ورسوله. ﴿ أُولَـٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ يعني المهاجرين والأنصار.

ذكروا أن المهاجرين قالوا: يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن بذلاً في كثير، ولا أحسن مواساة في قليل، قد كفونا المؤونة، وأشركونا في المَهْنَإ؛ قد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله. قال: كلّا ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم.

(1) قيل: هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح.
(2) تلوّم في الأمر: تمكّث وانتظر.
(3) أومض، أي: أشار إليه إشارة خفية، وهو من أومض البرق، ومنه أومضت المرأة إذا سارقت النظر.
(4) الرمس: الصوت الخفي. ورمس الخبر والحديث أخفاه وكتمه. وقد روى الطبري في تفسيره ج 14 ص 76 هذا الخبر عن قتادة في قصة عبد الله بن سعد بن أبي سرح، ولم ترد فيه الجملة الأخيرة.

قوله: ﴿ وَالذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلَايَتِهِم مِّنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا ﴾ هذا في الميراث.

قال بعضهم: نزلت هذه الآية فتوارث المسلمون زماناً بالهجرة. وكان الأعرابي المسلم لا يرث من قريبه المهاجر شيئاً. [ثم نسخ ذلك][1] في سورة الأحزاب في هذه الآية: (وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ) [الأحزاب: 6] فخلط الله المؤمنين بعضهم ببعض وصارت المواريث بالملل.

غير واحد من العلماء أن رسول الله ﷺ قال: لا يتوارث أهل ملتين.

ذكر عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر، لا يتوارث أهل ملتين شتى [2].

وقال الحسن: أراد أن يحض الأعراب على الهجرة، فلم يكن االأعرابي يرث المهاجر ولا المهاجر الأعرابي. وهو منسوخ.

قوله: ﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ﴾ لهم، يعني الأعراب، لحرمة الإسلام. ﴿ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾ يعني أهل الموادعة وأهل العهد من مشركي العرب، من كان بينه وبين رسول الله عهد، فنهي المسلمون عن أهل ميثاقهم ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ أي: لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

قوله: ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ أي في الألفة والجماعة على معاصي الله. ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾.

---

(1) جاء في المخطوطات الأربع: «حتى نزلت هذه الآية في سورة الأحزاب» وأثبت ما ورد في ز ورقة 122، وفي تفسير الطبري ج 14 ص 80.

(2) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب الفرائض، باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم، وكذلك أخرجه مسلم في أول حديث في كتاب الفرائض (1614) كلاهما عن أسامة بن زيد. وأخرجه الربيع ابن حبيب في مسنده في المواريث عن أسامة بن زيد، (671) وقال الربيع: يعني بالكافر ها هنا المشرك. وأخرجه أحمد في مسنده والترمذي في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

نزلت هذه الآية حين أُمِر النبي بقتال المشركين كافة، وقد كان قوم من المشركين يكونون بين رسول الله وبين حربه[1] من قريش. فإذا أرادهم رسول الله قالوا له: ما تريد منا ونحن كافّون عنك، وقد نرى ناركم. وكان أهل الجاهلية يعظمون النار لحرمة قرب الجوار، لأنهم إذا رأوا نارهم فهم جيرانهم. وإذا أرادهم المشركون قالوا: ما تريدون منا ونحن على دينكم. فأنزل الله: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ أي: فألحقوا المشركين بعضهم ببعض حتى يكون حكمكم فيهم واحداً. ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ ﴾ أي شرك ﴿ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾.

وقال بعضهم: كان [ينزل][2] الرجل بين المشركين والمسلمين فيقول: أيهم ظفر كنت معه، فأنزل الله في ذلك. فلا تراءى ناران: نار مشرك ونار مسلم إلا صاحب جزية مُقِرّ بها.

ذكروا أن رسول الله ﷺ بعث سرية إلى أناس من خثعم كان فيهم لهم وليجة[3] ولجوا إليهم. فلما رأوهم استعصموا بالسجود فقتل بعضهم. فبلغ ذلك النبي عليه السلام فقال: أَعطوهم نصف العقل. ثم قال يومئذٍ عند ذلك: ألا إني بريء من كل مسلم مع مشرك في داره. قيل: لِمَ يا رسول الله؟ قال: ألا لا تراءى ناراهما[4].

---

(1) أي: وبين أعدائه من قريش. يقال: أنا حرب لمن حاربني، وهم حرب، كذلك. وقيل إن الكلمة جمع حارب أو محارب على حذف الزائد، كما يقال هم قوم سفر لجماعة المسافرين. انظر اللسان (حرب).

(2) زيادة من تفسير الطبري، ج 14 ص 85 للإيضاح. والقول لقتادة، وفي آخره: «إلا صاحب جزية مقر بالخراج».

(3) الوليجة: بطانة الرجل وخاصته. وقيل هي: بطانة الرجل من غير أهله خاصة. وقال الفراء في معاني القرآن ج 1 ص 426: هي البطانة من المشركين. وقال السجستاني في غريب القرآن ص 204: «والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة».

(4) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود (2645) وأخرجه الترمذي في السير، باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين، كلاهما من حديث جرير ابن عبد الله، ولفظه عند أبي داود: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، قالوا يا رسول الله، لم؟ قال لا تراءى ناراهما».

ذكر الحسن قال قال رسول الله ﷺ: لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم، فمن ساكنهم أو جامعهم فهو منهم[1]. وهذا مثل الحديث الأول.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوا﴾ يعني الأنصار ﴿أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ أي لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي الجنة.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدُ﴾ أي: من بعد فتح مكة ﴿وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ﴾ أي مع النبي عليه السلام والمؤمنين ﴿فَأُوْلَـٰئِكَ مِنكُمْ﴾ أي مؤمنون مثلكم، ولا هجرة بعد فتح مكة. قال الحسن: يعني الهجرة التي كانت مع النبي عليه السلام. قال: إلا أن الهجرة إلى الأمصار قائمة إلى يوم القيامة.

ذكروا أن صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو ورجل آخر قد سموه[2] قدموا على النبي عليه السلام المدينة فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: إنا سمعنا أنه لا يدخل الجنة إلا من هاجر. فقال: إن الهجرة قد انقطعت، ولكن جهاد ونية حسنة[3]. ثم قال: أقسمت عليك أبا وهب، يعني صفوان بن أمية، لترجعن إلى أباطيح مكة[4].

قوله: ﴿وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

---

(1) أخرجه الترمذي في السير، في نفس الباب السابق عن سمرة بن جندب، وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الإقامة بأرض الشرك (2787). وانظر فقه هذين الحديثين في شرح السنة للبغوي ج 10 ص 244 - 247.

(2) ورد ذكره في ز، ورقة 222، وهو عكرمة بن أبي جهل.

(3) رواه الجماعة إلا ابن ماجة من حديث ابن عباس. فقد رواه البخاري في كتاب الحج، باب لا يحل القتال بمكة، ولفظه: قال النبي ﷺ يوم افتتح مكة: لا هجرة، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا...».

(4) روى الطبري في تفسيره ج 14 ص 83، «عن ابن عباس قال: ترك النبي ﷺ الناسَ يوم توفي على أربع منازل: مؤمن مهاجر، والأنصار، وأعرابي مؤمن لم يهاجر... والرابعة التابعون بإحسان». وانظر ترجمة صفوان بن أمية وقصته مع الرسول ﷺ في الاستيعاب لابن عبد البر، ج 2 ص 718، وفي سير أعلام النبلاء، ج 3 ص 405 - 408.

ذكروا أن أبا بكر الصديق قال: إن هذه الآية التي ختم الله بها سورة الأنفال: ﴿ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ ممن جرت الرحم من العصبة.

ذكروا أن مجاهداً قال: هذه الثلاث الآيات في خاتمة الأنفال فيهن ذكر ما كان كتب رسول الله ﷺ بين مهاجري المسلمين من كانوا وبين الأنصار في الميراث، ثم نسخ ذلك في آخر السورة: ﴿ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

تفسير سورة التوبة
وهي مدنية كلها[1]

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: قلت لعثمان بن عفان: كيف جعلتم الأنفال وهي من المثين مع براءة، وهي من الطول، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمٰـن الرحيم؟ فقال: إن رسول الله عليه السلام كان تنزل عليه الثلاث الآيات والأربع الآيات والخمس الآيات جميعاً وأقل من ذلك وأكثر فيقول: اجعلوا آية كذا وكذا في سورة كذا وكذا في موضع كذا وكذا، وأنه قبض ولم يقل لنا في الأنفال شيئاً، ونظرنا فرأينا قصصهما متشابها فجعلناها معها ولم نكتب بينهما سطر بسم الله الرحمٰـن الرحيم.

قوله: ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ يعني بالبراءة براءة من العهد الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين مشركي العرب. يقول للنبي ﷺ وأصحابه: (بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ)، ثم أقبل على أهل العهد من المشركين فقال:

﴿ فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ وكان ذلك بقية عهدهم من يوم النحر إلى عشر ليالٍ يمضين من ربيع الآخر، وهو العام الذي حجّ فيه أبو بكر الصديق ونادى فيه عليّ بالأذان.

---

(1) أذكّر أنه ورد في أول السور في مخطوطتي ق وع تعداد للآيات والكلمات والحروف، وهي من زيادة بعض النساخ ولا شك، وهي غير واردة في د وج، ولا في ز. لذلك لم أر ضرورة لإثباتها.

وفي تفسير الحسن أن النبي عليه السلام أمر أبا بكر أن يؤذن الناسَ بالبراءة. فلما مضى دعاه فقال: إنه لا يبلغ عني في هذا الأمر إلا من هو من أهل بيتي. وقال بعضهم: إلا من هو مني. فأمر بذلك علي بن أبي طالب، رضي الله عنه[1].

ذكر الأعمش عن بعض أشياخه أن النبي بعث ببراءة مع أبي بكر، ثم أتبعه علياً. فأمره أن ينادي بها. ورجع أبو بكر إلى النبي يبكي، فقال: يا رسول الله، هل أنزل في شيء؟ قال: لا. فذكر ما لا أحفظه[2] وحج أبو بكر بالناس[3] ذلك العام.

ذكروا أن مجاهداً قال: ﴿ إِلَى الذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾، يعني خزاعة ومدلج ومن كان له عهد غيرهم.

أقبل رسول الله ﷺ من تبوك حين فرغ منها، فأراد أن يحج. ثم إنه قال: إنه يحضر البيت مشركون يطوفون عراة، ولا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك. فأرسل أبا بكر وعلياً فطافا بالناس بذي المجاز وبأمكنتهم التي كانوا يتبايعون فيها، وبالموسم كله، فآذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر، وهي الأربعة الأشهر المنسلخات المتواليات: عشرون من آخر ذي الحجة إلى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر، ثم لا عهد لهم.

ذكروا أن أبا بكر أُمِّر يومئذٍ على الحاج، ونادى فيه علي بالأذان. وكان عام حجَّ فيه المسلمون والمشركون، فلم يحج المشركون بعده.

---

(1) ذكره ابن هشام في السيرة ج 3 ص 549 عن أبي جعفر محمد بن علي.

(2) خبر رجوع أبي بكر إلى الرسول ﷺ هذا أورده الطبري في تاريخه ج 3 ص 122 - 123 بسند عن السدي. وفيه أن رسول الله ﷺ أجاب أبا بكر حين سأله هذا: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله أَنَزَل في شأني شيء؟ قال: لا، ولكن لا يُبلِّغ عني غيري، أو رجل مني. أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار، وأنك صاحبي على الحوض؟ قال: بلى يا رسول الله. فسار أبو بكر على الحج، وسار علي يؤذن ببراءة».

(3) سقط تفصيل هذا الخبر كله من د؛ حيث وثب الناسخ من كلمة الناس التي جاءت قبل خمسة أسطر إلى شبيهتها هنا؛ فجاءت العبارة في د هكذا: «أمر أبا بكر أن يؤذن الناس ذلك العام، وهذا نموذج من سهو النساخ.

قوله: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ﴾ أي إنكم لستم بالذين تعجزون الله وتسبقونه في الأرض حتى لا يقدر عليكم. ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَـٰفِرِينَ ﴾.

قال: ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [أي وإعلام من الله ورسوله][1]، يعني بالأذان أن يؤذن للناس بذلك. ﴿ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴾ أي يوم النحر.

ذكروا عن علي قال: سئل رسول الله ﷺ عن يوم الحج الأكبر فقال: هو يوم النحر[2].

ذكر عن الحسن قال: إنما كان عاماً ولم يكن يوماً، يعني ذلك العام.

ذكروا عن مجاهد قال: وأذان من الله ورسوله إلى الناس كلّهم بالقتال إلا أن يؤمنوا وقال: الحج الأكبر، حين الحج، أيامه كلها.

قوله: ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ أي إن لم يؤمنوا ﴿ فَإِنْ تُبْتُمْ ﴾ يقول للمشركين: فإن تبتم من الشرك فأسلمتم ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أي عن الله ورسوله وعن دينه ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ﴾ أي لستم بالذين تعجزون الله فتسبقونه حتى لا يقدر عليكم.

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي بالقتل قبل عذاب الآخرة.

ثم رجع إلى قصة أصحاب العهد فقال: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً ﴾ أي لم يضروكم شيئاً ﴿ وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا ﴾ أي لم يعاونوا ﴿ عَلَيْكُمْ أَحَداً ﴾ من المشركين ﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾ أي إلى الأجل الذي عاهدتموهم عليه من يوم النحر إلى عشر يمضين من شهر ربيع الآخر. ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾.

قوله: ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ ذكروا

(1) زيادة من ز، ورقة 123.

(2) أخرجه الترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن علي رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ؛ فكان هو السائل عن يوم الحج الأكبر. انظر الدر المنثور ج 3 ص 211.

عن بعضهم قال: إنه ذكر في أول السورة أهل العهد فقال: (فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ) من يوم النحر خمسين ليلة إلى انسلاخ المحرم لمن لا عهد له. فأمر الله نبيه إذا مضى هذا الأجل في المشركين ممن لم يكن له عهد فقال: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ).

قال: ﴿ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ فأمر بقتالهم في الحلّ والحرم وعند البيت حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وأمره في أهل العهد أن يتم لهم عهدهم أربعة أشهر بعد يوم النحر إلى عشر يمضين من ربيع الآخر، ثم يُقتلون حيث وجَدَهم.

قال الحسن: (فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ) الأشهر الحرم في هذا الموضع الأشهر التي أُجِّلوا فيها والتي كانوا يَحْرُمون فيها على المسلمين لأنهم في عهد منها[1]، آخرها عشر ليالٍ يمضين من شهر ربيع الآخر؛ وسمّاها حرماً لأنه نهى عن قتالهم فيها وحرّمه. وقول الكلبي مثل القول الأول، لهم خمسون ليلة إلى انسلاخ المحرّم ثم يقتلون حيث وُجِدوا.

قال: ﴿ فَإِنْ تَابُوا ﴾ أي من الشرك ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ ﴾ أي وأقروا بالزكاة، لأن من المسلمين من لا تجب عليهم الزكاة ﴿ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي يغفر لهم الكفر إذا آمنوا. كقوله: (قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ) [الأنفال: 38].

وقال بعضهم في قوله: (إِلَّا الذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ المُشْرِكِينَ).. إلى آخر الآية، قال: هم مشركو قريش الذين عاهدهم نبي الله زمان الحديبية، وكان عهدهم أن لا إغلال ولا اسلال[2]. فغلّوا نبي الله ونكثوا العهد وظاهروا المشركين على المسلمين.

(1) كذا في المخطوطات، ولعل صوابها «في عهد منهم».
(2) لا إغلال ولا إسلال، أي: لا خيانة ولا سرقة، يقال: غلّ يغلّ غلولاً، وأغلّ بمعنى خان خيانة. ورجل مُغِلّ مُسِلّ، أي: صاحب خيانة وسلّة. قال شريح: ليس على المستعير غيرِ المغِلّ ولا =

قوله: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ﴾ ليسمع كلام الله ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَٰمَ اللَّهِ ﴾ فإن أسلم أسلم وإن أبى أن يسلم فـ[1]﴿ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ أي لا تحركه حتى يبلغ ما منه. قال الحسن: هي محكمة إلى يوم القيامة.

وقال مجاهد: هو إنسان يأتيه فيسمع كلام الله ويسمع ما أنزل الله فهو آمن حتى يبلغ مأمنه من حيث جاء. قال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وهم المشركون.

وقال الكلبي: إن أناساً من المشركين ممن لم يكن لهم عهد ولم يوافوا الموسم ذلك العام بلغهم أن رسول الله أمر بقتال المشركين ممن لا عهد له إذا انسلخ المحرم. فقدموا على رسول الله بالمدينة ليجدّدوا حِلفاً، وذلك بعد ما انسلخ المحرَّم، فلم يصالحهم رسول الله إلا على الإسلام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فأبوا، فخلّى رسول الله سبيلَهم حتى بلغوا مأمنهم. وكانوا نصارى من بني قيس بن ثعلبة، فلحقوا باليمامة حتى أسلم الناس، فمنهم من أسلم، ومنهم من أقام على نصرانيته.

قوله: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [أي ليس العهد إلا لهؤلاء الذين لم ينكثوا][2].

وقال مجاهد: هم قوم كان بينهم وبين النبي عهد ومدة، فأمره أن يوفي لهم بعهدهم ما أوفوا، ولا ينبغي للمشركين أن يقربوا المسجد الحرام.

قال: ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ ﴾ أي على العهد ﴿ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ﴾ عليه ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾.

قال: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ أي: كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله وأن يظهروا عليكم ﴿ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾. قال بعضهم: الإل: الجوار، والذمة: العهد.

= على المستودَع غير المغِل ضمـان أي: إذا لم يخن في العارية والوديعة فلا ضمان عليه. انظر اللسان (غلل).

(1) في الآية القرآنية: (ثُمَّ أَبْلِغْهُ).

(2) زيادة من ز، ورقة 123.

وقال مجاهد: إلاًّ ولا ذمة: عهداً ولا ذمة. وقال الكلبي: الإل: الحلف، والذمة: العهد. وقال بعضهم: الإل: القرابة، والذمة: العهد.

قوله: ﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ ﴾ وهم المنافقون في تفسير الحسن؛ وهو ما أقروا به من التوحيد فأصابوا به الغنائم والحقوق، وحقنوا دماءهم وأموالهم وذراريهم ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ وهذا فسق نفاق، وهو دون فسق الشرك.

﴿ اشْتَرَوْا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً ﴾ أي: عرضاً من الدنيا يسيراً. ﴿ فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ أي: فصدّوا الناس عن دينه ﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: بئس ما كانوا يعملون.

وقال مجاهد: هو أبو سفيان أطعم حلفاءه وترك حلفاء محمد عليه السلام.

قوله: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلَا ذِمَّةً ﴾. وقد فسّرنا ذلك واختلافهم فيه. ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ وهو من باب الإعتداء. اعتدوا على الله وعلى رسوله وأهل دينه.

﴿ فَإِنْ تَابُوا ﴾ أي: من الشرك ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.

ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة.

ذكر أبو هريرة وغيره قال: قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله[1]. وقد فسرنا «إلا بحقها» في غير هذا الموضع[2].

---

(1) انظر تخريجه فيما مضى من الجزء الأول ص 573، تعليق: 2. وفي ق وع. وردت العبارة هكذا: «فقد عصموا مني دماءهم. .».

(2) هذه الجملة الأخيرة من الشيخ هود الهواري. وقد فسّر هذه العبارة «إلا بحقها» بمناسبة تفسير قوله تعالى من سورة الأنعام آية: 151 فقال: «فينبغي أن يتفهّم الناس هذه النكتة إلا بحقها؛ وحقّها ما وصفنا من رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً متعمداً، أو قاتل على البغي فقُتل عليه».

وقد زعم الحسن أن رسول الله ﷺ قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلـه إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة. وفي ذلك دليل على أن الإيمان قول وعمل، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: 5]. ومن قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فهو يقول: هو أول ما يدعون إليه: شهادة أن لا إله إلا الله، ثم يدعون بعد ذلك إلى الصلاة وإلى الزكاة، فإن أبوا لم يقبل منهم[1].

قوله: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَـٰنَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ قال بعضهم: من أئمة الكفر أبو سفيان وأمية بن خلف وأبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وسهيل بن عمرو، وهم الذين نكثوا العهد بينهم وبين نبي الله وهمّوا بإخراجه من مكة.

قال: ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَـٰنَ لَهُمْ﴾ أي لا عهد لهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ أي لعل من لم يقتل منهم أن ينتهي عن كفره مخافة القتل.

وفي تفسير الكلبي أن رسول الله ﷺ كان وادع أهل مكة سنين، وهو يومئذٍ بالحديبية، فحبسوه عن البيت، وصالحوه على أنك ترجع عامك هذا، ولا تطأ بلدنا، ولا تنحر البدن بأرضنا، وأن نخليها لك عاماً قابلاً ثلاثة أيام، ولا تأتينا بالسلاح. إلا سلاحاً يجعل في قرابه، وأنه من صبا إليك منا فهو إلينا ردّ. فصالحهم رسول الله على ذلك، فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا.

ثم إن حلفاء رسول الله من خزاعة قاتلوا بني أمية من كنانة، فأمدت بنو أمية حلفاء هم بالسلاح والطعام. فركب ثلاثون رجلاً من حلفاء رسول الله ﷺ من خزاعة، فيهم بديل بن ورقاء؛ فناشدوه الله والحلف. فأمر رسول الله ﷺ أن يُعين حلفاءه، فأنزل الله على نبيه: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا

(1) وهذا الشرح والتعليق أيضاً من زيادة الشيخ هود، فهو يقف، كلما وردت عبارة توحي بمعنى من معاني الإرجاء ليرد فكرة الإرجاء ويفندها بالحجج.

أئمّةَ الكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ)، أي لا عهد لهم (لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ).

قوله: ﴿أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُوا أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ قال الحسن: من المدينة ﴿وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فاستحلّوا قتال حلفائكم ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ على الاستفهام، فلا تقاتلوهم ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إذ كنتم مؤمنين، فالله أحق أن تخشوه، وليس أحد أشدَّ خشية لله من المؤمنين.

﴿قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ يعني القتل في الدنيا ﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾. والقوم المؤمنون الذين شفى الله صدورَهم حلفاءُ رسول الله من مؤمني خزاعة؛ فأصابوا يومئذٍ، وهو يوم فتح مكة، مقيس بن صبابة[1] في خمسين رجلاً من قومه.

وقال مجاهد: وهم بدأوكم أول مرة، أي قاتلوا حلفاء محمد عليه السلام. قال: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: خزاعة، حلفاء محمد، من آمن منهم.

ذكر عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة، كُفّوا السلاح إلا خزاعة من بني بكر[2].

---

(1) في المخطوطات الأربع: «مقسم» وفيه تصحيف صوابه ما أثبت من ز، ورقة 124، ومن سيرة ابن هشام، ج 2 ص 293، ومن جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص 182: «مِقْيَس بن صُبابة». وهو الذي أهدر رسول الله ﷺ دمَه يوم فتح مكة، وكان قَدِم المدينة مُظْهراً إسلامَه، ومُطالباً بدية أخيه هشام. فأمر له النبي عليه السلام بدية أخيه. ولكنّه عدا، بعد مدّة، على قاتل أخيه فقتله، ورجع إلى مكة مرتداً، وقال في ذلك شعراً.

(2) كذا في المخطوطات الأربع: «كفّوا السلاح إلا خزاعة من بني بكر». ومعنى هذا الحديث أن النبي عليه السلام أمر الناس أن يكفوا عن القتال، قتال المشركين يوم الفتح، إلا خزاعة فقد استثناها من هذا الأمر لتنتقم من بني بكر الذين كانوا قاتلوهم قبل الفتح، وأعانتهم في ذلك قريش. وكان هذا الاستثناء، لدى المفسّرين، هو معنى قوله تعالى: (وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ): مؤمني خزاعة، حلفاء النبي عليه السلام. وقد أورد هذا الحديث أبو عبيد القاسم ابن سلام مسنداً في كتاب الأموال ص 145 وبتفصيل أكثر. ولفظه: «كفوا السلاح إلا خزاعة عن بني =

ذكر بعضهم قال: كان يقال: ما كان من حلف في الجاهلية فإن الإسلام لا يزيده إلا شدة، ولا حلف في الإسلام[1].

قوله: ﴿ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ ﴾ أي من أهل مكة ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا ﴾ أي: فلا يفرض عليكم الجهاد ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ ﴾ أي: ولما يعلمكم فاعلين لما فرض عليكم، وهو علم الفعال[2]. ﴿ الَّذِينَ جَـٰهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾. أي: دخلا. وقال بعضهم: بطانة، وهو واحد. أي: مثل ما صنع المنافقون ﴿ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِم) أي: إلى الكفار المشركين (قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ) [البقرة: 14] أي: في المودة والهوى. قال الله: ﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَـٰجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ ﴾ وهذا كفر الشرك، وهذا حين نفي المشركون من المسجد الحرام.

قوله: (شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ) يقول: كلامهم يشهد عليهم بالكفر. ﴿ أُولَـٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ في الدنيا والآخرة. ﴿ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾.

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ يعني الكعبة[3] لأنها مسجد جميع الخَلْق، إليها

= بكر، فإن لهم حتى صلاة العصر. ثم قال: كفوا السلاح». وذكر ابن هشام في السيرة، ج 3 ص 414 - 416 أن خزاعة عدت في الغد من يوم الفتح على رجل مشرك من هذيل، فقتلوه في الحرم، فقال النبي عليه السلام: يا خزاعة، ارفعوا أيديكم عن القتال، فقد كثر القتل إن نفع، لقد قتلتم قتيلاً لأدِيَنَّهُ. وانظر تفسير الطبري ج 14 ص 160 - 161.

(1) حديث صحيح. رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه عن جبير بن مطعم (رقم 2530)، ورواه ابن جرير عن ابن عباس، ورواه أحمد عن قيس بن عاصم أنه سأل النبي عليه السلام عن الحِلْف فقال: ما كان من حِلف في الجاهلية فتمسّكوا به، ولا حِلف في الإسلام.

(2) جاء في ز، ورقة 124 ما يلي: «قال محمد: قد علم الله قبل أمرهم بالقتال من يقاتل ممن لا يقاتل، ولكنه كان يعلم ذلك غيباً، فأراد الله العلم الذي يجازي به وتقوم به الحجة، وهو علم الفِعال.

(3) هذا قول غير مسلّم به. لأنه لا خلاف في أن القراءة وردت في قوله تعالى: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ =

يؤمون. ﴿مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَـٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ وعسى من اللهِ واجبة.

قوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَـٰهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ﴾ أي لا يكونون بالظلم عند الله مهتدين: وهو ظلم فوق ظلم وظلم دون ظلم.

ذكروا أن مجاهداً قال: أمروا بالهجرة فقال عباس بن عبد المطلب: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة، أخو بني عبد الدار: وأنا حاجب الكعبة، فلا نهاجر[1]. فنزلت هذ الآية... إلى قوله: (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ). وكان هذا قبل فتح مكة.

وقال الحسن: اختلف أناس من أصحاب النبي عليه السلام فقال بعضهم: من أقام على السقاية للمسجد الحرام أفضل ممن جاهد. وقال بعضهم: المجاهد في سبيل الله أفضل ممن أقام على السقاية وعمَر المسجد الحرام[2]. وقال بعضهم: بلغنا أن الذي ذُكِر بالجهاد في هذا الموضع علي بن أبي طالب.

قوله: (لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ) قال الحسن: أي: إن المؤمن المجاهد أفضل. أي أهل هذه الصفة ليسوا سواء.

= اللَّهِ) بالجمع؛ فالمقصود بها أذاً جميع المساجد، حتى يشمل فضل العمارة جميع بيوت الله، وينال أجرَها كلُّ مؤمن يعمر أي بيت من بيوت الله. أما في الآية السابقة: (مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ) فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو فيها على التوحيد: (مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ) وقرأ الباقون بالجمع، فيمكن أن يكون المقصود بها الكعبة البيت الحرام دون غيرها من المساجد. وهذا وجه له حظ قوي من النظر. انظر الحجة لابن خالويه ص 149. والتيسير للداني، ص 118.

(1) وقع اضطراب في النسخ في الاستشهاد بالآية. فقد ورد في ق وع وج بعد قوله: «فلا نهاجر» هذه الجملة: «فأنزل الله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ)...» وهذا خطأ أثبت صوابه من ز، ورقة 124.

(2) في بعض المخطوطات: «الجهاد في سبيل الله أفضل ممن أقام على السقاية... والتعبير صحيح له في الأسلوب العربي نظائر، بل له نظير في هذه الآية نفسها.

قال: ﴿ الذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَـٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِـمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ممن أقام على السقاية وعَمَر المسجد الحرام. ﴿ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ ﴾ أي: الناجون من النار إلى الجنة.

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا ﴾ أي: في الجنة ﴿ نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ أي: دائم لا يزول. ﴿خَـٰلِدِينَ فيها ﴾ أي في الجنة ﴿ أَبَداً ﴾ أي: لا يموتون ولا يخرجون منها ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُـمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ أي لا تتولوهم على معاصي الله ﴿ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَـٰنِ﴾ أي إن اختاروا الكفر على الإيمان ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ ﴾ أي من المؤمنين على الكفر ﴿ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الظَّـٰلِمُونَ﴾.

يقول: من تولى مشركاً فهو مشرك، ومن تولى منافقاً فهو منافق، وهو بولايتهما جميعاً ظالم، وهو ظلم فوق ظلم، وظلم دون ظلم. وهو كقوله: (لَا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ). [المائدة: 51] أي لا يكونون بظلم الشرك والنفاق مهتدين عند الله.

قوله: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُـمْ وَأَزْوَٰجُكُـمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ قال الحسن: الغنيمة. وقال مجاهد: فتح مكة. ﴿ واللَّهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الفَـٰسِقِينَ﴾.

قال بعضهم: الفاسقون ها هنا المشركون الذين يموتون على شركهم(1).

وقال بعضهم: الآية جامعة محتملة لفسق الشرك والنفاق، يقول: (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ) أي لا يكونون بالفسق مهتدين عند الله، من فاسق مشرك أو

(1) هذا قول يحيى بن سلام، وهو موجود في ز، ورقة 124. أما القول الذي جاء بعده فهو للشيخ هود الهواري فهو برأيه أشبه وإلى أسلوبه أقرب.

منافق؛ وهو فسق فوق فسق، وفسق دون فسق.

قوله: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ يعني يوم بدر والأيام التي نصر الله فيها النبي عليه السلام والمؤمنين. وقال مجاهد: يعرفهم بنصره ويوطئهم[1] لغزوة تبوك!.

قال: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ أي بسعتها ﴿ ثُم وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ أي منهزمين.

وذلك أن رسول الله ﷺ سار إلى حنين، بعد فتح مكة، فلقي بها جمع هوازن [وثقيف وهم][2] قريب من أربعة آلاف، ورسول الله في قريب من عشرة آلاف في تفسير الكلبي. وقال بعضهم: وهو في اثني عشر ألفاً.

فلما التقوا قال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: لن نغلب اليوم من قلّة. فوجد رسول الله ﷺ من كلمته وجداً شديداً. وخرجت هوازن ومعها دريد بن الصمة، وهو شيخ كبير، فقال دريد: يا معشر هوازن، أمعكم من بني كلاب أحد؟ قالوا: لا. قال: أفمن بني كعب أحد؟ قالوا: لا. قال: أفمن بني عامر؟ قالوا: لا. قال: أفمعكم من بني هلال بن عامر أحد؟ قالوا: لا. قال: أما والله لو كان خيراً ما سبقتموهم إليه، فأطيعوني وارجعوا، فعصوه فاقتتلوا. فانهزم أصحاب رسول الله ﷺ حتّى قال رسول الله ﷺ: إليّ عباد الله[3]. فأخذ العباس بثفر[4] بغلة رسول الله ثم نادى: يا

(1) في ق وع: يوطئهم، وفي ج ود: يوطنهم، وكلا المعنيين من التوطئة بمعنى التسهيل والتهيئة النفسية. والتوطين، بمعنى التعويد، محتمل.

(2) زيادة من ز، ورقة 125.

(3) جاء في مغازي الواقدي ج 3 ص 897 - 898 عن أنس: «فسمعت رسول الله ﷺ، والتفت عن يمينه ويساره، والناس منهزمون، وهو يقول: يا أنصار الله وأنصار رسوله». وفي سيرة ابن هشام ج 3 ص 443 جاء نداء رسول الله عليه السلام بهذا اللفظ: «أين أيها الناس، هلمّوا إليّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله.

(4)) الثفر، بالتحريك: السير الذي في مؤخر السرج، وثفر الدابة: الذي يجعل تحت ذنبها. انظر اللسان: (ثفر).

معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة، يا معشر الأنصار الذين آووا ونصروا، إن هذا رسول الله عليه السلام، هلمّ لكم. وكان العباس رجلاً صيّاحاً[1]. فاسمع الفريقين كليهما. فأقبلوا جميعاً. فأما المؤمنون فأقبلوا لنصر الله ونصر رسوله، وأما المشركون فأقبلوا ليطفئوا نور الله. فالتقوا عند رسول الله، واقتتلوا قتالاً شديداً.

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾. والسكينة في تفسير الحسن الوقار. وقال بعضهم: الرحمة. ﴿ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ يعني الملائكة ﴿ وَعَذَّبَ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي بالقتل. وهو عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَٰفِرِينَ﴾.

ذكروا أن رجلاً من بني نصر قال للمؤمنين وهو في أيديهم أسير: أين الخيل البلق والرجال الذين عليهم الثياب البيض؟ وإنما كان قتلنا بأيديهم، ما كنا نراكم فيهم إلا كهيئة الشامة. قالوا: تلك الملائكة.

قال الله: ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَى مَنْ يَّشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

ذكروا أن حنيناً ما بين مكة وبين الطائف، قاتل عليه نبي الله يومئذٍ هوازن وثقيفاً.

ذكر لنا أنه خرج مع نبي الله يومئذٍ اثنا عشر ألفاً؛ عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وألفان من الطلقاء. فقال رجل يومئذٍ: لن نغلب اليوم لكثرة. فجلوا عن رسول الله ﷺ حتى نزل عن بغلته الشهباء فقال: يا ربّ أين ما وعدتني. وجعل ينادي: يا معشر المهاجرين، [يا معشر الأنصار][2]. فالتفت فإذا عصابة من الأنصار

---

(3) كذا في ع وق وج ود: «رجلاً صياحاً» وفي ر، ورقة 125: «رجلاً صيّتاً» أي شديد الصوت عاليه.

(4) زيادة من ز، ورقة 125. وقد جاءت هذه الرواية هنا مختصرة. وقد أوردها الطبري مفصلة عن قتادة في تفسيره ج 14 ص 180. واقرأها مفصلة أيضاً في كتب السير والتاريخ تجد ما قاله الرسول عليه السلام في هذه الغزوة.

فقال: أما معكم غيركم؟ فقالوا: والله يا نبي الله، والله لو عمدت بنا إلى نعمان[1] من ذي يمن لكنا معك. ثم أنزل الله نصره، وهزم عدوه وتراجع المسلمون.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ قال بعضهم: الأنجاس: الأخباث. وقال بعضهم: الأقذار. ﴿فَلَا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ يعني العام الذي حج فيه أبو بكر ونادى فيه علي بالأذان. وقد فسّرناه قبل هذا الموضع.

قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ وهي الفاقة ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. كانوا يصيبون في مواشيهم في أسواقهم[2]. فلما أمر الله أن يُنفى المشركون عن المسجد الحرام إذا انقضى الأجل الذي بقي من عهدهم فلا يقربوا المسجد الحرام بعد ذلك العام، قال: (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً)[3] لما كانوا يصيبون

---

(1) جاء في تفسير الطبري ج 14 ص 180: «إلى برك الغماد من ذي يمن» وفي اللسان: برك ونعمان موضعان من أطراف اليمن. ونعمان حصن في جبل وصاب باليمن من أعمال زبيد، وهو اسم لحصْنين آخرين باليمن. انظر ياقوت، معجم البلدان ج 5 ص 294.

(2) كذا في ق وع ود: «في مواشيهم في أسواقهم». ولست مطمئناً إلى كلمة مواشيهم هنا، ولم أرَ وجهاً لاختصاصها من سائر ما يصيبون من المشركين. ولعل صواب العبارة: «يصيبون في مواسمهم وفي أسواقهم». وجاء تفسير هذا في ز، ورقة 125 بعبارة أوضح، جاء فيه: «كان لأهل مكة مكسبة ورفق ممن كان يحج من المشركين، فلما عزلوا عن ذلك اشتد عليهم فأعلمهم الله أنه يعوضهم من ذلك».

(3) العَيْلَة مصدر عالِ يعيل إذا افتقر. قال أحيحة بن الجلاح الأوسي من قصيدة مطلعها:

صحوتُ عن الصِّبَا والدهرُ غُولُ ونفسُ المرء آوِنَةً قَتُولُ

إلى أن يقول:

وما يدري الفقيرُ متى غِنَاه وما يدري الغني متى يَعِيلُ

... وفيها:

وما تدري وإن أجمعت أمراً بأي الأرضِ يُدركُكَ المَقِيلُ

وانظر الأبيات عند أبي زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب ج 2 ص 648، 650. وانظر مجاز أبي عبيدة ج 1 ص 255.

من أسواقهم في المواشي (فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).

﴿قَـٰتِلُوا الذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ﴾ أي دين الإسلام، وهو دين الحق ﴿مِنَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ فأمر بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يقروا بالجزية. فجعل الله للمسلمين مكان ما كانوا يصيبون في أسواقهم في مواشيهم الجزية الدّارّة، تؤخذ من أهل الكتاب كل عام عن ظهر يد. وجميع المشركين، ما خلا العرب، بتلك المنزلة. إذا أقروا بالجزية قبلت منهم.

وقال بعضهم: كان المسلمون يبايعون المشركين وينتفعون منهم؛ فلما عزلوا عن ذلك اشتد ذلك على المسلمين، فأنزل الله هذه الآية، فأغناهم الله بالجزية الجارية، يأخذونها شهراً شهراً، وعاماً عاماً.

وقال مجاهد: قال المؤمنون: كنا نصيب من متاجر المشركين، فوعدهم الله أن يغنيهم من فضله عوضاً لهم بألا يقربوا المسجد الحرام.

قال مجاهد: هذه الآية مع أول براءة في القراءة، ومع آخرها في التأويل. وقال مجاهد: (حَتَّىٰ يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ): أمر النبي وأصحابه بغزوة تبوك.

ذكر الحسن أن رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس البحرين وأخذ عمر من فارس.

ذكر أن عمر سأل عن المجوس فقال عبد الرحمن بن عوف: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سنّوا فيهم سنّة أهل الكتاب[1].

(1) روى البخاري في كتاب الجهاد، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب، وروى كذلك أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في أخذ الجزية من المجوس كلاهما يروى عن بجالة قال: «... ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن =

ذكروا أن رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس البحرين، وأخذ عمر من فارس، وأخذ عثمان من البربر. قال: وأما من دخل من العرب في أهل الكتاب فقد فسّرنا ذلك في سورة البقرة(1).

ذكروا أن خالد بن الوليد صالح نصارى بني تغلب بالشام على الضعف مما يؤخذ من المسلمين من مواشيهم، ثم كتب بذلك إلى عمر فأجازه.

ذكروا أن علياً قال: لا تأكلوا ذبائح نصارى العرب، فإنهم لم يبلغوا من النصرانية إلا شرب الخمر. قال: فكان يرى قتلهم إن لم يسلموا. وأحبّ ذلك إلينا أنه من كان دخل في أهل الكتاب قبل أن تنزل الآية فهم منهم، ومن دخل بعد نزول الآية لم يقبل منه ذلك وقتل.

قوله: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ قال الله عزّ وجلّ: ﴿ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ ﴾ أي يشابهون ﴿ قَوْلَ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ قال بعضهم: ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم، قالت النصارى المسيح بن الله، وقالت اليهود عزير بن الله. ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُوفَكُونَ ﴾ أي لعنهم الله جميعاً كيف يُصرفون، أي عن الحق.

قوله: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ أي اتخذوه ربا ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهاً وَّاحِداً ﴾ وهو الله ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لا شريك له ﴿سُبْحَٰنَهُ﴾ ينزّه نفسه ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

ذكروا عن عدي بن حاتم الطائي أنه قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال: يا عديّ، ألق هذا عن عنقك. قال: وانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة. فلما أتى على هذه الآية: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ) قلت: إنا لا

= رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر. وفي رواية قال عبد الرحمن بن عوف: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: سنوا بهم سنة أهل الكتاب، انظر البغوي، شرح السنة ج 11 ص 168 - 169 (رقم 2750 - 2751).

(1) انظر ما سلف من هذا التفسير، ج 1 ص 240.

نتخذهم أرباباً من دون الله. قال: أليس يحلّون لكم ما حرّم عليكم فتستحلونه، ويحرّمون عليكم ما أحلّ الله لكم فتحرمونه؟ قلت بلى. قال: فتلك عبادتهم[1].

قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي ما يدعون إليه من اليهودية والنصرانية، وما حرّفوا من كتاب الله. ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ أي القرآن والإسلام والنصر لنبيه والمؤمنين ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْكَـٰفِرُونَ﴾ أي الكافرون جميعاً، من كافر مشرك وكافر منافق، وهو كفر فوق كفر وكفر دون كفر.

قوله: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾.

ذكر الحسن قال قال رسول الله ﷺ: الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد. وأنا أولى الناس بعيسى لأنه ليس بيني وبينه نبي. وإنه نازل لا محالة. فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع الخلق، بين ممصرتين من الحمرة والبياض، سبط الرأس، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل. فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويقاتل الناس على الإسلام، ويهلك الله في زمانه الملل كلها غير الإسلام، حتى يقع الأمان في الأرض، حتى ترتع الأسد مع الإبل، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضاً[2].

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى إبْنُ مريم، فيقتل الخنزير ويكسر الصليب، وحتى يكون الدين واحداً[3].

---

(1) انظر تخريجه فيما سلف، ج 1 ص 289. تعليق: 2.

(2) أخرجه أحمد، وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام عن أبي هريرة بألفاظ شبيهة بهذه (رقم 2365) كما أخرجه الطبري في تفسيره ج 6 ص 549، وانظر ما سلف، ج 1 ص 437.

(3) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام عن أبي هريرة بلفظ: والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً... وأخرجه أحمد عن أبي هريرة أيضاً، وأخرجه الترمذي في أبواب الفتن، باب ما جاء في نزول عيسى بن مريم.

ذكروا عن عائشة أنها قالت: لا تقولوا لا نبي بعد محمد، وقولوا خاتم النبيين، فإنه سينزل عيسى بن مريم حاكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، فيقتل الدجّال، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، وتضع الحرب أوزارها.

ذكروا أن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يبقى بيت وبر ولا مدر إلا أدخله الله كلمة الإسلام، تعز عزيزاً وتذل ذليلاً؛ إما أن يعزهم الله فيجعلهم من أهلها، وأما أن يذلهم فيدينون لها.

وفي تفسير الحسن: حتى يكون الحاكم على الأديان كلها. فكان ذلك حتى ظهر على عبدة الأوثان كلها، وحكم على اليهود والنصارى فأخذ منهم الجزية ومن المجوس.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: [في قوله تعالى: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ] يعني شرائع الدين كلها فلم يقبض رسول الله ﷺ حتى أتمّ الله ذلك كله.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَـٰطِلِ﴾ يعني ما كانوا يأخذون من الرشى في الحكم وعلى ما حرفوا من كتاب الله، وكتبوا كتاباً بأيديهم على ما يهوون، ثم قالوا: هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً أي عرضاً من الدنيا يسيراً، وهو ما كانوا يأخذون. ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن محمد والإسلام.

قوله: ﴿وَالذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي موجع ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾.

قال الحسن: تُحشر تلك الأموال يوم القيامة بأعيانها، فيُحمى عليها، فتُكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. (هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَاكُنتُمْ تَكْنِزُونَ) يعني من وجب عليه الانفاق في سبيل الله.

(1) أخرجه أحمد عن المقداد بن الأسود وعن تميم الداري بألفاظ متقاربة.

ذكروا عن ابن مسعود أنه قال: والذي لا إلـه غيره، لا يُكوى رجل بكنزٍ فيمسي دينار ديناراً، ولا درهم درهماً، ولكن يُوسَّع لذلك جلده.

ذكروا عن أبي ذر وأبي هريرة أنهما قالا: كلّ صفراء وبيضاء أوكأ عليها صاحبها فهي كنز حتى يفرغها، فينفقها في سبيل الله.

ذكروا عن الزهري أنه قال: نسخت آية الزكاة الكنز. وقال بعضهم: نَسَخت الزكاةُ كلَّ صدقة كانت قبلها.

ذكروا عن ابن عمر أنه قال: كل مال تؤدى زكاته فليس بكنز وإن كان مدفوناً، وكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز وإن كان ظاهراً. وذكروا عن ابن عباس مثل ذلك.

ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: من أدّى زكاة ماله فقد أدّى حقَّ الله في ماله، ومن زاد فهو خير له[1].

قوله: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَـٰبِ اللَّهِ ﴾ [قال الحسن: في كتاب الله][2] الذي نسخ منه كتب الأنبياء وفي جميع كتب الله ﴿ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرّم ﴿ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ يعني أنه حرّم على ألسنة أنبيائه هذه الأربعة الأشهر.

قوله: ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي في الاثني عشر كلها. وفيها تؤدى الزكاة في كل اثني عشر شهراً مرة. وقد عظّم الله هذه الأربعة الأشهر فجعلها حُرُماً.

وقال بعضهم: (لَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) يقول: إن الظلم فيهن أعظم خطيئة ووزراً من الظلم فيما سوى ذلك.

---

(1) ترجم البخاري في كتاب الزكاة: باب ما أدى زكاته فليس بكنز. وأخرج الترمذي حديثاً عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: إذا أديت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك. وبهذا اللفظ الأخير أخرجه أيضاً ابن ماجة في كتاب الزكاة، باب ما أدى زكاته فليس بكنز عن أبي هريرة (رقم 1788).

(2) زيادة من ز، ورقة 126.

ذكروا عن رسول الله ﷺ أنّه قال: سيِّد الشهور رمضان، وأعظمها حرمة ذو الحجة[1].

ذكر الحسن قال: قيل يا رسول الله: أي الشهور بعد رمضان أفضل؟ قال: شهر الله الأصم: المحرم.

قوله: ﴿وَقَـٰتِلُوا المُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ أي: جميعاً، كما يُقَـٰتِلُونَكُمْ جميعاً ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ المُتَّقِينَ﴾ بالعون لهم والنصر على عدوهم.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ﴾ قال الحسن: النسيُّ من النسئة، وهو التأخير، كانوا يجعلون هذه الأربعة الأشهر الحرم في عام متوالية، فيجعلون ذا القعدة وذا الحجة والمحرم وصفر، فيقولون: قد أنسأنا العام رجباً، أي أخرناه، فيجعلونها في العام المقبل على منزلتها، فقال الله: (إِنَّمَا النَّسِيُّ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ). يقول: إنساؤهم رجباً. أي: تأخيرهم رجباً، وتحريفهم أمر الله زيادة في الكفر، أي زيادة في كفرهم.

﴿يَضِلُّ بِهِ الذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي: وهم في ذلك يواطئون العدة فيها ولا ينقصون منها، إلا أنهم يحلّون ما حرّم الله؛ ورجب مما حرّم الله.

قال الكلبي: النسي هو المحرم؛ كانوا يسمّونه صفر الأول. وكان الذي يُحله للناس جنادة بن عوف الكناني[2]. كان ينادي بالموسم: ألا إن صفر الأول حلال، فيحلُّه للناس، ويحرّم صفر مكان المحرم. فإذا كان العامُ المقبلُ حرّم المحرمَ وأحلّ صفرَ.

(1) هذا الحديث والذي يليه معناهما واحد في فضيلة شهر الصيام، ولم أجدهما بهذا اللفظ. فيما بين يدي من مصادر التفسير والحديث. وقريب منهما ما رواه مسلم في كتاب الصيام، باب فضل صوم المحرم (رقم 1163) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل.

(2) قال ابن حزم في جمهرة أنساب العرب، ص 494 ما يلي: «كان القلمس، وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة ابن الحارث بن مالك بن كنانة، أول من نسأ الشهور، ثم ورثت ذلك عنه بنوه، وكان آخرهم أبا ثمامة جنادة بن عوف بن سلمة بن قلع بن عباد بن حذيفة».

ذكروا أن مجاهداً قال: كانوا يحرمون المحرم عاماً ويحرمون صفر عاماً. وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم يفعلـونه.

وقال بعضهم: كان أناس من أهل الضلالة زادوا صفرَ في الأشهر الحرم؛ فكان يقوم قائمُهم في الموسم فيقول: ألا إن آلهتكم قد حرّمت العامَ صفرَ، فيحرّمونه ذلك العام، فكانوا يسمونهما الصفرين. وكان أول من أنسا النسي صفوان بن أمية أبو ثمامة من بني مالك بن كنان ، أحد بني فقيم.

وذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يوم منى: ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان[1]. وكان هرم يسمى رجب في الجاهلية منتصل الأسنة.

ذكروا أن مجاهداً قال: (يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهَ عَاماً) رجب. وذكر ابن مجاهد أن مجاهداً قال: إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ليعرف بها الناس النسي، أي: ما ينقص من السنة.

قوله: ﴿ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَـٰلِهِمْ﴾ أي ما كانوا يصنعون من ذلك. ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَـٰفِرِينَ﴾ أي: الذين يموتون على كفرهم، أي: لا يكونون بما صنعوا من ذلك مهتدين عند الله.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا مَالَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ ﴾ وهو مثل قوله: (أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ) [الأعراف: 176] وهو الرضا بالدنيا.

قال: ﴿ أَرَضِيتُمْ بِـالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ ﴾ أي ليست الدنيا عوضاً من الآخرة ﴿ فَمَا مَتَـٰعُ الْحَيَـوٰةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ أي يستمتع به في الدنيا ثم يفنى، ويذهب ولا يبقى. وما في الآخرة باقٍ دائم، لا يفنى ولا يذهب. كقوله (مَا

(1) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم من حديث أبي بكرة، من خطبته ﷺ في حجة الوداع. انظر مثلاً البخاري، باب حجة الوداع.

عِنْدَكُمْ) أي في الدنيا (يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ) أي في الآخرة (بَاقٍ) [النحل: 96] وكقوله: (إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَالَهُ مِن نَّفَادٍ) [سورة صٓ: 54] أي: من فناء.

﴿ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ أي موجعاً. قال الحسن: يعني به العامة الذين فرض عليهم الجهاد مع النبي عليه السلام. وكان الجهاد يومئذٍ مع النبي فريضة. وقد كان النبي يخلف قوماً بالمدينة، وفيهم من قد وضع عنه الجهاد. وكان هذا حين أمروا بغزوة تبوك [في الصيف حين طابت الثمار واشتهوا الظل][1] ﴿ وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ﴾ يقول: يهلككم بالعذاب ويستبدل قوماً غيركم ﴿ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً ﴾ إن أهلككم ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

وفي هذه الآية دليل على أهل الفراق أن هؤلاء الذين وعدوا بالعذاب ممن ناداهم الله بالإيمان، وسماهم بما قِبَلهم من خصال الإيمان كلما قيل المؤمنون فقال: (إِلَّا تَنْفِرُوا) أنتم الذين نودوا بالإيمان وسموا به، (يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً) فلا يجوز لِواصِفٍ أن يصف الله أنه يعذبهم - إن لم ينفروا كما استنفرهم - وهم مومنون[2].

قال بعضهم: استنفر الله المومنين في شدة لهَبَان الحرِّ في غزوة تبوك على ما يعلم من الجهد. وفيها قيل ما قيل.

قوله: ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ ﴾ يعني النبي عليه السلام ﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي من مكة ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ ﴾ أي أخرجوه ثاني اثنين ﴿ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 126.

(2) هذا من كلام الشيخ هود الهواري ولا شك، وقد ورد في المخطوطات الأربع: ق، ع، د، ج، وأكاد أجزم أنه غير موجود في تفسير ابن سلام الأصلي لأنه غير موجود في ز. ونرى في هذا نموذجاً من أساليب الشيخ هود في إثبات أصل من أصول الإباضية في مسألة من مسائل الخلاف كمسألة الإيمان والكفر، وجزاء أصحاب الكبائر من المؤمنين إن لم يتوبوا قبل موتهم؛ كما نرى فيه طريقة من طرق حواره مع من يسميهم بأهل الفراق، قارن هذا بقول الطبري وبقول ابن عباس حين سئل عن قوله: (إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَـذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً) وأن هذا العذاب هنا كان إمساك المطر عنهم. انظر تفسير الطبري ج 14 ص 254 - 255.

وذلك أن قريشاً لما اجتمعوا في دار الندوة، فتوامروا بالنبي، أجمع رأيهم على ما قال عدو الله أبو جهل من قتله. وقد فسّرنا ذلك في سورة الأنفال[1].

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه فخرج هو وأبو بكر ليلاً حتى انتهيا إلى الغار، ونام علي على فراش رسول الله ﷺ. فطلبه المشركون، فلم يجدوه. ووجدوا علياً على فراشه، فطلبوا الأثر. وقد كان أبو بكر دخل الغار قبل رسول الله ﷺ فلمس الغار ينظر ما فيه، لئلا يكون فيه سبع أو حية، يقي رسول الله ﷺ بنفسه.

ثم دخل رسول الله ﷺ الغار، وأخذ ثمامة فوضعها على باب الغار، فجعلا يستمعان وقع حوافر دواب المشركين في طلبهما. فجعل أبو بكر يبكي، فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا أبا بكر؟ قال: أخاف أن يظهر عليك المشركون فيقتلوك يا رسول الله، فلا يعبد الله بعدك أبداً. فقال رسول الله ﷺ: (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا). فجعل أبو بكر يمسح الدموع عن خده. وكان أبو بكر أرق الخلق كلهم وأحضره دموعاً[2].

﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ قال الحسن: السكينة: الوقار. وقال بعضهم: السكينة: الرحمة.

قال: ﴿ وَأَيَّدَهُ ﴾ أي وأعانه ﴿ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ يعني الملائكة عند قتالهم المشركين بعد.

قال مجاهد: (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ) يقول: فالله فاعل ذلك به، أي ناصره كما نصره إذ هو ثاني اثنين.

قال: ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ﴾ وهي كلمة الكفر ﴿ وَكَلِمَةُ اللَّهِ ﴾ أي: ودين الله، وهو الإيمان بلا إلـه إلا الله والعمل بفرائضه. ﴿ هِيَ الْعُلْيَا ﴾ أي:

---

(1) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 84 - 85.

(2) تذكر بعض الروايات في كتب السيرة أن بكاء أبي بكر الصديق كان في الغار، وتذكر أخرى أن ذلك كان عندما اقترب منهما سراقة في الطريق. ولا تنافي بين الروايات، فلعل ذلك كان في كلتا الحالتين فقد كان أبو بكر رضي الله عنه رقيق القلب كثير البكاء.

هي الظاهرة ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ أي في نقمته ﴿ حكِيمٌ ﴾ أي: في أمره.

قال بعضهم: (ثَانِي اثْنَيْنِ): كان صاحبَه أبو بكر، والغار في جبل بمكة يقال له ثَوْر.

قوله: ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً ﴾، ذكروا أن أبا طلحة وأبا أيوب قالا: استنفَرَنا الله على كل حال، شباباً وشيوخاً، وهو تفسير الحسن وقال: الخِفاف: الشباب. والثِقال: الشيوخ. وقال بعضهم خفافاً وثقالاً: نِشاطاً وغير نِشاط. وقال بعضهم: فقراء وأغنياء.

قال: ﴿وَجَـٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِـكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ أي الجهاد خير لكم في الثواب عند الله ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ هذا في غزوة تبوك، وهي آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

قاال الكلبي: وذلك حين استنفر رسول الله ﷺ الناس إلى تبوك في حر شديد وعسرة من الناس، فكره بعض الناس الخروج، وجعلوا يستأذنونه في المقام من بين صاحب علة ومن ليست به علة، فيأذن لمن يشاء أن يأذن له. وتخلف كثير منهم بغير إذن، فأنزل الله فيهـا نفاقهم، فقال:

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً ﴾ أي: غنيمة قريبة ﴿ وَسَفَراً قَاصِداً ﴾ أي: هيّناً. وقال الحسن: (لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً)، أي: غنيمة حاضرة (وَسَفَراً قَاصِداً) أي: قريباً ﴿ لَاتَّبَعُوكَ وَلَـٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِم الشُّقَّةُ ﴾ [يعني السفر][1] قال: وتخلّف المنافقون[2] وقال بعضهم لبعض: أترى هذا الرجل أنه يظهر على الشام، وما الشام، إنما الشام الدّهم[3]، وتبوك في أدنى الشام؛ فقال الله: لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة أي السفر.

(1) زيادة من ز، ورقة 127، وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ص 260 «الشقة: السفر البعيد، يقال: إنك لَبَعِيد الشقة».

(2) كذا في د وج: «وتخلف المنافقون» وهو الصحيح، وفي ق وع: ويحلف المنافقون، وفيه تصحيف.

(3) كأنه أراد العدد الكثير من الناس الذين بهـا. أو لعل هذا القائل أراد الشدة التي تدهمهم، أي تغشاهم بالشام. انظر اللسان (دهم).

﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ أي: بالكذب. ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ أي أنهم إنما اعتلوا بالكذب.

قوله: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الكَاذِبِينَ ﴾ كان المنافقون يأتون النبي عليه السلام فيعتلون بالمرض وبأشياء أكذبهم الله فيها فقال: (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ). ثم قال للنبي عليه السلام: (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ والعفو من الله لا يكون إلا بعد ذنب، (لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ)، أي للمنافقين، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الذِينَ صَدَقُوا، أي: من له عذر، (وَتَعْلَمَ الكَاذِبِينَ) أي: من لا عذر له.

ثم قال: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ أي يتقون الله ﴿ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ أي ويتقون اليوم الآخر ﴿ أَن يُجَـٰهِدُوا بِأَمْـوَٰلِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ كراهية للجهاد، فيتخلفوا عنك ولا عذر لهم. ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ والتقوى اسم للأعمال الصالحة.

﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ أي لا يتقون الله. ﴿ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ أي ولا يتقون اليوم الآخر. كقوله: (وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) [البقرة: 281]، كراهية للجهاد.

قوله: ﴿ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي وشكت قلوبهم في أن لا يعذبهم الله بالتخلف عن الجهاد بعد إقرارهم بالله وبالنبي[1]. ﴿ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ ﴾ أي في شكهم ﴿يَتَرَدَّدُونَ﴾ أي: متحيِّرون. ولم يكن ارتيابهم شكاً في الله ولا في نبيه ولا في شيء مما جاء به، بل كانوا موقنين بذلك كله، وإنما كان لارتيابهم وشكهم في أن لا يعذبهم الله بتخلفهم عن نبي الله بعد إقرارهم وتوحيدهم[2].

قال مجاهد: قال أناس من المنافقين: استأذنوا رسول الله، فإن أذن لكم فاقعدوا، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا.

(1) كذا في المخطوطات ق وع ود وج، وهو من تفسير الشيخ هود ورأيه، فقد جاء في ز، ورقة 127: «(وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ) أي شكت في الله عزّ وجلّ وفي دينه».

(2) هذا رأي الشيخ هود الهواري في ريب المنافقين، وهو شرح لما غيّره من تفسير ابن سلام كما أورده ابن أبي زمنين في مخطوطة ز ورقة 127.

وقال بعضهم: نزلت هذه الآية: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الذِينَ صَدَقُوا ﴾ فيما اعتذروا به إليك، وهم المؤمنون، وتعلم الكاذبين فيما اعتذروا به إليك وهم المنافقون. ثم أنزل الله بعد ذلك الرخصة للمؤمنين خاصة دون المنافقين: ﴿ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ قال في سورة النور: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوْلَـٰئِكَ الذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: 62][1].

قوله: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَـٰكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ ﴾ أي خروجهم، لما يعلم منهم أنهم عُيُون للمشركين على المومنين، ولِمَا يمشون بين المومنين بالنمائم والفساد. ﴿ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ أي عن الخروج لما يعلم منهم من الفساد ﴿ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَـٰعِدِينَ ﴾.

---

(1) يبدو لي ـ والله أعلم ـ أن الاستئذان الوارد في سورة التوبة، والذي نفاه الله عن المؤمنين، غير الاستئذان الوارد في سورة النور، والذي أباحه الله لهم، وأمر نبيه عليه السلام أن يأذن فيه لمن شاء منهم. فهو في سورة التوبة استئذان للتخلف عن الجهاد، وهذا ليس من شأن المؤمنين ولا من طبيعتهم، بل هو من طبيعة المنافقين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر. أما الاستئذان في سورة النور فإنما هو للذهاب من مجلس رسول الله ﷺ ـ إذا كانوا معه على أمر جامع ـ لبعض شأنهم، وهو من الآداب الحسنة العامة التي وصف الله بها المؤمنين في عهد الرسول عليه السلام ليتأدب بها من جاء بعدهم. وذلك مما يدل على تقديرهم وحبهم وتوددهم للنبي عليه السلام. ثم إنهم بعد ذلك مجزيون باستغفار الرسول لهم، فإن من استغفر لهم الرسول عليه السلام من المؤمنين جديرون أن يُغفَر لهم بإذن الله.

ومن جهة أخرى، لا تكون سورة التوبة نزلت قبل سورة النور، فإن آية الاستئذان في سورة التوبة من أواخر القرآن نزولاً، فقد نزلت في السنة التاسعة للهجرة أيام غزوة تبوك، وسورة النور نزلت قبل ذلك بسنتين أو ثلاث. اللهم إلا أن تكون آية الاستئذان والإذن في سورة النور نزلت منفردة بعد غزوة تبوك. وهذا الاحتمال مستبعد. والله أعلم. لهـذا كلـه. لا نرى وجهاً لما قاله بعضهم، وهو قتادة، من «أن الله أنزل بعد ذلك الرخصة للمؤمنين دون المنافقين». انظر في الموضوع كتب التفسير والسيرة، وانظر خاصة الكشاف للزمخشري، ج 3 ص 259 في معنى الأمر الجامع وما هو الدرس الذي يجب على المؤمن أن يعيَه عند تدبره لهذه الآية.

ثم قال للمومنين ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلَـٰلَكُمْ ﴾ أي: مشوا بينكم بالنميمة والكذب. ﴿ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ ﴾ أي: يبغون [أَنْ تَكُونُوا مُشْرِكِينَ[1] و] أن يظهر عليكم المشركون، وظهور الشرك فتنة. ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾ أي للمشركين، يعني المنافقين؛ إنهم عيون للمشركين عليكم، يسمعون أخباركم فيرسلون بها إلى المشركين، في تفسير الحسن. ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّـٰلِمِينَ﴾ أي من المشركين والمنافقين جميعاً، وهو ظلم فوق ظلم وظلم دون ظلم.

قوله: ﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ ﴾ أي الشرك ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي من قبل أن تهاجروا ﴿ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ ﴾ وهو قوله عزّ وجلّ: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الذِين كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ) [الأنفال: 30] وقوله: (أَم ابْرَمُوا أمراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ) [الزخرف: 79]، وهو اجتماع المشركين في دار الندوة يتشاورون في أمر النبي. وقد فسَّرنا ذلك في سورة الأنفال[2].

وقال الحسن: (لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ): أي القتل قبل أن تقدم المدينة، يعني المنافقين.

قال: ﴿ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ أي دين الله ﴿ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾ أي لظهوره.

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ يَقُولُ ائذَن لِّيَ ﴾ يا محمد أُقِم في أهلي ﴿ وَلاَ تَفْتِنِّي ﴾ أي بالنساء فافتتن بهن. وذلك أن رسول الله ﷺ قال: اغزوا تبوك تغنموا من بنات الأصفر[3]، أي بنات الروم، فقال المنافقون: إيذن لنا ولا تفتنا بالنساء فنفتتن. قال بعضهم: هو عبد الله بن أبي السلولي[4].

---

(1) زيادة من ز، ورقة 127.

(2) انظر ما سلف في هذا الجزء: 84 - 85.

(3) أورده مجاهد في تفسيره ص: 281 بدون سند للحديث، ورواه الطبري عن مجاهد، ج 14 ص: 287.

(4) أغلب المفسرين يذكرون أن الآية نزلت في الجد بن قيس، أخي بني سَلِمَة. ويروي الطبري في =

قال الله: ﴿ أَلاَ فِي الفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾ أي في الهلكة، وهو الكفر، سقطوا، أي وقعوا. ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمحِيطَةٌ بِالْكَـٰفِرِينَ﴾ جميعاً، من كافر مشرك، أو كافر منافق. كقوله: (إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً) [النساء: 140]. وكقوله: (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً) [الإسراء: 8] أي: سجنا. وكقوله: (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) [الكهف: 29] أي: سورها.

ثم قال: ﴿ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ ﴾ يعني النصر فتظهر بها على المشركين ﴿ تَسُؤْهُمْ ﴾ أي تلك الحسنة ﴿ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ ﴾ أي نكبة من المشركين ﴿ يَقُولُوا قَدَ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي [أخذنا الوثيقة](1) في مخالفة محمد والتخلف عنه. ﴿ وَيَتَوَلَّوْا ﴾ إلى منازلهم ﴿ وَهُمْ فَرِحُونَ ﴾ أي بالذي دخل على النبي ﷺ والمؤمنين من النكبة.

وقال مجاهد: (قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا) أي: أخذنا حذرنا من قبل.

قال الله للنبي عليه السلام: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ أي إلا ما قضى الله لنا ﴿ هُوَ مَوْلَـٰنَا﴾ أي هو ولينا ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾.

قوله: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا ﴾ أي هل تنتظرون بنا، يعني المنافقين ﴿ إِلاَّ إِحْدَىٰ الْحُسْنَيَيْنِ ﴾ قال الحسن: أن نظهر على المشركين فنقتلهم ونغنمهم، أو نقتل فندخل الجنة ﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُـمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ ﴾ فيهلككم به

= تفسيره ج 14 ص: 287 ما يلي: «قال رسول الله ﷺ ذات يوم، وهو في جهازه، للجد بن قيس، أخي بني سَلِمة: هل لك يا جدُّ العامَ في جلاد بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله. أو تأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشد عجباً بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن: فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: قد أذنت لك». وقد ذكر ابن دريد في كتاب الاشتقاق ص 464 ضمن بطون الخزرج ورجالها ما يلي: «قال رسول الله ﷺ: من سيّدكم يا بني سلِمَة؟ قالوا: الجدّ بن قيس، على بخل فيه. قال: وأي داء أدوأ من البخل. بل سيّدكم الأبيض الجعد: بشر بن البراء». وانظر الواحدي، أسباب النزول،

(1) زيادة من ز، ورقة 127.

﴿ أَوْ بِأَيْدِينَا ﴾ أي تظهروا نفاقكم فنقتلكم عليه؛ فإنا إنما كففنا عن قتلكم بكفكم عن إظهار نفاقكم. وهو كقوله: (لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) وكل هؤلاء منافقون، وهو كلام مثنى (لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ) يا محمد (ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً. سُنَّةَ اللَّهِ فِي الذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) [الأحزاب: 60-62] أي: كذلك سنّة الله في منافقي كل أمة خلت من قبلك، القتل إن لم ينتهوا عن نفاقهم. وكذلك سنّته في منافقي أمتك، إن هم لم ينتهوا عن إظهار نفاقهم. فكفوا عن إظهار نفاقهم. فبالكف عن إظهار نفاقهم كفَّ النبي عن قتالهم[1].

قال: ﴿ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾.

وقال مجاهد: هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ﴾ أي القتل في سبيل الله أو الظهور على أعداء الله.

﴿ قُل أَنفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ﴾ مما فرض عليهم من النفقة في الجهاد. ﴿ لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنكُمُ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَـسِقِينَ﴾. أي فسق النفاق لأنه فسق دون فسق الشرك، لأنكم ليست لكم حسبة[2] ولا نية.

قال: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أي: خالفوا الله ورسوله وإن أقروا بهما. ﴿ وَلَا يَأْتُـونَ الصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ ﴾ يراءون الناس بها، ولا يذكرون الله إلا قليلاً، أي: بتوحيدهم إياه، وإقرارهم به وبنبيّه؛ وهو كقوله: (بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً) [النساء: 155] يعني بالقليل إقرارهم وتوحيدهم: وكقوله: (فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ) [البقرة: 88]. يعني بهذا كله إقرارهم وتوحيدهم، فهو قليل إذ لم يستكملوا جميع فرائض الإيمان، فيكمل لهم الإيمان.

(1) جاء في ر ورقة 128 ما يلي: «(وَنحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) فيهلككم به. (أَوْ بِأَيْدِينَا) أي يستخرج ما في قلوبكم من النفاق حتى تظهروا الشرك فنقتلكم به».

(2) كذا في قع وع: «حسبة» وهو أصح، وفي د: «خشية» وللكلمة وجه.

قال: ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾ أي: الإنفاق في سبيل الله وما فرض الله عليهم.

وفي هذه الآي كلها حجّة على أهل الفراق أن لو كان المنافقون مشركين لم يفرض عليهم الجهاد الذي لم يقرّوا به ولا نفقة[1].

قوله: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَا أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ قال الحسن: ليعذّبهم بالزكاة في الحياة الدنيا.

وفي تفسير عمرو عن الحسن: يعني أنهم ينفقون أموالهم، ويُشخِصون أبدانهم، ويقتلون أحباءهم وأهل مودتهم من المشركين مع أعدائهم من المؤمنين، لأنهم يسرّون لهم العداوة. وهو كقوله: (قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ) من العداوة والبغضاء (أَكْبَرُ) [آل عمران: 118] أي أعظم من الذي بدا من أفواههم.

وقال الكلبي: (فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ فِي الْحَيَـٰوةِ الدُّنْيَا) يقول: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة. فيها تقديم وتأخير. وهذا من خفي القرآن.

قوله: ﴿ وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ ﴾ أي تموت أنفسهم ﴿ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ أي كفر النّفاق.

قوله: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ﴾ فيما أظهروا لكم من الإقرار بدينكم، والادعاء لملّتكم ﴿ وَمَا هُم مِّنكُمْ ﴾ إذ لم يعملوا بأعمالكم ويوفوا بوفائكم ﴿ وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ أي يخافون على دمائهم إن هم أظهروا نفاقهم وباينوا به.

﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً ﴾ يلجأون إليه، أي حصوناً يدخلونها ﴿ أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ﴾ أي:

---

(1) وهذا من كلام الشيخ هود الهواري ولا شك. فهو كلما وجد فرصة لإثبات رأيه والرد على شبهة من شبه الإرجاء إلا وانبرى لتقرير ما يراه صواباً.

غيراناً ﴿ أَوْ مُدَّخَلاً ﴾ أي: بيوتاً. وقال الكلبي: الملجأ: الحرز، والمغارات: الغيران في الجبل، والمدخل: السرب في الأرض.

قال: ﴿لَوَلَّوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ أي: وهم يسرعون الانطلاق إليه، يعني المنافقين. وقال مجاهد: لو يجدون محرزاً لولوا إليه أي: لفروا إليه منكم.

قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ [أي: يعيبك ويطعن عليك][1]. قال مجاهد: يَرُوزُكَ[2]. ﴿ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا ءَانِ لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ بينما هو يوماً يقسم ذهباً وفضة، إذ جاء رجل من المنافقين، قال بعضهم: ناتىء الجبين، مشرف الحاجبين، غائر العينين، فقال: يا محمد، إن كان أمرك الله أن تعدل فما عدلت هذا اليوم. فقال: ويلك فمن يعدل عليك بعدي. ثم قال: احذروا هذا وأشباهه، فإن في أمتي أشباه هذا؛ قوم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية[2].

ذكروا أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: إن رجلاً أتى النبي وهو يقسم ذهباً وفضة، فقال: يا محمد، إن كان الله أمرك أن تعدل، فما عدلت اليوم. فقال له النبي: لقد شقيت، إن لم أعدل فمن يعدل[2].

---

(1) زيادة من ز، ورقة 128.

(2) في قع وع: «يدورك» وفيه تصحيف، وفي ح ود: «يرورك» (كذا بدون نقط) والصحيح ما أثبته: «يروزك» وفي اللسان: الروز: التجربة، رازه، يروزه روزاً: جرّب ما عنده وخَبَره. وفي تفسير مجاهد: ص 282: «يقول: يتهمك، يسألك ويروزك». وانظر تفسير الطبري، ج 14 ص 302، تعليق: 1.

(3) حديث متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل: ويلك، عن أبي سعيد الخدري. وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم من طرق (رقم 1063) والرجل هو ذو الخويصرة التميمي.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: والذي نفسي بيده، ما أعطيكم شيئاً ولا أمنعكموه؛ إنما أنا خازن أضع حيث أمرت(1).

قوله: ﴿ وَلَو أَنَّهُمْ رَضُوا مَا ءَاتَيـهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ أي ما أعطاهم الله ورسوله ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ ﴾ وهي تقرأ على وجه آخر بالنصب: سيوتينا الله ورسوله، أي: ويؤتي رسوله ﴿ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾. وفيها إضمار. أي: لكان خيراً لهم من النفاق الذي كفروا به.

قوله: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَـٰكِينِ وَالعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالغَـٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

فالفقير: الذي به زمانة، أي عاهة في بعض جسده، وهو محتاج. والمسكين: الذي ليست به زمانة وهو محتاج. والعاملون عليها، أي على الصدقات الذين يسعون في جمعها. والمؤلفة قلوبُهم: قوم كانوا يتألفهم النبي ﷺ ليُسلِموا؛ منهم أبو سفيان ابن حرب، وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، والحارث بن هشام، وصفوان بن أمية ابن خلف، وسهيل بن عمرو، والأقرع بن حابس، أعطاهم النبي ﷺ يوم حنين؛ أعطى أبا سفيان ورهطاً معه مائة مائة من الإبل، وأعطى الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن خمسين خمسين من الإبل. وفي الرقاب، يعني المكاتَبين. والغارمون: قوم عليهم دين [أو غرم](2) من غير فساد. وفي سبيل الله؛ يُحمل من ليس له حملان ويعطى منها. وابن السبيل: الضيف والمسافر إذا قُطع به وليس له شيء(3) جعل الله له فيها نصيباً. قال بعضهم: ويُحمل في سبيل الله من الصدقة، ويعطى إذا كان لا شيء له، ثم يكون له سهم مع المسلمين.

(1) مضى تخريجه فيما سلف من هذا الجزء ص 92.

(2) زيادة من ز، ورقة 128.

(3) كذا «وليس له شيء» انفردت بها المخطوطات ق، ع، ود، ولم ترد العبارة في ز.

ذكروا أن علياً وابن عباس قالا: إنما هو عَلَم جعله الله، ففي أي صنف منهم جعلتها أجزأك.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن المسكين ليس بالطواف الذي ترده الأكلة والأكلتان، والتمرة والتمرتان، ولكن الذي لا يجد ما يغنيه ولا يسأل الناس إلحافاً[1].

ذكروا عن الحسن قال: ليس للعاملين عليها ولا للمؤلفة قلوبهم اليوم شيء، إلا ما جعل الإمام للعاملين عليها. وكان يقول: ليست بسهام تقرع[2]، ولكن على ما يرى الإمام، فربما كان بنو السبيل قليلاً والفقراء كثيراً. وربما كان الفقراء كثيراً والمساكين كثيراً. وكذلك المكاتَبون والغارِمون. وإنما هو على ما يرى الإمام من كثرتهم وقلّتهم وفقرهم.

قال: ﴿ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ إذا لم يسعهم الفيء رُضِخَ لهم من الصدقة.

﴿ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾: الرجل المنقطع به في الأرض، فإنه يُرضخ له من الصدقة، وإن كان في أرضه ذا مال كثير، ولا يكون ذلك ديناً عليه.

ذكر بعض السلف قال: إن حقاً على الناس إذا جاءهم المصدّق أن يرحِّبُوا به، وأن يُطعموه من طعامهم، فإن أخذ الصدقة على وجهها فسبيلُ ذلك، وإن تعدّى لم يضرّ إلا نفسه، وسُيخلِف الله عليهم.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: المتعدي في الصدقة كمانعها[3].

(1) انظر تخريجه فيما سلف ج 1 ص 253، تعليق: 1.

(2) كذا في ق وع: «تقرع»، وفي د وج: «توزع».

(3) أخرجه الربيع بن حبيب في مسنده في كتاب الزكاة والصدقة، باب الوعيد في منع الزكاة (رقم 242) «عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: لا صلاة لمانع الزكاة ـ قالها ثلاثاً ـ والمتعدي فيها كمانعها». قال الربيع: المتعدي فيها هو الذي يدفعها لغير أهلها. وفي كتاب الخراج لأبي يوسف ص 175. «عن عبد الله بن مسعود أنه قال: ما مانع الصدقة بمسلم، ومن لم يؤدها فلا صلاة له».

ذكروا أن عقبة بن عامر الجهني قال: بعثني رسول الله ﷺ ساعياً، فاستأذنته أن نأكل من الصدقة فأذن لنا.

ذكروا عن عون بن أبي جحيفة[1] عن أبيه قال: بعث رسول الله ﷺ إلينا ساعياً فأمره أن يأخذ الصدقة من أغنيائنا فيجعلها في فقرائنا، وكنت غلاماً فأعطاني منها قلوصاً.

ذكروا أن أول مكاتب كوتب في الإسلام أبو مؤمل على عهد رسول الله ﷺ؛ فقال رسول الله ﷺ: أعينوا أبا مؤمل[2]. فأعطي حتى فضل منه فضلة من مكاتبته، فسأل عنها رسول الله ﷺ فقال: أنفقها في سبيل الله.

ذكروا أن مكاتباً قام إلى أبي موسى الأشعري فقال: إني رجل مكاتب، فَحُثَّ عليَّ الناسَ. قال: فَحَثَّ أبو موسى عليه الناس. فألقى إليه من الدراهم والثياب حتى قال، حسبي. فانطلق إلى منزله فوجد معه فضلة ثلاثمائة درهم. فسأل عن ذلك أبا موسى الأشعري، فأمره أن يجعلها في مثله من الناس.

ذكروا أن مكاتباً كان في عهد علي تُصُدِّقَ عليه، ففضل عن مكاتبته فضل، فأمره علي أن يجعله في المكاتَبين.

قال: وكذلك الغارمون الذين لزمهم دين من غير فساد، يجمع لهم من الصدقة ويأخذون منها كفاف ديونهم. فإن أعطوا أكثر من ذلك حتى تفضل في أيديهم منه فضلة ردوا تلك الفضلة على مثلهم في مثل حالهم.

وسئل بعض السلف عن الرجل العالم الفقيه الذي قد اتخذه المسلمون سلفاً

---

(1) في ق وع «جحفة»، وفي د: حذيفة، وفي كلتا الكلمتين تصحيف صوابه «جحيفة» كما جاء في الاستيعاب لابن عبد البرّ: ج 4 ص 1619 - 1620.

(2) لم أجد فيما بين يدي في مصادر الحديث هذا الحديث، ولم أعثر على اسم هذا الرجل المكنى بأبي مؤمل فيما بين يدي من تراجم الرجال. فهل هذا مما انفرد بروايته يحيى بن سلام البصري؟.

وإماماً، فاستقل بأمور المسلمين والنظر في حوائجهم، وهو فقير، هل ينظر المسلمون له نظراً يُغْنونه عن المسألة، ويفضّلونه على من سواه ممن لم يحتمل من أمور المسلمين ما احتمل؟ فقال نعم. وهل ينبغي للمسلمين إلا هذا؟ وهل يجوز لهم أن يحتاج فيهم مثل هذا؟ وقد كان عمر بن الخطاب يفضل أهل الفضل في الإسلام، ويخصُّهم من الصدقة والفيء بما لا يخص به غيرهم لما يحتملون من أمور المسلمين، ويشغلون أنفسهم بحوائج المسلمين عن حوائجهم. فأهل أن يُفضّلوا، وأهل أن يُشرَّفوا، وأهل أن ينظر لهم المسلمون بما يسعهم ويقوتهم ويقوت عيالهم[1].

قوله: (فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ) أي: لهؤلاء الذين سمّى في هذه الآية. وذلك في جميع الزكاة، في الذهب والفضة والماشية والثمار والحبوب والزروع. (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) عليم بخلقه، حكيم في أمره.

قوله: ﴿ وَمِنْهُمُ الذِينَ يُوذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ يعني المنافقين.

قال الحسن: كانوا يقولون: ما هذا الرجل إلا أذن، من شاء صرفه حيث شاء، [ليست له عزيمة][2] فقال الله: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾ أي: هذا الرجل الذي تزعمون أنه أذن، خير لكم. ﴿ يُومِنُ بِاللَّهِ وَيُومِنُ لِلْمُومِنِينَ ﴾ [أي يصدق الله ويصدق المؤمنين][2] ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ ﴾ أي: وهو رحمة للذين ءامنوا منكم. أي إنه رحمة للمؤمنين، رحمهم الله بها واستنقذهم من الجاهلية وظلمتها إلى النور، وأنقذهم من النار إلى الجنة.

وقال مجاهد: (وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ) أي: سنقول له فيصدّقنا. يعني المنافقين

(1) هذا كلام نفيس من الشيخ هود الهواري، وتوجيه سديد من سيدنا عمر رضي الله عنه. وليت جماعات المسلمين يفقهون هذا الكلام فيعرفون لذوي الفضل فضلهم، ولمن يضحون بجهدهم الفكري وبأوقاتهم الثمينة يصرفونها في سبيل إعلاء كلمة الله، وفي سبيل الصالح العام، فيكفونهم مؤونة العيش ويخففون عنهم وطأة الحياة إن كانوا محتاجين.

(2) زيادة من ز، ورقة 129.

يقولون: نحلف له فيعذرنا. وبعضهم يقرأها: قل اذنٌ خيرٌ لكم. أي: هو أذن خيرٌ لكم.

قوله: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ ﴾. أي بالعلل والكذب ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ أي بالصدق والوفاء ﴿ إِنْ كَانُوا مُومِنِينَ ﴾ أي: إنهم يزعمون أنهم مؤمنون بالإقرار والتوحيد دون العمل بجميع الفرائض التي فرض الله عليهم. وليسوا بمؤمنين حتى يكملوا جميع فرائض الله في القول والعمل. فقال: (وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ) من أن يرضوكم بالعلل والكذب.

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي: من يشاقق الله ورسوله، وقال بعضهم: من يخالف الله ورسوله ﴿ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ أي: قد أنزل الله ذلك عليهم، وأعلمهم به، واتخذ به الحجة عليهم. وهو كقوله: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً) [الأنبياء: 30]؛ وكقوله: (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) [التوبة: 78].

قوله: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ من النفاق وما كانوا يحذرون. ففعل الله ذلك بهم، فأخرج أضغانهم، وهو ما كانوا يكنون في صدورهم. وإنما حذروا من شيء تَيَقّنوا به، ولو كانوا مشركين لم يحذروه لأنهم يجحدونه ولا يقرون به.

وقال مجاهد: يقولون القول بينهم ثم يقولون: نخشى الله أن يُفشِي علينا سرَّنا هذا.

ذكر بعضهم قال: كانت هذه السورة تسمى جاهرة أي: جهرته[1]. وبعضهم

(1) كذا في د وج: «جهرته» وفي ق وع: «جهرة» ويبدو أن في الكلام سقطاً. ولم أجد هذا الوصف لهذه السورة ضمن تسعة أسماء لها ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ج 3 ص 389، ولا ضمن اثني عشر اسماً عددها الزمخشري في الكشاف، ج 2 ص 241.

يقول: حافرة، أي حفرت عن ذنوب القوم، يعني المنافقين. وقال بعضهم: كانت هذه السورة تسمى فاضحة المنافقين، لأنها أنبأت بمقالتهم وأعمالهم. وقال الحسن: كانت تسمى حافرة، أنبأت بما في قلوب المنافقين.

﴿ قُلِ اسْتَهْزِءُوا ﴾ أي بمحمد وأصحابه، وهو وعيد هَوْلُه شديد. كقوله: (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُومِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) [الكهف: 29] وهو وعيد. ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ أي: ما أكننتم في قلوبكم من النفاق فمخرجه، فذاكره عنكم.

وأما قوله: (اسْتَهْزِءُوا) فهو جواب من الله لقولهم. (إِذَا لَقُوا الذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ) يعني كفار المشركين (قَالُوا إِنَّا مَعَكُم) أي في المودة (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ) [البقرة: 14 - 15]. أي إنما نحن مخادعون. والاستهزاء في هذا الموضع إنما هو الخداع. ألا تراه يرد عليهم جوابهم: (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) أي يخدعهم في الآخرة كما خدعوه في الدنيا.

وقد أوضح ما تأولنا عليه الآية في النساء فقال: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) [النساء: 142] يخادعونه بما أظهروا من التوحيد والإقرار، وليس من شأنهم الوفاء بالأعمال. وهو خادعهم إذ جعل مساقهم مع المؤمنين. وبيان خدعه إياهم في سورة الحديد. وسنذكر ذلك أيضاً في سورة الحديد إذا أتينا عليه، كيف خدعهم الله عند ضرب السور بينهم وبين المؤمنين إذ طمعوا أن يكونوا من المؤمنين، إذ سيقوا في زمرتهم بالنور القليل الذي كان معهم، وبه ناكحوا المسلمين ووارثوهم. فَطفِىءَ نور المنافقين، ومضى نور المؤمنين من بين أيديهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم. وسنأتي على بقيّة ما بقي من هذا في سورة الحديد إذا نحن بلغناها إن شاء الله.

قوله: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾.

قال الكلبي: بلغنا أن رسول الله ﷺ حين رجع من تبوك، بينما هو يسير إذا برهط أربعة يسيرون بين يديه وهم يضحكون. فنزل جبريل على النبي عليه السلام

فأخبره أنهم يستهزءون بالله تعالى ورسوله وكتابه. فبعث رسول الله ﷺ عمار بن ياسر فقال: أدركهم قبل أن يحترقوا واسألهم مما يضحكون، فإنهم سيقولون مما يخوض فيه الركب إذا ساروا[1]. فلحقهم. فقال لهم: مم تضحكون وما تقولون؟ فقالوا: مما يخوض فيه الركب إذا ساروا فقال عمار: صدق الله وبلغ الرسول، احترقتم لعنكم الله. وكان يسايرهم رجل لم ينههم ولم يُمَالِئْهُم. فأقبل ذلك الرجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، والذي أنزل عليك الكتاب ما مالأتهم ولا نهيتهم. وجاءوا إلى النبي ﷺ يعتذرون فأنزل الله:

﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُم ﴾ فأخبر أن لهم إيماناً كفروا بعده، وأن المشركين لم يتطاعموا[3] إيماناً قط فيكفروا بعد إيمانهم.

﴿ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ أي جرم نفاق، لأنه جرم دون جرم، وجرم فوق جرم، فيرجى أن يكون العفو من الله لمن لم يمالئهم ولم ينههم[2].

وقال بعضهم: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وبين يديه ناس من المنافقين، فقالوا: أيرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها؟ هيهات، هيهات له من ذلك. فأطلع الله نبيه على ذلك فقال: احبسوا علي هذا الركب [فأتاهم][4] فقال: قلتم كذا وكذا. قالوا: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب.

(1) روى ابن هشام هذا الخبر عن ابن إسحاق بتفصيل في سيرته ج 4 ص 524 - 529، وأورده الواقدي كذلك في المغازي، ج 3 ص 1004 - 1005.

(2) انظر في معاني القراء للفراء ج 1 ص 445 معنى العفو عن الطائفة في هذه الآية فقد جاء في ذلك ما يلي: «والطائفة واحد واثنان، وإنما نزل في ثلاثة نفر؛ استهزأ رجلان برسول الله ﷺ والقرآن، وضحك إليهما آخر، فنزل: (إِنْ يُعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ) يعني الواحد الضاحك (تُعَذَّبْ طَائِفَةٌ) يعني المستهزأين».

(3) كذا في المخطوطات بصيغة التفاعل. ففي د: تطاعموا، وفي ق وع تطامعوا، ويبدو أن المعنى لم يذوقوا للإيمان طعماً، ولكني لم أجد هذا المعنى بهذه الصيغة في كتب اللغة.

(4) زيادة من تفسير الطبري، ج 14 ص 334 حيث جاء الخبر مروياً بسند عن قتادة. وانظر في هذه الآية الواحدي، أسباب النزول، ص 250 - 251.

قوله: ﴿ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾، أي: قد نافقتم بعد إقراركم وتوحيدكم، يعني أهل هذا الكلام الذي تكلّموا به، وهو كفر نفاق. وهو كفر المحدثين من أهل الإقرار بالله والنبي والكتاب.

قوله: ﴿ الْمُنَـٰفِقُونَ وَالْمُنَـٰفِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ﴾ أي في الألفة والاجتماع على معاصي الله ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ ﴾ وهو كل ما يعرف العباد جوره. ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾ وكل ما يعرف العباد عدله فهو معروف.

وقال بعضهم: ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ ﴾ أي بالكفر، وهو النفاق. ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾ وهو الإيمان، أي: عن العمل بالصالحات، وهي الإيمان، وهذا يرجع إلى التأويل الأول، وهو واحد.

﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ أي عن النفقة في سبيل الله وعن الزكاة. وقال مجاهد: لا يبسطونها بالنفقة في الحق. وقال بعضهم: لا يبسطونها إلى الخير.

قال: ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ أي: تركوا فرائض الله فلم يكملوها ولم يعملوا بجميعها[1]. ﴿ فَنَسِيَهُمْ ﴾ أي فتركهم كمن ليس مذكوراً. وقال بعضهم: ﴿ فَتَرَكَهُمْ ﴾ أي: لم يذكرهم بما يذكر به المؤمنين أهل الوفاء والصدق من الخير. ﴿ إِنَّ الْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ الْفَـٰسِقُونَ﴾ يعني فسق النفاق، وهو فسق دون فسق، وفسق فوق فسق.

قوله: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَـٰفِقِينَ وَالْمُنَـٰفِقَاتِ﴾ أهل الإقرار بالله والنبي والكتاب. ﴿ وَالْكُفَّارَ ﴾ أهل الإنكار والجحود. ﴿ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ لا يموتون ولا يخرجون منها. ﴿ هِيَ حَسْبُهُمْ ﴾ جميعاً: المشركين والمنافقين. كقوله: ﴿ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ﴾ [المجادلة: 8] ﴿ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ أي: دائم في الآخرة.

قال: ﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ يعني من الكفار ﴿ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُم قُوَّةً وَأَكْثَرَ

(1) كذا في المخطوطات الأربع، وفي ز، ورقة 129: «(نَسُوا اللَّهَ) أي: تركوا ذكره بالإخلاص من قلوبهم.

أَمْـوَٰلاً وَأَوْلَٰداً﴾ يقول: لعنهم وأهلكهم وأوجب لهم النار. يقول: فسيعذبكم كما عذب الذين من قبلكم من الكفار، يعني الذين تقوم عليهم الساعة الدائنين بدين المشركين أبي جهل وأصحابه.

قال: ﴿ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَـٰقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَـٰقِكُمْ ﴾ قال الحسن: أي بدينكم ﴿ كَمَا اسْتَمْتَعَ الذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلٰقِهِمْ﴾ أي: بدينهم ﴿ وَخُضْتُمْ ﴾ في الكفر والتكذيب. رجع بهذا كله إلى كفار قريش دون المنافقين. وخضتم في الكفر ﴿ كَالذِي خَاضُوا أُولَـٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَـٰئِكَ ﴾ جميعاً من الماضين والباقين ﴿ هُمُ الخَـٰسِرُونَ﴾ .

وقال الكلبي: (فَاسْتَمْتَعْتُمْ) في الدنيا بنصيبكم من الآخرة (كَمَا اسْتَمْتَعَ الذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) في الدنيا بنصيبهم من الآخرة.

قوله: ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْـرٰهِيمَ وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَـٰتِ ﴾ قريات قوم لوط الثلاث، خسف بهم، رفعها جبريل بجناحه حتى سمع أهل سماء الدنيا صراخ كلابهم ثم قلبها. والمؤتفكات هي المنقلبات. وقال في آية أخرى: (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ) [النجم: 53] وهي قريات قوم لوط الثلاث، فهم يتجلجلون[1] فيها إلى يوم القيامة. يقول: ألم يأتهم خبرهم فيما أنزل الله في كتابه.

قال: ﴿ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَـٰتِ﴾ أي أتت جميع هؤلاء رسلهم بالبينات ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ أي بإهلاكه إياهم بعد قيام الحجج عليهم برسلهم ﴿ وَلَـٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ أي بجحودهم وبشركهم، يحذر هؤلاء ما فعل بمن كان قبلهم.

قـوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُـونَ وَالْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُم أَوْلِيَـاءُ بَعْضٍ ﴾ أي في الالفة والاجتماع على دين الله ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وهو ما يعرف العباد عدله، ﴿ وَيَنْهَوْنَ

---

(1) يتجلجلون، أي: يسيخون في الأرض ويدخلون فيها. وفي الحديث: بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خُسِف به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة.

عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ وهو ما يعرف العباد جوره. وقال الحسن: (يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) أي بالإيمان بالله (وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) أي: عن الكفر بالله.

قال: ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ ﴾ أي على ما أمرهم الله به لا ينقصونها، ولا يقومون إليها كسالىٰ، ولا يراءون الناس بها كما يفعل المنافقـون. ﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ ﴾ المفروضة، طيبة بها أنفسهم، ليس كما يصنع المنافقون الذين لا ينفقون إلا وهم كارهون.

قال: ﴿ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ في القول والعمل، وفي كل ما تعبّدهم به من جميع فرائضه، ليس كما صنع المنافقون الذين لم يطيعوا الله في كل ما تعبّدهم به من القول، أي إنهم قالوا ولم يعملوا، يعني المنافقين.

﴿ أُولَـٰئِكَ ﴾ يعني المؤمنين الذين هذه صفتهم ﴿ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ أي: سيثيبهم الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أي: عزيز في نقمته حكيم في أمره.

قوله: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾ أهل الصدق والوفاء ﴿ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ ﴾. وقد فسّرنا الأنهار في غير هذا الموضع. ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ أي في الجنة ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً ﴾. ذكر الحسن قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة آخرهم دخولاً. فيقال له: انظر ما أعطاك الله، فيفسح له في بصره. فينظر مسيرة مائة ألف سنة كله له، فليس فيه موضع شبر إلا وهو عامر قصور الذهب والفضة، وخيام اللؤلؤ والياقوت. فيها أزواجه وخدمه، يُغدَى عليه كل يوم بسبعين ألف صَحْفَة من الذهب، ويُراح عليه بمثلها. في كل واحدة منها لون من الطعام ليس في صاحبتها، يأكل من آخرها كما يأكل من أولها. لو نزل عليه الجن والإنس في غداء واحد وسعهم، ولا ينقص ذلك مما عنده شيئاً.

وذكروا عن ابن عباس قال: الخيمة درّة مجوّفة، فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب. ذكروا عن أبي موسى الأشعري قال: إن الرجل من أهل الجنة لتكون له الخيمة طولها في السماء سبعون ميلاً، وإن له فيها لأهلاً يطوف عليهم ولا يشعر بهم الآخرون.

وقال: ﴿ فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ قال الحسن: عدن اسم من أسماء الجنة. وقال بعضهم: هي أشرف الجنان. ذكروا عن ابن عباس قال: عدن: بطنان الجنة[1].

وقال: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي أعظم مما هم فيه من ملك الجنة. قال الحسن:[2] وصل إلى قلوبهم من رضوان الله من اللذة والسرور ما هو ألذ عندهم وأقر لأعينهم من كل شيء أصابوه من لذة الجنة.

ذكروا عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: إذا دخل أهل الجنة الجنة فرأوا ما فيها قال الله عزّ وجلّ لهم: لكم عندي أفضل من هذا. قالوا: ربنا ليس شيء أفضل من الجنة. قال: بلى، أحلّ عليكم رضواني[3].

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾. قال الحسن: النجاة العظيمة. وقال بعضهم: فازوا من النار إلى الجنة. وقد قال: (فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ) أي نجا من النار (وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) [آل عمران: 185] أي فقد سعد.

قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَـٰفِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي جاهد الكفار المشركين بالسيف، واغلظ على المنافقين بالحدود، وهو تفسير الحسن. وقال الحسن: كان أكثرُ من يصيب الحدود يومئذٍ المنافقين. قال الكلبي: واغلظ على

(1) بطنان الجنة: وسطها، كما ذكره الجوهري في الصحاح (بطن) وكما جاء في تفسير الطبري ج 14 ص 353.

(2) كذا في المخطوطات، وفي ز، ورقة 130: «يصل»، وهو أبلغ تعبيراً.

(3) حديث متفق عليه أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم. أخرجه البخاري في كتاب الرقائق، وفي كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة، عن أبي سعيد الخدري ولفظه: «إن الله يقول لأهل الجنة، يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم، فيقولون: ومالنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من خلقك. فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك. فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك، فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً» وأخرجه مسلم في أواخر حديث طويل من كتاب الإيمان عن أبي سعيد الخدري (رقم 183). وأخرجه ابن سلام بالسند التالي: يحيى عن إبراهيم بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله كما جاء في ز، ورقة 130.

المنافقين، أي: بالقول. قال: ﴿وَمَأْوَيٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: ومصيرهم، أي منزلهم، جهنم. ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

قوله: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ﴾.

ذكروا عن الحسن قال: قال رجل من المنافقين لرجل من المسلمين: إن كان ما يقول محمد حقاً لنحن أشرُّ من الحمير. فقال المسلم: فأنا أشهد أن ما يقول محمد ﷺ حق وإنك شر من حمار. ثم أتى النبي عليه السلام فأخبره بذلك. فأرسل النبي إلى المنافق فقال: أَقُلتَ كذا وكذا فقال: [والله][1] يا رسول الله ما قلته، [وحلف المسلم لقد قاله][2] فأنزل الله: (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ) أي بعد إقرارهم وتوحيدهم[3].

﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ قال مجاهد: هو المنافق الذي قال ما قال، أراد أن يقتل المسلم الذي أخبر النبي عليه السلام بقول المنافق للمؤمن: إن كان ما يقوله محمد حقاً فنحن أشر من الحمير.

قال بعضهم: بإظهار النفاق. وكان يقول: كانوا نفراً، وكان الرجل الذي أخبر النبي عليه السلام حاضرَهم حين قال بعضهم: لئن كان ما يقول محمد حقاً لنحن أشر من الحمير؛ فلم يفطنوا بمكان الرجل، فأرعب الله قلوبهم، فقال في سورة الأحزاب: (لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) [الأحزاب: 60] بالنبي وأصحابه، وهم المنافقون، يقولون: يهلك محمد وأصحابه، ونرجع إلى دين مشركي العرب.

---

(1) زيادة لا بد من إثباتها، فالآية نص في ذلك.

(2) زيادة من ز، ورقة 130.

(3) أورد الطبري هذا الخبر في تفسيره ج 14 ص 361. والرجل الذي عناه هو الجلاس بن سويد الصامت كما جاء في بعض الروايات. وقد قيل: إنه تاب بعد ذلك وحسنت توبته.

(4) وقد أورد الواحدي في أسباب النزول ص 251 - 252 سبباً لنزول الآية يشير إلى أن قوماً هموا بقتل النبي عليه السلام في عَقَبَةٍ.

وقال بعضهم: نزل هذا حين قالوا: ﴿ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ﴾ [المنافقون: 8] فقال الله لئن لم ينتهوا عن إرجافهم وإظهارهم نفاقهم ﴿ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾ أي لنسلطنَّك عليهم فتقتلهم، ﴿ ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الأحزاب: 60].

وقال بعضهم: ﴿ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ أي: حين قالوا ﴿ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ﴾.

قوله: ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَـٰهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ يقول: لم ينقموا من الذي جاء به رسول الله ﷺ شيئاً إلا أنهم أصابوا الغنى في الدنيا، ولو تمسّكوا به لأصابوا الجنة في الآخرة. وهو كقوله: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤمِنُوا بِاللَّهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ ﴾ [البروج: 8] وكقوله: ﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ ءَامَـنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ ﴾.

قوله: ﴿ فَإِن يَّتُوبُوا ﴾ أي: يرجعوا عن نفاقهم ﴿ يَكُ خَيْراً لَّهُمْ وَإِن يَّتَوَلَّوْا ﴾ عن التوبة، ويباينوا بالنفاق[1] ﴿ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا ﴾ بالسيف ﴿ وَالأَخِرَةِ ﴾ بالنار ﴿ وَمَا لَهُم فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ ﴾ يمنعهم من عذاب الله ﴿ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾.

قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ اللَّهَ لَئِنَ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ فأوسع علينا من الرزق ﴿ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾ يعني الصدقة ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّـٰلِحِينَ﴾ أي: ممن يطيع الله ورسوله. قال هذا المنافقون.

قال الله: ﴿ فَلَمَّا ءَاتَيٰهُم مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ ﴾ عن الإنفاق في سبيل الله وعن الصدقة ومنعوا حق الله. ﴿ وَتَوَلَّوْا ﴾ أي عن الصلاح والطاعة ﴿ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ أي عن أمر الله.

﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ لا يتوبون منه ﴿ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ

(1) كذا في المخطوطات الأربع، وفي ز، ورقة 130: «ويظهروا الشرك».

مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ قال الحسن: ثلاث في المنافق: إذا وعد أخلف، وإذا حدَّث كذب، وإذا اؤتمن خان[1].

ذكروا عن الحسن قال: هؤلاء المنافقون؛ ائتمنهم الله فخانوه، أي: لم يكملوا بما كانوا أقروا لله من القول والعمل. أي: قالوا ولم يفعلوا، ووعدوه فأخلفوه حين قالوا: (لَئِنْ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ). أي المؤمنين المستكملين للقول والعمل[2].

قوله: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَيٰهُمْ ﴾ فسرهم الذي يخفونه والذي في قلوبهم من النفاق، ونجواهم ما يتناجون به من النفاق فيما بينهم. أي: قد علموا ذلك فيما أنزل الله في كتابه، وقامت به الحجة عليهم. ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّـٰمُ الْغُيُوبِ ﴾.

قوله: ﴿ الذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَـٰتِ وَالذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

ذكروا أن عبد الرحمـٰن بن عوف جاء بنصف ماله إلى رسول الله ﷺ يتقرّب به

(1) هذا نص حديث متفق عليه، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ. ونصه في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، (رقم 59): «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان».

(2) هذا هو الحق إن شاء الله. فالآية عامة نزلت في المنافقين لا في شخص بعينه. ولم يشر المؤلف - على غير عادته - إلى سبب نزول الآية، وإلى أنها نزلت في صحابي يُدعى ثعلبةَ بن حاطب الأنصاري. وقد أورد قصته كثير من المفسرين وجعلوها سبباً لنزول الآية. انظر مثلاً تفسير الطبري ج 14 ص 370 - 373، وأسباب النزول للواحدي ص 252 - 254. وقد أجمع المؤرخون وأصحاب السير والتراجم أن ثعلبة بن حاطب شهد بدراً وأُحداً، ولعله شهد الحديبية أيضاً. وقد شك ابن حجر في الإصابة في نسبة هذا الخبر إليه وقال: «فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقاً في قلبه وينزل فيه ما نزل؟. فالظاهر أنه غيره». فالأولى أن نتوقف في قبول هذه الأخبار وتقويتها بدون تمحيص، وأن نحسن الظن بالصحابة، وخاصةبمن قال فيهم من لا ينطق على الهوى، ﷺ: ما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

إلى الله فقال: يا رسول الله، هذا صدقة [وأحسبه قال: يا رسول الله هذا نصف مالي أتيتك به، وتركت نصفه لعيالي. فدعا الله أن يبارك له فيما أعطى وفيما أمسك][1]. فلمزه المنافقون، وقالوا: ما أعطى إلا رياء وسمعة.

وجاء الحثحاث أبو عقيل[2]، رجل من الأنصار، إلى النبي عليه السلام فقال: يا رسول الله: بت البارحة أجر الجرير[3] على صاعين من تمر. فأما صاع فأمسكته لأهلي، وأما صاع فهذا هو. [فقال له نبي الله عليه السلام خيراً][3]؛ فقال المنافقون: والله إن كان الله ورسوله لغنيَّين عن صاع أبي عقيل. فأنزل الله هذه الآية. وقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي خالفوا الله ورسوله ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي لا يكونون بالفسق مهتدين عند الله. وهذا فسق النفاق، وهو فسق دون فسق، وفسق فوق فسق.

وكانوا يأتون النبيَّ عليه السلام ويعتذرون إليه، ويقولون: (إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ) [التوبة: 107] و (إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً) [النساء: 62]. فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: قد خيَّرني ربي، فوالله لأزيدنَّهم على السبعين[4]؛ فأنزل

---

(1) زيادة من ز، ورقة 131.

(2) أخرج الحديث البخاري عن أبي مسعود الأنصاري في كتاب التفسير، باب الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُومِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ، وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق سعيد عن قتادة مرسلاً في تفسيره ج 14 ص 384 - 385. وقد اختلف الرواة في اسم أبي عقيل صاحب الصاع؛ فقد ورد اسمه في مخطوطتي ق وع بلفظ الحجاب، وكذلك ورد في تفسير الطبري بالحاء والباء. وقد أورد الحافظ ابن حجر في فتح الباري ج 8 ص 331 مختلف هذه الروايات. ويبدو لي أن الراجح في ضبطه ما أثبتُّه الحثحاث بالحاء وبمثلثتين، كما ورد في الاستيعاب لابن عبد البرّ ج 4 ص 1717، والله أعلم.

(3) الجرير هو الحبل، ويعني أنه بات يستقي الماء من البئر وهو يجرّ حبل الدّلو.

(4) أخرجه البخاري في كتاب التفسير عند تفسير الآية من سورة التوبة، عن ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه الطبري في تفسيره ج 14 ص 396 عن ابن عباس مرفوعاً، وعن قتادة مرسلاً.

الله هذه الآية في سورة المنافقون (سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) [المنافقون: 6] وهو فسق النفاق.

وهذا مما يدل أهل الفراق أن لو كانوا مشركين كما وصفوا لم يستغفر لهم رسول الله، ولم يقل لأزيدن على السبعين مرة في الاستغفار لهم؛ وما كان رسول الله ﷺ ليجهل الشرك فيستغفر لأهله، وقد قال الله: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) [التوبة: 113].

قوله: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ﴾ قال مجاهد: بعد الفتح وبعد الطائف وبعد حنين في الصيف، حين اختُرِفَت النخلُ، وطابت الثمار، واشتُهِيَ الظلّ، وشَقَّ عليهم الخروجُ في إبّان الحرّ.

قال الله للنبي عليه السلام: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ من نارالدنيا في تفسير الحسن. ﴿ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ لعلموا أن نار جهنم أشد حراً من نار الدنيا.

ذكر بعضهم قال: بينما رسول الله ﷺ في مسير له في يوم شديد الحر إذ نزل منزلاً وجعل أحدهم ينتعل ثوبَه من شدة حرّ الأرض، فقال رسول الله ﷺ: أراكم تجزعون من شدة حرّ الشمس وبينكم وبينها مسيرة خمسمائة عام، والذي نفسي بيده لو أن باباً من أبواب جهنم فتح بالمشرق ورجل بالمغرب لغلا دماغه حتى يسيل من منخريه[1].

وذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لو أن غرباً[2] من جهنم وضع في الأرض لأذى حرّه ما بين المشرق والمغرب.

---

(1) رواه يحيى بن سلام عن النضر بن معبد عن أبي قلابة كما جاء في ز ورقة 131.

(2) في بعض المخطوطات تراباً، وفي بعضها غراباً، والصحيح ما أثبته «غرباً»، وهي الدلو العظيمة. وقد روى هذا الحديث الطبراني عن أنس بلفظ أطول حسبما ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ج 4 ص 462.

وذكروا أن رسول الله ﷺ قال: ناركم هذه التي توقدون بها جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم. قيل: يا رسول الله، إن كانت لكافية. قال: فإنها فضلتها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرّها. وزاد فيه بعضهم قال: ضربت بالماء مرّتين لكي تنتفعوا بها وتدنوا منها(1).

قوله: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يعني المنافقين. فليضحكوا قليلاً في الدنيا، أي: إلى موتهم، وليبكوا كثيراً، أي في النار إذا صاروا إليها.

ذكروا عن أبي موسى الأشعري أنه قال: إن أهل النار ليبكون الدموع، حتى لو أن السفن أرسلت في دموعهم لجَرَت، ثم يبكون بعد ذلك الدم(2).

ثم قال للنبي عليه السلام: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ﴾ أي: من غزوة تبوك ﴿إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ أي من المنافقين ﴿فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ معك ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فبذلك كفرتم، وبذلك نُهيتُ أن أستصحبكم ﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾. أي مع النساء في تفسير الحسن. وفي تفسير الكلبي: مع الأشرار. ذكر بعضهم قال: ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلاً قيل فيهم ما قيل.

قوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ ثم أخبره لم ذاك وبم هو، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: خالفوا الله وخالفوا رسوله ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ وهو فسق النفاق.

---

(1) حديث متفق على صحته، رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب صفة النار وأنها مخلوقة عن ابن عمر. وأخرجه مسلم. . . أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم (رقم 2843) عن أبي هريرة، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد؛ باب صفة النار، عن أنس بن مالك (4318).

(2) هذا معنى حديث أخرجه ابن ماجه عن أنس بن مالك مرفوعاً (رقم 4324) ولفظه: «يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى ينقطع الدموع، ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيه السفن لجرت».

قال بعضهم : بلغنا أنه عبد الله بن أبي بن سلول؛ لما مات جاء ابنه إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أعطني قميصك أكفّنه فيه. فأعطاه رسول الله ﷺ قميصه فكفنه فيه، وصلّى عليه النبي. فأنزل الله : (وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) ثم أخبره لم ذاك وبم هو فقال: (إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) أي خالفوا الله وخالفوا رسوله (وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ)[1].

وقال بعضهم: ذكر لنا أنه مات منافق فكفنه رسول الله في قميصه وصلى عليه ودلّاه في قبره. فأنزل الله هذه الآية. فذكر لنا أن النبي ﷺ قال: وما يغني عنه قميصي من عذاب الله. والله إني لأرجو أن يسلم به ألف من قومه[2].

وقال بعضهم: إن رسول الله تقدم ليصلّيَ عليه، فأخذ جبريل بثوبه فقال: والله لا تصل على أحد منهم مات أبداً. . إلى آخر الآية.

وفي هذا دليل على أهل الفراق أن لو كانوا مشركين كما قالوا ما صلّى عليهم رسول الله، ولا وقف على قبورهم، ولا كفنهم في ثيابه، ولا دلّاهم في قبورهم بعد قول الله : (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) [التوبة: 28]، وبعد قوله: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالذِينَ ءَامَنُوا أَن يَّسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ) [التوبة: 113].

قوله: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: وتموت أنفسهم ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ أي: وهم مخالفون لله ورسوله. أخبر أنهم يموتون على الكفر. وقد فسّرناه في الآية الأولى التي قبل هذه الآية.

(1) قصة طلب عبد الله بن عبد الله بن أبي من رسول الله عليه السلام أن يصلي على أبيه عبد الله بن أبي وصلاة الرسول عليه ثابتة في كتب التفسير والحديث، انظر مثلاً صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة براءة، وتفسير الطبري ج 14 ص 409.

(2) ذكر السيوطي في الدر المنثور ج 3 ص 266 هذا الخبر الذي أخرجه أبو الشيخ عن قتادة وفيه: «والله إني لأرجو أن يسلم به أكثر من ألف من بني الخزرج».

قوله: ﴿ وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَن ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَـٰهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَـْٔذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾ أي: ذوو السّعة والغنى في المُقام والتخلّف عن الجهاد ﴿ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَـٰعِدِينَ ﴾[1] قال: ﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾ أي مع النساء في تفسير الحسن وغيره من العامة. ﴿ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾.

قال: ﴿ لَـٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَـٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَـٰٓئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَٰتُ ﴾ قال الحسن: الخيرات: النساء الحسان[2]. وقد قال: (فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ) [الرحمن: 70] ﴿ وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ أي: السعداء.

﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ ﴾ قد فسّرنا الأنهار في غير هذا الموضع[3] ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ أي: لا يموتون ﴿ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾. قد فسرناه قبل هذا الموضع[4].

قوله: ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾ يعني المنافقين من الأعراب ﴿ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾ في القعود ﴿ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ فيما أقروا به من الإقرار والتوحيد إذ تخلفوا في غزوة تبوك ﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: موجع. وذلك يقع على جميع المنافقين.

قوله: ﴿ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ ﴾ نزلت في عبد الله بن أم

(1) في المخطوطات الأربع: «مع القاعدين، أي مع النساء». وهو خطأ من النساخ ولا شك. وقد أثبت «النساء» تفسيراً «للخوالف» كما هو الصحيح. وكما ذهب إليه جمهور المفسرين؛ فإن صيغة فواعل تأتي في الأصل جمعاً لمؤنث على وزن فاعلة. وقد ورد فواعل وزناً لمذكر مثل فارس فوارس وهالك هوالك. انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة، ج 1 ص 265. أما القاعدون فهم الذين قعدوا في بيوتهم من العجزة والمرضى وغيرهم ممن لا يخرج للجهاد.

(2) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 267: (وأولـئك لهم الخيرات) وهي جميع خيرة، ومعناها الفاضلة في كل شيء». وهو وصف، وليس على صيغة التفضيل. وإذا أريد التفـ قيل: هو، أو هي، خير الناس. وانظر اللسان: (خير).

(3) انظر ما سلف، ج 1 ص 90.

(4) انظر ما سلف ج 1 ص 512.

مكتوم الأعمى وأصحابه ﴿ وَلاَ عَلَى الذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ ﴾ أي جناح في التخلف عن الغزو ﴿ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ إذا كان لهم عذر. ﴿ مَا عَلَى المُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي غفر لهم مقامهم ووضع الخروج عنهم.

﴿ وَلاَ عَلَى الذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا ﴾ أي: انصرفوا من عندك ﴿ وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ ذكروا أن مجاهداً قال: هم بنو مُقرِّن، من مُزَينة. وقال بعضهم: هم الأشعريون، رهط أبي موسى الأشعري[1].

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ﴾ يعني المنافقين ﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ ﴾ أي مع النساء ﴿ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾.

قوله: ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴾ من غزاتكم، وهي غزوة تبوك. ﴿ قُل لاَ تَعْتَذِرُوا لَن نُّومِنَ لَكُمْ ﴾ أي لن نصدقكم ﴿ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنَ أَخْبَارِكُمْ ﴾ يعني ما أنزل فيهم ﴿ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ الغيب: السر، والشهادة: العلانية ﴿ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: في الدنيا.

قوله: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴾ من غزاتكم ﴿ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴾ لا تقتلوهم ما أظهروا لكم الإيمان واعتذروا ﴿ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَيهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي يعملون.

﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ أي: بالكذب والعلل ﴿ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ﴾ أي بما أظهروا لكم من الإيمان والاعتذار. ﴿ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ ﴾ بما أظهروا لكم من الإيمان ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفَـٰسِقِينَ ﴾. أي لا يرضى عنهم بالفسق والنفاق الذي بطن منهم، ولم تطلعوا عليه أنتم منهم.

قوله: ﴿ الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً ﴾ يعني المنافقين من الأعراب. أي: هم

---

(1) هم البكاءون السبعة، وهم من الأنصار وغيرهم. وقد ذكرت كتب التفسير والسير أسماءهم وقصتهم، انظر سيرة ابن هشام ج 4 ص 518، وتفسير الطبري ج 14 ص 421 - 423.

أشد نفاقاً من نفاق أهل المدينة، وأشد كفراً من كفرهم. ﴿ وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴾ أي: أقل علماً بالسنن، وأجفى في الدين. ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أي: عليم بخلقه، حكيم في أمره.

قوله: ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَماً ﴾[1] أي: في الجهاد في سبيل الله ﴿ وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ﴾ أي أن يهلك محمد والمؤمنون فيرجع إلى دين مشركي العرب. ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ أي عاقبة السوء ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ أي يتقرّب به إلى الله ﴿ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ﴾ أي: ويتخذ صلوات الرسول أيضاً قربة إلى الله عزّ وجلّ. وصلوات الرسول استغفاره ودعاؤه. ﴿ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ أي الجنة ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من أقام الصلاة، وآتى الزكاة، ومات لا يشرك بالله فإن حقاً على الله أن يغفر له، هاجر أو قعد في مولده. وإنما يتقبل الله من المتقين. وإن في الجنة لمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله لمن جاهد في سبيله. ولولا أن أشق على أمتي ولا أجد ما أحملهم عليه ولا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا بعدي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أن أقاتل في سبيل الله فأقتل، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل[2].

وقوله في أول الحديث: هاجر أو قعد في مولده، إنما هو بعد ما انقطعت الهجرة، وذلك بعد فتح مكة، فصار الجهاد تطوعاً.

قوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾. ذكروا عن سعيد بن

---

(1) جاء في ز، ورقة 132 ما يلي: «(وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَماً) يعني المنافقين، لأنهم ليست لهم نية. قال محمد: قوله مغرماً، يعني غرماً وخسراناً».

(2) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب فضل الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، وفي باب تمني الشهادة، عن أبي هريرة.

المسيب[1] قال: هم الذين صلّوا القبلتين مع النبي ﷺ[1]. ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَٰنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ لا يموتون ولا يخرجون منها ﴿ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. وقد فسرناه قبل هذا الموضع.

قوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ أي اجترأوا عليه، والمتمرد الجريء على المعاصي. ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ أي لا تعرفهم أنت يا محمد. نحن نعرفهم.

وقد عرفهم الله رسوله وأعلمه بهم بعد ذلك، وأسرّهم رسول الله ﷺ إلى حذيفة ابن اليمان.

ذكروا عن الحسن أنه قال: مات رجل له صحبة إلى جانب حذيفة فلم يصلِّ عليه حذيفة. فأرسل إليه عمر فأغلظ له، وقال: يموت رجل من أصحاب النبي إلى جانبك ولا تصلي عليه. قال: يا أمير المؤمنين، إنه من القوم. فقال له عمر: أناشدك بالله، أنا منهم، قال: لا، والله لا أؤمن منها أحداً بعدك.

وقال بعضهم: قال له عمر: يموت رجل من أصحاب النبي إلى جانبك لا تسأل عليه؟ فقال له حذيفة: لو كنت مثله ما صليتُ عليك. قال: أمنافق هو يا حذيفة؟ قال: ما كنت لأخبرك بسرّ رسول الله ﷺ. فقال عمر: أناشدك الله، أنا منهم. قال حذيفة: اللهم لا.

وفي هذا دليل لأهل الفراق أن عمر لم يَلُم حذيفةَ على أن لا يصلي عليه، وهو عند عمر مسلم. وفي قول عمر: يا حذيفة أناشدك الله أنا منهم ما يدل كل ذي نُهى وحِجى أن عمر لم يكن يخاف على نفسه أنه مشرك، بل إنه خاف أن تكون له معاصٍ في الإسلام توجب عليه النفاق، أو يكون نبي الله قد أسرَّ إلى حذيفة شيئاً من ذلك.

(1) نسب هذا القول في ز، ورقة 132 إلى قتادة. وقد جاء منسوباً في تفسير الطبري إلى سعيد بن المسيب برواية قتادة عنه. انظر تفسير الطبري ج 14 ص 436 - 437. وقال بعضهم: هم الذين بايعوا بيعة الرضوان.

وأما الشرك، فلم يكن يخافه عمر على نفسه، ولا يظنه به[1].

قوله: ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ فأما إحداهما فبالزكاة تؤخذ منهم قهراً، وأما الأخرى فعذاب القبر في تفسير بعضهم. ﴿ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ يعني المنافقين. وعذاب القبر أيضاً في سورة طه [124] في قوله: (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً).

ذكروا عن أبي سلمة بن عبد الرحمن [عن أبي هريرة][2] عن النبي ﷺ، وذكروه عن عبد الله بن مسعود، وذكروه عن أبي سعيد الخدري أنه قال: هو عذاب القبر يلتئم على صاحبه حتى تختلف أضلاعه[3]. وقال بعضهم: (سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ) أي: عذاب الدنيا وعذاب القبر، (ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ)، أي جهنم.

قوله: ﴿ وَءَاخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَـٰلِحاً وَءَاخَرَ سَيِّئاً ﴾ قيل: هم نفر من المؤمنين، منهم أبو لبابة بن عبد المنذر، وأُوَيْس بن ثعلبة في تفسير الكلبي. وكان الحسن لا يسميهم ويقول: كان عرض في هممهم شيء، ولم يعزموا على ذلك، ثم تابوا من بعد ذلك، وأتوا رسول الله ﷺ فاعترفوا بذنوبهم.

قال: ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. وعسى من الله واجبة.

وقال بعضهم: ذكر لنا أنهم كانوا سبعة رهط تخلّفوا عن غزوة تبوك، فأما أربعة فهم الذين خلطوا: جدّ بن قيس، وأوس، وحرام، وأبو لبابة، وكلهم من الأنصار،

(1) هذه الفقرة من قوله: وفي هذا دليل لأهل الفراق. . . من الشيخ هود الهواري ولا شك يحاجّ بها من يسميهم بأهل الفراق في مسائل الشرك والنفاق كما يراها الإباضية.

(2) زيادة لا بد منها، لأن أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف توفي سنة أربع وتسعين للهجرة، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، فلم يكن إذاً صحابياً. ولكنه كان من فقهاء التابعين، وكان يحمل عنه الحديث.

(3) رواه مجاهد بنسد عن أبي هريرة يرفعه إلى رسول الله ﷺ، وأخرجه عبد الرزاق وابن أبي حاتم والحاكم. وأخرج الربيع بن حبيب في مسنده ج 3 ص 17 رقم 813 عن جابر بن زيد عن ابن عباس: «قال النبي ﷺ: لو نجا من عذاب القبر أحد لنجا منه سعد بن معاذ. ولقد ضغطه القبر ضغطة اختلفت فيه (أو منها) أضلاعه».

فقيل فيهم[1]: (خُذْ مِن أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تطَهِّرُهُمْ. . .) الآية. قال: كانوا وعدوا أن ينفقوا ويجاهدوا ويتصدّقوا. والمُرجَوْن لأمر الله: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية.

وقال مجاهد: وآخرون اعترفوا بذنوبهم: أبو لبابة إذ قال لقريظة ما قال: أشار إلى حلقه أن محمداً ذَابِحُكم إذا نزلتم على حكمه. أخبرهم وأيأسهم من العفو.

ذكروا أن رسول الله ﷺ حدث عن ليلة أسري به، فكان في حديثه أنه رأى إبراهيم في السماء السابعة قال: وإذا أمتي عنده شطران: شطر عليهم ثياب بيض، وشطر عليهم ثياب رمد. فدخل الذين عليهم الثياب البيض، واحتبس الذين عليهم الثياب الرمد. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وكل إلى خير[2]. ثم تلا هذه الآية: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا النَّبِي وَالذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ المُومِنِينَ). [آل عمران: 68].

قوله: ﴿ خُذْ مِن أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ [من الذنوب][3] وتزكّيهم بِهَا ﴾. وليست بصدقة الفريضة، ولكنها كفارة لهم. وقال بعضهم: هم الذين اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وهم ناس من أصحاب النبي عليه السلام، فتاب الله عليهم، وقال: (خُذْ مِن أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا).

قال: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: واستغفر لهم ﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ ﴾ أي استغفارك ﴿ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ أي تثبيت منك لهم على ما هم عليه من الإيمان[4]. ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

---

(1) كذا في ق وع: «فقيل فيهم»، وهو الصحيح؛ وفي ج ود: «فقبل منهم» وهو خطأ. وفي الطبري ج 14، ص 450: «وهم الذين قيل فيهم». وهذه الجملة الأخيرة أوضح وأصح.

(2) رواه البيهقي في دلائل النبوة عن أبي سعيد الخدري، ورواه كثيرون منهم أبو هريرة وشداد بن أوس وابن عباس. وانظر أحاديث الإسـراء والمعراج في كتب السنّة.

(3) زيادة من ز، ورقة 132.

(4) كذا في المخطوطات الأربع: وفي ز، ورقة 132 «(سكن لهم) أي يعني طمأنينة لقلوبهم، يقوله الله عزّ وجلّ للنبي عليه السلام».

قوله: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَـٰتِ﴾ أي: ويقبل الصدقات ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾.

ذكروا عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يقبل الله صلاة بغير طُهور، ولا صدقة من غُلول[1].

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُومِنُونَ ﴾ أي بما يطلعهم الله عليه، في تفسير الحسن. قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: اتقوا فراسة المؤمن، فإنه بنور الله ينظر[2].

ذكروا عن أبي الدرداء قال: إياكم وفراسة العلماء، إن شهدوا عليكم شهادة تكبّكم في النار، فوالله إنه الحق، يقذفه الله في قلوبهم وعلى أبصارهم.

ذكروا عن عثمان بن عفان أنه قال: لو أن رجلاً عمل في قعر سبعين بيتاً لكساه الله رداء عمله، خيراً كان ذلك أو شراً.

ذكر لنا أنه مُرَّ على رسول الله بجنازة فأثنوا عليها خيراً، حتى تتابعت الألسن لها بخير، فقال رسول الله ﷺ: وجبت. ثم مُرَّ عليه بجنازة، فأثنوا عليها شراً، حتى تتابعت الألسن عليها بشر فقال: وجبت، أنتم شهداء الله في الأرض[3].

قوله: ﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

---

(1) انظر تخريجه فيما سلف، ج 1، ص 232 ، تعليق: 1.

(2) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، تفسير سورة الحجر، عن أبي سعيد الخدري ولفظه: «قال رسول الله ﷺ: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، ثم قرأ: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّلْمُومِنِينَ)» وأخرجه ابن جرير الطبري أيضاً عن ابن عمر، وأخرجه أيضاً عن ثوبان وزاد فيه: «وينطق بتوفيق الله».

(3) حديث صحيح أخرجه ابن ماجة في كتاب الجنائز، باب ما جاء في الثناء على الميت عن أنس ابن مالك (رقم: 1491) وعن أبي هريرة (رقم 1492). وأخرجه الترمذي وابن حبان عن أنس.

قال بعضهم: هم هلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة، وكعب بن مالك. وقال مجاهد: هم الثلاثة الذين في آخر السورة الذين خُلِّفوا، وهم الذين أرجئوا في هذه الآية، ثم تاب عليهم في الآية التي في آخر السورة.

قوله: ﴿ الذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ المُومِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنَ أَرَدْنَا إِلاَّ الحُسْنَىٰ ﴾ أي: إن أردنا ببنيانه إلا خيراً ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾.

في تفسير الحسن أن رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك نزل بين ظهراني الأنصار وبنى مسجد قباء[1] وهو الذي أسس على التقوى. وقد كان المنافقون من الأنصار بنوا مسجداً، فقالوا نميل[2] به. فإما يأتينا رسول الله فيه وإما لا يأتيه، ونخلو فيه لحوائجنا. ونبعث إلى أبي عامر الراهب [لمحارب من محاربي الأنصار كان يقال له الراهب][3] وكان رسول الله ﷺ أسره[4] فيأتينا ونستشيره في أمورنا.

فلما بنوا المسجد وهو الذي قال الله عزّ وجلّ: (الذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ المُومِنِينَ) أي: بين جماعة المؤمنين، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، يعني أبا عامر المحارب. قال: فجعل رسول الله ﷺ ينتظر الوحي، فجعل لا يأتيهم ولا يأتونه. فلما طال ذلك عليه دعا بقميصه ليأتيهم. قال: فإنه ليَزُرُّه عليه إذ أتاه جبريل فقال:

(1) كذا في المخطوطات الأربع، وفي ز ورقة 133 كذلك: «لما رجع من غزوة تبوك نزل بين ظهراني الأنصار وبنى مسجد قباء». وهو خطأ تاريخي محض، لأن النبي عليه السلام بنى مسجد قباء قبل ذلك بسنوات. وقيل كان المسجد موجوداً قبل ذلك فصلى فيه النبي عليه السلام أول صلاة جماعة عند مقدمه المدينة مهاجراً من مكة وإقامته أياماً بقباء. وقباء قرية بها مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار. انظر معجم ياقوت: معجم البلدان ج 3، ص 301. ولعل في الكلام سقطاً أو سهواً من النساخ.

(2) كذا في بعض المخطوطات وفي ز: «نميل به»، وفي بعضها: نمثل به.

(3) زيادة من ر، ورقة 133.

(4) كذا في ق وع ود: «سيّره»، وفي ز: «أَسَرَه» ولم أهتدِ إلى معنى ارتضيه للكلمتين، إلا أن يكون المعنى: أخرجه من المدينة.

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً ﴾ يعني ذلك المسجد ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ يعني مسجد قباء، في تفسير الحسن، ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ ﴾. أي من الذنوب.

ذكروا أنه لما نزلت هذه الآية: (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ) قال رسول الله ﷺ: يا أهل قباء، إن الله قد أحسن عليكم الثناء [في الطُّهور][1] فماذا تصنعون؟ قالوا نغسل أدبار المقاعد[2].

وقال بعضهم: ذكروا لنا أن أناساً من أهل النفاق ابتنوا مسجداً بقباء ليضاهوا به مسجد نبي الله عليه السلام. وبعثوا إلى نبي الله ليصلِّيَ فيه. وذكر لنا أنه أخذ قميصه ليأتيهم حتى أطلعه الله على ذلك. وكان رجل فرّ من الإسلام يقال له أبا عامر، فلحق بالمشركين فقتلوه بإسلامه[3] وقالوا: إذا جاء صلى فيه. قال مجاهد: (وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ) أي: لأبي عامر.

ذكروا عن عثمان وعلي رضي الله عنهما في قوله: (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) قالا: هو مسجد النبي عليه السلام.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال في قوله: (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ) قال: هو مسجدي هذا، وفي ذلكم خير[4]، يعني مسجد قباء.

---

(1) زيادة من ر، ورقة 133.

(2) كذا وردت هذه الجملة في المخطوطات الأربع: «نغسل أدبار المقاعد». وقد رويت بألفاظ منها: «إنا نغسل منا أثر الغائط والبول». و«إنا نستطيب بالماء إذا جئنا من الغائط». والحديث أخرجه أحمد وابن خزيمة والطبراني عن عويم بن ساعدة الأنصاري كما في تفسير الطبري. وأخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها باب الاستنجاء بالماء عن أبي أيوب الأنصاري وجابر ابن عبد الله، وأنس بن مالك. (رقم 355) بلفظ: «يا معشر الأنصار، إن الله قد أثنى عليكم في الطّهور. فما طُهوركم؟ قالوا: نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة، ونستنجي بالماء. قال: فهو ذاك، فعليكموه». وانظر تفسير الطبري ج 14 ص 483 - 490.

(3) في المخطوطات الأربع: «فألزموه بإسلامهم»، وهو خطأ أثبت تصحيحه من تفسير الطبري ج 14، ص 473، وانظر تعليق المحقق هناك.

(4) كذا في المخطوطات: «وفي ذالكم خير». وفي تفسير الطبري: «وفي كلٍّ خيرٌ»، والحديث =

وبلغنا أن رسول الله ﷺ دعا المنافقين الذين بنوا ذلك المسجد فقال: ما حملكم على بناء هذا المسجد؟ فحلفوا له بالله : إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون.

قوله : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ يقول: لا يكونون بالظلم مهتدين عند الله، وهو ظلم النفاق، وهو ظلم دون ظلم، وظلم فوق ظلم. أي إن الذي أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير من الآخر. قال بعضهم: ما تناهى أن وقع في النار. وذكر لنا أنهم حفروا فيه بقعه فَرِيءَ منها الدخان.

وقال الحسن: شبه الله أعمال المنافقين مثل إنسان بنى على الرمل فانهار، فلم يثبت البناء عليه. وكذلك أعمال المنافقين لا تثبت عند الله لأنها ليس لها أصل تثبت به، فانهارت لهم أعمالهم في نار جهنم.

وبعضهم يقرأها بالنصب: (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّن أَسَّسَ بُنْيَانَه، بالنصب جميعاً، عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ).

قوله: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الذِي بَنَوْا رِيبَةً﴾ أي: شكا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تُقَطَّعَ

= أخرجه أحمد في مسنده كما أخرجه الطبري في تفسيره ج 14 ص 481 عن أبي سعيد الخدري. ورجح الطبري أن المسجد الذي أسّس على التقوى هو مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة. ولكن إذا ثبت الحديث الذي رواه الطبري نفسه في ص 488، وهو أن الرسول ﷺ سئل عن الذين قال الله فيهم: (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا) فأجاب بقوله: نعم الرجال منهم عويم بن ساعدة، أقول: إذا ثبت هذا الحديث، وليس هناك ما يقدح في صحته، أمكن أن نرجح أن المسجد الذي أسّس على القتوى هو مسجد قباء، لأن عويم بن ساعدة هو، بدون خلاف، من بني عمرو ابن عوف، أهل قباء. ومما يقوّي هذا الترجيح ما رواه ابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها، باب في الاستنجاء، (رقم 357) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: نزلت في أهل قباء، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين. قال: كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية. وانظر تفسير القرطبي، ج 8 ص 259 - 260.

قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: إلا أن يموتوا. أخبر أنهم يموتون على النفاق. ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أي: عليم بخلقه، حكيم في أمره.

قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُومِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوٰلَهُـمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَيٰـةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ ﴾ أي: هذا حكم الله في هذا في التوراة والإنجيل والقرآن.

﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْـدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ على الاستفهام، أي: لا أحـد. قال: ﴿ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ أي النجاة العظيمة.

قوله: ﴿ التَّـٰائِبُونَ ﴾ قـال الحسن: تابـوا من الشرك وبَـرئوا من النفـاق ﴿العَـٰبِدُونَ﴾ أي عبدوا الله مخلصين. ﴿الحَـٰمِدُونَ﴾ أي الحامدون الله على السراء والضرّاء. قال الحسن. قال رسول الله ﷺ: قضى الله خيراً لكل مسلم؛ إن أعطاه شكر، وإن ابتلاه صبر[1].

﴿السَّـٰئِحُونَ﴾ ذكروا أن رسول الله ﷺ سئـل عن السائحين فقـال: هم الصائمون[2]. وذكروا عن الحسن قال: السياحة كثرة الصيام.

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه عن صهيب مرفوعاً في كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير (رقم 2999) بمعنى أتم، وهذا نصه: عجباً لأمر المؤمن. إن أمره كله خير. وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن. إن أصابتـه سرّاء شكر، فكان خيراً له. وإن أصابته ضرّاء صبر، فكان خيراً له.

(2) أخرجه ابن جرير الطبري وغيره مرفوعاً عن أبي هريرة وعن ابن مسعود أيضاً، وأخرجه بعضهم مرسلاً. انظر تفسير الطبري ج 14 ص 502، 506، وانظر الدر المنثور ج 3 ص 281.

وروى بعض المحققين من علماء التفسير في (السَّائِحُونَ) معنى وجيهاً له قيمته وهو أنه من السياحة بمعنى السير في الأرض للتفقه في الدين والوقوف على آثار الماضين للاتعاظ والاعتبار. انظر في هذا الموضوع كلاماً جميلاً للعلامة محمد جمال الدين القاسمي في تفسيره: محاسن التأويل ج 7 ص 335، 338.

وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ج 1 ص 193: (السَّائِحُونَ): الصائمون: وأصل السائح: الذاهب في الأرض. ومنه يقال: ماء سائح وسَيْح، إذا جرى وذهب. والسائح في =

﴿الرَّكِعُونَ السَّجِدُونَ﴾ يقول: أهل الصلاة. ﴿ الأَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ وهو كل ما يعرف العباد عدله. ﴿ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ وهو كل ما يعرف العباد جوره.

﴿وَالحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ﴾ فيما أمروا به ونهوا عنه. ﴿ وَبَشِّرِ الْمُومِنِينَ ﴾ وهم أهل هذه الصفة. أي: بشّرهم يا محمد بالجنة.

قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِي وَالذِينَ ءَامَنُوا أَن يَّسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَبُ الْجَحِيمِ ﴾.

ذكر بعضهم قال: كان أنزل في سورة بني إسرائيل: (وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً) [الإسراء: 23 - 24]؛ ثم أنزل الله في هذه السورة: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالذِينَ ءَامَنُوا أَن يَّسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى...) الآية؛ فلا ينبغي [للمسلم][1] إذا كان أبواه مشركين أن يستغفر لهما، ولا يقل: ربِّ ارحمهما؛ وكذلك إذا كانا منافقين.

قال الحسن: (مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ) أي: ماتوا على الكفر والنِّفاق. وقال بعضهم: كان يقال: ليقل: اللهم اهده، ولا يقل: اللهم اغفر له.

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾.

في تفسير ابن عباس والحسن: فلما مات تبيّن له أنه عدوٌّ لله. وكان إبراهيم يرجوه ما كان حيّاً، فلما مات تبيّن له أنه عدوّ لله، لأنه مات على الكفر.

وقال الكلبي: إن النبي عليه السلام سأل: أيّ قرابته أحدث به عهداً، فقيل: أمك. فأراد أن يستغفر لها، وقال استغفر إبراهيم لأبويه، وهما مشركان. فلما همّ أن

= الأرض ممتنع من الشهوات، فشبه الصائم به، لإمساكه في صومه عن المطعم والمشرب والنكاح».

(1) زيادة لا بد منها، من ز ورقة 133، سقطت من المخطوطات الأربع.

يستغفر لأمه جاءه جبريل وقال: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾. يقول: فلما مات علم أنه لا توبة له، فتبرأ منه.

وقال بعضهم: ذكر لنا أن رجلاً قال لنبي الله عليه السلام: إن من آبائنا من كان يُحسِن الجوار، ويصل الأرحام، ويفي بالذِّمم، أفلا نستغفر لهم. قال: بلى، فوالله إني لأستغفر لهم، يعني والديه، كما استغفر إبراهيم لوالديه[1]. فأنزل الله هذه الآية: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴾. وقال في قوله: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ ﴾ أي: لما مات على شركه ﴿ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ قال بعضهم: الأوّاه: الرحيم. ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: الأوّاه: الرحيم. وبعضهم يقول: هو الدَّعّاء. [وقال ابن عباس: الأوّاه: الموقن][2].

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَيٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

بلغنا أن أناساً من أصحاب النبي عليه السلام ماتوا قبل أن تفرض الفرائض أو بعضها، فقال قوم من أصحاب النبي: مات إخواننا قبل أن تفرض هذه الفرائض، فما منزلتهم، وقد كانوا مؤمنين بما فرض عليهم يومئذٍ، فأنزل الله هذه الآية، فأخبر أنهم ماتوا على الإيمان.

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 14 ص 513 عن قتادة مرسلاً.

(2) زيادة من ز، ورقة 134 وقد عدد ابن الجوزي في زاد المسير ج 3 ص 509 - 510 ثمانية أقوال في (أواه) ويبدو أن أدقها تعبيراً وأصحها تأويلاً ما قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن، ج 6 ص 270. قال: «مجازه مجاز فعّال من التأوه، ومعناه: متضرّع شفقاً وفرقاً ولزوماً لطاعة ربّه، وقال المثقّف العبديُّ:

إذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِلَيْلٍ تَأَوَّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الحَزِينِ».

وانظر البيت ضمن قصيدة رائعة اختارها المفضل الضبي في «المفضليات» ص 288 - 292. تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام ومحمد هارون، الطبعة الرابعة، دار المعارف بمصر.

قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَالَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ﴾ أي: يمنعكم من عذاب الله ﴿وَلاَ نَصِيرٍ﴾. قال الحسن: يقول: إن كفرتم، يعني المؤمنين.

قوله: ﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِي وَالمُهَـٰجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ ﴾ يعني حين العسرة، وهي غزوة تبوك.

قال بعضهم: هم الذين اتبعوا رسول الله في غزوة تبوك في لَهَبان الحرّ على ما يعلم الله من الجهد. أصابهم منها جهد شديد، حتى لقد بلغنا أن الرجلين كانا يشقّان التمرة بينهما. وكان النفر يتداولون التمرة بينهم، يمصّها هذا، ثم يشرب عليها الماء، ثم يمصّها الآخر.

ذكروا أن عثمان بن عفان حمل في جيش العسرة على ألف بعير إلا خمسين، فكمّلها خيلاً.

قوله: ﴿ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾ قال الحسن: تزيغ[1] عن الجهاد فينصرفون؛ فعصمهم الله من ذلك، فمضوا مع النبي ﷺ.

قال: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾. قال بعضهم: الثلاثة الذين خلّفوا هلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة، وكعب بن مالك، وهو تفسير مجاهد والعامّة. قال: أما أحدهم فأوثق نفسه إلى سارية وقال: لا أطلقها [ولا أطلق نفسي][2] حتى يطلقني نبي الله [فقال رسول الله: والله لا أطلقه حتى يطلقه ربه إن شاء][2]. وأما الآخر فعمد إلى حائطه الذي كان تخلف عليه وهو مونع [فجعله صدقة في سبيل الله][2]. وأما الآخر فركب المفاوز حتى لحق نبي الله ورجلاه تسيلان دماً.

---

(1) في ز، ورقة 134: (مِن بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ) أي: تميل عن الجهاد فعصمهم الله عزّ وجلّ من ذلك.

(2) هذه الزيادات التي جعلتها بين المعقوفين كلها من تفسير الطبري ج 14 ص 546، للإيضاح، والقول لقتادة وفي آخرها بدل تسيلان: «تشلشلان» أي تتشلشلان، بمعنى «يتبع قطران بعضه بعضاً وسيلانه» كما جاء في اللسان (شلل).

قوله: ﴿ وَعَلَى الثَّلَـٰثَةِ الذِينَ خُلِّفُوا ﴾ أي: وتاب على الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك: كعب بن مالك، وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة، وهم الذين أرجئوا في الآية الأولى حيث يقول: (وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ) في تفسير مجاهد. وهم عند الحسن آخرون غير المُرجَيْن.

قال: ﴿ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ أي بسعتها. ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا ﴾ أي: وعلموا ﴿ أَن لاَ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾.

بلغنا أن رسول الله ﷺ كان أمر الناس ألّا يكلّموهم ولا يجالسوهم، ثم أرسل إلى أهلهم ألا يؤووهم ولا يكلّموهم. فلما رأوا ذلك ندموا وجاءوا فأوثقوا أنفسهم إلى سواري المسجد، حتى أنزل الله توبتهم في هذه الآية.

ذكروا عن كعب بن مالك أنه لما تِيبَ عليه جاء بماله كله إلى النبي صدقة، فقال له رسول الله ﷺ: أمسك عليك الشطر فهو خير لك[1].

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّـٰدِقِينَ﴾.

قال الكلبي: الذين آمنوا من أهل الكتاب، أمرهم أن يكونوا مع الصادقين، وهم المهاجرون والأنصار. وقال بعضهم: الصدق في النية، في السر والعلانية.

وقال بعضهم: (وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ): صدقوا بقولهم فهاجروا، فكونوا معهم، أي: فهاجروا إلى المدينة[2].

---

(1) أخرج هذه القصة الطريفة البخاري في كتاب التفسير، في أواخر سورة التوبة، وفيه: قال مالك في آخر حديثه: «إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله. فقال النبي ﷺ: أمسك بعض مالك فهو خير لك». واقرأ قصة المخلفين مفصّلة في كتب التفسير والحديث والسيرة ففيها مواعظ وعبر وذكرى.

(2) لا أرى وجهاً لتخصيص الكلبي مؤمني أهل الكتاب بالخطاب، ولا لما ذهب إليه بعضهم من قصر معنى المعية في اتباع المهاجرين في هجرتهم إلى المدينة، فإن صفة الصدق وردت في الآية بصيغة العموم، فيجب أن تحمل على أوسع معانيها. وكلام الله موجّه إلى كل المؤمنين في =

قوله: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَسُولِ اللَّهِ ﴾ وهذا في غزوة تبوك ﴿ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ﴾ يعني من خرج منهم لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ ﴾ أي عطش ﴿ وَلَا نَصَبٌ ﴾ أي: في أبدانهم ﴿ وَلَا مَخْمَصَةٌ ﴾ أي: جوع تخمص له بطونهم ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

ذكروا أن المجاهد إذا خرج من بيته جعل ذنوبه جسراً على باب بيته، فإذا خرج قطعها، فيكون من ذنوبه كيوم ولدته أمه؛ فما من خطوة يخطوها إلا كُتِب له بها سبعُمائة حسنةٍ، ولا بطشة يبطشها، ولا عمل يعمله إلا كتب له سبعمائة حسنة، فإن مات أو قتل كان على الأرض حراماً حتى يرى مقعده في الجنة، ويغفر له كل ذنب هو له.

= كل زمان ومكان. ومِن أولى معاني الصدق في الآية الصدقُ في الحديث والتنزّه عن الكذب في كل شيء. وذلك ما أدركه كعب بن مالك حين قال بعد ما روى قصة المخلفين الثلاثة، وهو أحدهم: «قلتُ يا رسول الله، إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي ألا أُحدِّث إلا صدقاً ما بَقيت». وقال: «فوالله ما علمت أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله عليه السلام أحسن مما ابتلاني؛ والله ما تعمّدتُ كَذْبةً منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا. وإني أرجو أن يحفظني الله فيما بقي». وقال: «والله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسولَ الله ﷺ، ألا أكون كَذَبْتُه، فأهلك كما هلك الذين كذبوه».

وهو ما فهمه أيضاً ابن مسعود رضي الله عنه فقال: إن الكذب لا يحل منه جد ولا هزل وقرأ: «اتقوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ». وانظر الطبري في تفسيره ج 14 ص 559 - 560 وفيه أن قراءة ابن مسعود كانت: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ)، وزاد فيه: «فهل ترون في الكذب رخصة».

وهكذا من تأمل في قصة المخلفين الثلاثة، وتدبر ما كان من أمر كعب بن مالك خاصة، وحديثه للرسول ﷺ بعد نزول توبته، أدرك أن معنى الصدق هنا ينصرف أولاً إلى الصدق في الحديث. ثم، بعد ذلك، الصدق في النية والعمل، وأن الخطاب موجه إلى كافة المؤمنين في كل زمان ومكان بدون تخصيص.

ذكروا أن ابن عمر قال: صفرة في سبيل الله خير من خمسين حجة. قال: يعني بالصفرة أن يذهب زاده حتى يبقى صفراً ليس معه طعام، وإنما يتقبّل الله من المتقين.

ذكروا عن أبي المصبّح قال: غزونا مع مالك بن عبد الله الخثعمي[1] أرض الروم، فسبق الناسَ رجل، ثم نزل يمشي ويسوق فرسه. فقال له مالك: يا عبد الله. ألا تركب: فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من اغبرّت قدماه في سبيل الله ساعة من نهار فهما حرام على النار[2]. وأصلح دابتي لتقيني من قومي[3]. قال: فلم أرَ نازلاً أكثر من يومئذٍ.

ذكروا عن سعيد بن المسيب أنه قال: العمل[4] في سبيل الله يضاعف كما تضاعف النفقة الواحدة بسبعمائة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان نار جهنم في منخري عبد مسلم أبداً[5].

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُومِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾ أي جميعاً. قال الحسن: فَيُعْرُوا مقامَ

---

(1) هو الأمير أبو حكيم مالك بن عبد الله الخثعمي، الفلسطيني، من أبطال الإسلام. كان أميراً على الجيوش في خلافة معاوية. قيل إنه قاد جيوش الصوائف أربعين سنة. ورُوِيَ أنه كان صحابياً والراجح أنه تابعي، توفي في حدود سنة ستين للهجرة أو بعدها. انظر ابن عبد البّر، الاستيعاب، ج 3 ص 1353، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 4 ص 109.

(2) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الجهاد والسير، باب من اغبرّت قدماه في سبيل الله عن أبي عبس بن عبد الرحمن بن جبر بلفظ: ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار.

(3) كذا وردت هذه الجملة هنا في المخطوطات، وكأنها أقحمت إقحاماً، ولم أفهم لها معنى ولا مناسبة. وهي غير موجودة في ز، ورقة 134 حيث جاءت نهاية الحديث متصلة بقول أبي المصبح: فلم أرَ نازلاً أكثر من يومئذٍ.

(4) في المخطوطات: الذكر في سبيل الله يضاعف... وأثبت ما جاء في ز، فهو أنسب مقاماً وأصح معنى.

(5) حديث صحيح أخرجه أحمد، وأخرجه النسائي في كتاب الجهاد، باب من عمل في سبيل الله على قدميه، عن أبي هريرة وانظر البغوي، شرح السنّة، ج 10 ص 354.

رسول الله. ﴿ فَلَوْلَا ﴾ أي: فهلاّ ﴿ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ ﴾ أي: من الكفار ﴿ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾ فيخبروهم بنصر الله النبيَّ والمؤمنين، ويخبروهم أنهم ليس لهم بقتال النبي طاقة ﴿ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ أي لا ينزل بهم ما نزل بغيرهم من القتل والسبإ والغنيمة، فيؤمنوا.

وقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ حين رجع من تبوك، وقد أنزل الله في المنافقين الذين تخلّفوا عنه ما نزل، قال المؤمنون: لا والله، لا يرانا الله متخلفين عن غزوة غزاها رسول الله أبداً ولا عن سرية. فأمر رسول الله ﷺ السرايا، أن تخرج. فنفر المسلمون من آخرهم، وتركوا نبيَّ الله عليه السلام وحده، فأنزل الله عزّ وجلّ: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً) أي جميعاً، فيتركوك وحدك بالمدينة. (فَلَوْلا، أي: فهلا، نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّين [أي ليتفقه المقيمون][1] وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِم، أي من غزاتهم، لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)، أي لِيُعْلِم المقيمُ الغازيَ، إذا رجع، ما نزل بعده من القرآن.

وقال بعضهم: إن أحياء من بني أسد بن خزيمة أقحمتهم السنة إلى المدينة، فأقبلوا معهم بالذراري، فنزلوا المدينة، فغلوا أسعارها، وأفسدوا طرقها، فنزلت: (وَمَا كَانَ الْمُومِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ).

وقال مجاهد: إن أناساً من أصحاب النبي عليه السلام كانوا خرجوا إلى البوادي، فأصابوا من الناس معروفاً، ومن الخصب ما ينتفعون به، ودعوا من لقوا من الناس إلى الهدى؛ فقال لهم الناس: ما نراكم إلا قد تركتم صاحبكم وجئتمونا. فوجدوا في أنفسهم من ذلك تحرّجاً، وأقبلوا من البادية حتى دخلوا على النبي ﷺ؛ فقال الله: فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة، أي: بعض، وقعد بعض يبتغون الخير، ليتفقهوا، أي ليستمعوا ما في الناس وما أنزل بعدهم، ولينذروا قومهم، أي الناس كلهم[2].

(1) زيادة من ز، ورقة 135.

(2) هكذا يستعرض المؤلف هنا أوجهاً مختلفة لتأويل الآية الكريمة، مُسنَدَة إلى أصحابها القائلين =

قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الكُفَّارِ ﴾. قال الحسن: كان هذا قبل أن يؤمر بقتال المشركين كافة، ثم أمر بقتال المشركين كافة بعدُ.

قوله: ﴿ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ أي: شدة عليهم ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ المُتَّقِينَ ﴾ أي بالنصر والتأييد. أي: إنه سينصركم عليهم.

قوله: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم ﴾ يعني المنافقين؛ رجع إليهم ﴿ مَّن يَّقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِ ﴾ يعني السورة[1] ﴿ إِيمَاناً ﴾ يقوله بعضهم لبعض.

قال الله جواباً لقولهم ﴿ فَأَمَّا الذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً ﴾ أي تصديقاً إلى تصديقهم ﴿ وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ أي بما يجيء من عند الله.

﴿ وَأَمَّا الذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ وهم المنافقون ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ أي كفراً إلى كفرهم ﴿ وَمَاتُوا وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾ يقول: أنهم يموتون على الكفر.

قوله: ﴿ أَوَلَا يَـرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ﴾. قال الحسن: يعني: يبتلون بالجهاد في سبيل الله مع رسول الله ﷺ فيرون نصرَ اللهِ رسولَه ﴿ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ ﴾ من نفاقهم ﴿ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾.

وقال مجاهد: يفتنون في كل عام مرة أو مرتين بالسنين والجوع[2].

قوله: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ يعني المنافقين ﴿ هَلْ يَرَـٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾ يعني من المسلمين؛ يقوله بعضهم لبعض ﴿ ثُمَّ انصَرَفُوا ﴾ قال

= بها. ولكن المؤلف يكتفي بهذا ولا يجرؤ فيرجح قولاً على آخر ولا يختار تأويلاً على تأويل. قارن هذا بطريقة الطبري في تفسيره وبموقفه حين لا يتردد في أن يرجح أحد هذه الأقوال ويدلي برأيه، بعبارته المألوفة، حين يقول: «وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: تأويله.. الخ. انظر تفسير الطبري ج 14 ص 565 - 574.

(1) جاء في المخطوطات: «يعني الآية» وهو خطأ. ورجوع الضمير إلى اللفظ المذكور أولى.

(2) سقط ذكر هذه الآية وتفسيرها كله من مخطوطة د وج. وهكذا تكمل المخطوطة نقص الأخرى.

الحسن: يعني عزموا على الكفر. ﴿ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ هذا دعاء واجب عليهم ﴿ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ أي لا يرجعون إلى الإيمان.

قوله: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ يعني النبي ﷺ. [قال السدي: أي: من جنسكم][1] ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ أي شديد عليه ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: ما ضاق بكم. وقال الحسن: ما ضاق بكم في دينكم. ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: على أن تؤمنوا. ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي: إنما يرأف بالمؤمنين الذين تجب لهم الرأفة، ولا يرأف بغيرهم ممن نزع الله الرأفة عنهم.

قوله: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أي: أعرضوا عن الله وعما بعث به رسوله ﴿ فَقُلْ ﴾: يا محمد ﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾.

ذكروا عن ابن عباس قال: لا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه.

ذكروا عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: إن آخر القرآن بالسماء عهداً هاتان الآيتان: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ).

(1) زيادة من ز، ورقة 135.

تفسير سورة يونس
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾. قوله: ﴿ أَلَـرٓ ﴾. ذكروا أن علياً قال: أَلَـرٓ وحَمٓ، ونون: الرَّحمَـٰن. وكان الكلبي يقول في هذا وأشباهه: هو من الذي قال الله فيه: (وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) [آل عمران: 7]. وكان الحسن يقول: ما أدري ما تفسير الَـرٓ وأشباه ذلك، غير أن قوماً من السلف كانوا يقولون: أسماء السور وفواتحها.

قوله: ﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ الْكِتَـٰبِ الْحَكِيمِ ﴾ أي: هذه آيات الكتاب الحكيم. أي المحكم[1]؛ أحكمت آياته بالأمر والنهي.

قوله: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً ﴾ على الاستفهام ﴿ أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾ يعني محمداً ﷺ، أي: إنه ليس بِعَجَب. وقد قال في آية أخرى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً يُوحَىٰ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ) [يوسف: 109]؛ ولم يبعث الله رسولاً من أهل البادية، ولا من الجن، ولا من النساء.

قوله: ﴿ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ ﴾ أي: عذاب الله في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا، كما أهلك قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم حين كذبوا رسلهم.

وهذا جواب من الله لقول المشركين حيث قالوا: (وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا

(1) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 272: «والحكيم مجازه: المُحْكَم المبيَّن الموضَّح: والعرب قد تضع فعيل في معنى مُفعَل. وفي آية أخرى: (هَـٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ) [سورة قٓ: 23] مجازه: مُعَد».

وَاصْبِرُوا عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ) أي على عبادتها (إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ) [سورة صٓ: 6]. وقال في الآية الأخرى: (إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) [سورة صٓ: 5]. فقال الله: (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا) أي بأن أوحينا (إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ) يعرفونه ويعرفون نسبه.

قوله: ﴿وَبَشِّرِ الذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي سلف صدق عند ربهم[1] أي إنهم يثابون به الجنة. كقوله: (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) [الروم: 44].

﴿قَالَ الكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يعنون القرآن. وبعضهم يقرأون: (لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ) يعنون النبي، وهم مشركو العرب. فأراد الله أن يحتج عليهم وأن يبيّن لهم؛ فقال تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الذِي خَلَقَ السَّـٰمَوٰتِ وَالأَرْضَ﴾، وفيها إضمار؛ قال في آية أخرى: (اللَّهُ الذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) [السجدة: 4] ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ والأيام كل يوم ألف سنة. قال: (وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) [الحج: 47].

قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى العَرْشِ﴾.

ذكروا عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ﷺ يوماً لأصحابه: ما تسمون هذه، أو قال: هذا؟ قالوا: السماء. قال: هذه الرقيع، موج مكفوف، وغلظها مسيرة خمسمائة سنة، وبينها وبين السماء التي فوقها مسيرة خمسمائة عام وغلظها خمسمائة سنة، وبينها وبين السماء الثالثة مثل ذلك، حتى عد سبع سماوات وأرضين هكذا. قال: وبين السماء السابعة وبين العرش كما بين سماءين. وغلظ هذه الأرض مسيرة

---

(1) هذا لفظ قتادة. وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة ج 1 ص 273 «مجازه: سَابِقَةُ صِدْقٍ عند ربهم؛ ويقال: له قدم في الإسلام وفي الجاهلية». أما الطبري فقد رجّح في تفسيره، ج 15 ص 16 قول من قال: «معناه أن لهم أعمالاً صالحة يستوجبون بها منه الثواب».

(2) انظر ما سلف، ج 1 ص 88، تعليق: 2.

خمسمائة سنة، وبينها وبين الثانية مسيرة خمسمائة عام، وبينها وبين الثالثة مسيرة خمسمائة عام حتى عدَّ سبع أرضين هكذا.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أذن لي أن أحدّث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى، وعلى قرنه العرش. وَبَيْنَ شحمة أذنه إلى عاتقه خفقان الطير مسيرة سبعمائة سنة يقول: سبحانك حيث كنت[1].

قوله: ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ ﴾ قال الحسن: يعني في خلقه، ما يحيي ويميت، وما يرزق ويفعل. وهو كقوله: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمٰن: 29]. وقال مجاهد: يدبّره أي: يقضيه.

قوله: ﴿ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ يقول: ليس أحد يشفع يوم القيامة إلا أن يؤذن له. كقوله: ﴿مَنْ ذَا الذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: 255] وكقوله: ﴿ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: 28] وقال: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: 18].

قوله: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً ﴾ يوم القيامة. يقول: إن الذي خلق السماوات والأرض، ثم استوى على العرش، يدبر الأمر، والذي لا يشفع عنده إلا بإذنه، هو ربكم، أي فإن ذلكم الله ربكم فاعبدوه. أفلاتذكرون. إليه مرجعكم جميعاً، يعني البعث يوم القيامة لأنهم لا يقرون بالبعث.

قوله: ﴿ وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً ﴾ [أي في المرجع إليه][2] ﴿ إِنَّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ وهو كقوله: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِىءُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ ﴾ [العنكبوت: 20] أي: يوم القيامة. وقال مجاهد: ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾: يحييه ثم يميته، ثم يبلوه فيحييه.

قال: ﴿لِيَجْزِيَ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَاتِ بِالقِسْطِ ﴾ أي: بالعدل، أي:

(1) انظر ما سلف، ج 1 ص 515، تعليق: 1.

(2) زيادة من ز، ورقة: 136.

يجزيهم الجنة. ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ وهو الذي قد انتهى حرّه. ﴿ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي موجع ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾. أي: إن ذلك جزاؤهم بما كانوا يكفرون.

ثم احتجّ عليهم أيضاً فقال: ﴿ هُوَ الذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ﴾ يعني القمر ﴿ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ ﴾ بالليل والنهار.

﴿ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالحَقِّ ﴾ أي: إن ذلك يصير إلى الحق والمعاد(1). ثم قال: ﴿ نُفَصِّلُ الآيَـٰتِ ﴾ أي: نبيّنها ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ وهم المؤمنون.

ثم قال: ﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَٰوَاتِ ﴾ من شمسها وقمرها ونجومها ﴿وَ﴾ ما خلق في ﴿الأَرْضِ﴾ من جبالها وأشجارها وثمارها وأنهارها ﴿ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ وهم المؤمنون.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ [أي لا يخافون البعث، وهم المشركون، لأنهم لا يقرون بالبعث](2) ﴿ وَرَضُوا بِالحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا ﴾ أي: لا يقرون بثواب الآخرة ﴿ وَالذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ أُولَـٰئِكَ مَأْوَيٰهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي يعملون.

قوله: ﴿إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَـٰنِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَـٰرُ فِي جَنَّـٰتِ النَّعِيمِ ﴾.

ذكروا عن الحسن أن نبي الله قال: إن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له: ما أنت، فوالله إني لأراك امرأ صِدقٍ. فيقول: أنا عملك فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة. وأما الكافر فإذا خرج من قبره صور له عمله في صورة

(1) في ق و ع: «إلى الحق والمعاد» وهو الصحيح، وكذلك جاءت الكلمة في ز، ورقة 136. وفي د و ج: «إلى الحق والميعاد».

(2) زيادة من ز، ورقة 136. وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة، ج 1 ص 275: (الذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) «مجازه: لا يخافون ولا يخشون، وقال:

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحلُ لَمْ يَرجُ لَسْعَهَا ... وَحَالَفَهَا فِي بيتِ نُوبٍ عَوامِلِ».

سيئة وشارة سيئة، فيقول له: ما أنت، فوالله إني لأراك امرأ سوء، فيقول: أنا عملك، فينطلق به حتى يدخله النار(1).

وقال مجاهد: ﴿ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ أي يكون لهم نوراً يمشون به.

قوله: ﴿ دَعْوَيٰهُمْ فِيهَا ﴾ أي: قولهم فيها، أي في الجنة ﴿سُبْحَـٰنَكَ اللَّهُمَّ ﴾ أي سبحانك ربنا في تفسير الحسن. وكذلك قال غيره: ذلك قولهم فيها ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ أي يحيي بعضهم بعضاً بالسلام، وتحييهم الملائكة عن الله عزّ وجلّ بالسلام. والسلام اسم من أسماء الله، وهي تحية أهل الإسلام في الدنيا. وقال الحسن: السلام اسم من أسماء الله الحسنى.

قوله: ﴿ وَآخِرُ دَعْوَيٰهُمْ أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَـٰلَمِينَ﴾ أي إن أول كلامهم التسبيح وآخره الحمد لله. قال الحسن: إن أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح كما يُلهمون النفَس(2).

قوله: ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالخَيْرِ ﴾ أي: فلو يعجل الله للناس ذلك الشر كاستعجاله بالخير(3) ﴿ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ [وهو ما يدعو به الإنسان على نفسه وولده وماله، ولو استجاب الله عزّ وجلّ له لأهلكه](4). وقال مجاهد: لأمات الذي يدعو عليه، مثل قول الرجل لولده وماله: اللهم لا تبارك فيه والعنه.

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 15 ص 27 عن قتادة مرسلاً، وانظر الدر المنثور للسيوطي ج 3 ص 301.

(2) هذا نص حديث رواه يحيى بن سلام عن الحسن بن دينار عن الحسن البصري مرسلاً، ففي ز، ورقة 136: «عن الحسن البصري قال قال رسول الله ﷺ: إن أهل الجنة يُلهمون الحمد. . .».

(3) كذا جاءت هذه العبارة في المخطوطات، وعبارة الطبري في تفسيره ج 15 ص 33 أدق وأوضح. «قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولو يعجل الله للناس إجابةَ دعائهم في الشر، وذلك فيما عليهم مضرة في نفس أو مال، (استعجَالَهُمْ بالخير) يقول: كاستعجاله لهم في الخير بالإجابة إذا دعَوْه به، (لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ) يقول: لهلكوا، وعُجِّل لهم الموت، وهو الأجل».

(4) زيادة من ز، ورقة 136.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: لا يتمنَّيَنَّ أحدُكم الموتَ، ولا يدعو به؛ فإن أحدكم إذا مات انقطع عنه عمله، وإن أحدكم يزداد في أجله خيراً[(1)].

وقال في آية أخرى: (خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَاوُرِيكُمْ ءَايَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ) [الأنبياء: 37]. أي إن آدم خلق آخر ساعات النهار من يوم الجمعة بعدما خلق الله الخلق. فلما أحيا الله الروح في عينيه ورأسه ولم يبلغ أسفله قال: ربِّ استعجل بخلقي، قد غربت الشمس؛ فهو قوله: (خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ).

قوله: ﴿ وَنَذَرُ الذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ يعني أهل الشرك ﴿ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ قال الحسن: في كفرهم يتمادون. وقال غيره: في ضلالتهم يلعبون. قال: والضلالة والكفر واحد.

قوله: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ ﴾ يعني المرض. والإنسان ها هنا المشرك. ﴿ دَعَانَا لِجَنْبِهِ ﴾ أي: وهو مضطجع على جنبه ﴿ أَوْ قَاعِداً ﴾ يقول: أو دعانا قاعداً ﴿ أَوْ قائماً ﴾ قال: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَان لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ ﴾ أي: مَرَّ معرضاً عن الله عزّ وجلّ الذي كشف عنه الضر. (كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ)، أي: لنكشفه عنه.

﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ أي للمشركين ﴿ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَقَدَ أَهْلَكْنَا القُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ يريد من أهلك من القرون السالفة ﴿ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾ أي: لما أشركوا، وهذا ظلم شرك. ﴿ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالبَيِّنَـٰتِ﴾ فكذبوا رسلهم فأهلكهم الله.

قوله: ﴿ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ [أخبر بعلمه فيهم][(2)]. ذكروا عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأ هذا الحرف (وَحَرِمَ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا

(1) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به عن أبي هريرة (رقم 2682).

(2) زيادة من ز، ورقة 136.

يَرْجِعُونَ) [الأنبياء: 95]. قال: وجب على قرية أهلكناها أنهم لم يكونوا ليؤمنوا[1].

قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ وهذا جرم شرك. يقول: كذلك نجزي القوم المشركين. يعني ما عذبهم به في الدنيا فأهلكهم حين كذبوا رسلهم ولهم في الآخرة النار.

قوله: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰئِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ أي من بعد الهالكين جعلناكم خلفاء في الأرض من بعدهم. ﴿ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ الذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ أي الذين لا يؤمنون بالبعث ﴿آيتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ أي أو بدل آية الرحمة بآية العذاب، أو بدل آية العذاب بآية الرحمة [وهذا قول][2] مشركي العرب.

قال الله لنبيه محمد عليه السلام ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَن أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي ﴾ أي من عندي ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ ﴾ يعني القرآن ﴿ وَلَا أَدْرَىٰكُم بِهِ ﴾ أي: ولا أعلمكم الله به ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّنْ قَبْلِهِ ﴾ أي من قبل القرآن لا أدعى هذه النبوة. ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ قال: لبثت أربعين سنة ضالاً. ذكروا عن ابن عباس أنه قال: إن النبي عليه السلام بعث وهو ابن أربعين سنة.

قوله: ﴿ فَمَنَ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِئَايَٰتِهِ﴾ يقول: لا أحد أظلم منه. وهذا على الاستفهام. قال: ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ أي المشركون.

قوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ ﴾ إن لم يعبدوه ﴿ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ إن عبدوه، يعني الأوثان ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ أي: إن الأوثان تشفع

(1) انظر ابن جني، المحتسب، ج 2 ص 65 - 66.

(2) في المخطوطات اضطراب وحذف، فأثبت ما يقتضيه سياق الكلام.

لهم ـ زعموا ـ عند الله ليصلح لهم معايشهم في الدنيا من غير أن يقروا بالبعث. قال الله: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ) [النحل: 38].

قوله: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي لا يعلم أن في السماوات ولا في الأرض إلـهاً غيره. وهو كقول مؤمن آل فرعون: (تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ) [غافر: 42] أي: لا أعلم أنَّ في السماوات والأرض إلـهاً غيره. ﴿سُبْحَـٰنَهُ﴾ ينزّه نفسه عما قال المشركون. ﴿وَتَعَـٰلَىٰ﴾ من قبل العلو، أي ارتفع، مثل قوله: (الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ) [الرعد: 9] ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾. قال بعضهم: على الإسلام ما بين آدم إلى نوح. وكان بينهم عشرة آباء.

وقال مجاهد: كان الناس أمة واحدة، وآدم وحده. وقال غيره: كان الناس أمة واحدة: آدم وحواء.

﴿ فَاخْتَلَفُوا ﴾ أي: حين قتل ابن آدم أخاه.

وقال الحسن: (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَّاحِدَةً) أهل ضلالات، إلا الخاصة من الناس. وذلك من وفاة آدم إلى مبعث نوح، فإن الأرض لم تخل من أن تكون فيها حجة. (فَاخْتَلَفُوا) أي حتى أتتهم الأنبياء، فآمن بعضهم وكفر بعضهم.

وقال مجاهد: فاختلفوا حين قتل ابن آدم أخاه.

قوله: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾، تفسير الحسن أنه يعني المؤمنين والكافرين. لولا أن الله قضى ألا يحاسب بحساب الآخرة في الدنيا لحاسبهم في الدنيا بحساب الآخرة، فأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ أي هلا أنزل عليه ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ يعنون الآيات التي كانت الأمم تسألها أنبياءها. فقال: ﴿ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾ وهو كقوله

(إِنَّمَا الآيَـاتُ عِنْدَ اللَّهِ) [الأنعام: 109] أي: إذا شاء أنزلها. ﴿ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ أي فستعلمون بمن ينزل عليه العذاب.

قوله: ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً ﴾ والرحمة في هذا الموضع العافية. ﴿ مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ ﴾ أي من بعد مرض أو شدة أصابتهم، يعني المشركين. ﴿ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي ءَايَاتِنَا﴾ قال الحسن: يعني جحوداً وتكذيباً بآياتنا. وقال مجاهد: (مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا) أي: استهزاء وتكذيب[1].

﴿ قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً ﴾ أي: أسرع عذاباً. قال الحسن: إن الله إذا أراد أن يهلك قوماً كان عذابه إياهم أسرع من لمح البصر.

قوله: ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ وهي تقرأ بالتاء والياء. فمن قرأها بالتاء فيقول للمشركين: (إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ). ومن قرأها بالياء فهو يقول للنبي عليه السلام: (إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا يَمْكُرُونَ)، يعني المشركين، ويعني الحفظة الذين يكتبون أعمال العباد. يعني ما يمكرون من كفرهم وتكذيبهم. وفي الآية تقديم: إذا لهم مكر في ءايتنا قل إن رسلنا يكتبون ما تمكرون قل الله أسرع مكراً.

قوله: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ ﴾ أي: في السفن. [يقول هذا للمشركين، ثم قال للنبي عليه السلام][2] ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ للمسير ﴿ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ أي شديدة ﴿ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ﴾ أي: أنهم مغرقون ﴿ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِ ﴾ أي من هذه الشدّة ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّـٰكِرِينَ ﴾. أي: من المؤمنين.

---

(1) وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن، ج 1 ص 276: «مجاز المكر ها هنا مجاز الجحود بها والرد لها. وقال: (قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً) أي: أخذاً وعقوبة واستدراجاً».

(2) زيادة من ز، ورقة 139.

﴿ فَلَمَّا أَنْجَـٰهُـمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ ﴾ أي يكفرون[1] في الأرض ويفسدون فيها، ويعبدون غير الله، وذلك بغي في الأرض.

ثم قال: ﴿ يَـٰأَيُّهَـا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ﴾ يعني بالناس في هذا الموضع المشركين. (إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ) يعني أنه يصير عليكم ثوابه، أي النار ثواب ذلك البغي والكفر. ﴿مَتَـٰعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. يقول: وإنما بغيكم وكفركم في الدنيا، ثم ينقطع فترجعون إلى الله. وهو قوله: ﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

ثم ضرب مثل متاع الحياة الدنيا فقال: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَـٰهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ ﴾. قال بعضهم: فأخرجت الأرض ألوانها من النبات. وقال بعضهم: فاختلط ذلك الماء بالنبات الذي أنبت الله بذلك الماء. ﴿ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا ﴾ أي زينتها، أي من نباتها من صفرة وحمرة وخضرة. ﴿ وازَّيَّنَتْ ﴾ يعني الزينة من زهرتها ﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ﴾ أي: أن ذلك الزرع في أيديهم[2] ﴿أَتَيـٰهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيداً ﴾ أي: قد حصد وذهب أجمع. ﴿ كَانَ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ﴾ أي: كأن لم يكن ذلك الزرع بالأمس قائماً.

قال: ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الأَيَـٰتِ﴾ أي نبيّن الآيات ﴿ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾. يقول: فالذي أنبت هذا الزرع في الأرض الـمـواتِ حتى صار زرعاً حسناً، فاهتز فأخرج زينته، ثم أهلكه بعد حسنه وبهجته، قادر على أن يحيي الموتى. وهو كقوله: (كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ) [الكهف: 45] قال: (كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) أي: إنما يقبل ذلك ويعقله المتفكرون، وهم المومنون. وهو كقوله: (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ العَالِمُونَ) [العنكبوت: 43].

(1) كذا في المخطوطات، وفي ز، ورقة 139: «أي يكفرون ويعملون بالمعاصي».
(2) كذا في المخطوطات، وفي ز ورقة 139: «أي قادرون على الانتفاع بما فيها من زرع.

قوله: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلْمِ ﴾ والسلام هو الله، وداره الجنة.

ذكروا أن أبا الدرداء قال قال رسول الله ﷺ: ما طلعت شمس إلا بُعِثَ بجنبتيها ملكان يناديان، يسمعان من على الأرض. إلا الثقلين الجن والإنس: أيها الناس، هلموا إلى ربكم، فإنه ما قل وكفى خير مما كثر وألهى. ولا غابت إلا بعث بجنبتيها ملكان يناديان، يسمعان من على الأرض إلا الثقلين: اللهم أعطِ كل منفق خلفاً، وكل ممسك تلفاً[1]. وزاد بعضهم: (وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ).

قوله: ﴿ وَيَدْعُو مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي: إلى الجنة.

قوله: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ ﴾ أي الجنة. ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ يعني الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف[2].

قوله: ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ ﴾ أي: ولا يغشى وجوههم ﴿ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ القتر: السواد، والذلة: الذل. ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ ﴾ أي: أهل الجنة. ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أي لا يخرجون منها ولا يموتون.

قوله: ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ أي والذين عملوا السيئات. والسيئات ها هنا الشرك. ﴿ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ﴾ أي: جزاء الشرك النار. وهو مثل قوله: (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) أي الشرك: (فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا) [الأنعام: 160] أي: النار.

قوله: ﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ أي: وتغشاهم ذلة، أي: إنهم أذلاء. ﴿ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ أي: يعصمهم من عذاب الله. ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً ﴾. قال الحسن: لم يخلق الله شيئاً أشد سواداً من الليل. قال: (كَأَنَّمَا

(1) أخرجه أحمد في مسنده بسند صحيح، وأخرجه الطبري في تفسيره، ج 15 ص 60 - 61، وأخرجه البغوي في شرح السنة ج 14 ص 247.

(2) كذا في المخطوطات الأربع، ولم يرد هذا في ز ورقة 139 وورد مكانه: «وزيادة: النظر إلى الله عزّ وجلّ» وقد حذفه الشيخ هود عمداً ولا شك لأن الإباضية يرون أن رؤية الباري مستحيلة دنيا وآخرة. وهذا القول الذي أثبته الشيخ هود هنا هو قول ابن عباس والحسن البصري وآخرين. انظر تفسير الطبري ج 15 ص 70.

أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ ٱللَّيْلِ مُظْلِماً) قطعة، ثم قطعة، ثم قطعة، الله أعلم كم ذلك بعضها فوق بعض، وهو أشد لسواد وجوههم. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ أي: أهل النار ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أي لا يخرجون منها ولا يموتون.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ﴾ أي نحشر المشركين من قبورهم وما كانوا يعبدون من دون الله جميعاً. ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ﴾ يعني الأوثان التي عبدها المشركون في الدنيا. قال الحسن: إن الله يحشر الأوثان المعبودة في الدنيا بأعيانها، فتخاصم عُبَّادها الذين عبدوها في الدنيا.

قال: ﴿ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾[1] أي بالمسألة؛ فسألنا المشركين على حدة، والأوثان على حدة. ﴿ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم ﴾ يعني الأوثان تقول للمشركين ﴿ مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴾. أي ما كانت عبادتكم إيانا دعاء منا لكم، وإنما كان دعاكم إلى عبادتنا الشيطانُ. وهو كقوله: (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ) يعني الصابين ومن عبد الملائكة (وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يعني الملائكة (فَيَقُولُ) للملائكة (أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ) على الاستفهام، وهو أعلم بذلك، تعالى وتقدّس. (قَالُوا) أي الملائكة (سُبْحَانَكَ) ينزهون الله عن ذلك (مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ) [الفرقان: 17 - 18] أي: ما كان ينبغي لنا أن نتولاهم على عبادتهم إيانا دونك، ولم نفعل ذلك. وبعضهم يقرأها: (مَا كَانَ يَنْبَغِي لنا أن نُتَّخَذَ من دونك من أولياء). يقول: ما كان ينبغي لنا أن يتخذونا أولياء من دونك يعبدوننا.

قوله: ﴿ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا ﴾ [أي لقد كنا][2] ﴿ عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾ أي إنا لم نأمركم بذلك.

---

(1) قال الفراء في معاني القرآن ج 1 ص 462: «وقوله: (فَزَيَّلْنَا بينهم) ليست من زُلتُ» إنما هي من زِلتُ ذا من ذا: إذا فرقتَ أنت ذا من ذا. وقال: (فَزَيَّلْنَا) لكثرة الفعل. ولو قلّ: لقلت: زل ذا من ذا، كقولك: مِزْ ذا من ذا. وقرأ بعضهم: (فَزَايَلْنَا بَيْنَهُمْ)».

(2) زيادة من ز، ورقة 139. «وإنْ» في قوله؛ (وإنْ كُنَّا) هي مخففة من الثقيلة. واللام في قوله: (لَغَافِلِينَ) هي اللام الفارقة بين أن المخففة وإن النافية.

قوله: ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ﴾. ذكروا أن مجاهداً قال: هنالك تختَبِر كل نفس ما أسلفت، أي تختَبِر ثواب ما أسلفت في الدنيا.

وقال بعضهم عن مجاهد: تخبُر. وهي تقرأ على وجه آخر: (هُنَالِكَ تَتْلُو) أي تتبع كل نفس ما أسلفت.

ذكروا عن ابن مسعود أنه قال: تحشر الأمم بأوثانها وما كانت تعبد من دون الله.

قوله: ﴿ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَيهُمُ الحَقِّ ﴾ والحق اسم من أسماء الله. وهو كقوله (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ). وكقوله: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ البَاطِلُ) [لقمان: 30].

قوله: ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ عن عبادتهم الأوثان.

ثم قال للنبي عليه السلام: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ وهو على الاستفهام ﴿ أَم مَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ ﴾ أي: أن يذهبهما أو يبقيهما. ﴿ وَمَن يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ ﴾ يعني النطفة والحبة. أي: يخرج من النطفة الميتة الخلق الحي، ويخرج من الخلق الحي النطفة الميتة، ويخرج من الحبة اليابسة النبات الحي، ويخرج من النبات الحي الحبة اليابسة. وهذا تفسير مجاهد.

وقال الحسن: يخرج المومن من الكافر، ويخرج الكافر من المومن.

﴿ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ ﴾ أي فيما يحيي ويميت، ويقبض ويبسط، وينزل الغيث، ويدبّر الأمر في السماوات والأرض. ﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُل أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ أي: الله. وأنتم تقرون بالله عزّ وجلّ أنه هو الذي يفعل هذه الأشياء ثم لا تتقونه، وتعبدون هذه الأوثان من دون الله.

﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ ﴾ أي الذي تقرون أنه خلقكم؛ والأوثان هي الباطل، أي: الأموات، لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون.

﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ ﴾ والحق هو الله. يقول: فماذا بعد الحق ﴿ إِلَّا الضَّلَلُ ﴾

أي: إلا هذه الأوثان. وقال بعضهم: الباطل: إبليس. قوله في سبأ: (قُلْ جَاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ البَاطِلُ) يعني إبليس، يقول: وما يبدىء إبليس خلقاً (وَمَا يُعِيدُ) [سبأ: 49] أي: وما يعيده كما لم يبدئه، فكذلك لا يعيده، والله هو المبدىء وهو المعيد.

قوله: ﴿ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ أي: فكيف تصرف عقولكم فتعبدون غيره، وأنتم مقِرّون أنه خالق هذه الأشياء.

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ عَلَى الذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يعني الذين يلقون الله بشركهم. وهذا فسق شرك، وهو فسق فوق فسق، وفسق دون فسق.

قوله: ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُم مَّن يَّبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ وهذا على الاستفهام. يعني هل من هذه الأوثان من يخلق ثم يميت ثم يحيي؟ أي إنها لا تقدر على ذلك؛ إنما هي أموات غير أحياء. ثم قال:

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الخَلقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ أي الله يبدأ الخلق في الدنيا، ثم يعيده يوم القيامة. ﴿ فَأَنَّىٰ تُوفَكُونَ ﴾ أي: عنه. كقوله: (يُوفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ) [الذاريات: 9] أي: يصرف عنه من صُرِف، ويُصَد عنه من صُدَّ، وهو واحد.

قوله: ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُم مَّن يَّهْدِي إِلَى الحَقِّ ﴾ أي: إلى الدين والهدى، أي: أنها لا تفعل ولا تعقل. ﴿ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَّهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَم مَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُّهْدَىٰ ﴾ على الاستفهام. أي: فالذي يهدي للحق أَحَقُّ أن يُتَّبع، وهو الله الذي يهدي إلى الحق.

وفي تفسير مجاهد: (لَا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُّهْدَىٰ) أي الأوثان؛ الله يهدي منها ومن غيرها ما يشاء(1).

قال: ﴿ فَمَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ أي: إنكم تقرون بأن الله هو الخالق وأنه الرازق، ثم تعبدون الأوثان من دونه.

(1) كذا في المخطوطات، وفي تفسير الطبري ج 15 ص 88: «الله يهدي منها ومن غيرها من شاء لما شاء».

قوله: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنّاً ﴾ أي يعبدون الأوثان يتقربون بها إلى الله ـ زعموا ـ لِيُصلح لهم معايشهم في الدنيا، وما يعملون ذلك إلا بالظن. ﴿ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا القُرْءانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾يقول: لم يكن أحد يستطيع أن يفتريه فيأتي به من قِبَل نفسه ﴿ وَلَـٰكِنْ تَصْدِيقَ الذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي: من التوراة والإنجيل ﴿ وَتَفْصِيلَ الكِتَـٰبِ﴾ أي من الحلال والحرام والأحكام والوعد والوعيد. ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أي: لا شك فيه ﴿ مِن رَّبِّ العَـٰلَمِينَ﴾.

قوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ ﴾ أي: إن محمداً افتعل هـذا القرآن؛ على الاستفهام. أي: نعم، قد قالوا افتراه، أي: افتعله.

قال الله: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ أي مثل هذا القرآن ﴿ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ حتى يشهدوا أنه مثل هذا القرآن[1] ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾. يقول: إن كنتم صادقين فأتوا بسورة مثله؛ أي: إنكم لستم بصادقين ولا تأتون بسورة مثله. ثم قال:

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾ أي: لم يكن لهم علم بما كذبوا أن الله لا يحيي الموتى، ولا يجزي الناس بأعمالهم بعد الموت. ﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ [أي: ولم يأتهم تأويله][2]، أي: الجزاء به، أي: ثوابه. يقول: ولو قد أتاهم تأويله لآمنوا به حيث لا ينفعهم الإيمان.

﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ يعني قوم نوح وعادا وثمود ومن بعدهم. ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: المشركين. ذكر بعضهم قال: كان عاقبتهم أن دمّر الله عليهم، أي: أهلكهم بتكذيبهم رسلهم ثم صيّرهم إلى النار.

---

(1) كذا في المخطوطات: «حتى يشهدوا أنه مثل هذا القرآن». وفي ز ورقة 139: (وادعوا) يعني استعينوا (مَنِ اسْتَطَعْتُم) أي: من أطاعكم.

(2) زيادة من ز، ورقة 139.

قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ يُؤمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّنْ لَّا يُؤمِنُ بِهِ ﴾ أي: ومن المشركين من يومن بالقرآن، ومنهم من لا يؤمن به ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ أي: المشركين.

قوله: ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ﴾ أي: ليس عليكم من عملي شيء، وليس عليّ من عملكم شيء. ﴿ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ وإنما صارت يستمعون لأنهم جماعة. ﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ ﴾ أي: عن الهدى ﴿ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أي: لا تسمعهم أنت، وهذا سمع قبول. كقوله: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنَ أَحْبَبْتَ) [القصص: 56].

قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ ﴾ وهذا على الواحد، لا على الجماعة. [أي: ومنهم من يقبل عليك بالنظر][1] ﴿ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْىَ ﴾ [يعني عمى القلب][1] ﴿ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴾ هي مثل الأولى. واستماعهم ونظرهم كقوله: (وَتَرَيٰهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) [الأعراف: 198] أي: الهدى. وكقوله: (وَمَثَلُ الذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً). [البقرة: 171] أي: مثل الغنم إذا صاح بها الراعي فسمعت فرفعت رءوسها، ثم وضعت رؤوسها لا تدري لم صاح بها. فكذلك هم لا يسمعون بقلوبهم إلا ما سمعت آذانهم: أي: لا يقبلونه.

قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَـٰكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾. أي: يضرّون. وقال الحسن: ينقصون، أي: بمعصيتهم.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا ﴾ أي: في الدنيا ﴿ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ ﴾ أي: في طول ما هم لابثون في النار.

قوله: ﴿ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: ثلاثة مواطن لا يعرف

(1) زيادة من ز، ورقة 139.

فيهن أحد أحداً: عند الميزان، حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الكتب، حتى يعلم أبيمينه يأخذ كتابه أم بشماله، وعند الصراط، حتى يعلم أيجوز الصراط أم لا يجوز[1]. وقال في آية أخرى: ﴿ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً ﴾ [المعارج: 10]. وهي مواطن؛ فمنها ما يتعارفون فيها، ومنها ما لا يتعارفون فيها. وهذا قول الحسن.

قوله: ﴿ قَدْ خَسِرَ الذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ﴾ أي: الذين كذبوا بالبعث، خسروا أنفسهم أن يغنموها فصاروا في النار. ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ أي: لو كانوا مهتدين ما خسروا أنفسهم.

قوله: ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الذِي نَعِدُهُمْ ﴾ من العذاب، أي: عذاب الدنيا ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ فيكون بعد وفاتك ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ أي: من أعمالهم.

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ﴾ أي: بالعدل ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ في تفسير الحسن: إذا بعث رسولهم فكذبوه، فدعا عليهم، فاستجيب له أهلكهم الله[2]. وإنما يدعو عليهم إذا أُمِر بالدعاء.

ذكروا أن مجاهداً قال: فإذا جاء رسولهم يوم القيامة؛ وهو كقوله: ﴿ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ ﴾ [الزمر: 69].

قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ يقوله المشركون لما كان يعدهم به النبي عليه السلام من عذاب الله إن لم يؤمنوا؛ فكانوا يستعجلونه بالعذاب استهزاءً وتكذيباً. أي: إنه لا يأتيهم العذاب، ويقولون: متى هذا الوعد، و ﴿ إِيْتِنَا

(1) حديث صحيح أخرجه أبو داود في كتاب السنّة، باب في ذكر الميزان. (رقم 4755) عن الحسن عن عائشة. وأخرجه أحمد في مسنده. وأخرجه يحيى بن سلام من طريق الحسن عن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله، هل يذكر الرجل يوم القيامة حميمه فقال: ثلاثة مواطن لا يذكر فيها أحد حميمه.. الحديث. أورده يحيى في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأنبياء: 47].

(2) في المخطوطات الأربع: «فأهلكهم الله»، والأصح حذف الفاء ليستقيم الكلام.

بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [العنكبوت: 29].

قال الله لمحمد عليه السلام: (قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي) أي: النبوة (وَكَذَّبْتُمْ بِهِ) أي: بالقرآن (مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ) أي: من عذاب الله (إِنِ الحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) أي: إِنِ القَضَاءُ إِلَّا لِلَّهِ) أي: إنما ذلك إلى الله (يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ) [الأنعام: 57] أي القاضين.

قوله: ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلَا نَفْعاً ﴾ يخبرهم أن الذي يستعجلون به من العذاب ليس في يده. ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ﴾ عن عذاب الله إذا نزل بهم ﴿ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ العذاب، أي: فيعذبون قبل أن يأتيها رسولها بكتابها من عند الله بعذابها. وهو كقوله: (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [الحجر: 4] أي: يأتيها به رسولها، ووقت ذلك الكتاب أن يكذبوا رسولهم فيدعو عليهم بأمر الله فيهلكهم الله.

قوله: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَـٰكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً ﴾ أي: ليلاً ﴿ أَوْ نَهَاراً مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ المُجْرِمُونَ ﴾ أي: المشركون.

﴿ أَثُـمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ ﴾ وهو على الاستفهام. يقول: ماذا يستعجلون به من عذاب الله، فإنه سينزل بهم فيؤمنون به، إذا نزل بهم العذاب فلا ينفعهم الإيمان ولا يقبل منهم عند نزول العذاب ويصيرون إلى النار(1)، ويقال لهم: إذا آمنوا عند نزول العذاب: ﴿ ءَالْئَـٰنَ ﴾ أي: الآن تؤمنون به ﴿ وَقَدْ كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ يعني بالعذاب. يقول: قد نزل بكم ما كنتم تستعجلون به من عذاب الله فآمنتم حين لا ينفعكم الإيمان. وقد قال لفرعون: (ءَآلْـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ المُفْسِدِينَ) [يونس: 91] أي: لا ينفعك الإيمان عند نزول العذاب.

وكقوله: (فَلَمَّا رَأَوا بَأْسَنَا) أي: عذابنا إذا نزل بهم (قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ

---

(1) كذا وردت هذه العبارة بما فيها من تكرار مملّ لبعض كلماتها، وهي واضحة المعنى بأقل من هذا.

وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) أي: عذابنا (سُنَّتَ اللَّهِ التِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ) أي: إن القوم إذا كذّبوا رسولهم أهلكهم الله، وإن هم، إذا جاءهم العذاب، آمنوا لم يُقبَل منهم.

قال: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الخُلْدِ﴾ أي: النار. وعذابها خالد دائم لا انقطاع له، أي: ذوقوه بعد عذاب الدنيا. ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾. أي: تجزون النار بشرككم.

قوله: ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ ﴾ أي: [يستخبرونك][1] ويسألونك ﴿ أَحَقٌّ هُوَ ﴾ أي: القرآن ﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ أي: ما أنتم بالذين تعجزوننا فتسبقوننا فلا نقدر عليكم.

قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ﴾ أي: أشركت فظلمت بذلك نفسها ﴿ مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ ﴾ أي: لو أن لها ما في الأرض من ذهب أو فضة لافتدت به يوم القيامة من عذاب الله ﴿ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ ﴾ أي: أسروا الندامة في أنفسهم لما دخلوا العذاب ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالقِسْطِ ﴾ أي: بالعدل ﴿ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾.

قوله: ﴿ أَلاَ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ أَلاَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ أي: إن الذي وعدكم في الدنيا حق، إنه سيجزيكم به في الآخرة على ما قال في الدنيا من الوعد والوعيد؛ أي من الوعد بالجنة والوعيد بالنار. ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ وهم المشركون وهم أكثر الناس.

قوله: ﴿ هُوَ يُحْيِـي ﴾ أي: يخلق ﴿ وَيُمِيتُ ﴾ أي: ويميت من خلق ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: بالبعث.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَـا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ يعني القرآن ﴿ وَشِفَاءٌ لِّمَا

(1) زيادة من ز، ورقة 140.

﴿ فِي الصُّدُورِ ﴾ أي: يُذهِب ما فيها من الكفر والنفاق. ﴿ وَهُدىً ﴾ أي: يهتدون به إلى الجنة ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وأما الكافرون فإنه عليهم عذاب.

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ ﴾ ذكر بعضهم قال: فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن.

قوله: ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ إن كانوا فرحين. قال الحسن: فبذلك فليفرحوا. ﴿ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ أي: في الدنيا. وبعضهم يقرأها: (فَلْتَفْرَحُوا) يعني المؤمنين. (هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) أي: مما يجمع الكفار.

قوله: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً ﴾ يعني مشركي العرب. وإنما أرزاق العباد من المطر؛ به ينبت زرعهم، وتعيش ماشيتهم (فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً) أي: ما حرموا من الأنعام من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وما حرَّموا من زروعهم؛ وهو قوله: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا: هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَائِنَا) [الأنعام: 136] أي: لأوثاننا التي كانوا يعبدونها من دون الله.

قال: الله لمحمد عليه السلام: ﴿ قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾ يعني أمركم بما صنعتم من ذلك ﴿ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ وهو على الاستفهام، أي: إنه لم يفعل ذلك.

ثم أوعدهم على ذلك فقال: ﴿ وَمَا ظَنُّ الذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَىٰ اللَّهِ الكَذِبَ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ ﴾ وهو على الاستفهام، يقول: ظنهم أن الله سيعذبهم، وظنهم ذلك في الآخرة يقين منهم. وقد كانوا في الدنيا لا يقرون بالبعث، فلما صاروا إلى الله علموا أن الله سيعذبهم.

ثم قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ أي: بما أنعم عليهم وبما أرسل إليهم الرسل ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ ﴾ أي: لا يؤمنون.

قوله: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ﴾ يعني النبي عليه السلام، أي: في شأن من حوائجك في الدنيا ﴿ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ ﴾ يعني النبي عليه السلام ﴿ وَلاَ

تَعْمَلُونَ ﴾ يعني العامة ﴿ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً ﴾ أي: بذلك ﴿ إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ أي: في ذلك العمل أجمع ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ ﴾ أي: وما يضل عن ربك، وبعضهم يقول: وما يغيب عن ربك ﴿ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴾ أي: وزن ذرة[1] ﴿ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ ﴾ أي: حتى لا يعلمه ولا يعلم موضعه ﴿ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بيّن عند الله. يحذر الله العباد ويخبرهم أنه شاهد لأعمالهم.

قوله: ﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ أي: في الآخرة. ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾.

ذكروا عن عمرو بن دينار قال: قدم علينا فقيه من أهل مصر فسألته عن هذه الآية فقال: سألت عنها أبا الدرداء فقال: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن أو تُرى له[2].

قال: ﴿ وَفِي الآخِرَةِ ﴾ يعني الجنة.

وتفسير الحسن: يبشّرهم الله في القرآن بالجنة، كقوله: (وَبَشِّرِ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) [البقرة: 25]. وقال: (وَبَشِّرِ الذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) [يونس: 2] وقال: (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً) [الأحزاب: ٤٧] أي الجنة، قال: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي الجنة، على الكلام الأول، على قوله: (لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ).

(1) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 278: (وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ) أي: ما يغيب عنه. ويقال: أين عزب عقلك عنك. (مِثْقَالِ ذَرَّةٍ) أي: زنة نملة صغيرة، ويقال: خذ هذا فإنه أخف مثقالاً أي: وزناً».

(2) أخرجه أحمد وأخرجه ابن جرير الطبري من عدة طرق عن أبي الدرداء وعن عبادة الصامت في تفسيره ج 15 ص 125 - 140، وفي ز ورقة 140 جاء الحديث بالسند التالي: «يحيى عن أمية عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة أن عبادة بن الصامت سأل نبي الله ﷺ عن هذه الآية فقال: هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له».

وقال بعضهم: فازوا من الجنة إلى النار. وقال الحسن: الفوز العظيم: النجاة العظيمة من النار. قال الله: (مَنْ زُحْزِحَ عَنِ النّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) [آل عمران: 185].

قوله: ﴿ وَلاَ يُحْزِنْكَ قَوْلُهُمْ ﴾ يقوله للنبي عليه السلام، لقول المشركين له: إنك مجنون وإنك شاعر، وإنك ساحر، وإنك كاذب. ﴿ إِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾ أي: فسينصرك عليهم ويذلهم لك. ﴿ هُوَالسَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ أي: لا أسمع منه ولا أعلم منه.

قوله: ﴿ أَلاَ إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَـٰوٰتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: جميع من في السماوات ومن في الأرض وأصنامهم التي يعبدونها من دون الله وأنفسهم [يفعل فيهم وبهم ما يشاء][1] قوله: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ الذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ يقول: إن الذين يعبدون من دون الله ليسوا بشركاء لله. ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ ﴾ يقول: ما يعبدون أوثانهم ويقولون إنها تقربهم إلى الله زلفى، وما يقولون ذلك بعلم، إن هو منهم إلا ظن. ﴿وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾ أي: إلا يكذبون.

قوله: ﴿ هُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ﴾ يعني لتستقروا فيه من النصب ﴿ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً ﴾ أي: منيراً لتبتغوا فيه معايشكم ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لأَيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ وهم المؤمنون سمعوا عن الله ما أنزل إليهم فقبلوه.

قوله: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً ﴾ يعني مشركي العرب. وذلك أنهم قالوا: إن الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَـٰنَهُ﴾ ينزّه نفسه عن ذلك ﴿هُوَ الغَنِيُّ﴾ أي: عن الولد ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾. ثم قال: ﴿ إِنْ عِنْدَكُم مِّنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا ﴾ أي: ما عندكم من حجة بهذا الذي قلتم ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: نعم قد قلتم على الله ما لا تعلمون.

قوله: ﴿ قُلْ إِنَّ الذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ ﴾ ثم انقطع الكلام.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 140.

﴿مَتَٰعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ يقول: وإنما الدنيا وما هم فيه متاع قليل ينقطع، متاع يستمتعون به ثم يذهب إذا فارقوا الدنيا ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُم العَذَابَ الشَّدِيدَ﴾ أي: عذاب جهنم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

قوله: ﴿واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ أي: خبر نوح ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَـٰقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: عظم عليكم ﴿مَّقَامِي﴾ أي: بالدعاء إلى الله عزّ وجلّ ﴿وَتَذْكِيرِي بِئَايَٰتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وشُرَكَاءَكُمْ﴾ [أي: وأجمعوا شركاءكم](1).

وقال بعضهم: وليجمع أوثانكم أيضاً أمرهم(2). قال الحسن ومجاهد: ما في أنفسكم وكيدكم. والعامة على الوجه الأول: فأجمعوا أمركم وشركاءكم، أي: واجمعوا شركاءكم.

﴿ثُمَّ لَا يَكُن أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي: في ستر وشبهة، أي: ليكن ذلك علانية.

قال: ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ أي: اجهدوا عليَّ جهدكم ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾، أي: طرفة عين. أي: إنكم لا تقدرون على ذلك. وذلك حين قالوا: (لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ المَرْجُومِينَ) [الشعراء: 116]. وهو كقوله: (فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ) [القمر: 9] أي: ويهدد بالقتل.

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: بكفركم ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنَ أَجْرٍ إِنَ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾. أي: إنْ ثوابي إلاّ على الله ﴿وَأُمِرْتُ أَن أَكُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ﴾ يقول: فما سألتكم على ما أدعوكم إليه من هذا الدين أجراً فيحملكم ذلك على ترك ما أدعوكم

---

(1) زيادة من ز، ورقة 141.

(2) هذا على قراءة من قرأ: (وَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وشُرَكَاؤُكُمْ) وهي قراءة الحسن التي قال عنها الفرّاء في معاني القرآن ج 1 ص 473: «وإنما الشركاء ها هنا آلهتهم، كأنه أراد: أجمعوا أمركم أنتم وشركاؤكم ولست أشتهيه لخلافه للكتاب، ولأن المعنى فيه ضعيف لأن الآلهة لا تعمل ولا تُجمع». وانظر ابن جني، المحتسب، ج 1 ص 314.

إليه. وقد قال الله لمحمد عليه السلام: (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجراً فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ) [القلم: 46] أي: فقد أثقلهم الغرمُ، فإنما يحملهم على ترك الهدى الأجرُ الذي تسألهم. أي: إنك لا تسألهم ذلك.

قوله: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الفُلْكِ ﴾ أي: في السفينة. وكان مع نوح في السفينة أمرأته وثلاثة بنين له: سام وحام ويافث ونساؤهم، فجميعهم ثمانية. ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰئِفَ ﴾ أي: بعد الهالكين يخلفون في الأرض بعدهم. ﴿ وَأَغْرَقْنَا الذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ المُنْذَرِينَ ﴾ أي: الذين أنذرهم نوح كان عاقبتهم أن عذبهم الله ثم صَيَّرهم إلى النار.

قال: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ ﴾ أي: من بعد نوح ﴿ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالبَيِّنَـٰتِ﴾ أي: من عند الله ﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: من قبل أن يأتيهم العذاب. ﴿ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾ أي: المشركين بشركهم.

قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلإِيْهِ﴾ يعني: قومه ﴿ بِئَايَتِنَا﴾ أي: التسع الآيات: يده وعصاه والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، قال تعالى: (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمرَاتِ) [الأعراف: 130]. قال: ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا ﴾ أي: عن إجابة الرسل ﴿ وَكَانُوا قَوْماً مُّجْرِمِينَ ﴾ أي: مشركين.

قوله: ﴿ فَلَمَّا جَـاءَهُمُ الحَقُّ مِنْ عِندِنَا ﴾ [يعني اليد والعصا][1] ﴿ قَالُوا إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَـٰذَا ﴾ قال الله: ﴿ وَلاَ يُفْلِحُ السَّـٰحِرُونَ﴾.

قوله: ﴿ قالوا أجئتنا لتلفتنا ﴾ أي: لتأفكنا، أي: لتصدنا ولتحولنا ﴿ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ أي: إنا وجدناهم عبدة أوثان، فنحن على دينهم، وأنت تريد أن تحوّلنا

(1) زيادة من ز، ورقة 141.

عن ذلك ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا الكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: وتريد أن يكون لك ولهارون الملك والطاعة ﴿ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: بمصدّقين.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ أي: عليم بالسحر.

﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ ﴾ أي: للميعاد الذي اتعدوا له هم وموسى ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْـقُونَ ﴾ وذلك أنهم قالوا لموسى (إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ المُلْقِينَ) [الأعراف: 115] قال لهم موسى: (أَلْقُوا مَا أَنْتُم مُّلْقُونَ) ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا ﴾ يعني حيّاتهم وعصيّهم ﴿ قَالَ ﴾ لهم ﴿ مُوسَىٰ ﴾ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ﴾[1] ليس بشيء ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ﴾ أي: حتى لا يكون شيئاً ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ المُفْسِدِينَ ﴾ أي: السحرة والمشركين.

﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الحَقَّ ﴾ أي: الذي جاء به موسى ﴿ بِكَلِمَـٰتِهِ ﴾ أي: بوعده الذي وعد موسى بقوله: (لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَىٰ) [طه: 68] أي: إنك أنت الظاهر الظافر. ﴿ وَلَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ ﴾ أي: المشركون. أي: إن فرعون وقومه كانوا يكرهون الحق، وأن يظهر عليهم موسى وهارون فيظهر دينهما، ويغرق آل فرعون وهم ينظرون.

قوله: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ﴾ ذكروا عن ابن عباس قال: الذرية: القليل. ذكروا أن مُجاهداً قال: أولاد الذين أرسل إليهم موسى من طول الدهر ومات آباؤهم.

قوله: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ أي: أن يقتلهم فرعون، وكانوا سبعين أهل بيت من قوم فرعون وإخوانهم[2] بنو إسرائيل.

---

(1) جاء في مجاز أبي عبيدة ج 1 ص 280: «مجاز (ما) ها هنا: الذي، ويزيد فيه قوم ألف الاستفهام كقولك: آلسِحْرُ». انظر تفصيل ذلك وبيان وجوه قراءة الكلمة عند الفراء في معاني القرآن ج 1 ص 475.

(2) كذا في د وج: «إخوانهم» وفي ق وع «من أخوالهم بني إسرائيل».

قوله: ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: لباغٍ في الأرض، يبغي عليهم ويتعدى. ﴿ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ أي: لمن المشركين.

قوله: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُم بِاللَّهِ ﴾ وقد علم أنهم قد آمنوا وصدقوا، ولكنه كلام من كلام العرب. تقول: إن كنت كذا فاصنع كذا، وهو يعلم أنه كذلك، ولكنه يريد أن يعمل بما قال له.

قال: ﴿ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي: إن كنتم مؤمنين فامضوا على ما يأمركم به الله.

﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ﴾.

ذكروا أن مجاهداً قال: قالوا: لا تعذبنا بأيدي قوم فرعون، ولا بعذاب من عندك، فيقول فرعون وقومه: لو كان هؤلاء على حق ما عذِّبوا وما سُلِّطنا عليهم [فيفتتنوا بنا][1] ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ ﴾ أي: من فرعون وقومه.

قوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾.

قال مجاهد: حين خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا في مساجد ظاهرة[2] أمروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سراً. وقال الحسن: كانت قبلة النبيين كلهم الكعبة؛ قال بعضهم إلا ما صلى النبي عليه السلام إلى بيت المقدس، ثم صرف إلى الكعبة.

وقال الحسن: (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) أي: حين دخل موسى وبنو إسرائيل مصر بعد ما أهلك الله فرعون وقومه، أمروا أن يبنوا بمصر بيوتاً، أي: مساجد مستقبلة

(1) زيادة من ز، ورقة 141، وفي تفسير مجاهد ص 296، وفي تفسير الطبري ج 15 ص 170.
(2) كذا في المخطوطات: «في مساجد ظاهرة»، وفي ز، ورقة 142: «أن يصلوا في الكنائس الجامعة». وبهذا اللفظ الأخير جاءت العبارة في تفسيري مجاهد والطبري.

القبلة. كقوله: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) [النور: 36] يعني المساجد.

قال: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: بالجنة.

قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً﴾ أي: زينة الدنيا ﴿وَأَمْوَٰلاً فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾ وهذا دعاء، أي: يا ربَّنا فأضلهم عن سبيلك، وهذا حين جاء وقت عذابهم وأمرهم بالدعاء عليهم. ﴿ رَبَّنَا ﴾ أي: يا ربنا ﴿اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾ فمسخت دنانيرهم ودراهمهم وزروعهم حجارة. ذكر لنا أن زروعهم تحولت حجارة. ﴿ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: بالضلالة التي كانت منهم ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا ﴾ أي: فَحِيل[1] بينهم وبين أن يؤمنوا بفعلهم في تفسير الحسن. وقد فعل. ﴿ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ أي: الموجع.

و ﴿ قَالَ ﴾ مجيباً لهما: ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا ﴾ على أمري وديني ﴿ وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ ﴾ أي: طريق ﴿ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني المشركين.

قوله: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ وهذا حين خرجوا من مصر. قال الله لموسى: (فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ) [الدخان: 23] ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً ﴾ والعدو هو العدوان. وهي تقرأ على وجه آخر: وعُدُوا[2]، من التعدّي.

وكان جبريل يومئذٍ على فرس قائداً لموسى وأصحابه. وأوحى الله لموسى أن يضرب بعصاه البحر ففعل. (فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) [الشعراء: 63] وصار لهم اثني عشر طريقاً، لكل سبط طريق. واجتمع الماء وصار كالجبلين على تلك الطرق. وكان بنو إسرائيل يومئذٍ ستمائة ألف مقاتل سوى الحشم. وكان مقدمة

(1) كذا في ز ورقة 142: «فحيل بينهم». وفي ع: «فيحل» (كذا، وفي ق: «فحل» وفي د كذلك: فحل، ولعل ما جاء في ق ود هو الصواب: فَحُلْ، حتى يكون تابعاً للدعاء قبله، ثم تأتي عبارة: «وقد فعل» إخبار بما تـمَّ بعـد ذلك.

(2) العَدْو، والعُدُوّ، والعِدْوان، كلها مصادر للفعل عدا. انظر اللسان: (عدو).

فرعون على ألف ألف حصان ومائتي ألف حصان. وكان جميع جنوده أربعين ألف ألف. حتى إذا خرج آخر أصحاب موسى ودخل فرعون وأصحابه أوحى الله عزّ وجلّ إلى البحر أن يلتئم عليهم ففعل.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا الذِي ءَامَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ﴾.

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ المُفْسِدِينَ﴾. أي إنه آمن في حين لا يقبل الله منه الإيمان. وقد مضت سنة الله في الذين خلوا من قبل أن لا يقبل الله الإيمان عند نزول العذاب.

قال: ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ أي: بجسدك. مَجَّه البحر، أي: قذفه البحر عرياناً على شاطىء البحر. قال: ﴿ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾ أي: لمن بعدك آية فيعلمون أنك عبد ذليل قد أهلكك الله وغرقك. فرآه العالمون.

قوله: ﴿ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ يعني المشركين، أي لا يتفكرون فيها ولا ينظرون.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾ أي: أنزلنا بني إسرائيل منزل صدق، أي: مصر، في تفسير الحسن، بعدما أهلك الله فرعون وقومه.

﴿وَرَزَقْنَـٰهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَـٰتِ﴾ قال تعالى: (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) أي: ومنزل حسن في الدنيا (وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ) [الدخان: 26 - 27] أي مسرورين. وقال بعضهم: مُعْجَبِيْنَ وهو واحد. قال: (كَذٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) [الشعراء: 59][1] أي هكذا أورثناها بني إسرائيل.

(1) كذا في المخطوطات الأربع: (كذلك وأورثناها بني إسرائيل) [الشعراء: 59] أما في سورة الدخان فجاءت الآية: 28 هكذا: (كَذٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ) ولعل الآيتان المتشابهتان اختلطتا على المؤلف أو على بعض النساخ، اللَّهُمَّ إلا أن يكون المؤلف عَمَدَ إلى الآية التي نص فيها نصاً صريحاً ببني إسرائيل.

قوله: ﴿ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ العِلْمُ ﴾ مثل قوله: (وَلَا تَكُونُوا كَالذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ) [آل عمران: 5]. وكقوله: (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ).[المؤمنون: 53] وهم أهل الكتاب.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾.

قوله: ﴿ فَإِنْ كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الذِينَ يَقْرَأُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [يعني من آمن منهم][1]. ذكروا لنا أن رسول الله ﷺ قال: لا أشك ولا أسأل[2].

قال الحسن: (فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ) يقول: لو سألت الذين يقرأون الكتاب من قبلك لأخبروك، وليس يقول: سَلْهم لتعلم ذلك منهم.

قال: ﴿ لَقَدْ جَاءَكَ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ ﴾ أي: من الشاكّين.

﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَـٰتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الخَـٰسِرِينَ ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَـٰتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وهم الذين يلقون الله عزّ وجلّ بكفرهم. ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ﴾ أي: الموجع. أي: إن الآية إذا جاءتهم فلم يؤمنوا جاءهم العذاب، فإذا رأوا العذاب آمنوا فلا يُقبل منهم.

قوله: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا ﴾ يقول: لو آمنت قبل نزول العذاب عليها لنفعها إيمانها. فلم يفعل ذلك أهل قرية فيما خلا ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا

(1) زيادة من ز، ورقة 142.

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 15 ص 202 عن قتادة مرسلاً.

(3) جاءت عبارة أبي عبيدة في مجاز القرآن، ج 1 ص 284 أوجز وأوضح. قال: «ثم استثنى منهم فقال: إلا أن قوم يونس لما رأوا العذاب آمنوا فنفعهم إيمانهم فكشفنا عنهم عذاب الخزي».

ءَامَنُوا﴾ أي: قبل أن ينزل عليهم العذاب ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ﴾ أي عذاب الهون ﴿فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ أي: عن الذين لو كانوا لم يؤمنوا قبل أن ينزل بهم العذاب نزل بهم الخزي. ولو كان نزل بهم ثم آمنوا لم يقبل منهم الإيمان. قال الله: (فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الكَافِرُونَ). [غافر: 85].

قال بعضهم: يقول: لم يكن هذا في الأمم قبلكم، لم يكن ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين عاينت عذاب الله إلا قوم يونس.

وقال: ذكر لنا أن قوم يونس كانوا من أرض الموصل. فلما فقدوا نبيَّهم قذف الله في قلوبهم التوبة، فلبسوا المسوح، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها، فَحَجُّوا إلى الله أربعين ليلة. فلما عرف الله الصدق من قلوبهم، والتوبة والندامة على ما مضى منهم، كشف عنهم العذاب بعدما نزل بهم.

وقال بعضهم: كان بينهم وبين العذاب أربعة أميال.

وذكروا أن مجاهداً قال: (فَنَفَعَهَا) أي: كما نفع قومَ يونس إيمانُهم، فلم يكن ذلك. قوله: (كَشَفْنَا عَنْهُمْ)، أي: صرفنا عنهم.

قوله: ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني إلى الموت بغير عذاب.

قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ على الاستفهام؛ أي: لا تستطيع أن تجبر الناس على الإيمان، إنما يؤمن من أراد الله أن يؤمن.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي رجاسة الكفر بكفرهم.

قوله: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَـٰوَٰتِ﴾ أي: من شمسها وقمرها ونجومها وما فيها من العجائب ﴿وَالأَرْضِ﴾ أي: من بحارها وشجرها وجبالها، أي: ففي هذه آيات وحجج عظام.

ثم قال: ﴿ وَمَا تُغْنِي الآيَـٰتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: ما تغني عنهم الآيات إذا لم يقبلوها ولم يتفكروا فيها.

قوله: ﴾: (فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ) أي: وقائع الله في الأمم السالفة، أي: ما أهلكهم به حين كذبوا رسلهم. قال: ﴿ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ أي: فسينزل بكم ما نزل بهم، يعني الذين تقوم عليهم الساعة، الدائنين بدين أبي جهل وأصحابه. إن الله أخّر عذاب كفار هذه الأمة إلى النفخة الأولى، بها يكون هلاكهم، ولم يهلكهم حين كذبوا النبي عليه السلام بعذاب الاستئصال، كما أهلك من قبلهم بعذاب الاستئصال، فلم يبقَ منهم أحد.

قوله: ﴿ ثم نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: وكنا إذا أهلكنا قوماً أنجينا النبيَّ والمؤمنين. ﴿ كَذَٰلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

قوله: ﴿ قُلْ يَـٰأَيُّهَـا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي ﴾ يعني المشركين ﴿ فَلَا أَعْبُدُ الذِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَـٰكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الذِي يَتَوَفَّـٰكُمْ ﴾ أي: الذي يميتكم ﴿ وَأُمِرْتُ أَن أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

قوله: ﴿وَأَن أَقِمْ وَجْهَكَ﴾ أي: وجهتك ﴿ لِلدِّينِ حَنِيفاً ﴾ أي: مخلصاً ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ يعني الأصنام ﴿ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: من المشركين. (فَإِنْ فَعَلْتَ) أي: ولستَ فاعلاً.

قوله: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ أي: بمرض أو بلية ﴿ فَلَا كَـاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ ﴾ أي: بعافية أو سعة ﴿ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ يعني السراء والضرّاء في النصب وغيره ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾.

قوله: ﴿ قُلْ يَـٰأَيُّهَـا النَّـاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ يعني القرآن ﴿ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ أي: على نفسه، كقوله: (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) [سورة فصلت: 46].

قوله: ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ أي: بحفيظ لأعمالكم حتى أجازيكم بها. إنما أنا منذر أُبَلِّغُكُمْ رسالة ربي.

قال: ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾ من ربك ﴿ وَاصْبِرْ ﴾ على ما يقول لك المشركون من أنك ساحر وأنك شاعر وأنك مجنون وأنك كاهن وأنك كاذب ﴿ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ﴾ فيأمرك بالهجرة والجهاد. وكان هذا قبل أن يؤمر بالقتال. وقد كان الله أعلم محمداً عليه السلام أنه سيفرض عليه الجهاد، جهاد الكفار ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ﴾ أي أفضل ﴿الحَـٰكِمِينَ﴾.

تفسير سورة هود[1]
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ آلَمـرٓ ﴾ قد فسّرناه في أول سورة يونس.

﴿ قوله: ﴿كِتَـٰبٌ﴾ [أي: هذا كتاب][1]، يعني القرآن ﴿ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُ ﴾ أي: بالأمر والنهي. ﴿ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾. قال مجاهد: ثم فسّرت.

وقال الحسن: ثم فسِّرت، بُيِّن فيها الحدود والأحكام. وقال بعضهم: فصّلها فبيّن فيها حلاله وحرامه، وطاعته ومعصيته.

﴿ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ ﴾ أي: من عند حكيم، وهو الله تبارك وتعالى، أحكمه بعلمه ﴿ خَبِيرٍ ﴾ أي: بأعمال العباد.

قوله: ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾ يقول للنبي عليه السلام: قل لهم ألا تعبدوا إلا الله ﴿ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ ﴾ يحذّركم عقابه، أي النار إن لم تؤمنوا ﴿ وَبَشِيرٌ ﴾ أي يبشر بالجنة من أطاعه وآمن به.

قوله: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ أي: من الشرك ﴿ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ منه

(1) في د: سورة هود عليه السلام، وفي ق وع ذكر لعدد الحروف والكلمات والآيات على اختلاف بينهما في بعض الألفاظ. ففي ق عدد الآيات 123 عند أهل الكوفة وأهل البصرة واثنان في عدد دمشق، وفي ع: عند أهل الكوفة وأهل حمص واثنان في عدد دمشق.

﴿ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعاً حَسَناً ﴾ والمتاع معايشهم. ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: إلى الموت، ولا يهلككم بالعذاب إن آمنتم. يقول: أنتم في ذلك المتاع إلى الموت.

قوله: ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ أي: على قدر ما عمل واحتسب. كقوله: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ [الأنعام: 132].

وبلغنا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: من عمل حسنة كتبت له عشر حسنات، ومن عمل سيئة واحدة كتبت عليه واحدة، فإن عوقب بالسيئة في الدنيا بقيت له العشر حسنات، فإن حُوسِبَ بها في الآخرة بقيت له تسع حسنات.

وقال مجاهد: (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) في الآخرة.

قال: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أي: عن هذا القرآن فيكذبوا به. ﴿ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ يحذرهم عذاب الله في الآخرة، ولم يبعث الله نبياً إلا حذر أمته عذاب الدنيا وعذاب الآخرة إن لم يؤمنوا.

قوله: ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ يقول: فيعذبكم في الآخرة إن لم تؤمنوا في الدنيا لقدرته عليكم، فيعذبكم بكفركم.

قوله: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾ أي: على ما هم عليه من الكفر. وقال مجاهد: ثنيُهم صدورَهم شكٌّ وامتراء.

قال: ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ أي: من الله إن استطاعوا، ولن يستطيعوا. وقال الحسن: ليستخفوا منه بذلك، يظنون أن الله لا يعلم الذي استخفوا منه.

قال: ﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ أي: ما يظهرون من الكفر.

وقال بعضهم: هم المنافقون يثنون صدورهم بما هم عليه من الكفر، وهو ما

(1) زيادة من ز، ورقة 143.

يسرّون، أي: من ترك الوفاء بما أَقرُّوا به من الأعمال التي لم يُوَفّوا بها، وما يعلنون أي: ما يظهرون من الإيمان للنبي والمؤمنين.

قال: ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أي: بما تخفي الصدور.

وقال بعضهم: (يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) يقنعون رؤوسهم، ويحنون صدورهم لكي لا يسمعوا كلام النبي عليه السلام؛ فكانوا يحنون صدورهم لكي لا يسمعوا كتاب الله ولا ذكره.

وقال بعضهم: (أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) وذلك أخفى ما يكون فيه ابن آدم إذا حنى صدره واستغشى ثوبه، وأهمّ همّا في نفسه، فإن الله لا يخفى ذلك عليه.

قوله: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾.

كان الحسن يقول في قوله: (فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ) [الأنعام: 98]: مستقر في أجله إلى يوم يموت، ومُستودَع في قبره إلى يوم يبعث. كأنه يريد هذه الآية: (وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ) [البقرة: 36].

وقال الكلبي: مستقرّها: حيث تأوي بالليل.

وذكر عكرمة عن ابن عباس أنه قال: المستقر: الرحم، والمستودع: الصلب؛ يعني مستقرها في الرحم قبل أن تخرج إلى الدنيا، ومستودعها في الصلب قبل أن تقع إلى الرحم.

وبلغنا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: مستقرها الأرحام، ومستودعها الأرض التي تموت فيها[1].

(1) روى ابن سلام هنا بسند إلى ابن مسعود خبراً رأيت من المناسب إثباته هنا كما ورد في ز، ورقة 143: «عن ابن مسعود قال: إذا أراد الله عزّ وجلّ أن يقبض عبداً بأرض جعل له بها حاجة، فإذا كان يوم القيامة قالت الأرض: ربّ هذا ما استودعتني».

قوله: ﴿ كُلٌّ فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ يعني عند الله، وقد فسّرناه قبل هذا الموضع[1].

قوله: ﴿وَهُوَ الذِي خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ يعني: وما بينهما. وقد فسّرنا ذلك في غير هذا الموضع[2]. وهذا من الإضمار.

قوله: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ ﴾ قال مجاهـد: قبل أن يخلق شيئـاً. ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ أي ليختبركم بالأمر والنهي. ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ أي: فيما ابتلاكم.

قوله: ﴿ وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ لَيَقُولَنَّ الذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَـٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: إن هذا القرآن إلا سحر مبين، تكذيباً منهم بالبعث.

قوله: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ أي: إلى سنين معدودة، في تفسير الكلبي. وقال مجاهد: إلى حين. وقال بعضهم: إلى أجل معدود. وذلك عند بعضهم عذاب الآخرة.

وفتسير الحسن: إلى النفخة الأولى، لأن الله قضى ألا يعذّب كفار هذه الأمة بعذاب الاستئصال إلا بالساعة.

﴿ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ﴾ قال بعضهم: لمـا قالـوا: (مَا يَحْبِسُـهُ)، يعنون العذاب[3].

قال الله: ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ ﴾. ثم أنزل بعد ذلك: (أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) [النحل: 1] فذلك قوله: (مَا يَحْبِسُهُ) أي ما يحبس العذاب.

قال الحسن: وذلك قولهم للنبي: (إِيتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ) [العنكبوت: 29]. قال الله: (وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ العَذَابُ) [العنكبوت: 47].

(1) انظر ما سلف، ج 1 ص 531.

(2) انظر ما مضى في هذا الجزء ص 181.

(3) كذا في المخطوطات الأربع، ورجوع الضمير في الآية إلى لفظ العذاب ظاهر، فلا معنى لذكر ذلك وشرحه. اللهم إلا أن يكون في الكلام سقط أو خطأ. ويلاحظ في هذه الجمل تكرار لا داعي له، فالمعنى واضح.

قال: (أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ) يعني الذين تقوم عليهم الساعة، الدائنين بدين أبي جهل وأصحابه. (لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ) أي ليسوا بالذين يستطيع أحدهم أن يصرف عنهم عذاب الله إذا نزل بهم.

﴿ وَحَاقَ بِهِم ﴾ يومئذٍ ﴿ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ وتفسير الكلبي: عذاب الآخرة.

قوله: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ والإنسان ها هنا المشرك، والرحمة في هذا الموضع الصحة والسعة في الرزق.

قال: ﴿ ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ ﴾ أي من رحمة الله أن تصل إليه فيصيبه رخاء بعد شدة ﴿ كَفُورٌ ﴾ أي: لنعمة الله.

قال: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ ﴾ فعافيناه من تلك الضراء. والضرّاء: المرض واللاواء، وهي الشدائد ﴿ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّيَ ﴾ أي: بعد إذ نزلت به ﴿ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ أي ليست له حسبة[1] عند ضراء، ولا شكر عند سراء. (فَرِحٌ) أي بالدنيا، مثل قوله: (وَفَرِحُوا بِالحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) [الرعد: 26] وهم أهل الشرك.

ثم استثنى الله أهل الإيمان فقال: ﴿ إِلَّا الذِينَ صَبَرُوا ﴾ أي: على هذه اللاواء[2] والشدائد ﴿ وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ أي: إنهم لا يفعلون ذلك الذي وصف من فعل المشركين. ﴿ أُولَـٰئِكَ ﴾ الذين هذه صفتهم ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ أي: لذنوبهم ﴿ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ أي: الجنة.

قوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾ يعني النبي عليه السلام، حتى لا تبـلّغ عن الله الرسالة مخافة قومك ﴿ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا ﴾ أي: بأن يقولوا:

---

(1) كذا في ز، ورقة 144: «حسبة»، أي احتساب أجر الصبر عند الله، وهو أصح، وفي ق وع ود: خشية.

(2) كذا في ق وع: «اللاواء» وهو أصح، وفي د وج: «الأذى».

﴿ لَوْلَا ﴾ أي: هلا ﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ ﴾ أي: مال فإنه فقير ليس له شيء ﴿ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾ فيخبرنا أنه رسول الله فنؤمن به.

وقوله: (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ) على الاستفهام، أي: لست بتارك ذلك حتى تبلغ عن الله الرسالة.

﴿ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ﴾ أي: تنذرهم عذاب الله في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ أي: حفيظ لأعمالهم حتى يجازيهم بها.

قوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيٰهُ ﴾ أي: افترى محمد هذا القرآن، على الاستفهام، يقول: قد قالوا ذلك. قال: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ ﴾ أي: مثل هذا القرآن ﴿ مُفْتَرَيَٰتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أي: من هذه الأوثان[1] التي تعبدون من دون الله ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾.

قال: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴾ فيأتوا بعشر سور مثله، ولن يفعلوا، يعني الأوثان، ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ ﴾ أي: القرآن ﴿ بِعِلْمِ اللَّهِ ﴾ أي: من عند الله ﴿ وَأَن لَّا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُم مُّسْلِمُونَ ﴾. يقول: قل لهم فهل أنتم مسلمون. وهو كقوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا يُوحَىٰ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: 25].

قوله: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ يعني المشرك الذي لا يؤمن بالآخرة[2] نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ [أي جزاء حسناتهم][3] ﴿ فِيهَا ﴾ أي: في الدنيا.

(1) كذا في المخطوطات الأربع: «أي: من هذه الأوثان». وفي ز، ورقة 144: «أي: استعينوا من أطاعكم من دون الله». ويبدو أن تأويل قوله تعالى: (وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ) بالأوثان لا يؤدي معنى العموم الذي يدل عليه اسم الموصول (مَنْ) وأرى إبقاء اسم الموصول على عمومه وإطلاقه أولى من تخصيصه وتقييده، خاصة إذا ذكرنا قوله تعالى من سورة الإسراء: 88 (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً).

(2) وهذه الآية أيضاً أعمّ من أن تقصر على المشركين، فقد قال مجاهد: إنهم أهل الرياء، وقال قتادة: هي في اليهود والنصارى. وانظر تفسير الطبري، ج 15 ص 262 - 268.

(3) زيادة من ز، ورقة 144.

﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ أي في الدنيا لا يبخسون، أي: لا يظلمون، لا يُنقصون حسناتهم التي عملوها في الدنيا. يُجَازَوْن بها في الدنيا.

﴿ أُولَـٰئِكَ ﴾ يعني المشركين ﴿ الذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: من حسنات الآخرة لأنهم جوزوا بها في الدنيا.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر[1].

ذكروا عن الحسن قال: قيل يا رسول الله: هذا المؤمن المعروف إيمانه شدد عليه عند الموت، وهذا الكافر المعروف كفره يهوَّن عليه عند الموت. قال: سأخبركم عن ذلك. إن المؤمن يكون قد عمل السيئة فتشدد عليه عند الموت ليكون بها، وإن الكافر يكون قد عمل الحسنة فيهون عليه عند الموت ليكون بها[2].

قوله: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ أي: على بيان ويقين. قال بعضهم: يعني محمداً ﷺ ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾. قال الحسن: شاهد منه لسانه. يعني النبي عليه السلام. وفي تفسير الكلبي: (شَاهِدٌ مِنْهُ): جبريل، أي: شاهد من الله.

قال: ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ ﴾ قال الكلبي: ومن قبل القرآن ﴿ كِتَابُ مُوسَىٰ ﴾ أي: التوراة ﴿ إِمَاماً وَرَحْمَةً ﴾ يقول: تلا جبريل على موسى التوراة إماماً ورحمة.

وقال ابن عباس: (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ) قال: هو المؤمن. (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) أي: من أهل الكتاب. قال: (وَمِنْ قَبْلِهِ) أي من قبل القرآن (كِتَابُ

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، وهو أول أحاديث الكتاب (رقم 2956) وأخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، (رقم 4113) كلاهما يرويه من حديث أبي هريرة، وانظر ما مضى، ج 1 ص 522.

(2) كذا ورد هذا الحديث في المخطوطات الأربع بهذه العبارة: «ليكون بها» ولم أُوَفّق لتحقيقها، ولعل في الحديث نقصاً. ولم أجد الحديث فيما بين يدي من المصادر والمراجع حتى أضبطه وأصححه.

مُوسَىٰ) أي التوراة (إِمَاماً) أي يأتم به من قبله[1] وعمل به، (وَرَحْمَةً) له.

قوله: ﴿ أُولَـٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ يعني المؤمنين يؤمنون بالقرآن والتوراة والإنجيل. ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ مِنَ الأَحْزَابِ ﴾ أي: من اليهود والنصارى[2]. قال الله: ﴿ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾ أي: في شك منه. يقول للنبي عليه السلام: ومن يكفر به فالنار موعده ﴿ إِنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

قال: (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) هل يستوى هو ومن يكفر بالقرآن والتوراة والإنجيل؛ إنهما لا يستويان عند الله.

قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً ﴾ على الاستفهام، أي: لا أحد أظلم منه. وافتراؤهم على الله أن قالوا إن الله أمرهم بما هم عليه من عبادة الأوثان، وتكذيبهم بمحمد، يعني به مشركي العرب.

قوله: ﴿ أُولَـٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَـٰدُ﴾ [أي: الأنبياء][3] ﴿ هَـٰؤُلَاءِ الذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّـٰلِمِينَ﴾.

ذكروا عن صفوان بن محرز أنه قال: بينما أنا أحدث ابنَ عمر إذ عارضه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، كيف سمعت رسول الله ﷺ في مسألة الربِّ عبدَه المؤمنَ يوم القيامة. قال: سمعته يقول: إن الله يسأل عبده المؤمن يوم القيامة، ويخبره بستره

(1) في المخطوطات: «من قبل وعمل به».

(2) اقتصر المؤلف هنا على تأويل (الأحزاب) باليهود والنصارى. ولكن سعيد بن جبير عندما روى عن بن عباس عن النبي ﷺ قوله: «ما من أحد يسمع بي من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني ولا يؤمن بي إلا دخل النار» نزع بهذه الآية: (وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ) وقال: الأحزاب الملل كلها. وقال قتادة: الكفار أحزاب كلهم على الكفر. وانظر تفسير الطبري ج 15 ص 280.

(3) زيادة من ز، ورقة 144. وقد اختلف العلماء في الأشهاد على خمسة أقوال فقيل هم الرسل، وقيل هم الملائكة، وقيل: الناس عامة، وقيل الجوارح، انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ج 4 ص 89.

من الناس، فيقرّره بذنوبه فيقول: عبدي، أتعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: يا رب، أعرف؛ حتى إذا قرّره بذنوبه، وظنّ في نفسه أنه قد هلك قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم؛ ثم يُعطى كتابَ حسناته. وأما الكافر والمنافق فإنه ينادى الأشهاد: ﴿ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[1].

والكذب على الله من وجهين: فكذب المشركين ادعاؤهم الأنداد والأولاد لله. وكذب المنافقين في نصبهم الحرام ديناً، وادعاؤهم على الله ديناً غيرَ دينه، واستحلالُهم ما حرّم الله.

قوله: ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي عن طريق الله ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً ﴾ أي: ويدعون الناس إلى الطريق الأعوج، إلى الشرك، وطريق الله مستقيم إلى الجنة، وهو طريق المؤمنين، وهو الإسلام، طريق إلى الجنة.

قال: ﴿ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾ أي: يكذبون بالبعث.

﴿ أُولَـٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: سابقين في الأرض، أي: لم يكونوا ليسبقونا حتى لا نبعثهم ثم نعذبهم.

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ أَوْلِيَاءَ ﴾ يمنعونهم من عذاب الله. قال: ﴿يُضَـٰعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ أي: في النار ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ أي: سمع الهدى، أي: لا يقدرون أن يسمعوه سمع قبول في الدنيا. ﴿ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ أي: بصر قبول الهدى. قال بعضهم: هي مثل التي في البقرة: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ

(1) في المخطوطات: «ويخبره من يستره من الناس، وهو خطأ، صوابه ما أثبته. والحديث متفق عليه، أخرجه البخاري مراراً، فأخرجه في كتاب التفسير، سورة هود، وأخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله. (رقم 2768) وأخرجه ابن ماجة في المقدمة، الحديث (رقم 183). وانظر تفسير الطبري، ج 6 ص 120، وج 15 ص 284، كلهم يروى الحديث من طريق قتادة عن صفوان بن محرز عن ابن عمر عن النبي ﷺ، وهو حديث النجوى. وانظر الطرسوسي، مسند عبد الله بن عمر، (رقم 26) ص 27.

قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وعلى أبصارهم غشاوة) [البقرة: 7] أي: بكفرهم فعل ذلك بهم.

﴿ أُولَـٰئِكَ الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ فصاروا في النار ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ أي: من عبادة الأوثان. ضلّت عنهم فلم تغن عنهم شيئاً؛ كقوله (ضلّوا عنا) [غافر: 74].

﴿ لَا جَرَمَ ﴾ وهي كلمة وعيد[1] ﴿ أَنَّهُمْ فِي الأَخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ ﴾ أي: خسروا أنفسهم.

ثم قال: ﴿ إِنَّ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ أي: اطمأنوا إلى ربهم، أي: خلصت قلوبهم بالإيمان. كقوله: (وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإِيمَانِ) وقال مجاهد: أخبتوا اطمأنوا. وقال بعضهم: وأخبتوا: وأنابوا إلى ربهم[2] ﴿ أُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ ﴾ أي: أهل الجنة ﴿ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ أي: لا يخرجون منها.

قوله: ﴿ مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ وَالبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ أي: لا يستويان مثلاً. أي: فكما لا يستوي عندكم الأعمى والأصم والبصير والسميع في الدنيا. فكذلك لا يستويان عند الله في الدين. ومثل الكافر مثل الأعمى والأصم، لأنه أعمى أصم عن الهدى، والبصير والسميع هو المؤمن، أبصر الهدى وسمعه فقَبِله.

قوله: ﴿ وَلَقَدَ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: أنذركم عذاب

---

(1) كذا في المخطوطات الأربع، وفي ز، ورقة 144، ولم يفسر المؤلف الكلمة، وهي تفيد التحقيق. قال الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 8: «كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد أنك قائم، ولا محالة أنك ذاهب، فجرت على ذلك، وكثر استعمالهم إياها، حتى صارت بمنزلة حقاً؛ ألا ترى أن العرب تقول: لا جرم لأتينّك، لا جرم قد أحسنتَ، وكذلك فسّرها المفسّرون بمعنى الحق. . .» وانظر تفسير الطبري ج 15 ص 288.

(2) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 286: (وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ) مجازه: أنابوا إلى ربهم وتضرعوا إليه وخضعوا وتواضعوا له».

الله في الدنيا والآخرة. ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ أي: موجع.

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرِيكَ إِلَّا بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرِيكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾ أي: سفلتنا ﴿ بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾ أي: فيما ظهر لنا ﴿ وَمَا نرىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ﴾ أي: في الدين ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ يعنون نوحاً ومن آمن معه.

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾ أي: بيان من ربي ﴿وَآتَيـٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ ﴾ يعني بالرحمة النبوّة ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ أن تبصروها بقلوبكم وتقبلوها. ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ﴾. وقد علم الله أنه على بيّنة من ربّه، وهذا استفهام على معرفة.

﴿وَيَـٰقَـوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي: على ما أدعوكم إليه من الهدى ﴿ مَالاً ﴾ فإنما يحملكم على ترك الهدى المالُ الذي أسألكموه. ﴿ إِنَ أَجْرِيَ ﴾ أي: ثوابي ﴿ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ فيحاسبهم بأعمالهم. وقد قال الله في آية أخرى: (إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ) [الشعراء: 113] ﴿ وَلَـٰكِنِي أَرَاٰيكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ ﴾.

﴿ وَيَا قَوْمِ مَن يَّنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ ﴾ أي: من عذاب الله، فيمنعني من الله حتى لا يعذبني ﴿ إِنْ طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَّكَّرُونَ ﴾.

وقال أهل الحرم من مشركي العرب للنبي ﷺ: يا محمد، إن أردت أن نجالسك فاطرد عنا فلاناً وفلاناً، فقال الله: (وَلَا تَطْرُدِ الذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) [الأنعام: 52] وقال في آية أخرى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) إلى غيرهم (تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) [الكهف: 28][1].

---

(1) من العجيب أن تتفق المخطوطات الثلاث: ق، وع، ود، التي بين يدي الآن، على الخطإ في =

قال نوح: ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ ﴾ أي: خزائن علم الله. ﴿ وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ من الملائكة ﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ ﴾ من المؤمنين ﴿ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً ﴾ قال بعضهم: إيماناً. وقال الحسن: (لَن يُؤتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً) أي: في العاقبة.

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ ﴾ أي: إنه سيؤتيهم بذلك خيراً إن كانت قلوبهم صادقة. ﴿ إِنِّي إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾.

﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا ﴾ أي: ماريتنا، ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ أي: مِراءَنا. ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ﴾ من عذاب الله ﴿ إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾: ليس ذلك إليّ، وهذا إضمار. ﴿ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ أي: بالذين تعجزون الله فتسبقونه حتى لا يقدر عليكم فيعذبكم.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ أي: أن يهلككم. مثل قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ) [إبراهيم: 4] بعد البيان. قال الله: ﴿ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ يعني مشركي العرب ﴿ افْتَرَاهُ ﴾ أي: إن محمداً افترى القرآن، على الاستفهام، أي: قد قالوا. ﴿ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ من قبل الجرم. يقول: فعليّ عملي وأنا بريء مما تعملون. وهو كقوله (قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ) [سبأ: 45].

قال: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾ قال: بعضهم:

= الخلط بين آيتي الأنعام والكهف المتشابهتين، وقد صححت ذلك وذكرت الآيتين معاً كما وردتا في المصحف. وسبحان من لا يخطىء ولا ينسى.

ذلك حين دعا نوح عليهم فقال: (رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً) [نوح: 26] ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴾ أي: لا تحزن عليهم ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ قال بعضهم: لا تأسَ ولا تحزن.

قوله: ﴿ وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي: بأمرنا ﴿ وَوَحْيِنَا ﴾ أي: وبوحينا[1] فعملها على مثل جؤجؤ الطير. قال بعضهم: رأسها مثل رأس الحمامة، وذنبها مثل ذنب الديك.

قوله: ﴿ وَلَا تُخَـٰطِبْنِي فِي الذِينَ ظَلَمُوا ﴾، أي: ولا تراجعني في الذين ظلموا أنفسهم بشركهم ﴿ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾.

قال: ﴿ وَيَصْنَعُ الفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ﴾ أي: إن نوحاً عمل الفلك بيده، فكان يمر عليه الملأ من قومه، فيقولون له استهزاءً به: يا نوح، بينما تزعم أنك رسول رب العالمين إذ صرت نجّاراً.

﴿ قَالَ ﴾ لهم: ﴿ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾. وكان الرجل من قومه يأخذ بيد ابنه فيذهب به إلى نوح فيقول: يا بُنَيّ، لا تطع هذا، فإن أبى قد ذهب بي إليه، وأنا مثلك، فقال لي: لا تطع هذا.

وقوله: (مَنْ يَاتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ) يعني عذاب الدنيا، أي: الغرق.

قال: ﴿ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ أي: دائم في الآخرة. وهي تقرأ على وجهين: يحِل ويحُل؛ فمن قرأها: ويحِل، أي: يجب. ومن قرأها: ويحُل: أي وينزل به.

قوله: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ والتنور في تفسير الحسن: الباب الذي يجتمع فيه ماء السفينة؛ ففار منه الماء، والسفينة على الأرض[2]. [فكان ذلك

---

(1) كذا في المخطوطات، وفي ز، ورقة 145 (وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا): كما نأمرك بعملها.

(2) كذا وردت العبارة في ج ود وفي ز، 145، وهي صحيحة، وفي ق وع: «ففار منه الماء على =

علامة لإهلاك القوم][1].

وقال بعضهم: التنور عين ماء كانت بالجزيرة يقال لها التنور.

وبعضهم يقول: كان التنور في أقصى داره. وقال بعضهم: كان التنور أعلى الأرض وأشرفها.

وقال مجاهد: ﴿ وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ حين ينبجس الماء منه. فأوحى الله إليه إذا فار التنور أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين، وهو قوله:

﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ أي: من كل صنف اثنين. والزوج هو الواحد، والزوجان اثنان. وقال مجاهد: ذكر وأنثى من كل صنف. فحمل فيها من جميع ما خلق الله من البهائم والهوام والسباع والدواب، دوابّ البر والبحر والطير والشجر. وشكوا إلى نوح في السفينة الزبل، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى نوح أن يمسح بيده على ذنب الفيل، ففعل؛ فخرج منه خنزيران كانا يأكلان الزبل. وشكوا إليه الفار، فأوحى الله إلى الأسد، أي ألقى في قلبه، مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ [النحل: 68]، فعطس الأسد فخرج من منخريه سنّوران فكانا يأكلان الفار. وشكوا إلى نوح عرامة[2] الأسد، فدعا عليه نوح فسلط الله عليه الحمى، فقال له نوح: «إزناتاعت لسري» وهي بالسريانية. فقال له نوح: أيها الأسد: أتريد لحماً؟ فأومأ الأسد: لا[3].

= الأرض. وقد وردت في التنور أقوال كثيرة عددها ابن الجوزي في زاد المسير ج 4 ص 105، ولم أجد في كتب التفسير التي بين يدي قول الحسن هذا.

(1) زيادة من ز، ورقة 145.

(2) عرامته: شدته وقوته وشراسته.

(3) هذه الأخبار التي تروى حول سفينة نوح عليه السلام، وشكلها، وحمولتها، هي ولا شك من قبيل الإسرائيليات، ومن أحاديث القصاص المولعين بسرد الأساطير وغرائب الأخبار، ولا يمكن أبداً أن تكتسب أي صبغة علمية، أو قيمة إخبارية. ولولا أمانة النقل لما جاز لعاقل أن يسوِّد بها صحيفة، أو يجريَ بها قلماً في كتاب. وإن المؤمن الغيور على دينه ليأسف كل الأسف أن يجد بعض هذه الأخبار مبثوثة في بعض كتب التفسير والحديث، وهي مناكير لا يمكن أن يثبت بها =

قوله: ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ﴾ أي: الغضب، وهو ابنه الذي غرق، وقال الحسن: (مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ) أي: كل من غرق يومئذٍ.

وقال الحسن: وأهلك إلا من سبق عليه القول: ﴿ وَمَنْ ءَامَنَ ﴾ يقول: احمل أهلك ومن آمن، وهم الذين كانوا في السفينة، هم أهله، وهم الذين آمنوا إلا من سبق عليه القول.

قال: ﴿ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾. قال بعضهم: لم ينج في السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة بنين له: سام وحام ويافث ونساؤهم، فجميعهم ثمانية.

ذكروا عن الحسن أن النبي ﷺ قال: سام أبو العرب، وحام أبو الروم، ويافث أبو الحبش[1].

قال الحسن: وكان طول السفينة ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع، مطبَّقَة تسير ما بين الماءين، بين ماء السماء وماء الأرض.

وقال بعضهم: كان طول السفينة ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسين ذراعاً، وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً، وبابها في عرضها. وإنما استقلّت بهم في عشر خلون من رجب، وكانت بهم في الماء خمسين ومائة يوم، واستقرّت بهم على

= شيء عن الصادق المصدوق عليه السلام. وإنه ليخجل أن يجدها منسوبة إلى بعض أعلام الصحابة أو التابعين ممن لهم قدم راسخة في تأويل كلام الله. على أن هذا يجب أن لا يصرف هِمَمَ طلابنا وشبابنا المسلم عن قراءة هذه النفائس من ثرات الأوائل في التفسير والحديث أو التاريخ، وإن وجدوا أحياناً في بعضها ما يبدو لهم كذباً منكراً، أو تافهاً بسيطاً. فإن هذه النفائس من تراث الأوائل، وعطائهم الفكري الأصيل هي التي تفتق أذهانهم وتكسبهم مهارة في تفهم كلام الله لمعالجة مشاكل العصر على ضوء كتاب الله عزّ وجلّ، وسنّة النبي عليه السلام.

(1) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، في سورة الصافات عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ. وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسير ج 23 ص 97 مختصراً، وفي تاريخه ج 1 ص 192 بهذا السند قال: «حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا ابن عثمة قال: حدثنا سعيد بن بشير، عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب، عن النبي ﷺ في قوله: (وجعلنا ذريته هم الباقين) قال: سام وحام ويافث».

الجودي شهراً، وأهبطوا إلى الأرض في عشر خلون من المحرم.

قال: وذكر لنا أن نوحاً عليه السلام بعث الغراب لينظر إلى الماء، فوجد جيفة، فوقع عليها، فبعث الحمامة فأتته بورقة زيتون، فأعطيت الطوق الذي في عنقها، وخضاب رجليها. وأن السفينة لما مرّت بالبيت طافت به أسبوعاً.

قال: وكان للسفينة ثلاثة أبواب، باب للسباع والطير، وباب للبهائم، وباب للناس. وفصل بين الرجال والنساء بجسد آدم عليه السلام، حمله معه نوح. وكان إبليس على الكوثل، وهو ذنب السفينة، فعرض عليه نوح التوبة، فقال إبليس: كيف أصنع؟ قال تسجد لجسد آدم، أي: بالوحي[1] قال: ما سجدت له حياً فكيف أسجد له ميتاً.

قوله: ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللَّهِ مُجْرَيْهَا وَمُرْسَيْهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وهو تعليم من الله علمهم إياه، ودلّهم عليه.

قال بعضهم: قد بيّن الله لكم ما تقولون إذا ركبتم في البر وإذا ركبتم في البحر؛ إذا ركبتم في البحر فقولوا: (بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَيْهَا وَمُرْسَيْهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) وإذا ركبتم في البر فقولوا: (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ) [الزخرف: 13].

وتفسير الحسن أن الله علّمهم يومئذٍ بسم الله مُجْرَيْهَا وَمُرْسَيْهَا. يقول: بسم الله تُجرى وبسم الله تُرسى.

وتفسير مجاهد: (بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَيْهَا وَمُرْسَيْهَا). قال: بسم الله حين يركبون وحين يجرون وحين يرسون[2].

وقال بعضهم في مصحف أبي بن كعب: (وقال اركبوا فيها على بسم الله

---

(1) كذا في ق وع: أي: «بالوحي» لعله يريد قال نوح لإبليس ذلك بوحي من الله. وفي د: بالوخى، ولم أهتدِ لمعنى أطمئن إليه إذا كان بهذا اللفظ الأخير.

(2) على أن الكلمتين اسما زمان.

مُجْرَيٰها ومُرْسَيٰهَا) وبعضهم يقرأها: بسم الله مجرَيٰـها، أي المجرى الذي يجري، ومرسَيٰـهَا أي المرسى الذي تُرسي[1].

قوله: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَـٰفِرِينَ. قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ يعني الذين كانوا في السفينة ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ ﴾ أي: بين ابن نوح وبين الجبل ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾.

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ﴾ أي: ابلعي ما كان عليك ﴿ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ ﴾ أي: ونقص الماء. غاض فذهب، أي نَشِفَتْه الأرض، وقال بعضهم: (يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ)، أي: ابلعي ما كان عليك، (وَيَا سَمَاءُ اقْلِعِي) أي: أمسكي، وغيض الماء، والغيضوضة: [2] ذهابه.

[﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ أي فرغ منه، يعني هلاك قوم نوح][3].

قال: ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ أي: السفينة. والجودي جبل بالجزيرة بموضع يقال له: باقِردَى[4]. قوله: (وَقُضِيَ الْأَمْرُ) قال مجاهد: وهلك قوم نوح.

---

(1) على أنهما مصدران ميميان. وقال محمد بن أبي زمنين في ز، ورقة 146: «من قرأ باسم الله مُجريٰها ومُرسٰيها. بضم الميمين جميعاً فمعنى ذلك بسم الله إجراؤ ها وبسم الله إرساؤ ها. يقال جرت السفينة وأجريتها أنا مجرى وإجراء في معنى واحد، ورست وأرسيتها مُرسىً وإرساءً». وانظر ابن خالويه: الحجة، ص 162، والزجاج، إعراب القرآن ج 3 ص 951. وانظر تفسير الطبري، ج 15 ص 327 - 330.

(2) كذا في المخطوطات الأربع: «الغيضوضة» ولم أجد هذا المصدر في كتب اللغة، وإن كان القياس الصرفي لا يمنعه. فهو مثل القيلولة، من قال، يقيل. وفي تفسير الطبري ج 15 ص 337: «والغيوض: ذهاب الماء»، وانظر اللسان (غيض).

(3) ما بين المعقوفين ساقط من المخطوطات الأربع، وأثبته من ز، ورقة 146.

(4) في ق وع: «ياقوذى»، وفي د «ياقودا» وفي كليهما تصحيف صوابه ما أثبته: «باقِردي»، أو «قِردي» وهي وبازبدى قريتان قريبتان من جبل الجودي بالجزيرة، انظر ياقوت الحموي ج 1 ص 321 و327، وج 4 ص 322 وقال البكري في معجم ما استعجم: «(باقردى) بالراء والدال =

قال بعضهم: قال الله لآدم عليه السلام: يا آدم، أُهبِط معك بيتي يطاف حوله كما يطاف حول عرشي. فطافَ آدم ومن معه من المؤمنين. فلما كان زمان الطوفان، حيث أغرق الله قوم نوح، رفعه الله وطهّره من أن تصيبه عقوبة أهل الأرض، فصار معموراً في السماء.

قال: وبلغنا أن السفينة لما أرادت أن تقف تطاول لها الجبال، كل جبل منها أحب أن تقف عليه، وتواضع الجودي، فجاءت حتى وقفت عليه.

وقال بعضهم: أبقاها الله بباقردي من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة، وكم من سفينة بعدها صارت رماداً.

قوله: ﴿وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ﴾ أي المشركين، قوم نوح.

قوله: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنَ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الحَـٰكِمِينَ. قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ أَهْلِكَ﴾ الذين وعدتك أن أنجيهم لك. وهو قوله: (وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ).

وكان ابنه منافقاً، ونوح لا يعلم في تفسير الحسن. فناداه، وكان عنده مؤمناً، ولولا ذلك لم يناده، وهو يعلم أن الله مغرق المشركين الكفار. وقد قضى أنه إذا نزل العذاب على قوم كذبوا رسلهم ثم آمنوا لم يقبل منهم.

قوله: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ﴾ ذكروا عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ هذا الحرف: (إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ)[1].

= المهملتين، مقصور؛ موضع بالجزيرة، مذكور في رسم الجودي».

(1) رواه أحمد في سننه وأبو داود. ورواه الترمذي في القراءات عن شهر بن حوشب عن أم سلمة، وهي أسماء بنت يزيد الأنصارية. قال: وقد روى عن عائشة عن النبي ﷺ نحو هذا، ورواه أيضاً يحيى بن سلام عن حماد عن ثابت البناني عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد الأنصارية كما جاء في مخطوطة ز، ورقة 147. وانظر تخريج الحديث في تفسير الطبري، ج 15 ص 348 - 350 وتحقيق القول فيه وفي سنده.

ذكرو عن ابن عباس أنه قال: هو ابنه ولكنه عمل غير صالح.

وكان الحسن يقرأها: (عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ). وكان عنده ليس بابنه. وهي قراءة عروة بن الزبير. وبعضهم يقرأها على مقرأ الحسن وعروة ويقول: إن سؤالك إياي يا نوح ما ليس لك به علم عملٌ غير صالح.

وقال بعضهم: كان يقال: ما بغت امرأة نبيّ قط.

قوله: ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِّي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾. قال الحسن: إنك لم تكن تعلم ما كان يُسِرّ من النفاق. ﴿ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الجَـٰهِلِينَ﴾.

قالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَن أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الخَـٰسِرِينَ﴾ أي: في العقوبة.

﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا ﴾ [يعني بسلامة من الغرق](1) ﴿وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ﴾ يعني نسول من كان معه في السفينة ﴿ وَأُمَمٌ ﴾ من نسول من كان معه في السفينة ﴿ سَنُمَتِّعُهُمْ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

ذكروا أن عبد الله بن مسعود قال: ذنب ابن آدم دخل على الجعل في جحره فأسرى في ساعة ثم قال ومن غرق قوم نوح(2).

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال: القوس الذي كان في السماء أمان للأرض من الغرق يوم أهلك قوم نوح. وقال ابن عباس: لا تقولوا قوس قزح، فإن القزح الشيطان، وقولوا القوس. وذكروا عن ابن مسعود مثل ذلك.

قوله: ﴿ تِلْكَ مِن أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ﴾ يقول للنبي عليه السلام حين

---

(1) زيادة من ز، ورقة 147.

(2) كذا ورد هذا الخبر عن ابن مسعود والذي يليه عن ابن عباس في كل المخطوطات الأربع فاسدي العبارة مخرومين في بعض ألفاظهما، وقد أثبت ما جاء في د، ولم اهتدِ لتصحيح الخبرين. وقد جاء الخبر في ع أكثر فساداً. جاء فيه: «ذنب آدم دخل على الجعل في حجره فاسمد (كذا) أمتي ساعة من قال أي والله ومن غرق قوم نوح» وهو في غاية الفساد والغموض.

انقضت قصة نوح: ذلك من أخبار الغيب، يعني ما قصّه عليه ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾ يعني قريشاً ﴿مِنْ قَبْلِ هَـٰذَا﴾ أي: من قبل هذا القرآن ﴿فَاصْبِرْ﴾ أي: على قولهم إنك مجنون، وإنك ساحر، وإنك شاعر، وإنك كاذب، وإنك كاهن. ﴿إِنَّ الْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ والعاقبة الجنة.

قوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً﴾ يقول: وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً، على الكلام الأول: (وَلَقَد أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ). وقوله: أخاهم هوداً أي: أخوهم في النسب، وليس بأخيهم في الديـن.

﴿قَالَ يَـٰقَـوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُم مِّن إِلَـٰهٍ غَيْرِهِ إِنَ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ أي: كل من عبد غير الله سبحانه فقد افترى الكذب على الله تعالى، لأن الله عزّ وجلّ أمر العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. وهو قوله: (أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ) [يوسف: 40].

قوله: ﴿يَـٰقَـوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على ما أدعوكم إليه من الدين ﴿أَجْراً إن أَجْرِيَ﴾ أي: إن ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي: الذي خلقني ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَيَـٰقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ أي: من الشرك ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً﴾ أي: يوسع لكم[1] من الرزق، وإنما أرزاق العباد من المطر[2]. ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ قال مجاهد: يعني شدة إلى شدتكم ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ أي: مشركين.

﴿قَالُوا يَـٰهُـودُ مَاجِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ فجحدوا وكذبوا ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُومِنِينَ﴾.

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا آعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ أي بجنون، لأنك عبت آلهتنا

(1) في ع وز: يوسع لكم من الرزق، وفي ق ود: يوسع عليكم من الرزق، وكل صواب إن شاء الله.

(2) قال الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 19: «يقول: يجعلها تدر عليكم عند الحاجة إلى المطر، لا أن تدر ليلاً ونهاراً».

(3) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن: «(إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) وهو افتعلك من =

وسفَّهْتها، فآلهتنا التي صنعت بك هذا الجنون بشتمك لها. وقال بعضهم: إنما تصنع هذا لأن بعض آلهتنا أصابك بسوء.

﴿ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ أي: الذين تعبدون من دونه، أي الأوثان ﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ﴾ أنتم وأوثانكم التي تعبدون، أي: اجهدوا جهدكم ﴿ ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴾ أي: طرفة عين. أي: إن الله سيمنعني منكم. قوله: (فَكِيدُونِي جَمِيعاً) قال هذا وقد علم أن الأوثان لا تقدر على أن تكيد، وأنها لا تضر ولا تنفع.

قوله: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ أي: كل دابة ناصيتها بيد الله، [أي هي في قبضته][1] وقدرته، لا يخرجون منها.

قوله: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي: على الحق.

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أي: عما جئتكم به ﴿ فَقَدَ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾.

قال الله: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ أي عذابنا ﴿نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَـٰهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ يعني عذاب الدنيا الذي عذبوا به.

﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ ﴾ يعني هوداً ﴿ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ أي: واتبع بعضهم بعضاً على الكفر. والعنيد المعاند للهدى المجتنب له.

قوله: ﴿ وَأُتْبِعُوا ﴾ [أي ألحقوا][1] ﴿ فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾ يعني العذاب

= عروته، أي أصابك قال أبو خراش:

تَذَكَّرَ ذَحْلاً عِنْدَنَـا وَهْـوَ فَاتِكٌ مِنَ القَوْمِ يَعْرُوهُ اجْتِرَاءٌ وَمَأْثَمُ.

وشرح السّكري في كتاب شرح أشعار الهذليين ج 3 ص 1219 فقال: «يعروه، يعتريه، يُلِمُّ به».

(1) زيادة من ز، ورقة 147.

الذي عذبوا به ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ﴾ أي: ولهم يوم القيامة أيضاً لعنة، يعني عذاب جهنم. ﴿ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾.

قوله: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ ﴾ يقول: وأرسلنا إلى ثمود ﴿ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا﴾ على الكلام الأول في عاد. ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ أي مبتدأ خلقكم من آدم، وخلق آدم من طين، فهو خلقكم من الأرض ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ قال مجاهد: أعمركم فيها. وقال الحسن: جعلكم عمار الأرض(1)، وهو واحد. كقوله: (وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ) [الأعراف: 129] أي: بعد الماضين: ﴿ فَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾ أي: من الشرك ﴿ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ منه ﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ أي: قريب ممن دعاه، مجيب لمن دعاه.

ذكروا أن موسى عليه السلام قال: يا رب، أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك، فأوحى الله إليه: إني عند ظن عبدي، وأنا معه إذا دعاني.

﴿ قَالُوا يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَا ﴾ أي كنا نرجو ألا تشتم آلهتنا وألا تعبد غيرها. ﴿ أَتَنْهَىٰنَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ أي: من الريبة.

﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾ أي: على أمر بيّن، أي من النبوة ﴿وَءَاتَانِي﴾ وأعطاني ﴿ مِنْهُ رَحْمَةً ﴾ أي: النبوة ﴿ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ﴾ فيمنعني منه، أي لا أحد. ﴿ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ يعني إن أجبتكم إلى ما تدعونني إليه لم أزدد به إلا خسراناً(2).

---

(1) وهي نفس عبارة أبي عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 291. وزاد: «يقال: أعمرته الدار، أي: جعلتها له أبداً وهي العمرى. . . ».

(2) هذا قول ابن سلام، ويرى الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 20 غير ذلك: «يقول: فما تزيدونني غير تخسير لكم وتضليل لكم، أي: كلما اعتذرتم بشيء هو يزيدكم تخسيراً، وليس غير تخسير لي أنا، وهو كقولك للرجل: ما تزيدني إلا غضبـاً، أي: غضباً عليك». وهو قول مجاهد والطبري أيضاً. انظر تفسير الطبري ج 15 ص 371.

﴿وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ وكان قوم صالح سألوه أن يأتيهم بآية فأتاهم بالناقة. قال: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ أي: لا تعقروها ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾. فقالوا آية ذلك ماذا، فنعلم أنك صادق. قال: آية ذلك أن وجوهكم تصبح أول يوم مصفرّة، واليوم الثاني محمرّة، واليوم الثالث مسوّدة.

فلما كان ذلك عرفوا أنه العذاب، فتحنّطوا وتكفّنوا. فلما أمسوا تلفّفوا في الأنطاع. ثم صبّحهم العذاب في اليوم الرابع بالرجفة.

ذكر بعضهم قال: ذكر لنا أن صالحاً حين أخبرهم أن العذاب يأتيهم لبسوا الأنطاع والأكسية وأطلوا[1] وقيل لهم آية ذلك أن تصفر ألوانكم في أول يوم، ثم تحمر من الغد، ثم تسود في اليوم الثالث. وإنهم لما عقروا الناقة تذامروا[2] وقالوا: عليكم بالفصيل. وصعد الفصيل القارة، والقارَة الجبل[3]. حتى إذا كان اليوم الثالث استقبل القبلة، وقال: يا رب أمي، يا رب أمي، فأرسلت عليهم الصيحة عند ذلك.

قال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ أي: عذابنا ﴿نَجَّيْنَا صَـٰلِحاً وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ أي: عذاب يومئذٍ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾. أي: القوي في قدرته، العزيز في نقمصه.

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ أي: العذاب ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾. قال بعضهم: قد هلكوا. وقال الحسن: موتى. وقال بعضهم: الجاثم: الملقى على وجه الأرض ميتاً[4].

---

(1) في ق وع: «وأظلموا»، وأثبت ما جاء في د وج: «أطلوا» وهو الصواب إن شاء الله.

(2) في ق وع: «تدامروا»، وفي ج ود: «توامروا»، وفي تفسير الطبري ج 15 ص 372: «ندموا» وصواب الكلمة إن شاء الله ما أثبته: «تذامروا»؛ أي: لام بعضهم بعضاً.

(3) القارَة: هي الجبيل الصغير، وقال الجوهري: هي الأكمة، انظر اللسان، والصحاح: (قور).

(4) ورد قوله تعالى: (فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِم جَاثِمِينَ) قبل بضعة أسطر، بعد قول المفسر: ثم صبحهم العذاب في اليوم الرابع بالرجفة، ولم يُذكر هنا في المخطوطات الأربع. فرأيت من =

قوله: ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ أي: كأن لم يعيشوا فيها. ﴿ أَلَآ إِنَّ ثَمُوداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْداً لِّثَمُودَ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ ﴾ أي: بشّروه بإسحاق ﴿ قَالُوا سَلَـٰماً قَالَ سَلَـٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾.

قيل إنهم أتوه على صورة الآدميين، فاستضافوه، وكان صاحب ضيافة، وهو أول من أضاف. (فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيـذٍ) أي: نضيج مشويّ. قال بعضهم: إنه مشويّ. ويقال: إنه شبه مَلّة.

وفي تفسير الكلبي أن جبريل أتى إبراهيم ومعه ملكان، وكان إبراهيم تأتيه الضيفان فيتلقاهم. فتلقاهم إبراهيم، ولا يظن إلا أنهم بشر. فأرسل فأوتي بعجل فذبحه، ثم أمر به فحنذ، ثم أمر بطعام فصنع، ثم قرّبه إليهم.

﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْه نَكِرَهُمْ ﴾ أي: أنـكرهم ﴿ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ أي: خافهم إذ لم يأكلوا ﴿ وَقَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾ وفيها إضمار، أي: لنهلكهم.

قال: ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ ﴾ أي: امرأة إبراهيم سارّة. ﴿ فَضَحِكَتْ ﴾ أي: ضحكت تعجّباً[1] أن قوماً قد أتاهم العذاب وهم في غفلة.

قال الكلبي: (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) عرف

= الأحسن إثباته هنا حسبما ورد في موضعه من ترتيب آي السورة.

(1) هذا هو التأويل الراجح في معنى (ضحكت) حسبما ذهب إليه جمهور المفسرين. قال الفراء في معاني القرآن، ج 2 ص 22: «وأما قوله: (فضحكت): حاضت، فلم نسمعه من ثقة». وكان الطبري في تفسيره ج 15 ص 392، 393 يرد على الفراء قوله إنه لم يسمع ورود لفظ الضحك في معنى الحيض، فيذكر أبياتاً في هذا المعنى، ولكنه يرجح في الأخير أن معنى الآية أنها ضحكت تعجباً من غفلة قـوم لوط والعذاب محيط بهم. وانظر في سبب ضحكها هذا الأقوال التي عددها ابن الجوزي في زاد المسير، ج 4 ص 130 - 131.

أنهم ملائكة. ﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾. فلما رأت سارة فَرَقَ إبراهيم عجبت من فَرَقه فضحكت، وهي لا تدري من القوم.

قال: ﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَاقَ﴾. فبشروها بإسحاق، وقالوا نرجع إليك [عاماً][1] قابلاً، وقد ولدت غلاماً اسمه إسحاق. ﴿ وَ ﴾ يكون ﴿ مِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾.

قال الحسن: ﴿ مِن وَّرَاءِ إِسْحَاقَ ﴾ أي: من بعد إسحاق ﴿ يَعْقُوبُ ﴾ بشر بِنُبوّته وهو ابن إسحاق، وهو نبي يوحى إليه.

﴿ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ ﴾، وكانت قعدت من الولد[2] ﴿ وَهَـٰذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ. قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنَ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾. هذا كلام مستقبل، مقطوع من كلام الملائكة.

﴿ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ حميد، أي: مستحمد إلى خلقه بنعمته عليهم. والمجيد هو الكريم، فلا أكرم منه.

قال الحسن قال رسول الله ﷺ: إنه ليس أحد أحب إليه الحمد من الله، ولا أكثر معاذير من الله[3].

قوله: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ الرَّوْعُ ﴾ يعني الخوف ﴿ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ ﴾ أي: بإسحاق، ﴿يُجَـٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ أي: يخاصمنا في قوم لوط. وإنما كانت مجادلته مخاصمة للملائكة.

ذكروا عن حذيفة بن اليمان أنه قال: لما بعثت الملائكة إلى قوم لوط عُهِدَ إليهم

---

(1) كلمة سقطت من المخطوطات الأربع فأثبتها من ز، ورقة 148.

(2) كذا في ق وع ود، وفي ز، ورقة 148: «وكانت قد قعدت عن الولد». وهو أفصح.

(3) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى، وتحريم الفواحش مرفوعاً من طريق عبد الله بن مسعود ولفظه: ليس أحد أحب إليه المدح من الله عزّ وجلّ، من أجل ذلك مدح نفسه، وليس أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش، وليس أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل (رقم 2760)، وانظر ما سلف، ج 1 ص 331، تعليق: 1.

ألا يُهلكوا قوم لوط حتى يشهد عليهم لوط ثلاث شهادات. فأتوا على إبراهيم، وكان الطريق عليه، (فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ) فقال: أتهلكون قوم لوط وفيهم لوط؟ (قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) [العنكبوت: 31] فقال: أتهلكون قوم لوط وإن كان فيهم أربعون من المسلمين؟ قالوا: لا. قالوا: أتهلكون قوم لوط وإن كان فيهم ثلاثون من المسلمين؟ قالوا: لا. قال: أتهلكون قوم لوط وإن كان فيهم عشرون من المسلمين؟ قالوا: لا. قال: أتهلكون قوم لوط وإن كان فيهم عشرة من المسلمين؟ قالوا: لا. فذكر لنا أن مجادلته إياهم هي هذه. وذكر لنا أنهم ثلاث قريات فيها ما شاء الله من الكثرة.

قوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾. ذكر بعضهم قال: الأوّاه: الرحيم، والمنيب: التائب. وقال بعضهم: الأوّاه: الدّعّاء، والمنيب: المخلص لله المصلّي. وقال ابن مسعود: الأواه: الرحيم. وقال مجاهد: أواه منيب: فقيه مؤمن، وقال بعضهم: الموفق[1].

قوله: ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ﴾ قال الكلبي: سأل إبراهيم ربه ألا يهلك لوطاً وأهله، وأن يعفو عن قوم لوط، فقيل له: (يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا) قال: ﴿ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾[2].

قوله: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً ﴾ قال بعضهم: سيء بقومه الظن، وضاق بأضيافه الذرع. أي سيء بقومه الظن لما كانوا يفعلون من الفاحشة، وضاق بأضيافه الذرع مخافة عليهم منهم.

وفي تفسير الحسن: سيء بهم، أي: ساءه دخولهم عليه لما يتخوّفه عليهم من

(1) كذا في المخطوطات الأربع، «الموفق»، ولعل في الكلمة تصحيفاً صوابه: الموقن، وهو تفسير نسب إلى ابن عباس، وانظر ما مضى في هذا الجزء ص 172.

(2) وقع اضطراب ونقص في هذه الآية في بعض المخطوطات أثبت صحة ذلك من ز، ورقة 148.

قومه، وضاق بهم ذرعاً. ﴿ وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ أي: شديد في تفسير الحسن وغيره. وقال الحسن: العذاب الذي أخبر أنه نازل بهم.

وقال الكلبي: ساءت جَيئتهم، وضاق بهم ذرعاً، أي: لم يدرِ أين ينزلهم. قال: وكان قوم لوط لا يُؤوون ضيفاً بليل، وكانوا يعترضون من يمرّ بالطريق نهاراً للفاحشة؛ فلما جاءت الملائكة لوطاً حين أمسوا كرههم ولم يستطع دفعهم فقال هذا يوم عصيب، أي شديد[1].

قال: ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ﴾ أي: يسرعون إليه. ذكروا أن مجاهداً قال: الإهراع الإسراع في المشي.

قال الحسن: يبتدرونه[2] أي: يبتدرون أضيافه للفاحشة.

قال: ﴿ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾ أي: يأتون الرجال في أدبارهم. وكان لا يفعل ذلك بعضهم ببعض، إنما كانوا يفعلون ذلك بالغرباء.

﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ أي: هن أحل لكم من الرجال. قال الحسن: فتزوجوهن. ولم يكن حرم يومئذٍ المسلمات على المشركين قال: وكان ذلك في صدر الإسلام حتى نزلت: (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤمِنَّ. . . وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُومِنُوا). [البقرة: 221] وقال بعضهم: أمرهم أن يتزوجوا النساء.

وفي تفسير الكلبي قال: (هَـٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) أي: من الرجال. أي: هن أحل لكم فتزوجوهن، وقد كان لوط قبل ذلك يأبى أن ينكح في قومه، فلما راودوه

---

(1) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 293: (هذا يوم عصيب) أي: شديد، يعصب الناس بالشر. ثم استشهد بأبيات، منها بيت لم يعرف قائله، وهو:

يَـومٌ عَصِيبٌ يَعْصِبُ الأَبْـطَالاَ   عَصْبَ القَـوِيِّ السَّلَمَ الـطِّوَالاَ

(2) في المخطوطات الأربع: «يبتدونه»، وأثبت ما بدا لي أنه أولى بالصواب، من الابتدار. اللهم إلا أن تكون الكلمة الواردة في المخطوطات من الابتداء، وحذفت الهمزة للتخفيف؛ ولكن ما أثبته أنسب للمقام.

عن ضيفه طابت نفسه أن ينكحهن. قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم، أي أحلّ لكم. يقول التزويج أحلّ لكم من الفاحشة.

[وقال مجاهد: كل نبي أبو أمته، وإنما عنى ببناته نساء أمته](1).

قوله: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾ أي: ولا تفضحون ﴿ فِي ضَيْفِي ﴾ كقوله: (إِنَّ هَـٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ) [الحجر: 68] والأضياف ضيف، والضيف الواحد ضيف.

قال: ﴿ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ أي: ليس منكم رجل رشيد. وهو على الاستفهام، كقول الرجل: أما منكم رجل رشيد، وهو يعلم أنه ليس فيهم رجل رشيد.

قوله: ﴿ قَالُوا: لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾ أي: من حاجة ﴿ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ أي: إنا نريد أضيافك دون بناتك.

﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾. قال بعضهم: أي: إلى عشيرة(2).

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: رحم الله لوطاً، لقد كان يأوى إلى ركن شديد(3).

ذكروا عن حذيفة بن اليمان قال: لما جاءت الملائكة بعذاب قوم لوط، أتوا على لوط وهو في زرع له يسقيه. فسألوه الضيافة، فقال: اجلسوا حتى أفرغ لكم.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 148، وجاء بعده ما يلي: «قال أبو عبيد وهذا شبيه بما يروى عن قراءة أبي بن كعب: (النَّبِيءُ أَوْلَىٰ بالمُومِنِينَ مِنَ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ) [الأحزاب: 6].

(2) وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 294: «ومجاز الركن ها هنا عشيرة، عزيزة، كثيرة، منيعة».

(3) رواه أحمد في مسنده، والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة، ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره، ج 15 ص 420 - 421 عن أبي هريرة من عدة طرق، وفي بعضها زيادة: «قال رسول الله ﷺ: فما بعث الله بعده من نبيّ إلا في ثروة من قومه».

فلما فرغ جاءهم فتوجّه بهم إلى منزله. وقد عُهِدَ إلى الملائكة ألا يُهلكوا قوم لوط حتى يشهد عليهم لوط ثلاث شهادات.

فبينما هو متوجّه إلى القرية إذ قال: قفوا. فقال: أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية؟ قالوا: وما يعملون؟ قال: ما أعلم لله خلائق أشرّ منهم، فقالوا: واحدة. ثم مشى معهم، ثم قال: أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية؟ قالوا: وما يعملون؟ قال: ما أعلم لله خلائق أشرّ منهم. فقالوا: اثنتان. ثم مشى معهم، ثم قال: أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية؟ قالوا: وما يعملون؟ قال: ما أعلم لله خلائق أشرّ منهم. قالوا: ثلاثة. فجاء بهم إلى منزله.

فلما رأت العجوز، عجوز السوء، القومَ لم ترَ قوماً أحسن وجوهاً، ولا أحسن ثياباً، ولا أطيب ريحاً. وكان العلم بينها وبين قومها إذا نزل بلوط ضيف أن تدخّن[1]. فلما رأتهم لم تملك نفسها أن ذهبت بنفسها إليهم فقالت: لقد نزل الليلة بلوط ضيف ما نزل به أحسن وجوهاً ولا أحسن ثياباً ولا أطيب ريحاً. فجاءوه يُهرعون إليه، (وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ). فراودوه عن ضيفه، فقال: (يَا قَوْمِ هَـٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُم رَجُلٌ رشيد قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ). فقالت الملائكة.

﴿ قَالُوا يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ [أي: سر بهم في ظلمة من الليل][2] ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ﴾ فقال: لا، بل أهلكوهم الساعة. قالوا: ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾.

---

(1) كذا في المخطوطات: «أن تدخن» أي: تبعث دخاناً في الجو إعلاماً بوجود أضياف جدد. ولم أجد هذا الخبر فيما بين يدي من المصادر.

(2) زيادة من ز، ورقة 149.

ثم مال جبريل بجناحه فطمس أعينهم فباتوا عمياناً يستكفون[1] فذلك قوله: ﴿ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [القمر: 37].

فلما كان السحر خرج لوط وأهله، ثم رفعها جبريل عليه السلام حتى سمعت ملائكة سماء الدنيا نباحَ كلابهم. وذلك قوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ﴾.

قال حذيفة: ثم قلبها، ثم اتبعها الحجارة. فلما سمعت العجوز الهدة التفت فأصابها حجر. وقال: فأصابها ما أصاب قومها. فأصاب سُفّارَهم الحجارةُ، وأصاب أرضَهم الخسف.

وفي تفسير الكلبي أن جبريل عليه السلام استأذن الله في هلاكهم فأذن له؛ فأتاهم بعدما أصبح، فأدخل جناحه تحت مدائن لوط، وهي أربع مدائن، وقال بعضهم: كانت ثلاث قرى. قال الكلبي: ثم رفعهم حتى بلغ السماء، فسمع أهل السماء أصوات الدجاج والكلاب، ثم قلبها. وأرسل الله الحجارة على من كان خارجاً من المدائن.

قال الحسن: ولم يبعث الله نبياً بعد لوط. إلا في عز من قومه، وقال بعضهم: إلا في ثروة[2] من قومه.

قوله: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ الَّيْلِ ﴾ قال بعضهم بطائفة من الليل.

وكان الحسن يقول: وكانت امرأة لوط منافقة، تظهر له الإسلام وتخالفه في الأعمال[3]. وكذلك ابن نوح أظهر له الإسلام وخالفه في الأعمال.

---

(1) في ق وع: «يتعكسون»، وفي ج ود: «يستكفون» وأثبت هذه الأخيرة كأن فيها معنى التلمس بالكف فعل الأعمى الذي يريد أن يتعرف على الأشياء. وانظر اللسان (كفف).

(2) الثروة هنا بمعنى الكثرة والمنَعَة، حسبما شرحها محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي في تفسير الطبري ج 15 ص 420، وقد مر هذا القول مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ في بعض روايات الطبري.

(3) كذا في المخطوطات الأربع. وفي ز، ورقة 149: «تظهر الإسلام وقلبها على الكفر».

وقوله: ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ﴾ أي: يكون هلاكهم حين تشرق الشمس. وكذلك قال في الآية الأخرى التي في الحجر: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾ [الحجر: 73] أي: حين أشرقت الشمس.

وقوله: ﴿ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ أي: بلى الصبح قريب، في الإضمار.

وقال الحسن: خسف بهم فهم يتجلجلون[1] فيها إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ ﴾. قال بعضهم: هو الطين. وقال مجاهد: هي بالفارسية؛ أولها حجر وآخرها طين. وقال في الآية الأخرى التي في الذاريات: ﴿ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾ [الذاريات: 33] قال بعض الكوفيين: هي بالفارسية سنك وكل[2].

قوله: ﴿ مَنْضُودٍ ﴾ أي بعضه على بعض ﴿ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ أي: مُعلمة عند ربك في تفسير الحسن. وقال الحسن: هي من السماء، مسوّمة، أي: عليها سيما. إنها ليست من حجارة الدنيا، وإنما هي من حجارة العذاب. وتلك السيما على الحجر منها مثل الخاتم.

قوله: ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ قال مجاهد: يرهب به قريشاً، يعني المشركين. وبعضهم يقول: وما هي من ظالمي أمتك، يا محمد، يعني المشركين، ببعيد، أي: أن يحصبهم بها كما حصب قوم لوط.

---

(1) تجلجل، أي: ساخ في الأرض ودخل، انظر اللسان (جلل).

(2) جاءت الكلمة في المخطوطات هكذا: «سند وكل» وما أثبته هو الصواب حسبما جاء رسمها في كتب التفسير واللغة. وقد اختلف المفسرون في أصل الكلمة، وهل هي عربية أو معربة. فذهب أبو عبيدة في المجاز ج 1 ص 296 إلى أن الكلمة عربية وأن معناها «الشديد من الحجارة الصُّلب، ومن الضرب» وذهب المؤلف هنا إلى أنها فارسية معربة، وهو ما ذهب إليه ابن قتيبة، وتبعه في ذلك الجواليقي في المعرب ص 229. وقد لخص محقق كتاب المعرب الشيخ أحمد محمد شاكر هذه الأقوال ورجح أن الكلمة عربية وأن معناها كثيرة وشديدة، مؤيداً في ذلك ما ذهب إليه أبو عبيدة.

ذكر جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط[1].

قوله: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ ﴾ أي وأرسلنا إلى مدين، تبعاً للكلام الأول ﴿ أَخَاهُمْ شُعَيْباً ﴾ هو أخوهم في النسب، وليس بأخيهم في الدين.

﴿ قال يَـٰقَـوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُم مِّن إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا المِكْيَالَ وَالمِيزَانَ إِنِّي أَرَىٰـكُمْ بِخَيْرٍ ﴾ أي بخير من الله في السعة والرزق. وقال بعضهم: رأي عليهم يسراً من يسر الدنيا، وكانوا أصحاب تطفيف في الكيل ونقصان في الميزان. ﴿ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ أي: يحيط بكم عذاب الله في الدنيا قبل عذاب الآخرة.

﴿وَيَـٰقَـوْمِ أَوْفُوا المِكْيَالَ وَالمِيزَانَ بِالقِسْطِ ﴾ أي: بالعدل ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ أي: ولا تنقصوا الناس حقهم الذي لهم. وقال بعضهم: ولا تظلموا، وهو واحد.

قوله: ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ أي: ولا تسيروا في الأرض مفسدين. وقال الحسن: ولا تكونوا في الأرض مفسدين.

قوله: ﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْـرٌ لَّكُمْ ﴾ قال بعضهم: حظكم من ربكم خير لكم، يعني الجنة. ﴿ إِنْ كُنْتُم مُّومِنِينَ ﴾ أي: إن آمنتم.

بعضهم: ما أبقى الله لكم من أموالكم الحلال هو خير لكم مما تبخسون الناس[2]. وقال مجاهد: بقيت الله: طاعة الله.

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده، والترمذي والحاكم في المستدرك. وأخرجه ابن ماجه في كتاب الحدود، باب من عمل عمل قوم لوط (رقم 2563) كلهم من حديث جابر، وأخرجه يحيى بن سلام كما جاء في ز، ورقة 149 بالسند التالي: يحيى عن همام بن يحيى عن القاسم بن عبد الواحد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله مرفوعاً بلفظ: إن أكثر ما أتخوّف على أمتي..

(2) هذا الوجه من التأويل هو أقرب الوجوه إلى الصواب، وهو ما ذهب إليه الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 25، واختاره ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن، ص 208.

قوله: ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ أي: أحفظ أعمالكم عليكم حتى أجازيكم بها.

قوله: ﴿ قَالُوا يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا﴾ يعنون أوثانهم. ﴿ أَو أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَٰلِنَـا مَا نَشَاءُ ﴾ أي: أو أن نترك [أن نفعل][1]. وبعضهم يقرأها أو أن تفعل في أموالنا ما تشاء، أي: أو تأمرك أن تفعل في أموالنا ما تشاء.

﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ أي: إنك أنت السفيه الضال. قال الحسن: أي: إنك لست بالحليم الرشيد. كقوله: (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العِزِيزُ الكَرِيمُ) [الدخان: 49] أي: إنك لست كذلك.

وأما قوله: (أَصَـلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ) فقال الحسن: إن الله لم يبعث نبياً إلا فرض عليه الصلاة والزكاة. وهي مثل قوله: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّـلَوٰةَ وَيُؤتُوا الزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ) [البينة: 5].

﴿ قَالَ يَـٰقَـوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾ أي: على أمر بيِّن من النبوة ﴿ وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً ﴾ أي: النبوة ﴿ وَمَا أُرِيدُ أن أُخَالِفَكُم إِلَىٰ مَا أَنْهَيٰكُم عَنْهُ ﴾ فأفعله، في تفسير الحسن. وقال غيره: لم أكن لأنهاكم عن أمر فأركبه.

﴿ إِن أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَٰحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيَ إِلَّا بِـاللَّهِ ﴾ أي: وما اعتصامي[2] إلا بالله؛ أي: إن الله الموَفقُ الهادي إلى كل خير. ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ أي بقلبي وعملي.

---

(1) زيادة لا بد منها لإيضاح المعنى. قال الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 25: «معناه أو تأمرك أن نترك أن نفعل (فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ). فأن مردودة على (نترك) وقال الفراء: «وفيها وجه آخر؛ تجعل الأمر كالنهي، كأنه قال: أصلواتك تأمرك بذا وتنهانا عن ذا. وهي حينئذٍ مردودة على (أنْ) الأولى، لا إضمار فيه؛ كأنك قلت: تنهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء؛ كما تقول: أضربك أن تسيء، كأنه قال: أنهاك بالضرب عن الإساءة».

(2) كذا في ق وع: «اعتصامي»، وفي د وج: «عصمتي».

﴿وَيَـٰقَـوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيَ﴾ أي: لا يحملنكم فراقي [1] ﴿أَن يُصِيبَكُم﴾ قال الحسن: بكفركم ﴿مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَـٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ أي: أن ينزل بكم من عذاب الله مثل ما نزل بهم.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ لمن استغفره وتاب إليه ﴿وَدُودٌ﴾ أي: يود أهل طاعته. وقال الحسن: يتودَّدُ إلى خلقه.

﴿قَالُوا يَـٰشُعَيْـبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ﴾ [أي: لا نقبل ما تقول، وقد فهموه وقامت بينهم به الحجة][2] ﴿وَإِنَّا لَنَـرَيٰكَ فِينَا ضَعِيفاً﴾ أي: مصاب البصر؛ كان أعمى. ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجمناك﴾ أي: بالحجارة فقتلناك بها. ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ وكان من أشرافهم.

﴿قَالَ يَـٰقَـوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ﴾ على الاستفهام ﴿وَاتَّخَذتُّمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيّاً﴾ قال مجاهد: فضلاً[3]. وقال غيره: أعززتم قومكم وأظهرتم بربكم، يعني أنكم جعلتموه منكم بظهر.

﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ أي: خبير بأعمالكم. كقوله: (وَقَـدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً). [الكهف: 91] وكقوله: (أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً) [الطلاق: 12].

قوله: ﴿وَيَـٰقَـوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: على ناحيتكم، أي: على

---

(1) كذا في المخطوطات الأربع، وفي ز، ورقة 149: «لا يحملنكم عداوتي أن يصيبكم بكفركم بي من عذاب الله مثل ما..».

(2) زيادة من ز، ورقة 149.

(3) في المخطوطات: «فصلاً» وهو تصحيف صوابه ما أثبته: «فضلاً»، ولم أجد هذا التفسير عند مجاهد، ووجدته منسوباً في تفسير الطبري، ج 15، ص 461 إلى ابن زيد؛ قال: «الظهري الفضل، مثل الجمّال يخرج معه بإبل ظَهَارية، فضل، لا يحمل معها شيئاً، إلا أن يحتاج إليها. قال: فيقول: إنما ربكم عندكم مثل هذا، إن احتجتم إليه، وإن لم تحتاجوا إليه، فليس بشيء». وانظر مجاز أبي عبيدة ج 1 ص 298.

الكفر. وهذا وعيد ﴿ إِنِّي عَـٰمِلٌ ﴾. على ناحيتي[1]، أي: على ديني ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ وليس يأمرهم أن يثبتوا على دينهم، ولكن يخوفهم أنهم إن ثبتوا على دينهم جاءهم العذاب.

قال: ﴿ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ أي: في الدنيا قبل عذاب الآخرة. ﴿ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ﴾ أي: سيعلمون إذا جاءهم العذاب من الكاذب. ﴿ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ كقوله: (فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنْتَظِرِينَ) [الأعراف: 71].

قوله: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ أي: بالعذاب ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾ أي: موتى قد هلكوا.

قوله: ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ أي: كان لم يعيشوا فيها ﴿ أَلَا بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ أي: بآياتنا التي تدل على صحة نبوته. ﴿وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بحجة بينة. ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ ﴾ أي: وقومه. ﴿ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ﴾. قال الحسن: يكون قائدهم إلى النار حتى يدخلها ويدخلها معه قومه.

قال: ﴿ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾. أي: النار.

﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَـٰذِهِ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ لَعْنَةً ﴾ [يعني العذاب الذي عذّبهم به من الغرق][2] ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أي: واتبعوا يوم القيامة لعنة. ﴿ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾. قال بعضهم: ترادفت عليه لعنتان: لعنة بعد لعنة، لعنة الدنيا، ولعنة الآخرة.

---

(1) كذا في المخطوطات: وفي ز، ورقة 150: (عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ)، أي: على دينكم (إِنِّي عَامِلٌ على ديني).

(2) زيادة من ز.

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ ﴾ أي: من أخبار القرى، أي: الأمم السالفة. ﴿ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَ ﴾ يا محمد؛ يعني ما قص من أخبارهم إلى هذا الموضع ﴿ مِنۡهَا قَآئِمٞ ﴾ أي: تراه، وقد هلك أهله ﴿ وَ ﴾ منها ﴿ حَصِيدٞ ﴾ لا تراه. وقال بعضهم: منها قائم ترى مكانه، وحصيد لا ترى له أثراً.

قوله: ﴿ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ وهو كقوله: (وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ) [الزخرف: 76] أي: لأنفسهم، وكقوله: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ) [يونس: 44].

قوله: ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾. يعني الأوثان التي كانوا يعبدونها. ﴿ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَ ﴾ يعني العذاب. ﴿ وَمَا زَادُوهُمۡ ﴾ أي تلك الأوثان في عبادتهم ﴿ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ﴾ أي: غير تخسير. وقال الحسن: غير تدمير.

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ ﴾ أي: هـكذا أخذ ربك ﴿ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ ﴾ يعني أهلها، أي: الكفار. ﴿ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ﴾ أي: وهي مشركة، يعني أهلها ﴿ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ أي: فيما قصصت من أخبار الأمم السالفة، ومن إهلاكي القرى الظالمة ﴿ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾.

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ ﴾ أي: يوم القيامة يجتمع فيه الخلق. ﴿ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴾ أي: يشهده أهل السماوات وأهل الأرض. قال: ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ ﴾ أي: ذلك اليوم، يوم القيامة ﴿ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ﴾ أي: عند الله.

قوله: ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ وهو كقوله: (يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ) أي: روح كل جسد[1] (وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ

---

(1) هذا وجه من وجوه تأويل كلمة الروح، نسب إلى ابن عباس في بعض التفاسير، ولها أوجه =

الرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَاباً). [النبأ: 38] أي: في الدنيا. وقوله: (صَوَاباً) أي: لا إلـه إلا الله.

ذكروا عن حذيفة بن اليمان أنه قال: يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد حفاة عراة، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، قال: فأول ما يدعى محمد ﷺ فيقول: لبّيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك. المهديّ من هديت، عبدك بين يديك، وبك وإليك، لا منجى ولا ملجأ إلا إليك. تباركت ربنا وتعاليت، وعلى عرشك استويت، سبحانك رب البيت، ثم يقال له: اشفع؛ فذلك المقام المحمود الذي وعده الله.

قوله: ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول: الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطنه أمه[1].

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: حدثنا الصادق المصدّق قال: إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون أربعين يوماً علقة، ثم يكون أربعين يوماً مضغة، ثم يبعث الملك فيؤمر أن يكتب رزقه وعمله وأجله وأثره[2] وشقي أو سعيد. والذي لا إله غيره إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار حتى يدخلها. وإن العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة حتى يدخلها[3].

= أخرى؛ منها أن الروح هنا هو جبريل عليه السلام. وانظر ابن الجوزي، زاد المسير، ج 7 ص 12 - 13.

(1) انفردت ع بهذه الجلمة الأخيرة، وهي أنسب للمقام، وفي ق وج ود: «والسعيد من وعظ بغيره».

(2) كذا في ج: «وأجله وأثره» وسقطت الكلمة: «وأجله» من د، وسقطتا معاً من ق وع.

(3) حديث صحيح متفق عليه، أخرجه أصحاب السنن عن عبد الله بن مسعود. أخرجه البخاري ومسلم في كتاب القدر، وهو في صحيح مسلم في باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه... (رقم 2643) وجاء فيه: «ويؤمر بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد».

قوله: ﴿ فَأَمَّا الذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ قال بعضهم: هذا حين ينقطع كلامهم حيث يقول الله: (اِخْسَأُوا فِيهَا ولَا تُكَلِّمُونِ) [المؤمنون: 108]. وذلك أن أهل النار يدعون مالكاً، فيذرهم مقدار أربعين خريفاً، ثم يجيبهم: (إِنَّكُم مَّاكِثُونَ) [الزخرف: 77]. ثم يدعون ربهم: فيذرهم قدر عمر الدنيا ثم يقول: (اِخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ)؛ فلا ينبسون بعدها بكلمة، ولا كان إلا الزفير والشهيق في نار جهنم. فشبّه أصواتهم بأصوات الحمير، أولها زفير وآخرها شهيق(1).

قوله: ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَـٰوٰتُ وَالأَرْضُ ﴾ أي: إن الجنة في السماء والنار في الأرض(2)، وذلك ما لا ينقطع أبداً.

قوله: ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ [يعني ما سبقهم به الذين دخلوا قبلهم](3) كقوله: (وَسِيقَ الذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً) وقال: (وَسِيقَ الذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّةِ زُمَراً) [الزمر: 71 و73]. فالزمرة تدخل بعد الزمرة، إلا ما شاء ربك(4). قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 150.

(2) أورد ابن أبي زمنين في ورقة 150 شرحاً لغوياً للكلمتين فقال: «ذكر عن الخليل أنه قال: الشهيق رد النفَس، والزفير إخراج النفَس. وقيل الزفير صوت المكروب بالأنين، والشهيق أشد منه ارتفاعاً».

(3) [illegible]

عليه من كتب التفسير. وما وجدته قريباً منه ما ذكر عن ابن زيد في قوله تعالى: (مَا دَامَتِ السَّمَـٰوَاتُ وَالأَرْضُ) قال: «ما دامت الأرض أرضاً والسماء سماءً».

(4) انظر أوجهاً من وجوه تأويل هذا الاستثناء في معاني الفراء ج 2 ص 28، وفي تفسير الطبري ج 15، ص 481 فما بعدها. وكان من المنتظر أن يقف الشيخ هود في هذا الاستثناء والذي بعده ويبين رأيه في ذلك، ولكنه لم يفعل. انظر إن شئت في هذا الموضوع ما قاله قطب الأئمة محمد أطفيش في تيسير التفسير ج 6 ص 46 - 44، فقد ذكر أوجهاً لمعنى الخلود ما دامت السماوات

قوله: ﴿ وَأَمَّا الذِينَ سَعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَـوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ أي: إلا ما سبقهم به الذين دخلوا قبلهم. وذكر ها هنا ما افترت الفرقة الشاكة من أن قوماً يدخلون النار، ثم يخرجون منها بالشفاعة؛ فإن هذا موضعه وموضع الرد عليهم[1].

قوله: ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ أي: غير مقطوع.

قوله: ﴿ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ ﴾ يقول للنبي ﷺ: فلا تك في شك ﴿ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاَءِ ﴾ يعني مشركي العرب. ﴿ مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُهُم﴾ أي: إلا ما كان يعبد آباؤهم[2] ﴿ مِّنْ قَبْلُ ﴾ أي: كانوا يعبدون الأوثان. ﴿ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ أي: من العذاب ﴿ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴾. وهو كقوله: (فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُوراً) [الإسراء: 63].

قوله: ﴿وَلَقَدَ ءَاتَيْنَا مُوسَى الكِتَـٰبَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ﴾ [أي: آمن به قوم وكفر به قوم][3] ﴿ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ ألا يعذب بعذاب الآخرة في الدنيا ﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: لقضى الله بينهم في الدنيا، فأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ولكن أخر ذلك إلى يوم القيامة. ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ يعني المشركين. وقوله مريب، من قِبَل الريبة.

(1) هذا كلام الشيخ هود الهواري يشير به إلى من يخالف رأيه في مسألة الخلود؛ وهي ـ كما تعلم ـ من مسائل الخلاف بين العلماء. ولكن الشيخ هوداً حين ذكر أن هذا موضع الرد على من يسميهم «الفرقة الشاكة» لم يرد عليهم بالحجج، واكتفى بحذف تأويلهم للآية، وعدم ذكر رأيهم. فقد نقل ابن أبي زمنين في ز، ورقيّ 150 - 151، قولاً للسدي في تفسير الآية فقال عن الاستثناء الأول: «إلا ما شاء ربك لأهل التوحيد الذين يدخلون النار فلا يدومون فيها، يخرجون منها إلى الجنة.» وقال عن الاستثناء الثاني: «إلا ما شاء ربك، يعني ما نقص لأهل التوحيد الذين أخرجوا من النار». وسيعود الشيخ هود إلى هذا الموضوع بشيء من التفصيل في أوائل سورة الحجر، ستقف عليه هناك، إن شاء الله.

(2) جعل المؤلف هنا «ما» في قوله: «كما» موصولة، ويمكن أن تكون مصدرية، أي: كعبادة آبائهم، كما جاءت في تفسير الطبري ج 15 ص 491، وانظر كشاف الزمخشري ج 2 ص 431.

(3) زيادة من ز، ورقة 151.

قوله: ﴿ وَإِنْ كُلًّا ﴾ يعني الأولين والآخرين ﴿ لَّمَا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (1).

قوله: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ على الإسلام ﴿ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾ يعني المؤمنين الذين تابوا من الشرك. ﴿ وَلَا تَطْغَوْا ﴾ فترجعوا عن الإسلام وتطغوا فيما أحل لكم كما طغى أهل الجاهلية فحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام والزرع. ولا تقارفوا كبائر ما نهاكم الله عنه فتطغوا. وهو طغيان فوق طغيان، وطغيان دون طغيان؛ بعضه شرك، وبعضه نفاق دون الشرك. ﴿ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ والركون(2) إلى الظلمة من وجهين: يقول: لا تلحقوا بالمشركين(3) ولا ترضوا بأعمالهم، وهم ظلم شرك. وكذلك لا تركنوا إلى الذين ظلموا من المنافقين ولا ترضوا بأعمالهم، وهو ظلم فوق ظلم، وظلم دون ظلم. ﴿ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ أي: فتدخلوها، إذا أنتم ركنتم إلى الظالمين من المشركين والمنافقين. ﴿ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ أي: يمنعونكم من عذاب الله ﴿ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴾ أي: لا ناصر لكم من الله.

قوله: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ الَّيْلِ ﴾ يعني الصلوات الخمس: أن تقام على وضوئها وركوعها وسجودها ومواقيتها.

وطرفا النهار، في الطرف الأول صلاة الصبح، وفي الطرف الآخر صلاة الظهر

---

(1) انظر اختلاف القراء في قراءة قوله تعالى: (وَإِنْ كُلًّا لَّمَا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ) وبيان ذلك في معاني الفراء ج 2 ص 28 - 30.

(2) وردت الكلمة في المخطوطات كلها: «الإركان» هكذا، ولعل المؤلف قرأ بقراءة من قرأ «ولا تُركنوا» بضم التاء، وهي قراءة أشار إليها الزمخشري في الكشاف ج 2 ص 433 ونسبها إلى ابن أبي عبلة، من أركنه إذا أماله، والصواب ما أثبته «الركون» تبعاً لقراءة الجمهور، ولا تَركنوا.

(3) في المخطوطات الأربع، وفي ز، ورقة 151: «لا تلحقوا بالشرك»، وهي نفس عبارة الطبري في تفسير ج 15 ص 501، وهي من كلام قتادة. ولكن الجملة التالية تستلزم ما أثبته: لا تلحقوا بالمشركين ولا ترضوا بأعمالهم.

والعصر، وزلفا من الليل، يعني صلاة المغرب وصلاة العشاء. وزلف الليل [أدانيه][1]، يعني أوائله.

قال: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ أي: إن الصلوات الخمس يذهبن ما دون الكبائر.

ذكر أبو عثمان النهدي قال: كنت مع سلمان الفارسي تحت شجرة فأخذ غصناً منها، فهزّه حتى تساقط ورقه، ثم قال: إني كنت مع رسول الله ﷺ تحت شجرة، فأخذ غصناً منها، فهزّه حتى تساقط ورقه، ثم قال: إن الرجل المسلم إذا توضأ وأحسن وضوءه، ثم صلّى الصلوات الخمس تحاتّت عنه ذنوبُه كما تَحَاتُّ هذا الورق، ثم تلا هذه الآية: (وَأَقِمِ الصَّـلَوٰةَ طَرَفَي النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ الَّيْلِ إِنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السيِّئَاتِ ذٰلِكَ ذِكْرىٰ للذَّاكِرين)[2].

ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: ألا إن الصوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر[3].

قوله: ﴿ ذٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ أي: توبة للتائبين. ذكروا عن عبد الله بن مسعود أن رجلًا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي ﷺ يسأله عن كفارتها، فنزلت هذه الآية: (أَقِمِ الصَّلَـوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ. . .) إلى قوله: (ذٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ)[4].

---

(1) زيادة من ز، ورقة 151.

(2) أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه الطبراني في الأوسط، كما أخرجه الطبري في تفسيره، ج 15 ص 514 و 520.

(3) أخرجه أحمد والترمذي في كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلوات الخمس. وأخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة. . (رقم 233) عن أبي هريرة، وفي بعض ألفاظه، «كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر».

(4) أخرجه البخاري في كتاب التفسير من آخر تفسير سورة هود، وفي آخره: «قال الرجل: أَلِيَ هذه؟ قال: لمن عمل بها من أمتي. وأخرجه الطبري من طرق في تفسيره ج 15 ص 515 - 519 من حديث ابن مسعود.

قوله: ﴿ وَاصْبِرْ ﴾ أي: على ما فرض الله عليك، وعلى ما يقول لك المشركون من الأذى ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

قوله: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ ﴾ [يعني طاعة][1] ﴿ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ يقول: لم يكن ذلك إلا قليلاً ممن أنجينا منهم أي: من المؤمنين. وأولو بقية عند بعضهم مثل قوله: (بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ) [يونس: 86] أي: حظكم عند ربكم خير لكم، يعني الجنة.

قال: ﴿ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ ﴾ يعني المشركين، اتبعوا ما أترفوا فيه، أي: من دنياهم. وقال الحسن: ما وسّع الله عليهم فيه من الدنيا. ﴿ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ أي: مشركين.

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ كقوله: (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [العنكبوت: 40]، يعني بشركهم وتكذيبهم رسلهم. ولو آمنوا لم يهلكوا بالعذاب.

قوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ أي: على الإيمان. مثل قوله: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا) [يونس: 99] ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾ والمختلفون هم الكفار، وهم في اختلاف [على أديان شتى][2] في تفسير مجاهد وغيره، مثل قوله: (بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ) [سورة ق: 5] أي: ملتبس. وعامة الناس كفار.

وقوله: (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) والمختلفون هم الكفار، وهم المؤمنون، لا يختلفون في البعث كما اختلف الكفّار، وهم في شك منه، وذلك منهم اختلاف،

(1) زيادة من ز، ورقة 51.

(2) زيادة من تفسير مجاهد: ص 309.

وهم منه في لَبس. فأهل رحمة الله أهل جماعة وإن تفرّقت ديارهم، وأهل معصية الله أهل فرقة وإن اجتمعت ديارهم. والآية محتملة لاختلاف الكفار في البعث وشكهم فيه، واختلاف من اختلف من أهل القبلة مما شرعوا من الأديان ما لم يأذن به الله، وادعائهم على الله في ذلك الكذب، وبقولهم في ذلك على الله ما لا يعلمون[1].

قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قال الحسن: للاختلاف، وتلا هذه الآية: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) [النبإ: 1 - 3]. ولا اختلاف اليوم أعظم وبالاً ولا أشد فرقة ولا ادعاء على الله من مختلفي أهل القبلة فيما شرعوا من أديانهم، وتَقَوَّلُوا على الله من أباطيلهم. قال: ولذلك خلق أهل الرحمة لا يختلفون.

قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ أي: وسبقت كلمة ربك ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: من كلا الفريقين: الجن والإنس، يعني الكفار أهل النار. كقوله: (اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَّدْحُوراً لَّمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ) [الأعراف: 16] أي: من كلا الفريقين ممن عصى الله وارتكب الكبائر.

قوله: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنَ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ فتعلم أن الأنبياء قد لقِيَت من الأذى ما قد لَقِيتَ. قوله: ﴿وَجَاءَكَ فِي هَـٰذِهِ الحَقُّ﴾ قال بعضهم: وجاءك في هذه السورة الحق. وقال الحسن: في هذه الدنيا الحق. وتفسير مجاهد: في هذه السورة.

ذكروا أن أبا بكر قال: يا رسول الله، ألا أراك قد شِبْتَ. قال: شيَّبتني هود والواقعة والمرسلات وعمَّ يتساءلون وإذا الشمس كوّرت[2].

قوله: ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ أي: ما في القرآن من مواعظ. ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

(1) بعض هذه الجمل في هذه الفقرة والتي تليها من كلام الشيخ هود ولا شك، وهي غير واردة في ز.

(2) أخرجه الترمذي في سننه في تفسير سورة الواقعة بهذا اللفظ عن ابن عباس، وقال هذا حديث حسن غريب. وأخرجه ابن سعد في الطبقات، وأبو نعيم في الحلية، ورواه الطبراني بلفظ: شيبتني هود وأخواتها.

قوله: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ لَا يُومِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ أي: على ناحيتكم، على كفركم. يخوفهم العذاب إن ثبتوا على كفرهم ﴿ إِنَّا عَـٰمِلُونَ﴾ أي: على ديننا ﴿ وَانْتَظِرُوا ﴾ أي: ما ينزل بكم من العذاب، أي: الذين تقوم عليهم الساعة، يعني آخر كفار هذه الأمة الدائنين بدين أبي جهل وأصحابه. ﴿ إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ أي: أن يأتيكم العذاب.

قوله: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي: لا يعلم غيب السماوات والأرض إلا هو. وهو مثل قوله: (يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ) [الفرقان: 6] ﴿ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ لا يغفل، ولا تخفى عليه خافية.

تفسير سورة يوسف
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ الْمُبِينِ ﴾ قد فسّرناه في غير هذا الموضع. ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَٰهُ قُرْءَٰناً عَرَبِيّاً ﴾ أي: بلسان عربي مبين ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي: لكي تعقلوا ما فيه فتؤمنوا به.

قوله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ من الكتب الماضية وأمور الله السالفة في الأمم[1] ﴿ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْءَانَ ﴾ [أي: بوحينا إليك هذا القرآن][2] ﴿ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ أي: من قبل أن ينزل عليك القرآن ﴿ لَمِنَ الْغَٰفِلِينَ ﴾. وهو كقوله: (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَٰبُ وَلَا الْإِيمَٰنُ) [الشورى: 52]، وكقوله: (وَوَجَدَكَ ضَآلّاً فَهَدَىٰ). [الضحى: 7].

قوله: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾.

فتأولها يعقوب أن إخوة يوسف، وكانوا أحد عشر رجلاً، وأبويه سيسجدون له؛ أعلمه الله بذلك. فإخوته هم الأحد عشر كوكباً، والشمس والقمر أبواه.

(1) جاءت العبارة مضطربة في أغلب النسخ المخطوطة فأثبت التصحيح من ز، ورقة 152، ومن تفسير الطبري ج 15 ص 551 - 552، ونسب هذا القول فيهما لقتادة.

(2) زيادة من ز، ورقة 152، وما مصدرية هنا.

﴿ قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً ﴾ يقول: يحسدوك، ظناً منه؛ فكان حقاً، كما ظن. ﴿ إِنَّ الشَّيْطَـٰنَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي: بيّن العداوة للإنسان.

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ أي: يصطفيك ويختارك للنبوة. وهذا شيء أعلمه الله يعقوب عليه السلام، أن الله سيعطي يوسفَ النبوةَ.

قوله: ﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾. قال مجاهد: تفسير الرؤيا. وتفسير الحسن: عواقب الأمور التي لا تعلم إلا بوحي النبوة. ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ أي: بالنبوة. ﴿وَعَلَىٰ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ فأعلمه أنه سيعطي ولد يعقوب كلهم النبوة. ﴿ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ﴾. قال بعضهم: حيث أراد ذبحه، في قول من قال: إنه إسحاق، ففداه الله بكبش. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أي: عليم بخلقه، حكيم في أمره.

قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ أي: عبرة لمن كان سائلاً عن حديثهم.

قوله: ﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ أي: جماعة ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: من الرأي، أي: في حب يوسف وأخيه، وليس يعنون في ضلال في الدين. ولم يكونوا يوم قالوا هذه المقالة أنبياء، وقد كانوا مسلمين.

قوله: ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَـٰلِحِينَ﴾. تفسير الحسن قال: يعنون في الدنيا، أي: في صلاح الدنيا[1]، وليس يعنون صلاح الدين. وبعضهم يقول: وتتوبون من بعد قتله، فتكونون قوماً صالحين.

---

(1) كذا في المخطوطات الأربع. ولكن جاء في ز، ورقة 152 تفسير آخر للحسن هذا نصه: «يعنون تصلح منزلتكم عند أبيكم في تفسير الحسن». وهذا تأويل ورد في كثير من كتب التفسير.

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ ﴾ قال بعضهم: هو روبيل، وكان أكبر القوم، وهو ابن خالة يوسف وهو الذي قال: (أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقاً مِّنَ اللَّهِ) [يوسف: 80]. وقال مجاهد: كبيرهم شمعون، وأكبر منه في التلاد[1] روبيل.

﴿ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الجُبِّ ﴾ أي: في بعض نواحيها ﴿ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾ أي: بعض مارة الطريق ﴿ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ ولا تقتلوه.

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَع وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: بالياء والنون. فمن قرأها بالياء فهو يعني يوسف، يقول: يرتع ويلعب. ومن قرأها بالنون فهو يعني جماعتهم. وقراءة الحسن بالياء، وقراءة مجاهد بالنون. وقال مجاهد: تفسير نرتع ونلعب، أي: ننشط ونلهو[3].

قوله: ﴿ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾[3] أي: جماعة ﴿ إِنَّا إِذاً لَّخَاسِرُونَ ﴾ أي: إنا إذاً لعَجَزَة.

قال الله: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الجُبِّ ﴾ ففعلوا وألقوه في الجبّ[4]. ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ ﴾ قال مجاهد: إلى يوسف. قال الحسن: أعطاه

(1) في ق وع: «البلاد»، وفي ج ود: «التيلاد» (كذا). فإذا كانت هذه الكلمة الأخيرة تصحيفاً للتلاد، وهو المال القديم، فينبغي أن يكون الوصف هكذا: وأكثر منه في التلاد. ولست مطمئناً للكلمتين معاً. ولم أجد فيما بين يدي من المصادر أخباراً مفصلة عن روبيل بن يعقوب تعينني على تصحيح الكلمة.

(2) وقراءتنا وقراءة أهل المدينة بالياء وكسر العين، ويلعب بالياء أيضاً. قال ابن أبي زمنين في ز ورقة 152: «كأنهم قالوا يرعى ماشيته ويلعب فيجمع النفع والسرور».

(3) قال ابن أبي زمنين: «يقال: العصبة من العشرة إلى الأربعين». وهو قول نسب إلى ابن عباس في بعض التفاسير.

(4) جعل الطبري في تفسيره ج 15 ص 574 قوله (أَجْمَعُوا) هو جواب (لَمَّا) دخلت عليه الواو. ورأى الزمخشري في الكشاف ج 2 ص 449 أن جواب لما محذوف تقديره: «فعلوا ما فعلوا به من الأذى».

الله النبوة وهو في الجبّ. وقال بعضهم: هو إلهام ﴿ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: أنك يوسف. ولم يكن إخوة يوسف يومئذٍ أنبياء، وإنما أوتوا النبوّة بعد ذلك، وهم الأسباط.

وقال بعضهم: أتاه وحي الله وهو في البئر بما يريدون أن يفعلوا به، (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ). أي: بما أطلع الله عليه يوسف من أمرهم.

قوله: ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ قَالُوا يَـٰأَبَانَـا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّيبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ أي: بمصدِّق لنا ﴿ وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴾ أي: ولو صَدَقناك.

﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ أي: لطخوا قميصه بدم سخلة، قال مجاهد: سخلة شاة.

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً ﴾ أي: زيّنت لكم أنفسكم أمراً ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ أي: ليس لي فيه جزع، في تفسير مجاهد. ﴿ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ أي: ما تكذبون.

قال الحسن: فعلم يعقوب، بما أعلمه الله، أن يوسف حي، ولكن لا يعلم أين هو.

وذكروا عن الحسن أنه قال: لما جيء بقميص يوسف إلى يعقوب، نظر إليه فلم يرَ شقاً ولا خرقاً، وقال: ما كنت أعهد الذئب حليماً [أكل ابني وأبقى على قميصه][1].

قوله: ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ﴾ الذي يرد الماء ليستقي للقوم[2].

---

(1) زيادة من تفسير الطبري، ج 15 ص 581 أثبتها لإيضاح هذا المعنى الطريف.

(2) في المخطوطات الأربع: «واردهم، الذي يستقي لهم الماء». وأثبت ما في في ز، ورقة 153، فهو أدق تعبيراً، وأدل على أصل الكلمة اللغوي.

وقال بعضهم: واردهم: رسولهم. ﴿ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ﴾ أي: في الجب، وهي بئر بيت المقدس. فلما أدلى دلوه تشبّث بها يوسف.

قال الحسن: فـ﴿ قَالَ ﴾ الذي أدلى دلوه في البئر: ﴿يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ ﴾ يقول لصاحبه: البشرى! قال له صاحبه: ما وراءك؟ قال: هذا غلام، فأخرجوه. وقال بعضهم: يا بشراي هذا غلام، أي: تباشروا به حين أخرجوه[1].

قوله: ﴿ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ قال بعضهم: أخفوه من أصحابهم، وقالوا: هو بضاعة استبضعناه أهل الماء لنبيعه لهم بمصر.

وقال بعضهم: كان إخوة يوسف، وهم عشرة، قريباً منهم حين أخرجوه من الجب؛ فجاءوا فقالوا: هذا غلام لنا أبَق منا، فباعوه منهم، فهم الذين أسروه بضاعة فباعوه.

وقال مجاهد: وأسروه بضاعة، أي: صاحب الدلو ومن كان معه قالوا لأصحابهم: إنما استبضعناه، مخافة أن يستشركوهم فيه إن علموا بثمنه. قالوا: إنما استبضعناه، وإخوته معه يقولون: استوثقوا منه لا يأبِق حتى تبيعوه بمصر. وقال يوسف: من يبتاعني فليبشر[2].

قوله: ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ أي: باعوه ﴿ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ أي ظلم، أي حرام ولم يكن يحل بيعه[3] ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾. قال مجاهد: باعوه باثنين وعشرين درهماً.

---

(1) وقيل نادى المدلي دلوه صاحباً له من السيارة كان يسمى بشرى، وهذا على قراءة من قرأ الكلمة بدون إضافة. وهو قول نسب إلى السدي كما في تفسير الطبري ج 16 ص 3.

(2) كذا في المخطوطات، وفي ز ورقة 153: «بخس أي حرام لم يكن يحل بيعه» والحق أن كلمة البخس نفسها لا تفيد معنى الحرمة. قال أبو عبيدة في معاني القرآن ج 1 ص 304: «بخس: أي: نقصان، ناقص، منقوص. يقال: بخسني حقي، أي: نقصني، وهو مصدر بخست، فوصفوا به، وقد تفعل العرب ذلك».

(3) كذا في ق و ع: «فليبشر»، وهو الصحيح، وفي ج ود: «فليشترِ». وهو تصحيف.

قال الكلبي: المعدودة ما كان دون الوقية[1] والوقية أربعون درهماً! فما دون الوقية فهو معدود، لا يوزن.

قوله: ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ أي الذين التقطوه. وزهادتهم فيه أنهم لم يكونوا يعرفون منزلته من الله، فباعوه من ملك مصر.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِي اشْتَرَيهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَيهُ ﴾ أي منزلته ﴿ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً ﴾ أي نتبناه. قال الحسن: يقول: نتبناه.

قال الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ يعني أرض مصر وما أعطاه الله وما مكنه ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾. قال مجاهد: تعبير الرؤيا. ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾ هو مثل قوله: (إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ) [الطلاق: 3] ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وهم المشركون.

قوله: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾ [يقال: بلغ عشرين سنة][2] ﴿ءَاتَيْنَهُ حُكْماً وَعِلْماً ﴾. قال الحسن: أعطي الرسالة عند هذه الحال. وقد كان أعطي النبوّة قبل ذلك في الجب. ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ أي: امرأة العزيز ﴿ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ أي: هلمَّ لك. وهي تقرأ على وجه آخر: هيتُ لك، أي: تهيأت لك[3] ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّيَ ﴾ أي: سيّدي، يعني العزيز. ﴿ أَحْسَنَ

---

(1) في المخطوطات: «الوقية» وأصح منها «الأوقية»، والوقية قليلة الاستعمال وهي لغة عامية، ووزنها في القديم أربعون درهماً. انظر اللسان: وقى، وأوق، وانظر صحاح الجوهري: وقى. أما وزنها بمقياس الميزان العصري فهو حوالي مائة وعشرين غراماً. وانظر إن شئت جدول المكاييل والمقاييس في قواعد الإسلام للجيطالي، ج 2 ص 30، والجدول من وضع محقق الكتاب المرحوم الشيخ عبد الرحمن بكلي.

(2) زيادة من ز، ورقة 153.

(3) أشار بعض المفسرين إلى هذا المعنى، وقد أنكره أبو عمرو بن العلاء إنكاراً شديداً كما أخبر به =

﴿مَثْوَايَ﴾ أي: أكرم منزلتي[1]. ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّـٰلِمُونَ﴾. ذكروا أن أول ما قالت: يا يوسف، ما أحسن شعَرك! قال: أما إنه أول شيء يبلى مني.

قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ أي: ما أرادته به على نفسها حين اضطجعت له. ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ أي: حلّ سراويله[2]. قال: ﴿لَوْلَآ أَن رَّأَىٰ بُرْهَـٰنَ رَبِّهِ﴾.

ذكروا عن الحسن أنه قال: زعموا أنه رأى يعقوب في صورته قد فرج عنه سقف البيت عاضاً على إصبعه. وكذلك قال غيره. قال مجاهد: مثل له يعقوب فاستحيى منه. وقال بعضهم: قد مثل له يعقوب، قد فرج سقف البيت، مشرفاً عليه، فصرف الله عنه وأذهب كل شهوة كانت في مفاصله. وفي تفسير الكلبي: إنه ملك تشبه بيعقوب.

قال الله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يعني أنه نبي أخلص بالنبوة.

= أبو عبيدة معمر في مجاز القرآن ج 1 ص 305-306، ونقله عنه الطبري، وذكر مختلف قراءات اللفظة في تفسيره ج 16 ص 25-31.

(1) كذا جاء تفسير كلمة «مثواي»، «ومثواه» قبلها، بالمنزلة، وكذلك جاءت منسوبة إلى قتادة في تفسير الطبري ج 16 ص 18. وأصح من ذلك وأدق تعبيراً أن يقال عن الأولى ما ذكره الطبري: «أكرمي موضع مقامه وذلك حيث يثوي ويقيم فيه». لأن المثوى هو المنزل والمقام، كما ذكره ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص 214، والزمخشري في الكشاف ج 2 ص 454. وقال البخاري في كتاب التفسير تفسير سورة يوسف: «مثواه مقامه».

(2) كذا في المخطوطات وفي ز ورقة 153. وهو منكر من القول وزور. وقد وردت في كتب التفسير أقوال مختلفة في همّ يوسف، نسب بعضها إلى ابن عباس؛ فراحت أخيلة القصاص والأكاذيب الإسرائيلية تنسج أخباراً ما أنزل الله بها من سلطان، ولا ثبت فيها عن الصادق المصدوق حديث صحيح. والذي يليق بكل مسلم أن يؤمن بما دل عليه اللفظ القرآني مجملاً مع تنزيه الأنبياء عما لا يليق بمقامهم؛ فهم المصطفون الأخيار. والهمّ لا يعدو أن يكون حديثاً نفسياً، أو خاطراً عابراً، لا يتعديان إلى حركات أو أعمال بالجوارح. ونعوذ بالله من سيئات الظنون. انظر في هذا الموضوع، على سبيل المثال مناقشة قيمة رَدَّ بها الفخر الرازي على بعض الروايات الزائفة وذلك في التفسير الكبير ج 18 ص 114 - 119.

قال بعضهم: فولّى هارباً فاتبعته ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾ فسبقها إلى الباب ليخرج ﴿ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ ﴾ أي: شقّته من خلفه. ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا ﴾ أي زوجها. ولو لم يعلم حق الزوج وحرمته، إلا أن الله سمّاه سيداً، أي: سيداً للمرأة. قال: وألفيا سيّدها. ﴿ لَدَى الْبَابِ ﴾ أي: عند الباب.

﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً ﴾ تعني الفاحشة ﴿ إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: موجع.

﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴾ قال: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ أي: من أهل المرأة. قال بعضهم: أخوها، وقال بعضهم: ابن عمها. فجعله العزيز بينهما حكماً، فقضى بينهما بالحق.

قال: ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾.

وفي تفسير الكلبي: إنه كان شاهداً. قال: سمعنا الجلبة وقَدَّ القميص؛ فإن كان قُدَّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين، أي: فهو الذي أرادها على نفسها فقدَّت قميصه، وإن كان قُدَّ من دبر فهو الذي فَرَّ منها فقدَّت قميصَه.

وقال مجاهد: وشهد شاهد من أهلها، أي: قميصه مشقوق من دبر، فذلك شاهدها.

وقال بعضهم: وشهد شاهد، أي: وحكم حاكم من أهلها. وقال بعضهم: شهد رجل حكيم. وكان لعمري حكيماً إذ حكم بهذا، فقال: القميص يقضي بينهما؛ إن كان قُدَّ من قُبُل فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قُدَّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين.

قوله: ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ ﴾ زوجها ﴿ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾. قال الحسن: ثم قال ليوسف: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾ ولا تذكره ولا تُفْشِه. وقال لها: ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ يعني الخطيئة.

وقال الكلبي: إن قريبها، وهو ابن عمها، رغب إلى يوسف أن يُعرض عن ذلك، ولا يذكره لأحد، وقال لها استغفري لذنبك من زوجك واستعفيه ألا يعاقبك إنك كنت من الخاطئين.

قوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ يعني غير الملِك[1] ﴿تُرَاوِدُ فَتَيٰهَا عَن نَّفْسِهِ﴾، أي: غلامها ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ قال الحسن: قد بطنها حبه؛ وكان يقرأها: قد شعفها حُبّاً. وقال والشغف أن تكون مشغوفاً به. وقال بعضهم: قد شغفها، أي: ملأها حبه.

وقال الكلبي: قد شغفها حباً، والشغاف حجاب القلب [وقال مجاهد: أي: دخل حبه في شغافها][2]. والعامة على شغفها. وبعضهم يقرأها: قد شعفها.

قال الكلبي: والنسوة امرأة صاحب السجن، وامرأة ساقي الملك، وامرأة أمير الخبازين، وامرأة صاحب الدواب. والعزيز كان دون الملك على أمر الملك[3]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بيِّن. يعنين مراودتَها فتاها عن نفسه.

قوله: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ [أي: بغيبتهن][4] ﴿أَرْسَلَت إِلَيْهِنَّ﴾ [وأرادت أن توقعهن فيما وقعت فيه][4].. ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾ أي: وأعدّت ﴿لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾. وهي تقرأ على وجهين: مثقلة ومخففة. فمن قرأها مثقلة جعلها مجلساً

(1) كذا في ق وع: «يعني غير الملك». وهو أصح. وفي ج ود، وفي ز، ورقة 154: عز الملك وله وجه.

(2) زيادة من ز، ورقة 154، وهو موافق لما جاء في تفسير مجاهد، ص 314.

(3) كذا في المخطوطات، وهو الصحيح، فإن العزيز لقب كان عند قدماء المصريين لرئيس شرطة الملك، وقيل لمن كان على خزائنه. وأما ما ذكره أبو جعفر الطبري في تفسيره ج 16. ص 62 من أن العزيز هو الملك في كلام العرب، فيبدو أنه يقصد المعنى اللغوي العام، لأنه يقول، بعد أن أورد بيتاً لأبي دؤاد:

دُرَّةٌ غَاصَ عَلَيْهَا تَاجِرٌ　　جُلِيَتْ عِنْدَ عَزِيزٍ يَوْمَ طَلّ:

«يعني بالعزيز الملِك، وهو من العزة».

(4) زيادة من ز، ورقة 154.

وتُكَأَة، وهو قول مجاهد[1]. ومن خفّفها جعله شيئاً يحز بالسكاكين، وقال بعضهم: هو الأترج[2]. وقال الحسن: هو طعام يحز بالسكاكين.

قوله: ﴿ وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً ﴾ أي: ليقطعن ويأكلن. ﴿ وَقَالَتِ ﴾ ليوسف ﴿ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ﴾.

قال: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ ﴾ أي: أعظمنه. قال الحسن: لما رأين من جماله وهيئته[3]. وقال الكلبي: أعظمنه أن يكون من البشر.

قوله: ﴿ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ أي: وحززن أيديهن. قال الكلبي: لا يعقلن ما يصنعن. ﴿ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ﴾ أي: معاذ الله ﴿ مَا هَـٰذَا بَشَراً إِنْ هَـٰذَا إِلَّا مَلَكٌ ﴾ من ملائكة الله، ﴿ كَرِيمٌ ﴾ أي: على الله.

﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾ أي: فهذا الذي لمتنّني فيه ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ أي: فاستعصى. وقال الحسن: فامتنع. ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّـٰغِرِينَ ﴾ أي: من الأذلاء.

فدعا يوسف ربه فـ ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ﴾ [قال الحسن: قد كان من النسوة عون لها عليه][4] ﴿ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ أي: أتابعهن. [وقال بعضهم: أَمِلْ إليهن ميل جهل وصبا][5]. ﴿ وَأَكُن مِّنَ الْجَـٰهِلِينَ ﴾.

(1) هذا هو القول الراجح في قوله «متّكأ». قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 309: أعدت لهن متكئاً، أي: نمرقاً تتكىء عليه، وزعم قوم أنه الأترج، وهذا أبطل باطل في الأرض، ولكن عسى أن يكون مع المتكإ أترج يأكلونه. ويقال: ألق له متكأً».

(2) في بعض المخطوطات: «الأترنج، وهو من ألفاظ العامة، وما أثبته: «الأترج» من كلام الفصحاء.

(3) كذا في ج ود، «هيئته»، وهو أصح وأنسب، وفي ق وع: «وهيبته».

(4) زيادة من ز، ورقة 154، وهو من كلام يحيى بن سلام.

(5) زيادة من ز، ورقة 154، وهو من شرح محمد بن أبي زمنين.

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ أي: لا أسمع منه ولا أعلم منه.

قوله: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الأَيَـٰتِ﴾ قال مجاهد: يعني قدّ القميص من دبر، وقطع الأيدي، أيدي النسوة. ﴿ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾ أي: حتى زمان، في تفسير الكلبي.

قال الكلبي: بلغنا أنها قالت لزوجها: صدّقته وكذّبتني وفضحتني في المدينة، فأنا غير ساعية في رضاك إن لم تسجن يوسف، وتسمع به وتعذرني، فأمر بيوسف، فحمل على حمار، ثم ضرب بالطبل: إن هذا يوسف العبراني أراد سيدته على نفسها. فطيف به في أسواق مصر كلها، ثم أدخل السجن. قال الكلبي: قال أبو صالح: لم أرَ ابن عباس قط يذكر هذا الحديث على يوسف إلا بكى.

قوله: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ. قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّيَ أَرَيٰنِي أَعْصِرُ خَمْراً ﴾ وهي في قراءة ابن مسعود: أعصر عنباً. ﴿ وَقَالَ الأخَرُ إِنِّيَ أَرَيٰنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً ﴾ وهي في قراءة ابن مسعود: قصعة من ثريد. ﴿ تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَيٰكَ مِنَ المُحْسِنِينَ ﴾.

قال بعضهم: كان إحسانه، فيما بلغنا، أنه كان يداوي جرحاهم، ويعزّي حزينهم، ورأوا منه إحساناً فأحبّوه على فعله (1).

وكان الذي قال: إني أراني أعصر خمراً ساقي الملك على شرابه، وكان الذي قال: إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه خباز الملك على طعامه. فقال للخباز: إنك تصلب وتأكل الطير من رأسك، وقال لساقيه: أما أنت فترد على عملك. فذكر لنا أنهما قالا حين عبّر لهما الرؤيا: لم نرَ شيئاً، فقال: (قُضِيَ الأَمْرُ الذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ).

---

(1) هذا قول رواه قتادة وهو هنا مختصر، انظر تفصيله، وخبر يوسف مع من كانوا معه في السجن، وحسن معاملته إياهم في تفسير الطبري ج 16 ص 99.

وقال الكلبي: قال الساقي: إني رأيت فيما يرى النائم أني دخلت الكرم، فإذا أنا بحبلة[1] حسنة الورق والظل، ذات قضبان ثلاثة. فنظرت إلى القضبان فإذا أنا فيها بعنب قد طاب. فأخذت من العنب، فعصرته في كأس الملك، ثم أعطيته إياه، فأخذه من يدي فشربه. فقال له يوسف: نعم الرؤيا رأيت. أما الحبلة التي رأيت وظلها وحسن ورقها فهو عملك الذي كنت عليه، وأما القضبان الثلاثة فهي ثلاثة أيام تكون في السجن، ثم يسأل عنك الملك، فيردك إلى عملك، ثم تعطيه الكأس فيأخذها من يدك ويشربها. ثم قال له يوسف: اذكرني عند ربك، أي: عند الملك، لعله يخرجني من مكاني.

وقال الخباز: رأيت أني أحمل فوق رأسي خبزاً، وقال: يا يوسف، عبر رؤياي كما عبرت لصاحبي، فقال له يوسف: وما رؤياك؟ فقال: رأيت فيما يرى النائم أني خارج من مطبخ الملك، وعلى رأسي ثلاث سلل من خبز، فإذا فوق أعلاها طير تأكل منها. قال له يوسف: رؤياك قبيحة. أما السلل الثلاثة فثلاثة أيام تكون في السجن، ثم يخرجك الملك فيصلبك فتأكل الطير من رأسك. فقال: يا يوسف، فإني لم أرَ شيئاً. قال: ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ الذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ كالذي قلتما، كذلك يقضى لكما، لصاحب الخير خير، ولصاحب الشر شر.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: الرؤيا عندما عُبِرت[2].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: الرؤيا معلقة برجل طير ما لم يحدث بها صاحبها، فإذا حدث بها وقعت. فلا تحدثَنَّ بها إلا عالماً أو ناصحاً، أو قال: حبيباً، أو كالذي قال[3].

---

(1) الحَبَلة، والحُبْلة، والحَبْلة: الكرم مطلقاً، وقيل: الأصل من أصول الكرم، أو: طاق من قضبان الكرم. وهذان المعنيان الأخيران هما المقصودان هنا. انظر اللسان: (حبل).

(2) أخرجه ابن ماجه من حديث هذا لفظه: اعتبروها بأسمائها، وكنوها بكناها والرؤيا لأول عابر في كتاب تعبير الرؤيا (رقم 3915) وأخرجه ابن أبي شيبة بلفظ: الرؤيا لأول عابر، وأخرجه الحاكم بلفظ: إن الرؤيا تقع على ما تعبر، كلهم يروي الحديث عن أنس مرفوعاً.

(3) أخرجه ابن ماجه في كتاب تعبير الرؤيا، باب الرؤيا إذا عبرت وقعت (رقم 3914)، وأخرجه أبو =

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان في آخر الزمان، أو إذا اقترب الزمان لم تكد تكذب رؤيا المؤمن. وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً. والرؤيا ثلاثة: منها بشرى من الله، ومنها تحزين من الشيطان، ومنها ما يحدث به الرجل نفسه[1].

قوله: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ أي: بمجيئه. قال بعضهم: أي: بلون الطعام ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾. فكان يخبرهما بما يأتيهما من الطعام قبل أن يأتيهما، بما يطلعه الله عليه، كما أطلع عيسى ابن مريم، فكان ينبىء بني إسرائيل بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم. فكان يقول للرجل: أكلت كذا وكذا، وادّخرت كذا وكذا.

قوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ يقول: لم أتبع ملتهم. ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَائِي إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ يعني النبوة التي أعطاهم الله ﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾ يعني الإسلام. ويقال: رب شاكر نعمة على غيره. ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ أي: لا يؤمنون.

قوله: ﴿يَـٰصَـٰحِبَيِ السِّجْنِ﴾ يعني الفتيين اللذين سجنا معه ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾، على الاستفهام، أي: يفهمهم، يعني الأوثان التي يعبدون من دون الله من صغير وكبير ووسط ﴿خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَٰحِدُ الْقَهَّارُ﴾ أي: إن الله خير منهم. وهو مثل قوله: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ

= داود في كتاب الأدب، باب تعبير الرؤيا (رقم 5020) كلاهما يرويه من طريق وكيع بن عدس، عن عمه أبي رزين عن النبي عليه السلام.

(1) أخرجه ابن ماجه في كتاب تعبير الرؤيا، باب أصدق الناس رؤيا أصدقهم حديثاً (رقم 3917) وفي باب الرؤيا ثلاثة (رقم 3906) وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما جاء في الرؤيا (رقم 5019) كلاهما يرويه من حديث أبي هريرة. كما أخرج البخاري بعضه في كتاب التعبير، باب القيد في المنام، وأخرجه الترمذي أيضاً.

يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً) [الزمر: 29]، يعني به مثلاً لنفسه، ويعني بالرجل السلم الذي يعبده ويوحده، ويعني بالشركاء المتشاكسين الآلهة التي يعبدونها من دون الله.

قوله: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُم مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ أي: من حجة ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ أي: إن القضاء إلا لله ﴿ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ أي: لم يأمر العباد إلا بعبادته. قال الله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا يُوحَىٰ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: 26].

ذكر بعضهم قال: لما علم يوسف أن أحدهما مقتول دعاهما إلى حظهما من ربهما، فقال: (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) أي: إنه قهر العباد بالموت وبما شاء من أمره.

قوله: ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وهم الذين لا يؤمنون، وهم أكثر الناس. ذكروا عن الحسن قال: [قال رسول الله ﷺ][1] يقول الله لآدم، يا آدم قم فابعث بعث أهل النار. قال: يا رب، وما بعث أهل النار؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة، فلما سمعوا ما قال نبيهم أبلسوا حتى ما يُجلى أحدهم عن واضحة[2]. فلما رأى ما بهم، قال: أبشروا، فما أنتم في الناس إلا كالرقمة في ذراع الدابة، أو كالشامة في جنب البعير. وإنكم لمع الخليقتين ما كانتا مع شيء قط إلا كثَّرتاه: ياجوج وماجوج ومن هلك من بني إبليس، فتكمل العدة من المنافقين[3].

قوله: ﴿يَـٰصَـٰحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ وقد فسّرناه في الآيات الأولى.

---

(1) ما بين المعقوفين زيادة لا بد منها لأن هذا نص حديث مرفوع إلى رسول الله ﷺ.

(2) الواضحة: السّن التي تبدو عند الضحك، ومعناه: أنهم سكنوا من الخوف والحيرة والذهول حتى ما يقدر أحدهم أن يبتسم أو يضحك. وفي أساس البلاغة للزمخشري: «لا ترك الله له واضحة: سنّاً تضح عند الضحك». وانظر صحاح الجوهري، (وضح).

(3) حديث متفق عليه، انظر تخريجه فيما سلف، ج 1 ص 424.

قوله: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ أي: اذكر أمري عند سيدك، أي: الملك.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لا يقولن أحدكم عبدي ولا أمتي، وليقل فتاي وفتاتي، ولا يقولن المملوك لسيده ربي وربتي، وليقل سيّدي وسيّدتي؛ كلكم عبيد، والله هو الرب[1].

قوله: ﴿ فَأَنْسَيْهُ الشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾ ذكر أن يوسف قال للساقي حين عبر له رؤياه: (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)، وذلك بعد ما لبث في السجن خمس سنين يتضرّع إلى الله بالليل والنهار ويدعوه، فأنساه الشيطان ذكر ربه، يعني يوسف. ورغب يوسف إلى الساقي أن يذكره عند الملك.

قال: ﴿ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾. قال بعضهم: سبع سنين بعد ذلك، عقوبة من الله لقوله: (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)، وقال الحسن: البضع ما بين الثلاثة إلى العشرة.

وقال مجاهد: (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) أي: عند الملك؛ فلم يذكره حتى رأى الملك الرؤيا. وذلك أن يوسف عليه السلام أنساه الشيطان ذكر ربه وأمره أن يذكره للملك ابتغاء الفرج عنده. فلبث في السجن بضع سنين عقوبة [لقوله ذلك][2].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: رحم الله أخي يوسف، لو لم يقل

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الأدب، باب حكم إطلاق لفظ العبد والأمة والمولى والسيد (رقم 2249) وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب لا يقول المملوك ربي وربتي. كلهم يرويه من حديث أبي هريرة.

(2) زيادة من ز ورقة 155. لم يذكر المؤلف هنا إلا وجهاً واحداً لتأويل قوله تعالى: (فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ) مع تكرار في اللفظ وتطويل. أما الفراء فقد ذكر ذلك بعبارة موجزة واضحة مع استيفائه لوجهي التأويل. قال في معاني القرآن ج 2 ص 46: «(فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ) يقول: أنسى الشيطان يوسف أن يجعل ذكره ومستغاثه إلى الله، ويقال: أنسى الشيطان الساقي أن يذكر أمر يوسف. (ذِكْرَ رَبِّهِ) ذكر يوسف لمولاه».

اذكرني عند ربك ما لبث في السجن ما لبث[1].

قوله: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ﴾ أي: سبع بقرات عجاف ﴿ وَسَبْعَ سُنْبُلَٰتٍ ﴾ أي: ورأيت سبع سنبلات ﴿ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ﴾ أي: وسبعا يابسات ﴿يَٰأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾.

﴿ قَالُوا أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ﴾ أي: أخلاط أحلام. وقال الحسن: ألوان أحلام. وقال بعضهم: فعل أحلام، وقال الأضغاث الأَحْلَٰمِ الكاذبة. ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾.

﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا ﴾ أي: من المسجونين، وهو الساقي ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ يقول: ادَّكر بعد حين، في تفسير مجاهد. وقال الكلبي: بعد سبع سنين. وقال بعضهم، (بَعْدَ أُمَّةٍ) أي: بعد سنين.

وذكر عكرمة أن ابن عباس كان يقرأها: (بَعْدَ أَمَهٍ) أي: بعد نسيان.

﴿ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونَ ﴾. وفيها إضمار، وإضمارها. [فأرسله الملك، فأتى يوسف في السجن فقال: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾ يعني الصادق.

وقال بعضهم:][1] أيها الرجل الصالح ﴿ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ ﴾ أي: أخبرنا عن سبع بقرات سمان ﴿ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.

فأجابه يوسف فقال: أما السبع البقرات السمان والسبع السنبلات الخضر فهي سبع سنين تخصب. وأما السبع البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فهي سبع سنين مجدبة يابسات. قال: يا يوسف، ثم ماذا بعد ذلك؟ قال: (ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ

---

(1) أخرجه الطبري في تفسيره ج 16 ص 116 ص 112 عن عكرمة وعن الحسن مرسلاً. وأخرجه مرة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي عليه السلام. وقال عنه المحقق الشيخ محمود محمد شاكر: هذا خبر ضعيف الإسناد جداً.

ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ). هذا في تفسير الكلبي.

وقوله: (فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ)، أي: أهل مصر يغاثون بالمطر. (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) أي: العنب والزيتون في تفسير بعضهم. قال: وهذا علم أتاه الله علمه لم يسأل عنه.

قوله: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً ﴾ [أي: دائبين كعادتكم][1] ﴿ فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ ﴾ أراد بذلك البقاء، لأنه إذا كان في السنبل كان أبقى له ﴿ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾.

قال: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾ أي: مجدبة ﴿ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ ﴾ أي: في السنين المخاصب ﴿ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴾ أي: إلا قليلاً مما [تحرزون وتدخرون][3].

﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ قد فسّرناه في الآية الأولى.

فأخبر الملك أن يوسف هو الذي عبر الرؤيا.

﴿ وَقَالَ المَلِكُ ايتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ ﴾ أي: رسولُ الملك جاء يوسفَ. ﴿ قَالَ ﴾ له يوسف ﴿ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ أي: إلى سيدك، يعني الملك، وهذا كلامهم يومئذٍ، قال: ﴿ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّـٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ أي: حززن أيديهن ﴿ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾.

ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: رحم الله أخي يوسف، لو كنت أنا دعيت لأسرعت في الإجابة[4]، قال بعضهم: أراد ألا يخرج حتى يكون له عذر.

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط كله من المخطوطات الأربع، فأثبته من ز ورقة 155.

(2) في المخطوطات: «سبع سنين خصب» و. . . «سبع سنين جدوبة» وأثبت ما في ز ورقة 155.

(3) في المخطوطات: «إلا قليلاً مما تأكلون» وهو خطأ ظاهر. وأثبت التصحيح من كتب التفسير ومن ز، ورقة 155.

(4) أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه ابن المنذر عن الحسن مرسلاً، وأخرجه ابن جرير الطبري من =

فأرسل إليهن الملك، فدعاهن فـ ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ ﴾ في يوسف، أي: ما حجتكن[1]. ﴿ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ﴾ أي: بالكلام والدعاء إلى المرأة. قال الحسن: قد كان منهن عون للمرأة عليه، وكان منهن شيء. ﴿ قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ ﴾ فانتفين من ذلك ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ﴾ أي: من زنا. والسوء ها هنا الزنا.

﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾ أي: الأن تبيّن الحق ﴿ أَنَا رَٰوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّـهُ لَمِنَ الصَّـٰدِقِينَ﴾ فانقضى كلام المرأة.

فقال يوسف عليه السلام: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ لما قالت امرأة العزيز (الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِن الصَّادِقِينَ) بلغ ذلك يوسف فقال: (ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخنْهُ بِالغُيْبِ) وكان الملك فوق العزيز.

قوله: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ ﴾ أي: لا يصلح عمل الزناة.

قال بعضهم: فلما قال يوسف هذا قال الملك الذي تشبه بيعقوب حين فرج سقف البيت، فأشرف عليه حين همّت به وهمّ بها، قال: ولا حين حللت سراويلـك، أي: لم تخنه ولا حين حللت سراويلك. وقال بعضهم: إن جبريل عليه السلام قال: فما فعلت السراويل[2]؟ قال يوسف:

﴿ وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسى إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ يعني الهمّ الذي همّ بها.

كان بعض السلف يقول: إذا أذنب أنبياؤه عجّلَ لهم العقوبة في الدنيا والتنبيه

= طرق عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ في تفسيره ج 16 ص 134 - 136، وفي بعض ألفاظه: لأسرعت في الإجابة وما ابتغيت العذر. ولفظ البخاري في تفسير سورة يوسف: «ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعيَ».

(1) كذا في المخطوطات، وفي ز ورقة 155. وأصح من ذلك ما قاله ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص 218: «ما أمركن، ما شأنكن؟».

(2) وهذا كله من الإسرائيليات الساقطة أو من خيال القصاص المولعين بغرائب الأخبار. ومعاذ الله أن يثبت في هذا وأمثاله خبر صحيح عن الصادق المصدوق ﷺ.

والتذكير، يريدهم التطهير. وإنما أخرنا نحن إذ لم يعجل عقوبتنا، لعقاب الآخرة، وليس ذلك لما هو خير لنا. بل ذلك شرّ لنا.

قال الحسن: (الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ) أي: الآن جاء الحق. وذكر بعضهم في قوله: (ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالغَيْبِ) قال: ذكر لنا أن الملك الذي كان مع يوسف قال له: اذكر ما كنت هممت به، فقال يوسف: وما أبرىء نفسي[1].

قوله: ﴿ وَقَالَ المَلِكُ إيتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ﴾ أي: أتخذه لنفسي. فأتوه به من السجن. ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ اليَوْمَ لَدَيْنَا ﴾ أي: عندنا ﴿ مَكِينٌ ﴾ أي: في المكانة والمنزلة. ﴿ أَمِينٌ ﴾ أي: من الأمانة، كقول الجارية لأبيها في موسى. إذ قالت: (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ). [القصص: 26] يعني موسى صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء. وسنذكر ذلك إذا أتينا عليه في سورة القصص [إن شاء الله].

فولّاه الملك وعزل العزيز. ﴿ قَالَ ﴾ يوسف: ﴿ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ ﴾ يعني أرض مصر، أي: على أقوات أهل الأرض ﴿ إِنِّي حَفِيظٌ ﴾ لما وليت عليه، ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بأمره. وقال الحسن: يعني عليم بما يصلحهم من ميرتهم.

قال بعضهم: باع منهم يوسف قوتهم عاماً بكل ذهب عندهم، فصار ذهبهم كله له. ثم باعهم عاماً آخر بكل فضة عندهم، ثم باعهم عاماً آخر بكل نحاس عندهم،

---

(1) هذا القول نسبه المؤلف إلى يوسف عليه السلام كما نسبه إليه كثير من محققي المفسرين، ومنهم ابن عباس ومجاهد والطبري. ولم يشر المؤلف إلى قول من ذهب إلى أن قوله: (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِيَ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) هو من قول المرأة، فهنالك من المفسرين من ذهب إلى هذا. ومعناه: وما أبرىء نفسي أني راودته عن نفسه فإن النفس أمارة بالسوء. وممن ذهب إلى هذا القول الحافظ ابن كثير؛ فقد قال في تفسيره ج 4 ص 32: «وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام».

ثم باعهم عاماً آخر بكل رصاص عندهم، ثم باعهم عاماً آخر بكل حديد عندهم، ثم باعهم عاماً آخر برقاب أنفسهم، فصارت رقابهم وأموالهم كلها له.

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: أرض مصر ﴿ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يشاء ﴾ [أي: ينزل منها حيث يشاء][1] وإنما كان ذلك لتمكين الله له وعطيته إياه. ﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ﴾ يعني النبوة. ﴿ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

قال: ﴿ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ ﴾ أي: الجنة ﴿ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ يعني ما يعطي الله في الآخرة أولياءه خير من الدنيا.

قوله: ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ ﴾ أي: من أبيه ﴿ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ فأكرمهم وأنزلهم.

﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ ﴾ أي: من الميرة ﴿ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ﴾ يعني أخاه، وكان أصغرهم كلهم. قال بعضهم: هو بنيامين، وهو أخو يوسف من أبيه وأمه.

قال: ﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ أي: خير المضيفين، أي: خير من يضيف بمصر. وقد رأوا ذلك؛ إنه قد أحسن نزلهم وأكرمهم [لما] عرف أنهم إخوته ولم يعرفوه[2]. قال: ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ يعني إذا رجعوا.

﴿ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ ﴾ أي: ليرسله معنا ﴿ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾.

﴿ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ ﴾ يعني غلمانه ﴿ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴾ أي: دراهمهم في متاعهم ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾. أي: لكي

---

(1) زيادة من ز، ورقة 156.

(2) وردت هذه الجملة الأخيرة في المخطوطات الأربع بعد قوله: (إذا رجعوا) في آخر السطر التالي، وهذا خطأ من النساخ ولا شك، وقد أثبتها في سياقها المناسب وربطتها بما قبلها بكلمة «لما».

يرجعوا إليّ. يقول: هو أحرى أن يرجعوا إذا رُدت عليهم بضاعتهم.

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَـٰأَبَانَـا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ ﴾ أي: فيما يستقبل، أي: إن لم نأته بأخينا. ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَـٰفِظُونَ. قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ يعني يوسف ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حِفظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الـرَّحِمِينَ﴾ وهي تقرأ على وجهين: حفظاً وحافظاً. فمن قرأها حفظاً يعني: حفظ الله خير من كل حفظ. ومن قرأها حافظاً يعني إن الله هو الحافظ وهو خير الحافظين.

﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَـٰعَهُمْ وَجَدُوا بِضَـٰعَتَهُمْ﴾ أي: دراهمهم ﴿ رُدَّت إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ﴾ أي: وراء هذا ﴿ هَـٰذِهِ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّت إِلَيْنَا ﴾ وقد أوفى لنا الكيل. قال: ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴾ يقولون: إذا أرسلت معنا أخانا ﴿ وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾. وإنما ذلك لأنه كان يكال لكل إنسان حمل بعير بمصر. وتفسير الحسن إنه يزيدنا كيل بعير، أي: بغير ثمن، إذا أرسلت معنا أخانا. وكان يوسف وعدهم، في تفسير الحسن، إن هم جاءوهم بأخيهم، أن يزيدهم حمل بعير بغير ثمن.

وقال بعضهم: كيل بعير، أي: حمل بعير. وقال مجاهد: حمل بعير، أي: حمل حمار، وهي لغة لبعض العرب[1].

﴿ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيـرٌ ﴾ [قال السدي: يعني سريعاً لا حبس فيه][2] وقال الحسن: أي: يسير علينا الكيل، لأنه قد كان القوم يأتونه للمَيْر[3] فيُحبَسون الزمانَ حتى يُكال لهم. وبعضهم يقول: (ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ) هذا من قول الله.

قوله: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: حتى تعطون موثقاً من الله ﴿ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ أي: إلا أن تغلبوا عليه. وقال بعضهم: أي: إلا أن تهلكوا جميعاً.

(1) وهو قول ذهب إليه أيضاً مقاتل بن سليمان في تفسيره، وانظر اللسان: (بعر).

(2) زيادة من ز، ورقة 156.

(3) المَيْرُ، مصدر مار، يمير، ميرا، أي: اشترى الطعام وجلبه لأهله أو لغيره، والمِيرة الطعام الممتار.

﴿ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ﴾ أي: أعطوه ﴿ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ﴾ يعقوب: ﴿ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ أي: حفيظ لهذا العهد.

قوله: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾. قال بعضهم: خشى على بنيه العين؛ وكانوا ذوي صورة وجمال.

ذكروا عن أسماء بنت عميس[1] أنها قالت: يا رسول الله، إن بني جعفر أسرع شيء إليهم العين، أفأسترقى لهم؟ فقال: استرقي لهم. لو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين[2].

ذكروا عن داود بن حصين عن علي بن عبد الله بن عباس أن يتيمة كانت عند ميمونة، فافتقدها النبي ﷺ، فسأل عنها. فقالوا: اشتكت عينيها. فقال: استرقوا لها، فإنه أعجبتني عيناها[3].

(1) هي أسماء بنت عُميس الخثعمية، من السابقات إلى الإسلام. تزوجت جعفر بن أبي طالب، وهاجر بها إلى الحبشة، فولدت له بها عبد الله، ومحمداً، وعوناً. ولما توفي جعفر تزوجها أبو بكر، فولدت له محمداً. ولما توفي أبو بكر تزوجها علي بن أبي طالب، فولدت له يحيى، قيل: وعوناً. وقد حفظت أحاديث عن رسول الله ﷺ رواها الصحابة والتابعون. انظر ترجمتها في الاستيعاب لابن عبد البرّ ج 4 ص 1784، وفي سير أعلام النبلاء للذهبي ج 2 ص 207 - 204، وفي غيرهما من كتب الرجال.

(2) حديث صحيح أخرجه الترمذي في كتاب الطب، باب ما جاء في الرقية من العين (رقم 2060). وأخرجه ابن ماجة في كتاب الطب، باب من استرقى من العين (رقم 3510) كلاهما يرويه من طريق عبيد بن رفاعة الزرقي عن أسماء بنت عميس. وأخرجه مسلم بغير هذه الألفاظ في كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين (رقم 2198) عن جابر بن عبد الله.

(3) هذا حديث لم أعثر عليه في كتب الصحاح، هكذا في قصة «يتيمة» كانت عند ميمونة» زوج النبي عليه السلام. وبلفظ «فإنه أعجبتني عيناها» في آخره، هكذا جاء في المخطوطات الأربع. وشبيه بهذا الحديث ما رواه الشيخان: البخاري في كتاب الطب، باب رقية العين، ومسلم في كتاب السلام، باب استحباب الرقية، كلاهما يرويه عن أم سلمة في قصة «جارية في بيتها» وبلفظ: «استرقوا لها فإن بها النظرة» فهل هما حديث واحد؟ ليت لدينا تفسير ابن سلام كاملاً لعل به سنداً صحيحاً، إذاً لأمكنت المقارنة وسهل التحقيق.

ذكروا عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه أنه عان[1] سهل بن حنيف فقال: قال رسول الله ﷺ: إذا أعجب أحدَكم أخوه فليبرّك[2].

قوله: ﴿ وَمَا أُغْنِي عَنْكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَيٰهَا ﴾ يعني قوله: (لاَ تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَة).

قوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ ﴾ قال الحسن: لما آتاه الله من النبوة. وقال بعضهم: لعالم لما علمناه[3]. ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ وهم المشركون، وهم أكثر الناس. قال: فأرسل معهم أخاهم.

قوله: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ﴾ أي: ضمّه إليه ﴿ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ ﴾ قال مجاهد: فلا تحزن ﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ يعني إخوته. وقال الحسن: يقول: لا تغتمّ بما كان من أمرك وأمر إخوتك.

قال: ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ ﴾ يعني ميرتهم التي جاءوا لها، ووفّى لهم الكيل، وقضى حاجتهم ﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ والسقاية إناء الملك الذي كان

---

(1) عانه يعينه، أي: أصابه بالعين.

(2) أخرجه أحمد في مسنده مفصّلاً بلفظ: علام يقتل أحدكم أخاه، هلا إذا رأيت ما يعجبك برّكت»، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الطب، باب العين (رقم 3509) عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف. والتبريك أن يقول الإنسان: بارك الله فيك، أو يقول: (تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ).

(3) كذا في المخطوطات الأربع: «لعالم لما علمناه» وله وجه صحيح مناسب. وقد يكون في الجملة تصحيف صوابه: «وإنه لعامل بما علمناه». فقد أورد هذا التأويل الطبري في تفسيره ج 16 ص 168 منسوباً لقتادة، قال: «إنه لعامل بما علم». وزاد غيره: «من لا يعمل لا يكون عالماً». وقال الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 50: «يقول: إنه لذو علم لتعليمنا إياه، ويقال: إنه لذو حفظ لما علمناه».

يُسقى فيه، وهو الصواع، والصواع الإناء الذي كان يشرب فيه؛ جعله في متاع أخيه.

وخرج إخوة يوسف، وأخوهم معهم، من عنده وساروا معه، فاتبعهم منـاد ﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ ﴾ أي: ثم نادى منادٍ ﴿ أَيَّتُها العِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾.

﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ﴾ أي: إخوة يوسف أقبلوا عليهم ﴿ مَاذَا تَفْقِدُونَ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ المَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ أي: من الطعام، والطعام يومئذٍ عزيز. ﴿ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ أي: وأنا به كفيل لمن جاء به.

قال مجاهد: الزعيم هو المؤذن [الذي قال: (أَيَّتُهَا العِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ)][1].

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ ﴾ وهو يومئذٍ قَسَم يُقسم به ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ ﴾ لما كانوا يأتونهم قبل ذلك في المَيْر، وأنهم لم يروا منهم فساداً، ﴿ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ﴾.

﴿قَالُوا فَمَا جَزَآؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَـٰذِبِينَ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ أي يؤخذ به عبداً. وكانت تلك سنتهم. ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: السارقين.

وكذلك كان الحكم عندهم: أن يؤخذ بسرقته عبداً [يستخدم على قدر سرقته][2] وكان في قضاء أهل مصر أن يغرم السارق ضعفي ما أخذ، ثم يرسل. فقضوا على أنفسهم بقضاء أرضهم، وهو مما صنع الله ليوسف، فذلك قوله: (كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ) أي: صنعنا ليوسف (مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ المَلِكِ) أي: في قضاء الملك، ملك مصر؛ أي: لو كان القضاء إليه غرمه ضعفي ما أخذ، ثم خلّى سبيله.

قوله: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ ﴾ ففتشها ﴿ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا[3] مِن وِّعَاءِ

(1) زيادة من تفسير مجاهد، ص 318.

(2) زيادة من ز، ورقة 156.

(3) رجع بضمير المؤنث على السقاية، وقال الفراء في معانيه ج 2 ص 52: «ذهب إلى تأنيث السرقة.

أَخِيهِ ﴾. قال الله: ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾. قال الحسن: كاد الله ليوسف ليضمَّ إليه أخاه.

ذكر بعضهم قال: ذكر لنا أن يوسف عليه السلام كان لا ينظر في وعاء من أوعيتهم إلا استغفر الله تائباً[1] مما قذفهم به.

قال الله: ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾ قال بعضهم: أي: ما كان ذلك في قضاء الملك. قال: ﴿ إِلَّآ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾أي: أن يستعبد رجلاً بسرقة.

قال مجاهد: وكان الملك مسلماً. وقال مجاهد: (إِلَّآ أَن يَشَاءَ اللَّهُ)، أي: إلا بعلّة[2] كادها الله له، فاعتلّ بها يوسف.

قوله: ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَاءُ ﴾ قال: بالنبوة. ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ قال: إن الله علا علمه فوق كل علم.

قال الحسن: أجل والله، لفوق كلّ ذي علم عليم، حتى ينتهي العلم إلى الذي جاء منه، وهو الله. وكل شيء فعله يوسف من أمر أخيه، وما صنع من أمر الصُّواع، إنما هو شيء قَبِلَه عن الله.

قوله: ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ يعنون يوسف.

وكان جدُّه، أبو أمه، يعبد الأوثان؛ فقالت له أمه: يا يوسف، اذهب فخذ القفة التي فيها أوثان أبي، ففعل، فجاء بها إلى أمه. فتلك السرقة التي عيّروه بها. قال الحسن: كَذَبوا عليه، ولم يكونوا يوم قالوا هذه المقالة أنبياء، إنما أُعطوا النبوة بعد ذلك. وقال بعضهم: كان الصنم لجده، أبي أمه، وإنما أراد به الخير[3].

(1) كذا في المخطوطات: تائباً وهو الصحيح، وفي تفسير الطبري ج 16 ص 184، «تَأَثُّماً مما قذفهم به» وله وجه.

(2) كذا في المخطوطات، وفي ز ورقة 156 «بِعِلة» وفي تفسير الطبري ج 18 ص 187: «إلا فِعْلَةً».

(3) انظر اختلاف المفسرين في السَّرَقِ الذي اتهم به يوسف، واقرأ قصته مع عمته، ابنة إسحاق في تفسير الطبري، ج 16 ص 196 - 197، وفي زاد المسير لابن الجوزي ج 4 ص 263، فقد أورد ابن الجوزي سبعة أقوال في المقصود من هذه السرقة.

قوله: ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾ أي: هذه الكلمة.

وفي تفسير بعضهم: أسرّ في نفسه هذا القول: (أَنْتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً). وهذا من مقاديم الكلام، أي: في الإضمار.

﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً﴾ ممن قلتم له هذا. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ أي: إنه كذب.

﴿ قَالُوا يَـٰأَيُّهَـا الْعَزِيزُ ﴾ يعنون يوسف، يعنون على الملك[1]. قال الكلبي: إن يوسف كان العزيز بعد العزيز، سيده الذي ملكه. ﴿ إِنَّ لَهُ أَبَاً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ﴾ عبداً، وردَّه على أبيه، فإنه شيخ كبير. ﴿ إِنَّا نَرَيٰـكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ يوسف ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ ﴾ فنستعبد ﴿ إِلَّا مَن وَّجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِنْدَهُ ﴾ أي: على ما قضوا به على أنفسهم حيث (قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُّجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُو جَزَاؤُهُ) يؤخذ عبداً بتلك السرقة. ﴿ إِنَّا إِذاً لَّظَـٰلِمُونَ﴾ [أي: إن أخذنا غير الذي وجدنا متاعنا عنده][2].

قوله: ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ ﴾ أي: يئسوا من أن يرد عليهم أخاهم ﴿ خَلَصُوا نَجِيّاً ﴾ أي: خلصوا وحدهم نجيّاً. جعلوا يتناجون ويتشاورون فيما بينهم في ذلك.

﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ ﴾ وهو روبيل، وهو الذي قال: (لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَاتِ الْجُبِّ). وقال مجاهد: كبيرهم شمعون، وأكبر منه في الميلاد[3] روبيل. ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَد أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقاً مِّنَ اللَّهِ، وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ ﴾

---

(1) كذا في ق وع، «يعنون يوسف، يعنون على الملك». وفي د: «يعنون يوسف عز الملك»، لعل المعنى كان يوسف عزيزاً لدى الملك. أي: يا أيها العزيز على الملك.

(2) زيادة من تفسير الطبري ج 16 ص 203 لإيضاح معنى (إذاً).

(3) كذا في المخطوطات: «وأكبر منه في الميلاد». وهو الصحيح، أي: أكبر منه سناً. فقد جاء في مخطوطة ز، ورقة 157 ما يلي: «وقال السدي: يعني كبيرهم في الرأي والعلم ولم يكن أكبرهم في السن». وبهذا يتضح التصحيف الذي أشرت إليه في هامش 1 ص 258 من هذا الجزء. فليصحح.

قال الحسن: وقد كانوا أعطوا أباهم في يوسف أيضاً عهداً أن يردوه عليه.

﴿ فَلَن أَبْرَحَ الأَرْضَ ﴾ يعني أرض مصر ﴿ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي ﴾ في الرجوع إليه ﴿ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ﴾ بغير الرجوع. وقال بعضهم: أو يحكم الله لي بالموت ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الحَـٰكِمِينَ ﴾.

﴿ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَـٰأَبَانَـا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ﴾ أي: من سرقته ﴿ وَمَا كُنَّا لِلغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ﴾ أي: ما كنا نرى أنه يسرق.

قال: ﴿ وَاسْئَلِ القَرْيَةَ التِي كُنَّا فِيهَا ﴾ أي: أهل القرية ﴿ وَالعِيرَ التِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ أي: أهل العير التي أقبلنا فيها ﴿ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾.

قالوا ذلك له فلم يصدقهم و ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ ﴾ أي: زيّنت لكم أنفسكم ﴿ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾. قال مجاهد: الصبر الجميل: الذي ليس فيه جزع. كان مفزع يعقوب في يوسف وأخيه جميعاً إلى الصبر الجميل الذي لم يخالطه الجزع. وكل صبر فيه جزع فليس بجميل.

قوله: ﴿ عَسى اللَّهُ أن يَـأْتِيَنِـي بِهِمْ جَمِيعاً ﴾ أي: يوسف وأخيه [وروبيل][1] ﴿ إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ ﴾ أي: العليم بخلقه ﴿ الحَكِيمُ ﴾ أي: في أمره.

﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ﴾ أي: وأعرض عنهم ﴿ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ أي: يا حزنا[2] على يوسف ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ ﴾ أي: عمي ﴿ مِنَ الحُزْنِ ﴾ على يوسف. وقد علم بما أعلمه الله بالوحي أن يوسف حي، وأنه نبي، ولكنه لا يعلم حيث هو، فمكث يبكي. ﴿ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ أي: قد كظم على تردد حزنه في جوفه.

(1) زيادة من ز، ورقة 157، فقد بقي روبيل في أرض مصر ولم يرجع مع إخوته إلى أبيهم.

(2) في المخطوطات: «يا جزعاه» وكذلك جاءت الكلمة في تفسير مجاهد، ص 319. ولكني أثبت ما جاء في ز، ورقة 157، لأنه أصح وأحسن تأويلاً، وهو أيضاً لفظ قتادة كما ورد في تفسير الطبري ج 16 ص 216. فإن الجزع يتنافى والصبر الجميل. وقد روى الطبري في تفسيره ج 16 ص 217: «عن سعيد بن جبير قال: «لم يعط أحد غير هذه الأمة الاسترجاع، ألا تسمعون إلى قول يعقوب: يا أسفى على يوسف».

وبلغنا أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء في السجن، فقال له يوسف: أيها الملك الطاهر المطهَّر، الكريم على الله، ما أدخلك هذا المكان الرجس النجس مع القوم الظلمة. قال جبريل: إن المكان الذي تكون فيه ليس بنجس. فقال له يوسف: أيها الملك الكريم على الله، أخبرني ما بلغ وجد يعقوب على يوسف؟ قال: وجد سبعين ثكلى. قال: فما بلغ منه؟ قال: ذهب بصره. قال فما بلغ أجره؟ قال: على قدر ذلك[1].

وذكر بعضهم ان ملك الموت دخل على يعقوب فقال له يعقوب: أيها الملك الكريم على ربه، أسألك بعظمة إلاهك وجبروته هل قبضت روح يوسف فيما قبضت من الأرواح؟ فقال: لا والله ما قبضت روحه وإنه لحي كما أنك حي.

قوله: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ ﴾ وهو قسم ﴿ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ أي: لا تزال تذكر يوسف[2] ﴿ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضاً ﴾ أي: حتى تبلى[3] ﴿ أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ ﴾ أي: أو تموت. وقال مجاهد: (تَفْتَؤُا) أي: لا تفتأ، أي: لا تفتر عن ذكر يوسف أو تكون من الميتين.

﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي ﴾ أي: هَمِّي ﴿ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾. قال الحسن: أي: أعلم أن يوسف حي.

ذكر بعضهم قال: إنه لم ينزل بيعقوب بلاء قط إلا أتى حسن ظنه بالله من ورائه.

(1) كذا في المخطوطات الأربع: «على قدر ذلك. وفي تفسير الطبري، ج 16 ص 288 - 230: «قال أجر مائة شهيد»، وفي رواية: «أجر سبعين شهيداً». وقد أورد الطبري الخبر من طرق كثيرة عن ثابت البناني، وعن عكرمة وعن السدي وغيرهم.

(2) انظر ما قاله الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 54 في تفسير قوله تعالى: (لا تفتؤا) وتعليل حذف «لا»، بشواهده فإنه كلام نفيس في مباحث العربية. وقد نقل ذلك الطبريُّ وفصّله في تفسيره ج 16 ص 220 - 221.

(3) قال الطبري: «وأصل الحرض: الفساد في الجسم والعقل من الحزن أو العشق». وهو ما قاله أبو عبيدة قبله في مجاز القرآن ج 1 ص 316: قال: «والحرَض الذي أذابه الحزن أو العشق وهو في موضع محرض».

قوله: ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ [أي: تَبَحَّثُوا عن خبرهما][1] ﴿ وَلَا تَيْأَيْسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ﴾ أي: من رحمته ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْأَيْسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَـٰفِرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ ﴾ أي: فلما رجعوا إلى مصر، فدخلوا على يوسف وهم لا يعرفونه ﴿ قَالُوا يَـٰأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ ﴾ أي: الحاجة ﴿ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ ﴾ أي: يسيرة، في تفسير بعضهم. وقال الحسن: خفيفة قليلة. وقال مجاهد: قليلة[2]. وقال بعضهم بدراهم ردية، وكانوا لا يأخذون في الطعام إلا الجياد.

قوله: ﴿ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ ﴾ أي: ببضاعتنا ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ أي: بأخينا. ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾[3].

﴿ قَالَ: هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَـٰهِلُونَ ﴾ أي: إن ذلك كان منكم بجهالة، ولم يكونوا حين ألقوه في الجب بأنبياء.

﴿ قَالُوا: أَءِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ﴾ على الاستفهام ﴿ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَـٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ وهذا منهم قَسَم يُقسمون به ﴿ وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ أي: وقد كنا خاطئين. من الخطيئة التي انتهكوها منه ومن أبيهم.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 157، وتبحث، أي: بالغ في البحث والتفتيش والالتماس. ولفظ أبي عبيدة في تفسير (فَتَحَسَّسُوا) أدق تعبيراً. قال في مجاز القرآن ص 317 (فَتَحَسَّسُوا) أي: تخبّروا والتسموا في المظانّ».

(2) في المخطوطات الأربع: «ثقيلة»، ولا معنى للكلمة، وهي خطأ أثبت صوابه من تفسير مجاهد ص 320، ومن كتب التفسير.

(3) هذا وجه من وجوه التأويل نسبه يحيى بن سلام، كما في مخطوطة ز ورقة 157، إلى قتادة، ونسبه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 16 ص 242 إلى ابن جريج، وهو تأويل لم يرتضه الطبري وقال في تأويل قوله: (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا): «يقولون: وتفضل علينا بما بين سعر الجياد والردية فلا تنقصنا من سعر طعامك لردي بضاعتنا».

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ [أي: لا تخليط ولا شغب ولا إفساد ولا معاقبة](1) قد غفرت لكم ذلك. ﴿ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾.

وهكذا يكون العفو الكريم، والصفح الجميل. وفيما يؤثر عن النبي عليه السلام إذ أظهره الله على مكة، وأظفره بها أنه قام على باب الكعبة(2)، فأخذ بعضادتي الباب، وقد اجتمعت قريش أجمعها، فحمد الله وأثنى عليه؛ وصلى على نفسه وعلى الأنبياء، ثم قال: يا معشر قريش، ما تقولون وما تظنون؟ قالوا: نقول خيراً ونظن خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، وقد قدرت، فما تقول؟ قال: أقول كما قال أخي يوسف صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾، وأنتم اذهبوا فأنتم عتقاء الله وطلقاؤه(3).

فأطلقهم رسول الله ﷺ، وعفا عنهم، ولم يثرّب عليهم شيئاً مما فعلوه به، كما فعل يوسف بإخوته إذ قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ أي: أرحم من رحم. دعا لهم.

قوله: ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً ﴾ [أي: يرجع بصيراً](4) وإنما بعث بقميصه إلى أبيه بأمر الله، ولولا أن ذلك عَلِمَه من قِبَل الله، لأنه كان نبياً مرسلاً، لم يكن له بذلك علم أنه يرجع إليه بصره إذا ألقي القميص على وجهه.

قوله: ﴿ وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

---

(1) زيادة من مجاز أبي عبيدة ج 1 ص 318. وقال القرطبي في تفسير 5 ص 257: أي: لا تعيير ولا توبيخ ولا لوم عليكم اليوم».

(2) في المخطوطات: «على باب المسجد» والصواب ما أثبته على باب الكعبة» كما ورد الخبر في كتب السيرة والتاريخ.

(3) أخرجه البيهقي في الدلائل عن أبي هريرة كما ذكره السيوطي في الدر المنثور، ج 4 ص 134. وأقرأ الخبر مفصلاً في سيرة ابن هشام مثلاً، ج 3 ص 411 - 412.

(4) زيادة من ز، ورقة 157. وقال أبو عبيدة: «أي يعد بصيراً، أي يعد مبصراً».

قوله: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ العِيرُ ﴾ أي: خرجت العِيرِ مِن مصر بالقميص وجد يعقوب ريح يوسف فقال: ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾.

قال بعضهم: وجد ريحه حين خرجوا بالقميص من مصر، وهو بأرض كنعان، وبينهما ثمانون فرسخاً.

وقوله: (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) أي: لولا أن تسفِّهون. وقال الحسن: لولا أن تهرِّمون. وهو واحد. يقول: لولا أن تقولوا هرم واختلط عقله فتسفِّهون. وقال مجاهد: لولا أن تقولوا: ذهب عقله.

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ ﴾ وهو قسم يقسمون به ﴿ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ القَدِيمِ ﴾ أي: في حبِّك يوسف، أما تنساه. وبعضهم يقول: في طمع من يوسف.

وبلغنا أن هذا قول أبنائهم، وكان آباؤهم في العير، وأنه كان يقول منذ فقد يوسف إلى أن وجد ريح القميص: ما أنا بيائس منه كلما ذكرت رؤياه.

قوله: ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ البَشِيرُ ﴾ ذكروا أن مجاهداً قال: البشير يهوذا بن يعقوب. ﴿ أَلْقَيٰهُ عَلَىٰ وَجهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَم أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ قال الحسن: يعني من فرج الله ونعمته وعطائه. وكان الله قد أخبره بأن يوسف حيّ، ولم يعلم أين مكانه.

قوله: ﴿ قَالُوا: يَـٰأَبَانَـا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَـٰطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾ أي: أوخر ذلك إلى السحر. ﴿ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾.

قوله: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ قال بعضهم: يعني بأبويه أباه يعقوب وخالته[1]. وقال بعضهم: كانت جدته

(1) ذهب إلى هذا القول كثيرون، منهم السدي كما في تفسير الطبري ج 16 ص 267، والسجستاني في غريب القرآن، ص 4، ولكن الطبري، ذهب إلى أنهما أبوه وأمه اعتماداً على قول ابن إسحاق وعلى لفظ الأبوين واستعماله في اللغة. ولعله لم يطلع على قول الحسن الذي رواه ابن سلام هنا.

أم أمه. وكان الحسن يقول: هي أمه التي ولدته.

قوله: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ والعرش هو السرير ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً ﴾ قال الحسن: خرّوا له بأمر الله، أمرهم بالسجود له لتأويل الرؤيا.

قال بعضهم: كان السجود تحية من كان قبلكم، وأعطى الله هذه الأمة السلام، وهي تحيّة أهل الجنة. وقال بعضهم: كان سجودهم لله تلقاء يوسف.

﴿ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: تحقيق رؤياي من قبل ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً ﴾.

قوله: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ ﴾. وكانوا بأرض كنعان، أهل مواشٍ وبرّيّه ﴿ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَـٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ﴾ أي: لطف بيوسف حتى أخرجه من الجب ومن السجن، وجمع له شمله وأقرّ عينه. ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾.

قوله: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ وقد فسّرناه قبل هذا الموضع[1]. ﴿ فَاطِرَ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: خالق السَّمـٰوٰتِ والأرض ﴿ أَنتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْأَخِرَةِ﴾ أي: لا أتولى في الدنيا والآخرة غيرك. ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّـٰلِحِينَ﴾ أي: بأهل الجنة.

وقال بعضهم: لما جمع الله شمله، وأقر عينيه ذكر الآخرة فاشتاق إليها فتمنى الموت؛ قال: فلم يتمنى نبي قط الموت قبل يوسف عليه السلام[2].

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ مِن أَنْبَاءِ الْغَيْبِ ﴾ أي: من أخبار الغيب، يعني ما قص من قصتهم من أول السورة إلى هذا الموضع. ﴿ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ ﴾ أي: عندهم ﴿ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ أي: بيوسف إذ يلقونه في الجب.

---

(1) انظر ما سلف من هذا الجزء، ص 261. وهو يعني التمكين الذي أعطاه الله وما علّمه من تعبير الرؤيا.

(2) هذا قول ابن عباس رواه الطبري من طرق في تفسيره ج 16 ص 279 - 280، فاقرأه مفصلاً هنالك من رواية قتادة وابن إسحاق. ففيه الموعظة والذكرى لمن اعتبر.

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُومِنِينَ ﴾ قال: ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي: على القرآن ﴿ مِنْ أَجْرٍ ﴾ فيكونون إنما حملهم على تركه الغرم. وقال في آية أخرى: (قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ). [الأنعام: 90] قوله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴾ يذكرون به الجنة والنار.

قوله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن ءَايَةٍ ﴾ أي: وكم من آية ودليل ﴿ فِي السَّمَـٰوٰتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا ﴾ أي: يرونها ﴿ وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ يعني بآيات السماوات الشمس والقمر والنجوم، وبالآيات التي في الأرض ما خلق الله فيها وآثار من أهلك الله من الأمم السالفة. يقول: لا يتعظون بالآيات.

قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ وهي مثل قوله: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [الزخرف: 87]: قال بعضهم: إيمانهم أنك لا تسأل أحداً إلا أنباك أنَّ الله ربُّه، وهو في ذلك مشرك في عبادته.

قوله: ﴿ أَفَأَمِنُوا ﴾ يعني المشركين ﴿ أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَـٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴾ على الاستفهام، أي: غاشية تغشاهم من عذاب الله، وهم آمنون من ذلك غافلون. أي: إنهم ليسوا بآمنين أن يأتيهم ذلك في تفسير الحسن. وقال غيره: (غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ)، أي: عقوبة من عذاب الله، ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي تبغتهم فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: وهم غافلون. يعني الذين تقوم عليهم الساعة بالعذاب.

قوله: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِيَ ﴾ أي: طريقي، وهو الهدى ﴿ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [أي: على يقين][1] ﴿ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ أي: أنا على الهدى ومن اتبعني على بصيرة، أي: على الهدى الذي أتانا من ربنا ﴿ وَسُبْحَـٰنَ اللَّهِ ﴾ أمره أن ينزّه الله عما قال المشركون. ﴿ وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرَكِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِم مِّن أَهْلِ الْقُرَىٰ ﴾. قال الحسن: لم يبعث الله نبياً من أهل البادية، ولا من النساء، ولا من الجن. قال: لأن

(1) زيادة من ز، ورقة 158.

أهل القرى كانوا أعلم وأحلم من أهل العمود[1].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: فضيلة أهل المدائن على أهل القرى كفضيلة الرجال على النساء، وفضيلة أهل القرى على أهل العمود كفضيلة الرجال على النساء، وأهل الكفور كأهل القبور. فقيل: ما الكفور؟ قال: البيت بعد البيت[2].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: ما من ثلاثة يكونون في قرية أو بدو ولا يجمعون للصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان. وإنما يأخذ الذيب من الغنم القاصية[3].

ذكروا عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ: الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأتي الشاذة والقاصية والناحية. عليكم بالمساجد والجماعة والعامة، وإياكم والشعاب[4].

ذكروا أن معاذ بن جبل كان على بعض أهل الشام فجاءه ناس من أهل البادية فقالوا: قد شقّت علينا الإقامة، فلو بدأت بنا، فقال لعمري، لا أبدأ بكم قبل الحاضرة، أهل العبادة وأهل المساجد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليهم تنزل السكينة، وإليهم يأتي الخبر[5]، وبهم يبدأ يوم القيامة. قال والخبر أي الوحي[6].

---

(1) أهل العمود، وأهل العماد، هم أهل الأخبية الذين يعيشون في البادية. نسبوا إلى العمود، وهو الخشبة التي تنصب وسط الخباء، ويقوم عليها البيت وإليها يُسند. فكأن أعمدة الخيام تلازمهم في حلّهم وترحالهم فأضيفوا إليها.

(2) لم أجد فيما بين يدي من مصادر الحديث هذا الحديث. وقد نسب ابن منظور في اللسان: (كفر) جملة من هذا الحديث، وهي قوله: أهل الكفور كأهل القبور، إلى معاوية. والكَفْر في اللغة هي القرية عند أهل الشام ومصر. انظر المعرب للجواليقي، ص 334. ولعل يحيى بن سلام ذكر سند هذا الحديث.

(3) أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه أبـو داود في كتاب الصلاة، باب في التشديدفي ترك الجماعة، (رقم 547) وأخرجه النسائي في كتاب الإمامة، باب التشديد في الجماعة.

(4) أخرجه أحمد في مسنده.

(5) في المخطوطات: «وإليهم يأتي الخير»، ورجحت أن يكون في الكلمة تصحيف صوابه، «الخبر» أي خبر السماء، وهو الوحي، وإن كان الوحي خيراً أيضاً بل هو كل الخير.

(6) هذه أحاديث وأخبار قيّمة لم يوردها ابن أبي زمنين في مختصره لتفسير ابن سلام، وهي لعمري =

قوله: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ يقول: قد ساروا في الأرض فرأوا آثار الذين أهلكهم الله من الأمم السالفة حين كذبوا رسلهم. كان عاقبتهم أن دمر الله عليهم فصيّرهم إلى النار. يقول: أفلم يسيروا في الأرض فيحذروا أن ينزل بهم ما نزل بالقرون من قبلهم. ﴿ وَلَدَارُ الأَخِرَةِ﴾ هي دار المؤمنين في الآخرة ﴿ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ أي: خير لهم من الدنيا ﴿ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ ﴾ أي: يئس الرسل ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا ﴾.

ذكروا عن سعيد بن جبير أنه قال: حتى إذا استيئس الرجل من قومهم أن يؤمنوا وظن قومهم أن الرسل قد كَذَبوا.

وقال مجاهد: استيئس الرسل أن يُعذِّب قومُهم. قال: [ظَنَّ قومهم أن الرسل قد كَذَبوهم][1] وهذا تفسير من قرأها بالتخفيف: كذَبوا. ومثل ذلك في هذه الآية الأخرى في سورة الأنبياء: (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً يُوحَىٰ إِلَيْهِم فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُم لَا تَعْلَمُونَ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَاكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا المُسْرِفِينَ) [الأنبياء: 7 - 9].

قوله: (كُذَبُوا) [أي[2]: ما] وعدوا. كان الرسل وعدوا أن ينزل على قومهم العذاب إن لم يؤمنوا، فظن القوم أن الرسل كذبوا بما وعدوا به، أي: من مجيء العذاب.

وكان الحسن يقرأها بالتثقيل: (كُذِّبوا) وتفسيرها حتى إذا استيئس الرسل من

= من كنوز السنّة وأخبار الصحابة الكرام رضي الله عنهم. فليتنا نبسط فيها القول تعليقاً وشرحاً، حتى نستفيد منها ونفيد، فنقدم لأجيالنا الصالحة المؤمنة نماذج من الخلق القويم والسيرة الحميدة. وقد حفظها لنا الشيخ هود الهواري ورواها كلها ولو كان نقله إياها بأسانيدها، كما جاءت في تفسير ابن سلام، لكان صنيعه أحسن وعمله أتمّ.

(1) زيادة من تفسير مجاهد، ص 322.

(2) في المخطوطات «كذبوا، وعدوا» كذا، وزدت ما بين المعقوفين ليصح المعنى.

أن يجيبهم قومهم بشيء قد علموه من قِبَل الله، (وظَنُّوا) أي: وظن الرسل، أي: وعلموا أنهم قد كذِّبُوا التكذيب الذي لا يؤمن القوم بعده أبداً، استفتحوا على قومهم بالدعاء عليهم، أي: حين أذن الله بالدعـاء عليهم، فدعَوا عليهم، فاستجاب الله فأهلكهم[1].

وقوله: (جَاءَهُمْ نَصْرُنَا) أي: عذابنـا ﴿ فَنُنْجِي مَن نَّشَاءُ ﴾ أي: النبي والمؤمنين ﴿ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا ﴾ أي: عذابنا ﴿ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: عن القوم المشركين.

قوله: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ ﴾ يعني قصص يوسف وإخوته ﴿ عِبْرَةٌ لِأولي الألْبَـبِ﴾ أي: لذوي العقول يعتبرون بها، وهم المؤمنون.

قوله: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ ﴾ أي: ما كان يفتريه محمد، أي: لقول المشركين (إنْ هَـٰذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَيْهُ) [الفرقان: 4 أي: كذب افتراه؛ يعنون محمداً ﷺ وعلى جميع الأنبياء. قال الله: (مَا كَانَ) يعني القرآن (حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ) أي: يُفْتَعَل ويُتَقَوَّل ﴿ وَلَـٰكِنْ تَصْدِيقَ الذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي: من التوراة والإنجيل. وفيها تصديق بالقرآن وإيمان به وبمحمد عليه السلام. ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي: من الحلال والحرام والأحكام والوعد والوعيد ﴿ وَهُدًى ﴾ يهتدون به إلى الجنة ﴿ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤمِنُونَ ﴾ أي: يصدّقون.

---

(1) اقرأ سؤال عروة بن الزبير خالته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن قوله تعالى في هذه الآية، وكيف فسّرت الآية على قراءة من قرأ بالتثقيل: (كُذِّبُوا) في كتاب التفسير من سورة يوسف، باب (حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ) اقرأ ذلك في فتح الباري ج 8. ص 367 - 370. وانظر مختلف قراءات هذا اللفظ: «كذبوا» ومعانيها في تفسير الطبري ج 16 ص 296 - 311.

تفسير سورة الرعد،
وهي مدنية[1]

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ آلْمَر ﴾ قد فسّرنا نحوها قبل هذا الموضع. قوله: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ ﴾ أي: القرآن. وبعضهم يقول: التوراة والإنجيل. ﴿ وَالذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الحَقُّ ﴾ أي: القرآن ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُومِنُونَ ﴾. وقد فسّرناه في غير هذا الموضع.

قوله: ﴿ اللَّهُ الذِي رَفَعَ السَّمَٰوٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ فيها تقديم في تفسير الحسن. يقول: الذي رفع السماوات ترونها بغير عمد. وقال الكلبي أيضاً: إن رفعها بغير عمد. وقال ابن عباس: لها عمد ولكن لا ترونها.

قوله: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾. وهو مثل قوله: (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ) [سور طَهَ: 5]. قال: ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: القيامة وقال بعضهم: يجري مجرًى لا يَعْدُوه.

قوله: ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ ﴾ أي: [يقضي القضاء][2] في خلقه فيما يخلق ويحيي

---

(1) في ق وع وز: «وهي مكية كلها» إلا آية واحدة، وهي قوله: ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة... الآية، وأثبت ما جاء في ج ود؛ وفيهما: «وهي مدنية كلها إلا آية واحدة..» لأنه موافق لما في مصاحف ورش. واختلاف السلف في كون السورة مكية أو مدنية اختلاف قديم يرجع إلى عهد الصحابة والتابعين.

(2) زيادة من ز، ورقة 159.

ويميت ويرزق ويفعل ﴿ يُفَصِّلُ الأيَـٰتِ ﴾ أي: يبيّنها ﴿ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ أي: تصدّقون بالبعث. يقول: (لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ)، أي: إذا سمعتم ما في القرآن.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي مَدَّ الأَرْضَ ﴾ أي: بسطها. وبسطها ودحاها واحد.

وفي تفسير الحسن: إن بدء خلق الأرض كان في موضع بيت المقدس. قال الله لها انبسطي أنت كذا، وانبسطي أنت كذا، وانبسطي أنت كذا. وفي تفسير عطاء إن الأرض دحيت دحوا[1] من تحت الكعبة. وقال مجاهد: كان البيت قبل الأرض بألفي سنة[2] ومدّت الأرض من تحته. وقال بعضهم: من مكة دحيت الأرض.

قوله: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ ﴾ يعني الجبال ﴿وَأَنْهَـٰراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَـٰرَٰتِ﴾ قال بعضهم: أهبط الله من الجنة ثلاثين ثمرة؛ عشرة يؤكل داخلها ولا يؤكل خارجها، وعشرة يؤكل خارجها ولا يؤكل داخلها، وعشرة يؤكل داخلها وخارجها.

قوله: ﴿ جَعَلَ فِيهَا ﴾ أي: خلق ﴿ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي: من كل لونين[3] اثنين من كل ما خلق الله من النبات. والواحد زوج.

قوله: ﴿ يُغْشِي الَّيْـلَ النَّهَارَ ﴾ أي: يُلبس الليل النهار. وقال الحسن: فيذهبه. وهو كقوله: (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ) [الزمر: 5] يعني أحدهما يذهب الآخر. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لأيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ وهم المؤمنون.

قوله: ﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ﴾. قال مجـاهد: هي الأرض العَذِيَة[1] الطيّبة تكون مجاورة أرضاً سَبِخة مالحة. وقال بعضهم: قرى متجاورات قريب بعضها من بعض.

(1) في المخطوطات: «دحيت دحاً ودحى». ولم أجد فيما بين يدي من مصادر اللغة هذا المصدر، فأثبت التصحيح «دحوا» من اللسان ومن كتب اللغة. يقال: دحوت الشيء أدحوه دحوا، ودحوته أدحاه، دحياً، والأول أفصح.

(2) كذا في ق وع: «ألفي سنة»، وفي ع ود: «ألف سنة» والله أعلم بحقيقة ذلك.

(3)» العذِيَة، والعذاة: الأرض ذات التربة الطيبة، البعيدة من البحور والسباخ، لا وخامة فيهـا ولا وباء. وانظر اللسان (عذا).

قال: ﴿ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ ذكروا أن البراء بن عازب قال: إذا كان أصل النخلات واحداً فهو صنوان، وغير صنوان إذا كانت النخلات مفترقات.

قوله: ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ ﴾ قال مجاهد: بماء السماء. وقال بعضهم: وكل ماء عذب فهو من السماء. قال الله: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فسلكه يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ) [الزمر: 21] والينابيع العيون تنبع.

ذكروا أن ابن مسعود رحمه الله قال: كل النخل قد نبت من مستنقع الماء الأول إلا العجوة[1] فإنها من الجنة.

قوله: ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ ﴾ قال مجاهد: أي: بعضها أطيب من بعض. [وقال: هذا مثل لبني آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد][2] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ أي: فيعلمون أن الذي صنع هذا قادر على أن يحيي الموتى.

قوله: ﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُم ﴾ أي: إن تعجب يا محمد من تكذيبهم إياك فعَجَب لتكذيبهم بالبعث حين قالوا: ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَاباً أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾. وهذا على الاستفهام. أي: إنا لا نبعث، وهذا استفهام على إنكار، أي: قولهم ذلك عَجَبٌ.

قال الله: ﴿ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَـٰئِكَ الأَغْلَـٰلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾.

قوله: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ ﴾ أي: بالعذاب. وذلك قولهم: (اللَّـٰهُمَّ إِنْ

(1) العجوة نوع من أجود تمور المدينة، وقيل هي مما غرسه الرسول ﷺ بيده ونخلتها تسمى اللِّينة.

(2) زيادة من تفسير مجاهد، ص 329.

(3) كذا في المخطوطات الأربع، وفي ز، ورقة 159: أي صنفين، وجاء فيها: «قال محمد: قيل إنه يعني نوعين حلواً وحامضاً، والزوج عند أهل اللغة: الواحد الذي له قرين».

كَانَ هَـٰذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [الأنفال: 32]، وقولهم: (رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الحِسَابِ) [سورة صٓ: 16] وذلك منهم تكذيب واستهزاء.

قال الله: (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ ﴾. والحسنة ما هم فيه من الرخاء والعافية، أي: أرادوا تعجيل العذاب. ﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ المَثُلَاتُ ﴾ قال بعضهم: يعني وقائع الله في الأمم السالفة. وقال مجاهد: المَثُلٰتُ﴾ الأمثال، وهذا مثل القول الأول[1].

قال: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ أي: إذا تابوا إليه. ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ العِقَابِ ﴾ أي: إذا داموا على شركهم.

قوله: ﴿ وَيَقُولُ الذِينَ كَفَرُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِهِ ﴾ هذا قول مشركي العرب. وقال الحسن: ولست من أن تأتيهم بآية في شيء.

﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ أي: داعٍ يدعو إلى الله، يعني النبيين. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إنما أنا منذر والله هو الهادي[2]. وقال بعضهم: (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)، أي: نبي.

قوله: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ ﴾ أي: من ذكر أو أنثى. ﴿ وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾. ذكروا عن الحسن قال: الغيضوضة[3] أن تلد المرأة في تسعة أشهر، وما تزداد: أن تلد لأكثر من تسعة أشهر.

---

(1) وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 323: «المَثُلات واحدتها مَثُلَة، ومجازها مجاز الأمثال».

(2) أخرجه الطبراني في الكبير بلفظ: إنما أنا مبلغ والله يهدي، عن معاوية.

(3) كذا وردت هذه الكلمة الغيضوضة، وهي كلمة رواها المؤلف عن الحسن وعكرمة ومجاهد، وهي من مصادر الفعل: غاض غيضاً ومغيضاً ومغاضاً وغيضوضة، ولم ترد هذه الكلمة في معاجم اللغة وقد رواها الطبري مرّة واحدة في تفسير هذه الآية عن الحسن في ج 16 ص 364، وقال محقق التفسير الشيخ محمود محمد شاكر: «وهذا المصدر» حقيق أن يثبت في كتب اللغة لأنه من كلام الحسن البصري، وناهيك به فصيحاً وحجة في اللغة».

قال عكرمة: الغيضوضة في الحمل: لا تغيض يوماً في حملها إلا ازدادته في طهورها. وقال مجاهد: الغيضوضة: إراقة المرأة تحبس الولد. (وَمَا تَزْدَادُ) أي: وإذا لم تهرق المرأة تمّ الولد وعظم. والغيضوضة: النقصان.

وفي تفسير بعضهم: السقط الذي تسقط الأرحام من غير تمام، وإذا ولدته لتمام فهو الزيادة فوق السقط إلى التمام كقوله: (مُخَلَّقَةٍ) أي: التمام، (وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ) [الحج: 5] أي: السقط.

قوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ أي: بقدر.

قوله: ﴿عَـٰلِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ﴾ الغيب السرّ، والشهادة العلانية. ﴿الكَبِيرُ المُتَعَالِ﴾ أي: المتعالي عما قال المشركون.

قوله: ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُم مَّنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾. قال بعضهم: فيها تقديم[1]. يقول: من أسر القول ومن جهر به ذلك عند الله سواء، سره وعلانيته.

﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِالَّيْلِ﴾ أي: يعمل الذنوب والمعاصي سرّاً بالليل ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ أي: وظاهر بالنهار.

وقال الكلبي: (مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ): يعمل الذنوب والمعاصي سراً بالليل، (وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ): أي: خارج بالنهار ومُعَالِنٌ لتلك الذنوب بالنهار، يقول: الليل والنهار والسر والعلانية عنده سواء.

قوله: ﴿لَهُ مُعَقِّبَـٰتٌ﴾ أي: لهذا المستخفي وهذا السارب معقبات[2] ﴿مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنَ أَمْرِ اللَّهِ﴾ فيها تقديم: أي: له معقبات من بين يديه ومن خلفه، من أمر الله ملائكة يحفظونه.

---

(1) يريد تقديم الخبر على المبتدإ، وانظر معاني القرآن للفراء ج 2 ص 59 - 60.

(2) هذا هو القول الصحيح الراجح في رجوع الضمير إلى أقرب مذكور، وانظر قولاً آخر لابن زيد رواه الطبري في تفسيره ج 16 ص 379 - 382 في قصة عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة، وقد رد الطبري هذا القول ولم يرتضه.

قال مجاهد: الملائكة من أمر الله بالليل والنهار. وإنهم يجتمعون عند صلاة الصبح وعند صلاة المغرب. وبعضهم يقول: يحفظونه من أمر الله، أي: بأمر الله. وقال بعضهم: هم ملائكة الله يتعاقبونكم.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فيجتمعون عند صلاة الصبح وعند صلاة العصر فيسألهم ربهم، وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلّون وتركناهم وهم يصلّون[1].

ذكر مجاهد قال: ما من آدمي إلا ومعه ملكان يحفظانه في ليله ونهاره، ونومه ويقظته، من الجن والإنس والدواب والسباع والهوام، وأحسبه قال: والطير، كلما أراده شيء قالا: إليك حتى يأتي القدر.

وقال بعض أصحاب النبي عليه السلام: ما من آدمي إلا ومعه ملكان: ملك يكتب عمله، وملك يقيه ما لم يقدر له.

وقال الحسن: إن الملائكة المعقبات الذين يتعاقبون بالليل والنهار أربعة أملاك: ملكان بالليل وملكان بالنهار.

ذكر بعضهم أن في مصحف أبي بن كعب: له معقّبات من بين يديه، ورقيب من خلفه.

وتفسير الكلبي (يَحْفَظُونَهُ) أي: يحفظون عمله؛ كقوله: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِراماً كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) [الانفطار: 10 - 12]، وهم يتعاقبون، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، يتعاقبون ببني آدم ويحفظون أعمالهم.

قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾. وقال في الآية

(1) حديث صحيح أخرجه الربيع بن حبيب من طريق جابر بن زيد عن أبي هريرة وأوله: «يتعاقب فيكم»... وأخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب فضل صلاة العصر، انظر فتح الباري ج 2 ص 33 - 37. وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (رقم 632).

الأخرى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) [سورة إبراهيم: 28]، وذلك أن الله، إذا بعث إلى قوم رسولاً فكذبوه، أهلكهم. كقوله: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) وهم أهل مكة (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ العَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) [النحل: 112 - 113]. وذلك العذاب هو الجوع الذي كان أصابهم، ثم عذّبوا بعد ذلك بالسيف يوم بدر.

قال: ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً ﴾ يعني عذاباً[1] ﴿ فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّنْ دُونِهِ مِن وَّالٍ ﴾ يمنعهم من عذاب الله.

قوله: ﴿ هُوَ الذِي يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً ﴾ يخاف أذاه [ومعرته][2] والنصب فيه، وطمعاً للمقيم يرجو منفعته وبركته ويطمع في رزق الله.

وبعضهم يقول: خوفاً من البَرَد أن يهلك الزرع، وطمعاً في المطر أن يُنتَفَع به في الزرع[3]. وتفسير الحسن: خوفاً: يخيف به عباده لما فيه من الخوف والصواعق، وطمعاً يرجون به المطر. وقال: والبرق ضوء خلقه الله عَلَماً للمطر.

قوله: ﴿ وَيُنْشِىءُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ قال مجاهد: هي التي فيها الماء. وهو مثل قوله: (حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً) [الأعراف: 57].

قوله: ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ أي: والملائكة أيضاً يسبّحون بحمده من خيفته.

---

(1) في المخطوطات: «يعني استئصالهم» وأثبت ما في ز، ورقة 160 لأنه أنسب وأعم. قال أبو عبيدة في مجاز القرآن: «(وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً) مضموم الأول، ومجازه هلكة، وكل جذام وبرص وعمى، وكل بلاء عظيم فهو سُوء مضموم الأول، وإذا فتحت فهو مصدر سؤت القوم. . . ».

(2) زيادة من ز، ورقة 160.

(3) كذا في ق وع: «أن ينتفع به في الزرع» وهو أنسب، وفي ج ود: «ينتفع به في الرزق».

قال بعضهم: والرعد ملك يزجر السحاب بالتسبيح. وكان بعض الصحابة إذا سمع الرعد قال: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته.

وقال الكلبي: هو ملك اسمه الرعد، والصوت الذي يسمع هو تسبيحه، يؤلف به السحاب بعضَه إلى بعض، ثم يسوقه حيث أمر. وبعضهم يقول: كما يسوق الحادي الإبل.

ذكروا عن عبد الله بن عمر قال: ليس شيء أشد سياقاً من السحاب. ذكروا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: البرق مخاريق الملائكة.

ذكروا عن ابن عباس أنه كتب إلى أبي الجلد يسأله عن البرق، فكتب إليه أن البرق ماء[1].

وقال بعضهم: إن البرق لمحة يلمحها الملك إلى الأرض، وهو الملك الذي يزجر السحاب.

وذكر بعضهم قال: من سمع الرعد فقال: سبحان ربي وبحمده لم تصبه صاعقة.

قوله: ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَّشَاءُ ﴾. ذكروا عن الحسن أن الملك يزجر السحاب بسوط من نار، وربما انقطع السوط، وهو الصاعقة[2].

---

(1) هو أبو الجَلْد جيلان بن فروة الأسدي البصري. قال عنه ابن أبي حاتم: صاحب كتب التوراة ونحوها. وثقه ابن سعد، وابن حبان. وقد روى الطبري بسندٍ هذا الخبر في تفسيره، ج 1 ص 340. وفيه أن ابن عباس كتب إليه يسأله عن الرعد فأجابه أبو الجلد فقال: الرعد مَلَك. وبنفس السند روى الطبري في ج 16 ص 387 هذا الخبر: «كتب ابن عباس إلى أبي الجلد يسأله عن البرق، فقال: البرق، الماء».

(2) لا أساس لهذه الأقوال كلها من كتاب أو سنة صحيحة، وهي وأمثالها من الإسرائيليات التي شُحِنَت بها كتب التفسير الأولى، ونقلها الرواة بدون تمحيص. فنحن نؤمن بأن الرعد يسبّح مصداقاً لقوله تعالى في هذه الآية، وفي الأخرى في قوله: ﴿ وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: 44]، ولكن لا نصدّق أبداً أن الرعد اسم ملك، أو أن =

قوله: ﴿ وَهُمْ يُجَـٰدِلُونَ فِي اللَّهِ ﴾ أي: المشركون يجادلون نبي الله، أي: يخاصمونه في عبادتهم الأوثانَ دون الله ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ المِحَالِ ﴾.

ذكروا أن رجلًا أنكر القرآن[1] وكَذَّب بالنبي عليه السلام، فأرسل الله عليه صاعقة فأهلكته، فأنزل الله: (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَّشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ المِحَالِ).

قال بعضهم: المِحال: القوة والحيلة. وقال مجاهد: شديد القوى. وقال الحسن: شديد النقمة. وقال الكلبي: شديد الجدال.

قوله: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ ﴾ أي: لا إلـٰه إلا الله، هي دعوة الحق. قال: ﴿ وَالذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ﴾ أي: الأوثان ﴿ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى المَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ﴾ وهو مثل الذي يعبد الأوثان إذا رجا الحياة في عبادته[2] كالذي يرفع بيده الإناء الذي فيه الماء يرجو به الحياة فمات قبل أن يصل إلى فيه.

وقال بعضهم: كباسط كفَّيه إلى الماء يدعو الإناء الذي فيه الماء ليأتيه فمات قبل أن يأتيه الإناء. يقول: فكذلك المشركون حيث رجوا منفعة آلهتهم ضلَّت عنهم فهلكوا.

= البرق مخاريق الملائكة، أو أنه لمحة ملك يزجر السحاب. وهذا قبل أن يأتي العلم الحديث فيفنِّد كل هذه الأقوال الخرافية. ومن العجيب أن يكتب هذا بعضُ المفسرين وينسبون أمثال هذه الأباطيل إلى الصحابة، ويروون هذه الأساطير وهم يتلون قوله تعالى من سورة النور: 43: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) فاللهم إنا نعوذ بك من الجهل ومن العجز والكسل، ووفقنا يا رب إلى التفكير في آياتك المجلوّة في الأكوان، وإلى تدبّرَ آياتك المتلوّة في القرآن، وألهمنا الرشاد في أمرنا، والسداد في قولنا، والصلاح في عملنا، وهب لنا من لدنك إيماناً ينير بصائرنا، ويعصمنا من الزلل. آمين.

(1) هو عامر بن الطفيل حسبما ذكره الواحدي في أسباب النزول ص 275 - 276 وما رواه المفسرون: الطبري وابن كثير والقرطبي والسيوطي في تفسير الآية.

(2) كذا في المخطوطات الأربع: «إذا رجا الحياة في عبادته»، وفي ز 160: «إذا رجا الخير في عبادتها».

قال: ﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَـٰفِرِينَ﴾ أي: آلهتهم ﴿ إِلَّا فِي ضَلَـٰلٍ ﴾.

وقال مجاهد: يدعو الماء بلسانه، ويشير إليه بيده ولا يأتيه أبداً.

ذكر بعضهم قال: هذا مثل ضربه الله؛ إن هذا الوثن الذي يدعو من دون الله، إنه لا يستجيب له بشيء، أي: لا يسوق له خيراً، ولا يدفع عنه شراً حتى يأتيه الموت، كمثل هذا الذي يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه، ولا يصل ذلك إليه حتى يموت عطشاً.

قوله: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلَـٰلُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾. أي: العشي.

قال الحسن: ولله يسجد من في السماوات، ثم انقطع الكلام. ثم قال: والأرض، أي: ومن في الأرض، طوعاً وكرهاً [أي: طائعاً وكارهاً][1]. ثم قال[2]: لا يجعل الله من دخل في الإسلام طوعاً كمن دخله كرهاً[3].

وفي تفسير الكلبي: يسجد أهل السماوات طوعاً، ومن ولد في الإسلام، والذي يسجد كرهاً من جبر[4] على الإسلام.

وقال مجاهد: سجود المؤمن طائعاً، وسجود ظل الكافر كارهاً. يقول: يسجد ظله والكافر كاره. وقال الحسن: (وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ) يعني سجود ظل الكافر. يعني أنه يسجد له بالغدو والأصال. أما ظله فيسجد له، وأما هو فلا يسجد. وتفسير الكلبي: إذا سجد الرجل سجد ظله معه.

(1) زيادة من ز، ورقة 160.

(2) كذا في المخطوطات الأربع، ثم قال، أي: الحسن، وفي ز، ورقة 160: «قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: والله لا يجعل الله من دخل في الإسلام طوعاً كمن دخله كرهاً.

(3) لم أجده حديثاً مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ فيما بين يدي من مصادر الحديث. ولعل ناسخ مخطوطة ز وهم فجعله من مراسيل الحسن.

(4) كذا في المخطوطات الأربع: جبر، والثلاثي صحيح، وأفصح منه: أجبر. انظر اللسان: (جبر).

قوله: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ هو مثل قوله: (قُل مَن رَبُّ السَّمٰواتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُل أَفَلاَ تَتَّقُونَ) [المؤمنون: 86 - 87] قال الله: فإذا أقروا بذلك أي: أنه الله فـ ﴿ قُلْ أَفَاتَّخَذتُّم مِّنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ وهو على الاستفهام. ﴿ لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً ﴾ ولا تغني عنهم أوثانهم التي يعبدون من دون الله. وهذا استفهام على معرفة. أي: قد فعلتم.

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالبَصِيرُ ﴾ وهذا مثل الكافر والمؤمن؛ الكافر أعمى عن الهدى، والمؤمن أبصر الإيمان. ﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَـٰتُ وَالنُّورُ ﴾ على الاستفهام، أي: إن ذلك لا يستوي.

﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَـٰبَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ ﴾ يقول: هل يدّعون أن تلك الأوثان خلقت مع الله شيئاً، فلم يدروا أي الخالقين يعبدون؟ هل رأوا ذلك؟ وهل يستطيعون أن يحتجوا به على الله يوم القيامة؟ أي: إنهم لا يدّعون ذلك، وإنهم يعرفون أن الله خالق كل شيء، فكيف يعبدون هذه الأوثان من دون الله. وهذا تفسير الحسن.

ثم قال الله: ﴿ قُلِ اللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الوَٰحِـدُ القَهَّـٰرُ ﴾.

وقال مجاهد: (أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ) فحملهم ذلك على أن شكّوا في الأوثان، فاتخذوهم آلهة.

قوله: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَت أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ الكبير بقدره، والصغير بقدره ﴿ فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً ﴾ أي: عالياً، يعني الزبد الذي قد ربا فوق الماء.

﴿ وَمِمَّا تُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ﴾ هذه ثلاثة أمثال في مثل واحد ضربها الله للمؤمن والكافر.

فأما قوله: (وَمِمَّا تُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ) فإنه يعني الذهب والفضة إذا أذيبا، فعلا خبثهما، وهو الزبد، فخلص خالصهما تحت ذلك الزبد. (أَوْ مَتَاعٍ) أي: وابتغاء متاع، ما يستمتع به، زبد مثله، أي: مثل زبد الماء. والذي يوقد عليه

ابتغاء متاع هو الحديد والنحاس والرصاص إذا صُفِّيَ ذلك أيضاً فخلص خالصه وعلا خبثه، وهو زبده[1].

قال الله: ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الحَقَّ وَالبَاطِلَ ﴾.

قال: ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ ﴾ زبد الماء وزبد الحلي وزبد الحديد والنحاس والرصاص ﴿ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ﴾ أي: باطلاً لا ينتفع به، وهذا مثل عمل الكافر لا ينتفع به في الآخرة ﴿ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: فينتفع بالماء، فينبت عليه الزرع والمرعى، فينتفع به. وينتفع بذلك الحلي والمتاع الخالص من الصفر والحديد والرصاص. فهذا عمل المؤمن يبقى ثوابه في الآخرة.

قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ ﴾. ثم فسّر تلك الأمثال فقال:

﴿ لِلذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ ﴾ أي: آمنوا بربهم ﴿ الحُسْنَىٰ ﴾ أي: الجنة. ﴿ وَالذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ ﴾ أي: الكفار ﴿ لَوَ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: يقال للكافر يوم القيامة: لو أن لك ملء الأرض ذهباً أكنت مفتدياً به؟ فيقول: نعم. فيقال له: كذبت. قد سئلت ما هو أهون من ذلك[2].

قال: ﴿ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الحِسَابِ ﴾ أي: لافتدوا به من سوء الحساب؛ يؤخذون بسيئاتهم، وتحبط حسناتهم؛ أي: قد استوفوها في الدنيا، فلهم سوء الحساب في الآخرة. وسوء الحساب شدته. وحسابهم أن يصيروا إلى النار.

---

(1) في تفصيل هذه الأمثال وردت بعض الأخطاء في المخطوطات أثبت صحتها من ز، ورقة 161. ففي بعضها وردت كلمة الصفر، بدل كلمة الحديد، وفي بعضها فخلص وخلص خالصه.

(2) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً (رقم 2805) كلاهما يرويه من حديث أنس بن مالك.

﴿ وَمَأْوَيٰهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ أي: ومنزلهم جهنم ﴿ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ أي: وبئس الفراش. والمهاد والفراش والقرار واحد. مثل قوله: (جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً) [البقرة: 22] ومهاداً وبساطاً وقراراً.

قوله: ﴿ أَفَمن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ ﴾ أي: القرآن الحق، ﴿ كَمَنْ هُوَ أَعْمىٰ ﴾ أي: عنه. يعني به الكافر، وهو على الاستفهام. يقول: فهل يستوي هذا المؤمن وهذا الكافر؟ أي: إنهما لا يستويان. ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَٰبِ ﴾ أي: أولو العقول، وهم المؤمنون.

﴿ الذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ المِيثَٰقَ ﴾ أي: الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم حيث قال: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ) [الأعراف: 172]. يقول: أوفوا بذلك الميثاق، يعني المؤمنين الذين آمنوا بمحمد عليه السلام.

وقال بعضهم: هو ميثاق الله الذي أخذه على جميع المؤمنين إذ كلّفهم طاعته، فـ (قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) [البقرة: 285]. وهذا الميثاق لكل من وجب عليه التكليف من البالغين الأصحاء.

قوله: ﴿ وَالذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ﴾. ذكروا عن ابن عباس أنه قال: الذي أمر الله به أن يوصل هو أن يؤمن بالنبيين كلّهم لا يفرق بين أحد منهم. وقال بعضهم: ما أمر الله به أن يوصل من القرابة.

قوله: ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ ﴾. ذكروا عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن قول الله: (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً) [الانشقاق: 8] فقال: ذٰلِك العرض، ولكن من نوقش الحساب عذب[1].

قال: ﴿ وَالذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ ﴾، أي: الصلوات الخمس، وحافظوا على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها.

(1) حديث صحيح متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب. وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب. (رقم 2876).

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها يراه حقاً لله عليه حرُم على النار[1].

قوله: ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ ﴾ يعني الزكاة المفروضة في تفسير الحسن. ﴿ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً ﴾. يستحب أن تعطى الزكاة علانية والتطوع سراً. قال ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ يقول: يعفون عن السيئة إذا أسيء إليهم، ولا يكافؤونَ صاحبها. فالعفو عنهم حسنة.

﴿ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ أي: دار الآخرة. والعقبى الثواب، وهو الجنة.

ذكروا أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي جاراً يسيء مجاورتي، أفأفعل به كما يفعل بي؟ قال لا، إن اليد العليا خير من اليد السفلى[2].

قوله: ﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ وقد فسّرناه قبل هذا الموضع. ﴿ وَمَنْ صَلَحَ مِنَ ءَابَائِهِمْ﴾ أي: من آمن وعمل صالحاً من آبائهم ﴿ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ﴾. وقال في آية أخرى: (وَالذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَاتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَاتِهِمْ) [الطور: 21] أي: إن الله يرفع إلى المؤمن ولده في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل لتقرَّ بهم عينُه.

ذكروا أن رسول الله ﷺ سئل عن المرأة يكون لها الزوجان في الدنيا. امرأة أيهما تكون في الجنة؟ قال: امرأة الآخر[3].

قال: ﴿ وَالْمَلَـٰئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّنْ كُلِّ بَابٍ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾.

---

(1) انظر ما سلف، ج 1 ص 120.

(2) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما بألفاظ مختلفة وزيادات، عن ابن عمر، وعن حكيم بن حزام، وعن أبي هريرة. ولم أجد سبب ورود الحديث كما ذكر هنا في غير هذا التفسير. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى (رقم 1033 - 1034 - 1035).

(3) أخرجه الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء ولفظه: أيما امرأة توفي عنها زوجها، فتزوجت بعده، فهي لآخر أزواجها.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: إذا أثاب الله أهل الجنة بالجنة انطُلِق بالرجل منهم إلى سرادق من لؤلؤ في خمسين ألف فرسخ، فيه قبة حمراء من ياقوتة، ولها ألف باب، وله فيها سبعمائة امرأة، فيتكىء على أحد شقيه، فينظر إليها كذا وكذا سنة، ثم يتكىء على الشق الآخر، فينظر إليها مثل ذلك. ثم يدخل عليه من كل باب ألف ملك من ألف باب، معهم الهدية من ربهم، فيقولون له: السلام عليك من ربك، فيوضع ذلك فيقول: ما أحسن هذا! فيقول الملك للشجر حوله: إن ربكن يأمركن أن تقطعن له كل ما اشتهى عن مثل هذا. قال: وذلك كل جمعة، وهو المزيد.

قوله: ﴿ وَالذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَـٰقِهِ﴾ أي: ينقضون الميثاق الذي وثقوه على أنفسهم لله، إذ أقروا بالسمع والطاعة. قال: ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ﴾. وقد فسّرناه قبل هذا[1]. ﴿ أُولَـٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ أي: الدار الآخرة. وسوءها النار، يعني منازلهم في النار.

قوله: ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ أي: يوسّع عليه ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي: ويقتّر عليه الرزق[2] ﴿ وَفَرِحُوا بِالحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ يعني المشركين ﴿ وَمَا الحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ﴾ أي: ذاهب زائل يستمتع به ثم يذهب. وإن الآخرة باقية.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر[3].

قوله: ﴿ وَيَقُولُ الذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا ﴾ أي: هلا ﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّـهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾ أي: إلى الله فأخلص له. وقال بعضهم: أي: من تاب.

---

(1) انظر ما سلف ج 1 ص 91 في تفسير الآية: 27 من سورة البقرة.

(2) قال الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 62: «وقيل يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر له في ذلك، أي: يخيّر له. قال ابن عباس: إن الله خلق الخلق وهو بهم عالم، فجعل الغنى لبعضهم صلاحاً، والفقر لبعضهم صلاحاً فذلك الخيار للفريقين».

(3) انظر تخريجه فيما سلف، ج 1 ص 522.

قوله: ﴿الذِينَ ءامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تسكن قلوبهم ﴿ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ قال الحسن: بوعد الله الذي وعدهم من الجنة[1].

قال: ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أي: بوعد الله ﴿ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ كقوله: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي) [الفجر: 27 - 30]. وقال بعضهم: (وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ) أي: هشّت قلوبهم إلى ذكر الله فاستأنست به.

قوله: ﴿ الذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ ﴾ ذكروا عن ابن عباس أنه قال: طوبى شَجرة في الجنة. وقال بعضهم: طوبى: الجنة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: طوبى شجرة في الجنة لو سار الراكب المجِدّ في ظلها مائة عام ما خرج من ظلها[2].

[وقال بعضهم][3]: ولو أن غراباً طار من أصلها لم يبلغ فرعها حتى يبيض شيباً. ولو أن أمة من الأمم كانت تحت ورقة من ورقها لأظلتهم.

ذكروا عن بعضهم قال: إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى، يسير في ظلها الراكب مائة عام لا يقطعها، زهرها رياط، وورقها برود، وبطحاؤها الياقوت، وكثبانها عنبر، وترابها كافور، من أصلها تنبع أنهار الجنة: الماء والخمر والعسل واللبن. وهي مجلس من مجالس أهل الجنة ومُحَدَّثهم[4].

(1) هذا وجه من وجوه التأويل اقتصر عليه المؤلف هنا. وفي تفسير الذكر أقوال منها: ذكر الله في التسبيح والتهليل والتكبير وفي كل عبادة، ومنها الذكر بمعنى القرآن لأنه من أسمائه. وقد أورد ابن سلام ستة عشر وجهاً للذكر في كتابه التصاريف.

(2) أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه الطبري بسند يرفعه إلى رسول الله ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري في تفسيره ج 16 ص 443 ولفظه: طوبى شجرة في الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها.

(3) زيادة لا بد منها، لأن ما بعدها ليس تكملة للحديث السابق.

(4) روى هذا الخبر ابن جرير الطبري في تفسيره ج 16 ص 439 - 441 عن وهب بن منبه، ونقله عنه ابن كثير في تفسيره ج 4، ص 91 - 92 ووصف هذا الخبر بأنه غريب عجيب.

وقال بعضهم: طوبى شجرة في الجنة، أصلها في دار محمد ﷺ، وليس في الجنة دار ولا غرفة إلا وغصن منها في تلك الدار.

قوله: ﴿ وَحُسْنُ مَئابٍ ﴾ أي: وحسن مرجع. أي: صاروا إلى الجنة ونعيمها مثل قوله: (وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ) [آل عمران:]. وقال مجاهد: وحسن مآب، أي: الجنة.

قوله: ﴿ كَذٰلِكَ أَرْسَلْنَـٰكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ ﴾ يقول: كذلك أرسلناك في أمة كما أرسلنا في الأمم التي قد خلت من قبل هذه الأمم. قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: أنتم توافون سبعين أمة أنتم خيرها وآخرها وأكرمها على الله[1].

قوله: ﴿ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ أي: القرآن ﴿ وَهُمْ يَكْفُـرُونَ بِـالرَّحْمٰنِ ﴾؛ كانوا يقولون: أما الله فنعرفه، وأما الرحمـٰن فلا نعرفه. قال الله: (قُلِ ادْعُوا اللَّهِ أَوِ ادْعُوا الـرَّحْمٰنَ أَيًّامًا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ) [الإسراء: 110]. وقال: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِـلرَّحْمٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا) [الفرقان: 60]. هذا في تفسير الحسن.

وقال بعضهم: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ زمان الحديبية حين صالح قريشاً كتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله. فقال مشركو العرب: إن كنت رسول الله ثم قاتلناك لقد ظلمناك، ولكن اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله. فقال أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله، دعنا نقاتلهم. قال: لا، ولكن اكتبوا ما يريدون. إنّي لمحمد بن عبد الله [وإني لرسول الله][2]. فكتب الكاتب: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ) فقالت قريش: أما الرحمـٰن فلا نعرفه. وكان أهل الجاهلية يكتبون: باسمك اللهم؛ فقال أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله، دعنا نقاتلهم.

(1) انظر تخريجه فيما سلف، ج 1 ص 306.

(2) انظر كتب السيرة في فصل صلح الحديبية. وانظر صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، من حديث المسور بن مخرمة ومروان وفيه: «وإني لرسول الله وإن كذبتموني».

قال: لا، ولكن اكتبوا كما يريدون، فأنزل الله (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ)(1).

﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾. قال الحسن: يعني التوبة.

قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءاناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَىٰ ﴾.

وذلك أن رهطاً من قريش قالوا: يا محمد، إن كنت كما تزعم فسيِّر لنا هذه الجبال من مكة، فإنها ضيِّقة. قال لا أطيق ذلك. قالوا: فسخّر لنا الريح لنركبها إلى الشام فنقضي عليها مَيْرنا(2) وحاجتنا حتى نرجع من يومنا إن كنت رسول الله، فإنها قد سخّرت لسليمان بن داود، ولست بأهون على الله من سليمان بن داود. قال: لا أستطيع. قالوا فابعث لنا بعض من قد مات منا فنسألهم أحق ما تقول أم باطل، فإن عيسى قد كان يحيي الموتى ـ كما زعمت ـ لقومه، ولست بأهون على الله منه إن كنت رسوله. قال: لا أستطيع ذلك، فأنزل الله: (وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَىٰ) يقول لو أنا فعلنا ذلك بقرآن غير قرآنك فعلنا بالقرآن الذي أنزلناه إليك.

وقال الحسن: قالوا إن أرضنا أرض ضَيِّقة، فادع لنا ربك بقرآنك هذا حتى تسير عنا جبال تهامة حتى نزرع فيها، وتفجر لنا أنهاراً وعيوناً فإنا أصحاب آبار، وأَحْيِ لنا أمواتنا حتى يشهدوا أنك رسول الله فنؤمن بك. وهو قوله: (وَقَالُوا لَن نُّومِنَ لَكَ حَتَّىٰ تُفَجِّرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ. . .) إلى آخر الآيات. [الإسراء: 90 - 93] فقال الله: لو أن بلاغة قرآن بلغت عند الله ما يسيِّر به الجبال أو يفجّر به الأنهار أو يحيي الموتى لبلغت بلاغة هذا القرآن بمنزلته وكرامته عند الله.

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 16 ص 445 عن قتادة مرسلاً.

(2) انظر ما سلف قريباً في هذا الجزء ص 276، تعليق: 3.

قال الله: ﴿ بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً ﴾.

وقال مجاهد: سألت قريش النبي عليه السلام أن يفسح لهم جبال مكة، ويقطع لهم الأرض بينهم وبين الشام، ويحيي لهم موتاهم، فقال الله لمحمد: لو فعلنا هذا بنبي قبلك فعلناه بك.

وذكر بعضهم قال: ذكر لنا أن قريشاً قالت لنبي الله: إن سرك أن نتبعك فسيّر لنا جبال تهامة، وزد لنا في حرمنا حتى نتخذ قطائع نحترث فيها، وأحي لنا فلاناً وفلاناً، لأناس ماتوا في الجاهلية، فأنزل الله هذه الآية. يقول: لو فعلنا هذا بقرآن غير قرآنكم فعلناه بقرآنكم.

قوله: ﴿ أَفَلَمْ يَاْيْئَسِ الذِينَ ءَامَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً ﴾. وهو على الاستفهام، أي: قد تبيَّن للذين آمنوا. وقال في آية أخرى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ بربهم جَمِيعاً).

قوال بعضهم: (أَفَلَمْ يَايْئَسِ الذِينَ ءَامَنُوا) يقول: ألم يعرف الذين آمنوا ويتبيّن لهم (أن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً)[1].

قوله: ﴿ وَلَا يَزَالُ الذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ ﴾ وهي السرايا، سرايا رسول الله عليه السلام، يصيبهم الله منها بعذاب، يعني المشركين. ﴿ أَوْ تَحُلُّ ﴾ أنت يا محمد[2] ﴿ قَرِيباً مِّنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ﴾ [يعني فتح مكة في تفسير مجاهد وقتادة [3] ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾.

---

(1) هذا المعنى أورده أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 332 حيث قال: «(أفلم يايئس)؛ مجازه: ألم يعلم ويتبيّن. قال سحيم بن وثيل اليربوعي:

أَقُولُ لَهُم بِالشِّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونَنِي   أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّي ابْنُ فَارِسِ زَهْدَمِ

(2) هذا قول نسب إلى ابن عباس وإلى مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم، حسبما رواه الطبري في تفسيره ج 16 ص 457 - 458، وهنالك قول آخر نسب إلى الحسن يذهب إلى أن الضمير في (تَحلّ) راجع إلى القارعة، أي: أو تحل القارعة. ولكل وجه من التأويل صحيح. وقد روى السيوطي في الدر المنثور ج 4 ص 64 قولاً يؤيد به القول الأول ويفصله؛ روى عن مجاهد أنه قال: (أَوْ تَحلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ) قال: الحديبية.

(3) زيادة من ز، ورقة 162 ومن كتب التفسير.

قوله: ﴿ وَلَقَدُ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: لم آخذهم عند استهزائهم بأنبيائهم، ولكن أمليت لهم، أي: أخرتهم حتى بلغ الوقت. ﴿ ثُمّ أَخذتُهُمْ فكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾. على الاستفهام. أي: كان شديداً. وكان الحسن إذا أتى على هذا قال: كان والله شديداً.

قوله: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾. قال بعضهم: ذلكم الله. وهذا على الاستفهام. قال الحسن: هو الله القائم على كل نفس بما عملت حتى يجزيها به.

قال: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ يقول هل يستوي الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت هو وهذه الأوثان التي عبدوها؟ قال: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ) [قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ وقال في آية أخرى: (إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ) [النجم: 23] أي: من حجة أنها آلهة.

قال: ﴿ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ ﴾ على الاستفهام. يقول: قد نبّأتموه بما لا يعلم في الأرض، أي: لا يعلم أن في الأرض آلهة معه، أي: أنه يعلم أنه ليس معه إلـه في الأرض ولا في السماء. ﴿ أَمْ بِظَاهِرٍ مِّنَ القَوْلِ ﴾ قال مجاهد: أو بظن من القول. وقال بعضهم: الظاهر من القول الباطل. وقال الكلبي: (أَمْ بِظَاهِرٍ مِّنَ القَوْلِ) أي: الزور من القول، وهو واحد.

﴿ بَلْ زُيِّنَ لِلذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ ﴾ أي: شركهم. قال مجاهد: قولهم، وهو الشرك. ﴿ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ﴾ أي: سبيل الهدى.

قال: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ يهديه ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ يعني مشركي العرب، بالسيف يوم بدر، ولآخر كفار هذه الأمة بالساعة، يعني النفخة الأولى. ﴿ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ ﴾ من عذاب الدنيا ﴿ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴾ أي: يقيهم عذابه.

قوله: ﴿ مَثَلُ الجَنَّةِ ﴾ أي: صفة الجنة ﴿ التِي وُعِدَ المُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ﴾.

ذكروا أن أنهار الجنة تجري في غير خدود: الماء واللبن والعسل والخمر، فهو أبيض كله، فطينة النهر مسك، ورضراضه الدرّ والياقوت، وحافاته قباب اللؤلؤ المجوّف.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: بينا أنا في الجنة، يعني ليلة أسري به، إذا أنا بنهر، حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فضربت بيدي إلى مجرى الماء، فإذا مسك أذفر، فقلت ما هذا يا جبريل؟ فقال: هذا الكوثر الذي أعطاك الله(1).

قوله: ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ ﴾ أي: ثمرها لا ينفد ﴿ وَظِلُّهَا ﴾ أي: دائم.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن أهل الجنة ليتناولون من قطوفها وهم متكئون على فرشهم؛ فما تصل إلى في أحدهم حتى يبدّل الله مكانها أخرى(1).

ذكروا عن ابن مسعود قال: نخل الجنة نضيد ما بين أصلها إلى فرعها. وتمرها كالقلال. كلما نزعت تمرة عادت تمرة. وأنهارها تجري في غير خدود، العنقود منها إثنا عشر ذراعاً منضود من أعلاه إلى أسفله، ليس في شيء منه عجم، أحلى من العسل، وأشد بياضاً من الثلج واللبن، وألين من الزبد. كلما نزع منه شيء أعاده الله كما كان.

ذكروا أن رسول الله ﷺ حدث عن ليلة أسري به فكان في حديثه: ... ثم أعطيت الكوثر فسلكته حتى انفجر بي في الجنة، فإذا الرمّانة من رمّانها مثل جلد البعير المقتّب.

قوله: ﴿تِلْكَ عُقْبَى الذِينَ اتَّقَوْا ﴾ يعني الجنة. ﴿ وَّعُقْبَى الكَـٰفِرِينَ النَّارُ ﴾.

---

(1) حديث صحيح، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض؛ عن أنس بن مالك، والأذفر هنا الريح الطيبة الذكية. وقيل الأذفر هو الخالص الذي لا خلط له.

(2) لم أجده بهذا اللفظ عينه فيما بين يدي من المصادر، وقد روي عن البراء بن عازب قال: إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياماً وقعوداً ومضطجعين. والحديث موقوف وإسناده حسن من رواية البيهقي.

قوله: ﴿ وَالذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ الكِتَـٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ قال بعضهم: يعني من آمن منهم. وقال بعضهم: هؤلاء أصحاب النبي عليه السلام فرحوا بكتاب الله. ﴿ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنْكِرُ بَعْضَهُ ﴾ الأحزاب ها هنا اليهود والنصارى ينكرون بعض القرآن، ويُقرّون ببعضه، أي: بما وافقهم.

﴿ قُل إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنَ اعْبُدَ اللَّهَ وَلاَ أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَثَابِ﴾ أي: وإليه مرجعي.

قوله: ﴿ وَكَـذٰلِكَ أَنْـزَلْنَـٰهُ حُكْمـاً عَرَبِيّـاً ﴾ يعني القرآن[1] ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ أي: أهواء المشركين حتى لا تبلغ عن الله الرسالة ﴿ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ ﴾ قال: ﴿ مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ ﴾ أي: يتولى دفع العذاب عنك ﴿ وَلاَ وَاقٍ ﴾أي: يقيك عذابه إن فعلت، ولست فاعلاً.

قوله: ﴿ وَلَقَدَ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوٰجـاً وَذُرِّيَّةً ﴾. نزلت حين قال اليهود: لو كان محمد رسولاً لكان له همّ غيرُ النساء والتماس الولد.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَّأْتِيَ بِئَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: إلا بأمر الله. قال مجاهد: قالت قريش لما نزلت: يا محمد، ما نراك تملك من الأمر شيئاً، ولقد فرغ من الأمر، فأنزل الله هذه الآية تخويفاً ووعيداً لهم.

قال: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ قوله: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ تفسير مجاهد: يمحو الله ما يشاء ويثبت في كل ليلة القدر إلا الشقاء والسعادة. وذكر بعضهم فقال: هي مثل قوله: (مَا نَنْسَخْ مِن آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا) [البقرة: 106].

وتفسير الحسن أن آجال العباد عند الله؛ في الكتاب أجل فلان كـذا وكذا، وأجل فلان كذا وكذا فيمحو الله من ذلك الكتاب ما يشاء، أي: يمحو منه من انقضى

(1) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 334: «(حُكْماً عَرَبِيّاً) أي: ديناً عربياً أنزل على رجل عربي. وقال الطبري في تفسيره ج 16 ص 475: «وجعل ذلك عربياً ووصفه به، لأنه أنزل على محمد ﷺ وهو عربي، فنسب الدين إليه، إذ كان عليه أنزل».

أجله، ويثبت من لم يجىء أجله، فيدعه مثبتاً في الكتاب حتى ينقضي أجله، فيمحي من ذلك الكتاب.

وبعضهم يقول: قال الله: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ). [سورة قٓ: 18] أي: يكتب ما يقول، فإذا كان كل يوم اثنين وخميس مُحِيَ منه ما لم يكن خيراً أو شـراً، وأثبت ما سوى ذلك من خيرأوشر.

ذكروا أن عمر بن الخطاب كان يطوف بالبيت ويقول: اللّهم إن كنت كتبت علي ذنباً أو إثماً أو ضغناً فامحه عني، فإنك قلت: (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ).

قوله: ﴿ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَـٰبِ﴾ ذكروا أن كعباً قال لعمر بن الخطاب: لولا هذه الآية لحدثتك بما هو كائن إلى يوم القيامة: (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾. وأم الكتاب: اللوح المحفوظ.

ذكروا عن كعب أنه قال: إن أقرب الملائكة إلى الله إسرافيل، وله أربعة أجنحة: جناح بالمشرق، وجناح بالمغرب، وقد تسرول بالثالث، والرابع بينه وبين اللوح المحفوظ. فإذا أراد الله أمراً أن يوحيه جاء الله حتى يصفق جبهة إسرافيل فيرفع رأسه فينظر، فإذا الأمر مكتوب؛ فينـادي جبريل فيلبيه فيقول: أمرت بكذا، أمرت بكذا. فلا يهبط جبريل من سماء إلى سماء إلا فزع أهلها مخافة الساعة، حتى يقول جبريل: الحقّ من عند الحقّ فيهبط على النبي. فيوحي إليه. [وتفسير أم الكتاب جملة الكتاب وأصله][1].

قوله: ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الذِي نَعِدُهُم أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ في تفسير الحسن أن الله أخبر محمداً ﷺ أن له في أمته نقمة، ولم يخبره أفي حياته تكون أم بعد موته. قال: (وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) وفيها إضمار. وإضمارها: (فَإِنَّا مِنْهُم مُّنْتَقِمُونَ). وهي مثل الآية الأخرى: (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنْتَقِمُونَ أَوْ نُرِيَنَّكَ الذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ) [الزخرف: 41 - 42].

(1) زيادة من ز، ورقة 163.

ذكروا عن الحسن في تفسير هذه الآية أنه قال: كانت نقمته شديدة؛ أكرم الله نبيّه أن يريه ما كان في أمته من النقمة بعده.

قوله: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ ﴾ أي: إنما عليك أن تبلغهم، (لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ)، أي: أن تكرههم على الإيمان، كقوله: (أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤمِنِينَ) [يونس: 99].

قوله: ﴿ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ أي: يوم القيامة. ثم أمر بقتالهم على الإيمان. ولا يستطيع أن يكرههم على الإيمان. إنما يقاتلهم عليه. وإنما يؤمن من شاء الله أن يؤمن.

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾. ذكروا عن عكرمة أنه قال: ينقصها من أطرافها بالموت. وقال بعضهم: موت الناس. وقال مجاهد: موت أهلها؛ وهو واحد.

وذكر ابن عباس قال: موت فقهائها وعلمائها[1].

وقال الحسن: ننقصها من أطرافها بالفتوح على النبي عليه السلام؛ ألا تراه يقول في الآية الأخرى: (أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ) [الأنبياء: 44] أي: أنهم ليسوا بالغالبين، ولكن رسول الله وأصحابه هم الغالبون.

وتفسير الكلبي: ننقصها من أطرافها بالقتل والسبي، موافقاً لقول الحسن.

وذكر الحسن أن الله يبعث ناراً قبل يوم القيامة تطرد الناس إلى الشام، تنزل معهم إذا نزلوا، وترتحل معهم إذا ارتحلوا، تطردهم إلى الشام، ثم تقوم عليهم الساعة بالشام.

ذكر بعضهم قال: ما ينقص من الأرضين يزداد في الشام، وما ينقص من الشام يزداد في فلسطين.

(1) وقال عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 334: «مجازه: ننقص من في الأرض ومن في نواحيها من العلماء والعباد».

قوله: ﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ أي: لا راد لحكمه ﴿ وَهُوَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ إذا أراد الله أن يعذّب قوماً كان عذابه إياهم أسرع من الطرف، يعني الذين كذبوا رسله. يخوف بذلك المشركين.

قوله: ﴿ وَقَدْ مَكَرَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي: من قبل مشركي هذه الأمة، فكان مكرهم في تباب، أي: في خسار.

قال الله: ﴿ فَلِلَّهِ المَكْرُ جَمِيعاً ﴾ فمَكَر بهم؛ أهلكهم أحسن ما كانوا في دنياهم حالاً وأعزّه. وقال في آية أخرى: (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِي إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ. ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الحَسَنَةَ) أي: مكان الشدة الرخاء (حَتَّى عَفَوا) أي: حتى كثروا (وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ) أي: قد أتى على آبائنا مثل هذا فلم يكن شيء. قال الله: (فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً) أي: فجأة (وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ) [الأعراف: 94 - 95].

قوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ أي: ما تعمل كل نفس ﴿ وَسَيَعْلَمُ الكُفَّرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ أي: لمن الجنة.

قوله: ﴿ وَيَقُولُ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: يقولون لمحمد ﴿ لَسْتَ مُرْسَلاً ﴾ أي: لستَ برسول الله. ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَٰبِ ﴾ أي: إني مرسل.

وهو كقوله: (الذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) [سورة البقرة: 146] أي: يعرفون أن محمداً رسول الله؛ بل معرفتهم لمحمد أنه رسول الله، لِمَا جاءتهم به أنبياؤهم وما يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، أثبتُ؛ لأن أبناءهم لا يدرون ما أحدثت نساؤهم فيهم؛ ومحمد لا يشكّون أنه رسول الله، بما جاءتهم به أنبياؤهم من عند الله، وبما وجدوا في كتبهم التي أنزلها الله عليهم.

ذكروا عن عبد الله بن سلام قال: فيّ نزلت هذه الآية: (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ).

قال الحسن: هو الله. وقال بعضهم: علم الكتاب أي: أصل الكتاب وجِماعه.

وبعضهم يقرأ هذا الحرف: (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الكِتَابِ) يقول: من عند الله علم الكتاب[1].

وقال بعضهم: (وَيَقُولُ الذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً) يعني مشركي العرب. (قُلْ) يا محمد (كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ) قال: قد كان من أهل الكتاب قوم يهدون بالحق ويعرفونه؛ منهم عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وكعب.

(1) انظر معاني الفراء، ج 2 ص 68. وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلق، كما جاء في التعليق.

تفسير سورة إبراهيم عليه السلام، وهي مكية كلها(1)

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾. قوله: ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أَنْزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ﴾ يعني من أراد الله أن يهديه ﴿مِنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: من الضلالة إلى الهدى. ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾أي: بأمر ربهم ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطِ الْعَزِيزِ ﴾ أي: إلى طريق العزيز ﴿ الْحَمِيدِ ﴾ وهو الإسلام، طريق إلى الجنة.

وتفسير العزيز، أي: العزيز في نقمته. والحميد المستحمد إلى خلقه؛ استوجب عليهم أن يحمدوه. بلغنا ان عبد الله بن مسعود أو ابن عمر قال: ترك النبي ﷺ طرف الصراط عندنا وطرفه في الجنة.

﴿ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ أي: في الآخرة. ﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ﴾ أي: يختارون ﴿الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ﴾ أي: لا يقرون بالآخرة ﴿ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً ﴾ أي: يبغون السبيل أي: الطريق، عوجاً، أي: الشرك(2) ﴿ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴾.

---

(1) في نسختي ج ود زيادة هي هذه: وهي مكية كلها «إلا آيتين: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً. . .) إلى آخر الآيتين».

(2) في المخطوطات: «ويبغون السبيل الطريق الأعوج أي: الشرك». وأثبت ما جاء في ز، ورقة 163. لأنه أدق تعبيراً وأقرب إلى سياق الآية.

قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ [قال بعضهم: بلغة قومه][1]. [لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ أي: بعد البيان ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أي: العزيز في نقمته الحكيم في أمره.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ قال الحسن: بديننا. وقال مجاهد: بالبيان[2]. ﴿ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ أي: من الضلالة إلى الهدى ﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾ أي: بنعم الله في تفسير الحَسن ومجاهد. قال الحسن: التي أنعم الله عليهم بها إذ نجاهم من آل فرعون، وأنزل عليهم المنّ والسلوى، وما أنعم عليهم به.

وقال الكلبي: (وذكِّرهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ): النعيم والبلاء؛ يذكّرهم ما أنعم الله عليهم، ويذكرهم البلاء، كيف أهلك قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب. يقول: ذكرهم هذا وهذا. وقد قال في آية أخرى: (قُل لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) [الجاثية: 14] أي: أيام الآخرة، وهم المشركون، ثم أمر بقتالهم بعدُ. قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ والشكور هو المؤمن.

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ ثم أخبر بتلك النعمة فقال: ﴿ إِذْ أَنْجَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ أي: يذيقونكم شدّة العذاب ﴿ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ أي: فلا يقتلونهن ﴿ وَفِي ذَٰلِكُمْ ﴾ أي: فيما نجاكم منهم ﴿ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ أي: نعمة من ربكم عظيمة[3]. وقال

(1) زيادة من ز، ورقة 163. والقول لقتادة.

(2) كذا في المخطوطات: «بالبيان». وفي تفسير مجاهد، ص 333: «بالبينات». وفي تفسيرالطبري ج 16 ص 518: «عن مجاهد: التسع الآيات: الطوفان وما معه.

(3) هذا وجه من وجهي التأويل، وقد أورد الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 69 الوجهين معاً فقال موضحاً وموجزاً: «يقول: فيما كان يصنع بكم فرعون من أصناف العذاب بلاء عظيم، من البلية. ويقال: في ذلكم نِعَم من ربكم عظيمة إذ أنجاكم منها. والبلاء قد يكون إنعماً وعذاباً ألا ترى أنك تقول: إن فلاناً لحسن البلاء عندك، تريد الإنعام عليك».

في آية أخرى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ) أي: بغى في الأرض (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً) [القصص: 4] أي: فرقاً؛ يقتل طائفة، ويستحيي طائفة، ويستعبد طائفة، فهو الذي كان يسومهم سوء العذاب.

قوله: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ﴾ قال بعضهم: وإذ قال ربكم. وقال الحسن: (تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ) يقول: أعلمكم ربكم ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ ﴾ أي: آمنتم ﴿ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ أي: في النعم ﴿ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ أي: الآخرة.

وهو كقوله: (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً﴾ [سورة هود: 52]. وكقوله: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ) أي: إذا لأعطتهم السماء مطرها والأرض نباتها. (وَلَـٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَٰهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [الأعراف: 96] أي يعملون، يخوّفهم ما أهلك به الأمم السالفة.

قوله: ﴿ أَلَمْ يَاتِكُمْ نَبَؤُا الذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ أي: خبر الذين من قبلكم ﴿ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ أي: كيف أهلكهم. وقوله: (والذِينَ مِن بَعْدِهِمْ) كقوله: (وَقُرُوناً بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيراً وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيراً) [الفرقان: 38 - 39] أي: دمرنا تدميراً.

قوله: ﴿ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوٰهِهِمْ﴾ أي: جعلوا أيديهم في أفواههم، أي: في أفواه الأنبياء، تكذيباً لهم بما جاءوا به من عند الله. وقال بعضهم: (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) أي: بأفواههم [أي: بألسنتهم][1] فكذبوهم. وقال بعضهم: (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) أي: عضّوا أناملهم، أي: غيظاً عليهم؛ مثل قوله في المنافقين: (وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ) [آل عمران: 119].

(1) زيادة من معاني الفراء للإيضاح. وانظر مختلف وجوه تأويل هذه العبارة في معاني القرآن للفراء، ج 2 ص 69 - 70 فقد بيّنها بتفصيل.

﴿ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾.

قوله: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ ﴾ أي: قالت لهم رسلهم ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: خالق السماوات والأرض أنه لا إلـه غيره. وهو على الاستفهام. أي: إنه ليس فيه شك أنه خالق السماوات والأرض وأنه لا إلـه غيره. فأنتم تقرون أنه خالق السموات والأرض فكيف تعبدون غيره؟.

قوله: ﴿ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ أي: إن آمنتم. ﴿ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: إلى آجالهم بغير عذاب إن آمنوا، فلا يكون موتهم بالعذاب.

﴿ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ أي: لا يوحى إليكم ﴿ تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا ﴾ يعنون الأوثان ﴿ فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بحجة بينة.

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ أي: بالنبوة فيوحي إليه. ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ ﴾ أي: بحجة ﴿ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أي: إلا بأمر الله ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُومِنُونَ ﴾.

﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ﴾ أي: سبل الهدى ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا ءَاذَيْتُمُونَا ﴾ يعنون قولهم للأنبياء: إنكم سحرة، وإنكم كاذبون.

قال الله: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ ﴾ أي: الذين أرسلوا إليهم ﴿ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّٰلِمِينَ ﴾ وهذا حيث أذن الله للرسل فدعوا عليهم فاستجاب لهم.

﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ أي: من بعد إهلاكهم. قال [بعضهم][1] وعدهم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة.

﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾. والمقام في تفسير الحسن المقام

(1) زيادة يقتضيها سياق الكلام

بين يدي الله للحساب. وفي تفسير مجاهد: من خاف الله أنه قائم عليه بعمله. قال: . مثل قوله: (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) [الرعد: 33]

قوله: ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا ﴾ يعني الرسل كلهم في تفسير مجاهد؛ دعوا على قومهم فاستجاب لهم.

وفي تفسير الكلبي: لما دعا عليهم الرسل قال قومهم: اللهم إن كان رسلنا صادقين فيما يقولون فأهلكنا، وإن كانوا كاذبين فأهلكهم.

قال بعضهم: استنصرت الرسل على قومها حين استيقنوا أنهم لا يؤمنون.

قال الله: ﴿ وَخَابَ ﴾ أي: وخسر ﴿ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ وهو المشرك. قال مجاهد: معاند للحق مجتنبه.

قوله: ﴿ مِن وَرَائِهِ ﴾ أي: من بعد هذا العذاب الذي كان في الدنيا(1) ﴿ جَهَنَّمُ ﴾ أي عذاب جهنم. ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴾ والصديد غسالة أهل النار، أي: ما يسيل من جلودهم من القيح والدم. وقال بعضهم: هو ما يسيل من بين جلده ولحمه.

﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ أي: من كراهيته له؛ وهو يسيغه، لا بد له منه، فتتقطع أمعاؤه. ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾ وهي النار لشدة ما هم فيه، ولكن الله عزّ وجلّ قضى عليهم ألا يموتوا. هذا تفسير الحسن. وبعضهم يقول: حيات وعقارب تنهشه من كل ناحية. ﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ كقوله: (فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُم إِلَّا عَذَاباً). [النبأ: 56].

ذكروا أن رجلاً من أصحاب النبي عليه السلام قال: لما ذكر الله النار قلت: ابن

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 1 ص 337: «(من ورائه جهنم) مجازه: قدامه وأمامه، يقال: إن الموت من ورائك، أي: قدامك. وقال:

أَتُوعِدُنِي وَرَاءَ بَنِي رِيَاحٍ كَذبتَ لَتَقْصُرَنَّ يَدَاكَ دُونِي

أي: قدام بني رياح وأمامهم.

آدم ضعيف، فإنما تكفيه لذعة من النار حتى يقضي[1]. ثم أنزل الله: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا العَذَابَ﴾ و ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾ [سورة طه: 74] فقلت: الآن حين أخذ الله نقمته من أعدائه.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: غلظ جلد الكافر سبعون ذراعاً، وضرسه مثل أُحُد، وفخذه مسيرة يومين، وزاد فيه بعضهم عن ابن مسعود: وإني لأظنه يشغل من جهنم مثل ما بيني وبين المدينة. وبلغنا عن بعضهم قال: أهل النار يعظمون لها ولولا ذلك لألهبتهم كما تلهب الذبّان.

قوله: ﴿ مَثَلُ الذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ يعني شدة الريح ﴿ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ﴾ أي: مما عملوا من خير على شيء في الآخرة، أي: قد جوزوا به في الدنيا، مثل الرماد الذي اشتدت به الرياح في يوم عاصف فأطارته، فلم يقدر منه على شيء، فكذلك أعمال الكفار. قال: ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَـٰلُ البَعِيدُ ﴾ أي: من الهدى.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ أي: يصير الأمر إلى البعث والحساب والجنة والنار. كقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَٰلِكَ ظَنُّ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: ألا بعث ولا حساب، ولا جنة ولا نار. ﴿ فَوَيْلٌ لِّلذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [سورة صٓ: 27].

قوله: ﴿ إِن يَّشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ أي: يهلككم بعذاب فيستأصلكم ﴿ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ أي: آخرين. ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [أي: لا يشق عليه][2].

قوله: ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ ﴾ وهم السفلة والأتباع ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ وهم الرؤساء والكبار والدعاة إلى الكفر ﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً ﴾ أي:

(1) في المخطوطات: «تكفيه لديغة من النار حتى تطفي» وهو خطأ، وفيه تصحيف صوابه ما أثبت، «لذعة... حتى يقضي» أي: حتى يهلك ويموت.

(2) زيادة من ز، ورقة 164.

بدعائكم إيانا إلى الشرك. ﴿ فَهَلْ أَنْتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَيـٰنَا اللَّهُ لَهَدَيْنَـٰكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ أي: من مهرب ولا من معدل من عذاب الله.

وقال بعضهم: إنهم يقولون إذا اشتد عليهم العذاب وجزعوا تعالوا نصبر، فيصبرون فلا ينفعهم شيئاً، فيقولون: (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ) أي: من منجاة.

﴿ وقال الشَّيْطَـٰنُ﴾ يعني إبليس ﴿ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ ﴾ أي: لما حكم وفصل بين العباد، وقضي بينهم بالقسط، فأبان الله أهل الجنة من أهل النار، قام إبليس خطيباً بإذن الله، وبئس الخطيب، يريد الله بذلك توبيخ أهل النار، فيسمع الخلق كلهم فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ ﴾ أي: وعدكم الجنة على التّمسك بدينه، والحفظ لحدوده ﴿ وَوَعَدتُّكُمْ ﴾ أنا ﴿ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّنْ سُلْطَـٰنٍ﴾ أستكرهكم به ﴿ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ ﴾ أي: بالوسوسة ﴿ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ﴾ أي: ما أنا بمغيثكم من عذاب الله ﴿ وَمَـا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ﴾ أي: بمغيثي من عذاب الله[1] ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: في الدنيا أي: عصيت الله قبلكم.

وقال بعضهم: (بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ) أي: مع الله في الطاعة لي في الشرك به.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إذا جمع الله الأولين والآخرين فقضى بينهم وفرغ من القضاء قال المؤمنون: قد قضى بيننا ربنا، فمن يشفع لنا إلى ربنا. قالوا: فانطلقوا إلى آدم عليه السلام، فإنه أبونا، وخلقه الله بيده وكلمه. فيأتونه ويكلمونه أن يشفع لهم، فيقول آدم: عليكم بنوح. فيأتون نوحاً، فيدلّهم على إبراهيم عليه السلام. ثم يأتون إبراهيم فيدلّهم على موسى عليه السلام، ثم يأتون موسى فيدلّهم على عيسى،

(1) جاء في مجاز أبي عبيدة، ج 1 ص 339 ما يلي: «(مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ)، أي: بمغيثكم، ويقال: استصرخني فأصرخته، أي: استعانني فأعنته، واستغاثني فأغثته».

صلى الله عليه، ثم يأتون عيسى فيقول: أدلكم على النبي الأمّيّ محمد صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء والرسل، فيأذن الله لي أن أقوم. فأثني عليه، وأقوم فيفور من مجلسي أطيب ريح شمّها أحد، حتى أقوم المقام المحمود الذي وعدني ربي أن أقومه، وأسأل ربي الشفاعة للمؤمنين فيشفّعني، ويجعل لي نوراً من شعر رأسي إلى ظفر قدمي، ثم يقول الكافرون عند هذا: قد وجد المؤمنون من يشفع لهم، فقم أنت فاشفع لنا، فإنك أنت أضللتنا. فيقوم فيفور من مجلسه أنتن ريح شمّها أحد ثم يعظهم بجهنم[1]، ويقول عند ذلك (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّآ أَنْ دَعَوْتُكُمْ. .) إلى آخر الآية[2].

قوله: ﴿ إِنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ أي: المشركين والمنافقين ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾أي: موجع.

قوله: ﴿ وَأُدْخِلَ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: بامر ربهم ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ أي: تحيّيهم الملائكة عن الله بالسلام، فتستأذن عليهم حتى تدخل عليهم بالتحيّة من عند الله والكرامة والهدية، وبأن الله عنهم راضٍ، ويسلّم أهل الجنة بعضهم على بعض بالسلام، وهو تحيّة أهل الجنة.

وذكر بعضهم أن طوبى شجرة في الجنة، وقد وصفناها قبل هذا الموضع[3].

---

(1) في ج ود، وفي ز ورقة 165، وفي تفسير الطبري ج 16 ص 563: «يعظم لجهنم» وفي مخطوطتي ق وع «يعظهم بجهنم»، ولكل من اللفظين وجه في التأويل. ويظن الأستاذ الشيخ محمود محمد شاكر «أنها يقطّم لجهنم» من قولهم قطم الشارب إذا ذاق الشراب فكرهه». وأنا أميل إلى ما ورد في ق وع وأقول: بئس الواعظ هو، وبئس ما يعظهم به، ولات ساعة موعظة.

(2) أخرج الطبري هذا الحديث في تفسيره ج 16 ص 562 مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ برواية عقبة بن عامر، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور، ج 4 ص 740، ونسبه إلى ابن المبارك وابن أبي حاتم والطبراني وغيرهم. ولكنه حديث ضعيف واهي السند. ونقله ابن كثير في تفسيره ج 4 ص 120 بدون إشارة إلى ضعفه.

(3) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 307.

وهي مجلس من مجالس أهل الجنة ومتحدثهم فيما بينهم. فبينما هم في ظلها ذات يوم يتحدّثون إذ أتتهم الملائكة بنوق بُخْتٍ[1]، مزمومة[2] بسلاسل الذهب، كأنما وجوهها المصابيح من حسنها، ذلّلن من غير مهانة، نُجُب من غير رياضة، عليها رحائل الذهب، وكسوتها سندس وإستبرق، حتى تدفع إليهم، ثم يسلّمون عليهم ويقولون: إن ربكم بعث إليكم بهذه الرواحل لتركبوها وتتفسحوا في الجنة، وتنظروا إلى ما أعدّ الله لكم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب أحد مثله. قال: ويتحوّل كل رجل منهم على راحلته، ثم يسيرون صفّاً في الجنة؛ الرجل منهم إلى جنب أخيه، لا تجاوز أذنُ ناقة منها أذنَ صاحبتها، ولا ركبة ناقة منها ركبةَ صاحبتها. وإنهم ليمرّون بالشجرة من شجر الجنة فتتأخر من مكانها، فيرسل إليهم ربهم الملائكة بالسلام؛ فيقولون: ربنا أنت السلام، ومن عندك السلام، ولك حق الجلال والإكرام، فيقول لهم: وعليكم السلام مني، وعليكم رحمتي ومحبّتي. مرحباً بعبادي الذين أطاعوني بالغيب، وحفظوا وصيتي. فيقولون: لا وعزّتك، ما قدرناك حقّ قدرك، وما أدّينا إليك كلّ حقك، إيذن لنا يا ربّنا أن نسجد لك. فيقول: وعزتي وجلالي إني وضعت عنكم مؤونة العبادة، وقد أفضيتم إلى كرامتي، وبلغ الموعد الذي وعدتكم، تمنّوا، فإن لكل إنسان منكم ما تمنّى... وقد بقي من هذا الحديث شيء كثير، وهو في أحاديث الجنّة.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ وهي لا إلـه إلا الله ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ وهي النخلة، وهي مثل المؤمن ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ أي: في الأرض ﴿ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ يعني طولها، وفرعها هو رأسها الذي تكون فيه الثمرة ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ أي: بأمر ربها.

قال بعضهم: كل ستة أشهر. وقال بعضهم: هي النخلة تؤتي أكلها كل حين. والحين ما بين السنة إلى السنة. وهي تؤكل شتاءً وصيفاً؛ يعني الطلع والبلح والبسر

(1) هي الإبل الخراسانية، طويلة الأعناق، واحدها بختي، ومؤنثه بختية. وانظر اللسان: (بخت).
(2) زممت البعير إذا علقت عليه الزمام لقيادته، فهو مزموم.

والرطب والتمر، وهي مثل عمل المؤمن، هو في الأرض وعمله يصعد إلى السماء، وهو ثابت يُجازَى به.

وقال الحسن: إن المؤمن لا يزال من كلام طيّب وعمل صالح، كما تؤتي هذه الشجرة أكلها، أي: ثمرتها، كلَّ حين.

﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي: لكي يذّكروا.

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال: الحين غدوة والحين عشية، وقرأ هذه الآية: (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ) [الروم: 17]. وقال مجاهد: (كُلَّ حِينٍ): كل سنة[1].

ذكروا عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المؤمن، فأي شجرة هي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة. وكنت غلاماً أصغر القوم؛ فسكتّ. فقال رسول الله: هي النخلة[2].

قوله: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ أي: الشرك والنفاق ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ أي: مُرّة، يعني الحنظلة ﴿ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ﴾ [أي: قطعت من أعلى الأرض][3] ﴿ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ أي: ليس لأصلها ثبات في الأرض. فالريح تصرفها؛ كذلك مثل عمل الكافر، ليس لعمله الحسن أصل ثابت يجزى به في الآخرة.

---

(1) اختلف المفسرون اختلافاً كثيراً في المقصود بالحين هنا. فذهب بعضهم إلى أن الحين هو كل وقت، وذهب أبو عبيدة وغيره أنه ستة أشهر. ورجح ابن جرير الطبري قول من قال: «عنى بالحين، في هذا الموضع غدوة وعشية وكل ساعة» ويبدو لي. والله أعلم . أن قول من قال: (إن كُلَّ حِينٍ) في هذه الآية يعني كل سنة، أقرب إلى الصواب؛ فإن من النخيل ما لا يؤتي أكله كل سنة. فإذا كانت النخلة تؤتي أكلها كل سنة بانتظام فهي من خيار النخل.

(2) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب قول المحدث حدثنا أو أخبرنا. وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب مثل المؤمن كمثل النخلة (رقم 2164) وأخرجه أحمد والترمذي وغيرهم.

(3) زيادة من ز، 165.

ذكر أبو موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجّة طعمها طيب وريحها طيب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب ولا رائحة لها. ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر. ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح له(1)».

قال بعض السلف: مثل الجليس الصالح مثل حامل المسك، تجد منه ريحه، ومثل الجليس السوء مثل صاحب الكير، إن لم يحرق ثوبك يؤذك دخانه(2).

قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الذِينَ ءَامَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الأَخِرَةِ﴾.

بلغنا عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: إن المؤمن إذا وضع في قبره ورجع عنه أصحابه أتاه ملك فأجلسه، ثم يقول له: من ربك؟ فيقول: الله ربي. ثم يقول له: وما دينك؟ فيقول: الإسلام. ثم يقول له فمن نبيك؟ فيقول: محمد ﷺ. فيقال له: صدقت. ثم يفتح له باب إلى النار، ثم يقال له: انظر إلى هذه النار التي لو أنك كذبت صرت إليها، وقد أعاذك الله منها. ثم يفتح له باب إلى الجنة، ثم يقال له: هذه الجنة، ثم يرى منزله فيها فلا يزال يأتيه من ريح الجنة وبردها، حتى تأتيه الساعة.

وإن الكافر إذا وضع في قبره، ورجع عنه أصحابه أتاه مَلَك فأجلسه، ثم قال له: من ربك؟ فيقول: لا أدري، ثم يقول له: من نبيّك؟ فيقول له: لا أدري، فيقال

---

(1) حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب فضل القرآن على سائر الكلام، وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن (رقم 797)، وأخرجه أحمد في مسنده وغيرهم، كلهم يرويه من حديث أبي موسى الأشعري، كما أخرجه أيضاً ابن ماجه في المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه (رقم 214).

(2) هذه ألفاظ من حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، وأخرجه مسلم في كتاب البرّ والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء، (رقم 2628).

له: لا دريت، ثم يفتح له باب إلى الجنة فينظر إليها: ثم يقال له: هذه الجنة التي لو أنك آمنت بالله، وصدقت رسوله، وعملت بفرائضه صرت إليها، لن تراها أبداً، ثم يفتح له باب إلى النار، فيقال له: هذه النار التي أنت صائر إليها، ثم يضيق عليه قبره، ثم يضرب ضربة لو أصابت جبلاً ارفض ما أصابت منه، قال: فيصيح عند ذلك صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين. قال: فهو قوله: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة[1].

قال: ﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّـٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾.

ذكر جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها. إذا أدخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه جاءه ملك شديد الانتهار فيقول له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: إنه رسول الله وعبده. فيقول: انظر إلى مقعدك الذي كان لك من النار، قد أعاذك الله منه، وأبدلك بمقعدك الذي ترى من النار مقعدك الذي ترى من الجنة، فيراهما كليهما، فيقول المؤمن: دعوني أبشر أهلي، فيقال له: اسكن.

وأما المنافق فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، أقول ما يقول الناس، فيقال له: لا دريت، هذا مقعدك الذي كان لك من الجنة قد أبدلت مكانه مقعدك من النار.

قال جابر: سمعت النبي ﷺ يقول: يبعث كل عبد في القبر على ما مات عليه؛ المؤمن على إيمانه، والمنافق على نفاقه[2].

(1) هذا خلاصة للحديثين الصحيحين الآتيين.

(2) أخرجه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني في الأوسط والبيهقي عن جابر بن عبد الله. وأحاديث عذاب القبر وابتلاء المؤمن والكافر فيه صابتة صحيحة. وقد رويت من طرق متعددة رواها جمع من الصحابة. انظر في هذا الموضوع الدر المنثور للسيوطي ج 4 ص 78 - 84 تجد أغلب ما روى عن النبي ﷺ مرفوعاً وموقوفاً. أعاذنا الله وإياك من عذاب القبر ومن سوء المصير.

ذكر البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ تبع جنازة رجل من الأنصار، فلما انتهى إلى قبره وجده لم يلحد. فجلس وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير، وبيده عود ينكث به الأرض، ثم رفع رأسه فقال: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر(1). قالها ثلاثاً.

إن المؤمن إذا كان في قِبَل من الآخرة وانقطاع من الدنيا أتته ملائكة وجوههم كالشمس بحنوطه وكفنه، فجلسوا منه بالمكان الذي يراهم منه. فإذا خرج روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماوات، وفتحت أبواب السماء، كل باب منها يعجبه أن تصعد روحه منه. فينتهي الملك إلى ربه فيقول: يا ربّ، هذا روح عبدك. فيصلي الله عليه وملائكته ويقول: ارجعوا بعبدي وأرُوه ما أعددت له من الكرامة، فإني عهدت إلى عبادي أني ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ ﴾ [سورة طَهَ: 55] فيرد إليه روحه حتى يوضع في قبره. وإنه ليسمع قرع نعالهم حين ينطلقون عنه، فيقال: من ربّك، وما دينك، ومن نبيّك؟ فيقول: الله ربّي، والإسلام ديني، ومحمد نبيّي، فنادى منادٍ: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الذِينَ ءَامَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾.

ويأتيه عمله في صورة حسنة وريح طيبة فيقول: أبشر بحياة فيها نعيم مقيم، فقد كنت سريعاً في طاعة الله، بطيئاً عن معصية الله، فيقول: وأنت فبشّرك الله بخير، فمثل وجهك يبشّر بالخير، فمن أنت؟ فيقول: أنا عملك الحسن. فيفتح له باب من أبواب النار فيقال له: هذا منزلك، فأبدلك الله خيراً منه. ثم يفتح له منزله من الجنة، فينظر ماذا أعد الله له من الكرامة فيقول: يا رب متى تقوم الساعة كي ارجع إلى أهلي ومالي، فيوسّع له في قبره ويرقد.

(1) هذا جزء من حديث صحيح متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب الدعاء قبل السلام، وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، عن عائشة (رقم 589) وعن أبي هريرة (رقم 588). وجاءت رواية أبي هريرة بهذا اللفظ: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وعذاب النار، وفتنة المحيا والممات، وشر المسيح الدجّال».

وأما الكافر فإذا كان في قِبَل من الآخرة وانقطاع من الدنيا أتته الملائكة بسرابيل من قطران، ومقطعات من نار. فجلسوا منه بالمكان الذي يراهم. وينتزع روحه كما ينتزع السّفود الكثير شعبه من الصوف المبتل من عروقه وقلبه. فإذا خرج روحه لعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماوات، وغلقت أبواب السماء دونه، كل باب يكره أن يصعد روحه منه. فينتهي لملك إلى ربه فيقول: يا ربّ هذا روح عبدك فلان لا تقبله أرض ولا سماء، فيلعنه الله وملائكته فيقول: ارجعوا بعبدي فأروه ما أعددت له من الهوان، فإني عهدت إلى عبادي أني منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم. فيردّ إليه روحه حتى يوضع في قبره، وإنه ليسمع قرع نعالهم حين ينصرفون عنه. فيقال له: ما دينك ومن ربك؟ فيقول: لا أدري. فيقال له: لا دريت.

فيأتيه عمله في صورة قبيحة وريح منتنة فيقول: أبشر بعذاب مقيم، فيقول: وأنت فبشّرك الله بشرّ، فمثل وجهك يبشّر بالشر، فمن أنت؟ فيقول: أنا عملك الخبيث. ثم يفتح له باب من أبواب الجنة فيقال له: هذا منزلك لو أطعت الله. ثم يفتح له منزله من النار فينظر إلى ما أعدّ الله له من الهوان، ويُقيَّض له أصم أعمى بيده مرزبة لو توضع على جبل لصار رفاتاً، فيضربه ضربة فيصير رفاتاً. ثم يعاد فيضربه بين عينيه ضربة يصيح بها صيحة يسمعها من على الأرض إلا الثقلين، وينادي منادٍ أن أفرشوه لوحين من النار، فيفرش لوحين من نار، فيضيّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه[1].

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً ﴾ أي: نعمة الله التي أنعمها عليهم جعلوا مكانها كفراً. كقوله: (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) [الواقعة: 82]

(1) حديث البراء بن عازب هذا حديث معروف في كتب الحديث صحيح الإسناد؛ أخرجه البخاري مختصراً في كتاب التفسير من سورة إبراهيم، وأخرجه أحمد وعبد بن حميد وأبو داود والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم مطولاً بزيادة ونقصان. أخرجه أبو داود مثلاً في كتاب السنّة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر. (رقم 4753) وأخرجه الربيع بن حبيب في الجزء الرابع في مراسيل جابر بن زيد (رقم 982).

أي: تجعلون مكان شكر النعمة تكذيباً وكفراً. فكان كفر المشركين تكذيباً، وكان كفر المنافقين كفراً لأنعم الله، لم يشكروها. وإذا لم تشكر النعم فقد كفرت.

قوله: ﴿ وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ [هم المشركون من أهل بدر][(1)] أخرجوا قومهم إلى قتال النبي ﷺ ببدر؛ يعني أخرج بعضهم بعضاً فقتلهم الله ببدر فحلوا في النار.

وقوله: (دَارَ الْبَوَارِ)، أي: دار الفساد، أي: أفسدت أجسادهم في النار. وقال الحسن: دار البوار شرهم، قوله: (وبِئْسَ الْقَرَارُ)، أي: وبيس المأوى والمنزل الذي استقروا فيه فصار قرارهم.

قوله: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً ﴾ أي: آلهتهم التي يعبدون، عدلوها بالله فجعلوها آلهة مثله. ﴿ لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ أي: عن سبيل الهدى. ﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ كقوله: (لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الذِينَ كَفَرُوا فِي البِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَيٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِيسَ المِهَادُ) [آل عمران: 196 - 197].

قوله: ﴿قُل لِعِبَادِيَ الذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ أي: الصلوات الخمس، يحافظون على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها ﴿ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَّةً ﴾ أي: الزكاة الواجبة ﴿ مِّنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ لَّا بَيْعٌ فِيهِ ﴾ أي: لا يتبايعون فيه ﴿ وَلَا خِلَلٌ ﴾ أي: تنقطع كل خلّة إلا خلّة المتقين. كقوله: (الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) [الزخرف: 67]، وكقوله: (لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ) [البقرة: 254].

قوله: ﴿ اللَّهُ الذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِن الثَّمَرٰتِ رِزْقاً لَّكُمْ ﴾ إنما الرزق من المطر. ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهٰرَ﴾ قال مجاهد: في كل بلد فجرت. ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ دَائِبَيْنِ ﴾ أي: يجريان إلى يوم القيامة ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ يختلفان

(1) زيادة من ز، ورقة 166.

عليكم ﴿وَءَاتَيكُمْ﴾ أي: وأعطاكم ﴿ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ أي: وما لم تسألوه، في تفسير الحسن. وليس كل ما سألوا. وبعضهم يقرأها: (مِنْ كُلٍّ) أي: من كل شيء، (مَا سَأَلْتُمُوهُ) يقول: أعطاكم ما لم تسألوه[1].

قال: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾ [روى الحسن عن أبي الدرداء قال: من لم يرَ نِعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه فقد قلّ عمله وحضر عذابه][2]. ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ أي: ظلوم لنفسه، كفار بنعم ربه [حين أشرك][2] وقد أجرى عليه هذه النعم.

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ ءَامِناً﴾ يعني مكة ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ يعني المؤمنين منهم، كقوله: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ) [البقرة: 128] ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ ﴾ يعني الأصنام أضللن ﴿ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ ﴾ يقول: ضل المشركون بعبادتها من غير أن تكون هي التي دعت إلى عبادة أنفسها. ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي ﴾ فعبد الأوثان ثم تاب إليك بعد ذلك ﴿ فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ يعني إسماعيل ﴿ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّـلَوٰةَ ﴾ أي: إنما أسكنتم مكة ليعبدونك ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً ﴾ أي: قلوباً ﴿ مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ أي: تنزع إليهم ﴿ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَـرٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ أي: لكي يشكروا نعمك.

ذكر عن ابن عباس أنه قال: لو كان قال: فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم لَحَجَّه اليهود والنصارى وكل أحد. ولكنه قال: (أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ).

قوله: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ﴾. تفسير ابن عباس أن إبراهيم جاء

(1) إقرأ ملخصاً جميلاً أورده الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 88 - 78 في قراءة «كلّ» من قوله: (كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) وتعليله وترجيحه لقراءة من قرأ بالإضافة.

(2) زيادة من ز، ورقة 166.

بهاجر وإسماعيل حتى وضعهما بمكة، ثم رجع. فلما قفا نادته هاجر: يا إبراهيم، إنما أسألك؛ فالتفت، فقالت له: من أمرك أن تضعني بأرض ليس بها زرع ولا ضرع ولا أنيس؟ قال: ربي. قالت: إذاً لا يضيّعنا. فلما ولّى إبراهيم قال: (رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ) أي: من الحزن. ﴿ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾.

قوله: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ وقد دعا في هذه الآية الأخرى: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) [الصافات: 100].

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ أي: واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة. ﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ يعني دعائي لمحمد وأمته. قال الحسن: هو كقوله: (وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ) [البقرة: 128].

قوله: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾. قال الحسن: إن إبراهيم دعا لأبيه أن يُحوِّله الله من الكفر إلى الإيمان، ثم يغفر له، وهو يرجو أن يُسلم. فلما مات كافراً تبرأ منه وعرف أنه قد هلك، وهو كقوله: (وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ) [الشعراء: 86]. قال هذا قبل أن يموت.

قوله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ أي: المشركون والمنافقون ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ أي: إلى إجابة الداعي حين يدعوهم من قبورهم.

﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ أي: منطلقين مسرعين إلى إجابة الداعي إلى بيت المقدس في تفسير بعضهم حين يدعوهم من الصخرة من بيت المقدس.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: يقوم ملك بين السماء والأرض بالصور فينفخ فيه، والصور قرن، فيذهب كل روح إلى جسده حتى يدخل فيه، فيقومون من قبورهم، فيجيبون بإجابة رجل واحد.

بلغنا عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة قال: تجعل الأرواح في الصور مثل النحل، ثم ينفخ فيه صاحب الصور، فيذهب كل روح إلى جسده[1].

وقال في آية أخرى: (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ) أي: من القبور سِرَاعاً [المعارج: 43] أي: إلى المنادي إلى بيت المقدس.

﴿ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ ﴾ قال بعضهم: رافعي رؤوسهم شاخصة أبصارهم. ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ أي: يديمون النظر. ﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ قال: انتزعت القلوب فغصّت بها الحناجر، فلا هي تخرج من أفواههم ولا تعود إلى مكانها.

وذكروا عن أبي هريرة قال: يحشر الناس ثلاث أمم: أمة على الإبل، وأمة على أقدامهم، وأمة على وجوههم. قال: قيل يا رسول الله: كيف يمشي على وجهه؟ قال: إن الذي أمشاه على قدميه قادر أن يمشيه على وجهه[2].

قوله: ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ العَذَابُ ﴾ أي: أنذرهم اليوم ذلك اليوم ﴿ فَيَقُولُ الذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: الذين أشركوا والذين نافقوا ﴿ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ﴾. سألوا الرجعة إلى الدنيا حتى يؤمنوا ويجيبوا الدعوة ويتّبعوا الرسل ويكملوا الفرائض. قال الله:

﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّنْ قَبْلُ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ﴾ أي: من الدنيا إلى الآخرة، يعني المشركين خاصة. ثم انقطع الكلام.

ثم قال للذين بعث فيهم محمد ﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَٰكِنِ الذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾

(1) وهذه الأقوال من قبيل الإسرائيليات. فنحن نؤمن بأن النفخ في الصور حق، نفخة أولى هي نفخة الصعق، ونفخة أخرى هي نفخة القيام. أما كيف تعود الأرواح إلى أجسادها فذلك من الغيب. فما لم يثبت في ذلك حديث صحيح عن المعصوم ﷺ فليس لنا أن نتكلّف، أو نقفو ما ليس لنا به علم.

(2) حديث متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب كيف الحشر. وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم. باب يحشر الكافر على وجهه (رقم 2806)، كلاهما يرويه عن أنس بن مالك.

أي: بشركهم، يعني من أهلك من الأمم السالفة، فخلفتموهم بعدهم في مساكنهم ﴿ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾ أي: كيف أهلكناهم. أي: إنكم لتمرون بمنازلهم ومساكنهم وترون آثارهم. ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ﴾. قال مجاهد: الأشباه. وقال الحسن: يعني أنكم إن كفرتم أهلكناكم كما أهلكناهم؛ يُخوِّفهم بذلك.

قال: ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾ أي: محفوظ لهم حتى يجازيهم به. ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ ﴾.

قال الكلبي: إن نمروذ الذي بنى الصرح ببابل أراد أن يعلم علم السماء، فعمد إلى تابوت فجعل فيه غلاماً. ثم عمد إلى نسور أربعة فأجاعهن، ثم ربط كل نسر بقائمة من قوائم التابوت، ثم رفع لهم لحماً في أعلى التابوت، فجعل الغلام يفتح الباب الأعلى فينظر إلى السماء فيراها كهيئتها. ثم يفتح الباب الأسفل فينظر إلى الأرض فيراها مثل اللجة. فلم يزل كذلك حتى جعل ينظر فلا يرى الأرض، وإنما هو الهواء، وينظر فوق فيرى السماء كهيئتها. فلما رأى ذلك صوّب اللحم، فتصوّبت النسور. فيقال، والله أعلم، إنه مرّ بجبل فخاف الجبل أن يكون أمر من الله، فكاد الجبل أن يزول من مكانه. فذلك قوله: (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ).

وذكر بعضهم أن نمروذ كان في التابوت ومعه صاحبه. فهو الذي جعل يأمره أن ينظر. فلما هاله ذلك أمره، فنكس اللحم، فانحدرت النسور. فبعث الله عليه أضعف خلقه: بعوضة، فدخلت في منخره حتى وصلت إلى دماغه فمات.

وقال بعضهم: في قراءة عبد الله بن مسعود: (وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبَالُ). وذلك تفسيرها عندهم.

قال بعضهم: ذلك المكر ما عمل بالنسور، فلا أعلمه إلا قوله: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَداً لَقَد جِئْتُمْ شَيْئاً إِداً) أي: عظيماً (يَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ) أي: يتشقّقن منه (وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَيَخِرُّ الجِبَالُ هَدّاً أَنْ دَعَوْا) أي: بأن دعوا (لِلرَّحْمٰنِ وَلَداً) [سورة مريم: 88 - 91].

وتفسير الحسن في هذا الحرف: (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ) يقول: ما كان مكرهم لتزول منه الجبال، أي: هم أهون على الله من ذلك[1].

قوله: ﴿ فَلَا تَحسَبَنَّ اللَّهُ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾ أي: ما وعدهم من النصر في الدنيا والجنة في الآخرة ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ أي: عزيز في نقمته، ذو انتقام من أعدائه بعذابه.

قوله: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمٰوٰتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الوٰحِدِ القَهَّارِ ﴾ أي: قهر العباد بالموت وبما شاء من أمره. ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: تبدَّل الأرض بيضاء كأنها فضة لم يعمل عليها خطيئة، ولم يسفك عليها محجمة من دم حرام. وبرزوا حفاة عراة كما خلقوا حتى يلجهم العرق، و(لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ) [هود: 105].

ذكروا عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله: (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمٰوَاتِ) وقوله: (وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ والسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَاتٌ بِيَمِينِهِ) [الزمر: 67]، فأين يكون الناس يومئذٍ؟ ؛ قال: هم يومئذٍ على جسر جهنم[2].

قوله: ﴿ وَتَرَى المُجْرِمِينَ ﴾ أي: المشركين والمنافقين ﴿ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴾ أي: في السلاسل؛ كل إنسان وشيطانه الذي كان قرينه في الدنيا في سلسلة واحدة. ﴿ سَرَابِيلُهُمْ [أي: قمصهم][3] مِّنْ قَطِرَانٍ ﴾. قال الحسن. القَطِرَان

---

(1) هذه هي قراءة الجمهور، وهذا هو التأويل الذي رجحه الطبري في تفسيره ج 13. ص 246، 247 ط. الحلبي. انظر ابن خالويه، الحجة، ص 179، وابن جني، المحتسب، ج 1 ص 365، وابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، ج 2 ص 61 - 62.

(2) أخرجه الطبري من طرق في تفسيره، ج 13 ص 253 بهذا اللفظ، وأخرجه أحمد ومسلم والترمذي بلفظ: «على الصراط».

(3) زيادة من ز، ورقة 168، وهو لفظ أبي عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 345، وزاد: «وواحدها: سربال».

الذي تُطلى به الإبل. قال: ﴿ قُطِّعَتْ لَهُم ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾ [سورة الحج: 19]. وهي نار. وقال مجاهد: ﴿ من قِطْرٍ آنٍ ﴾، يقول: من صفر حارّ قد انتهى حرّه[1]. ﴿ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾. وقال في آية أخرى: ﴿ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ العَذَابِ ﴾ [الزمر: 24] أي: يُجَر على وجهه في النار. ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾ أي: ما عملت. ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾. قال بعضهم: يقضي بين الخلق يوم القيامة في قدر نصف يوم من أيام الدنيا. وقال في آية أخرى: ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ ﴾ [الأنعام: 62].

قوله: ﴿ هَـٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ أي: القرآن بلاغ للمؤمنين، والناس ها هنا المؤمنون، بلاغ، أي: يبلغهم إلى الجنة[2]. ﴿وَلِيُنْذَرُوا بِهِ﴾ أي: بالقرآن ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ ليس له شريك، وقد علموا ذلك وتيقّنوه ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الأَلْبَٰبِ﴾ أي: أولو العقول، وهم المؤمنون.

---

(1) وهو قول ابن عباس، وقرأه كذلك: ﴿ قِطرٍ آنٍ ﴾ كما رواه الفراء في المعاني ج 2 ص 82.
(2) وقيل معناه: كفاية في الموعظة والإدّكار والاعتبار.

تفسير سورة الحِجر، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ آلَـرَ تِلْكَ ءَايَـتُ الكِتَـٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾ قد فسّرناه في غير هذا الموضع[1].

قوله: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ الذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾[2] هو كقوله: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ) [المؤمنون: 99 - 100] وكقوله: (يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ المُومِنِينَ) [الأنعام: 27] وكقوله: (يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا) [الأحزاب: 66]. وذلك لما رأوا من

(1) يشير إلى تفسير الحروف المقطّعة في أوائل بعض السور. انظر ما سلف، ج 1 ص 78، وج 2 ص 180.

(2) قال أبو البركات ابن الأنباري في كتابه: البيان في غريب إعراب القرآن ج 2 ص 63: «قرىء (رُبَّمَا) و (رُبَمَا) بالتشديد والتخفيف. فالتّشديد على الأصل، والتخفيف لكثرة الاستعمال. وهما لغتان جيّدتان». وقد قرأ نافع وعاصم بتخفيف الباء كما ذكره الداني في التيسير، ص 135. وقال ابن عصفور في كتابه: الممتع في التصريف، ج 2 ص 626 في باب حذف الباء: «حذفت من رُبّ، فقالوا: (رُبَ) في معناها. قال الشاعر:

أَزُهَيْـرُ إِنْ يَشِبِ القَـذَالُ فَـإِنَّـهُ ... رُبَ هَيْضَلٍ لَجِبٍ لَفَفْتُ بِهَيْضَلِ ».

والبيت لأبي كبير عامر بن الحليس الهُذَليّ، من قصيدته الرائعة التي مطلعها:

أَزُهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْبَـةٍ مِّن مَعْـدِلِ ... أَمْ لَا سَبِيـلَ إِلَى الشَّبَـابِ الأَوَّلِ

أَمْ لَا سَبِيلَ إِلَى الشَّبَابِ، وَذِكْـرُهُ ... أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الـرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

انظر السّكّري، شرح أشعار الهُذليين، ج 3 ص 1069 - 1070.

كرامة الله للمؤمنين وثوابه إياهم، فتمنّوا أن لو كانوا مسلمين ومؤمنين لينالوا ما نال المسلمون من ثواب الله وجزيل عطائه.

وقد تأوّلت الفرقة الشاكّة هذه الآية على غير تأويلها، وردّت على الله تنزيله، فقالوا: هم قوم من أهل التوحيد يدخلون النار، فيعيّرهم أهل النار، ويقولون: قد كان هؤلاء مسلمين فما أغنى عنهم؛ قالوا: فيغضب لهم ربهم فيخرجهم ـ زعموا ـ من النار ويدخلهم الجنة. قالوا: فعند ذلك ﴿ يَوَدُّ الذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾. فزعموا أن الله مخرج أقواماً من النار قد احترقوا وصاروا حمماً، فيدخلون الجنة، فيقول أهل الجنة هؤلاء الجهنّميون. قالوا: فيدعون ربّهم فيمحي ذلك الاسم عنهم، فيسمّون عتقاءَ ربّ العالمين، افتراء على الله، وكذباً عليه، وجحوداً بتنزيله إذ يقول:

﴿ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ يعني الشرك ﴿ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَاتُهُ ﴾ يعني الكبائر الموبقة ﴿ فَأُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: 81] وقال: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَّخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [المائدة: 37]. وقال: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَّاصِبٌ ﴾ [الصافات: 90] أي: دائم لا ينقطع. وقال: ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [الزخرف: 75] أي: يائسون. وقال: ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَّخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ ﴾ [الحج: 22]. وقال: ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ [فاطر: 36] وقال: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ [الزخرف: 77] وقال: ﴿ وَقَالَ الذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ العَذَابِ ﴾ قالت لهم الخزنة: ﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأتِيكُم رُسُلُكُم بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَما دُعَاءُ الكَافِرِينَ ﴾ أي: أهل النار ﴿ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [غافر: 49 - 50].

فكيف بعد هذا من تنزيل الله ومحكم كتابه تزعم الفرقة الشاكة أن أهل جهنم يخرجون منها ويدخلون الجنة؟ يتّبعون الروايات الكاذبة التي ليس لها أصل في كتاب الله، وينبذون كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون فالله الحاكم بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين(1).

(1) هذا كله من كلام الشيخ هود الهواري، وانفردت به كل من ق، وج، ود. وقد نقل الشيخ هود =

قوله: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا ﴾ يعني المشركين، يأكلوا ويتمتعوا في الدنيا ﴿ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ ﴾ الذي يأملون من الدنيا ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: يوم القيامة وهذا وعيد هوله شديد. وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم، ثم أمر بقتالهم، ولا يدعهم حتى يسلموا أو يقتلوا، يعني مشركي العرب.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: المؤمن يأكل في مِعًى واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء[1].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر[2].

قوله: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾ يعني الوقت الذي يهلكون فيه، يعني من أهلك من الأمم السالفة بتكذيبهم رسلهم. ﴿ مَا تَسْبِقُ مِن أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ أي: وقت العذاب ﴿ وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ عنه.

قوله: ﴿ وَقَالُوا يَـٰأَيُّهَا الذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ﴾ يعني القرآن فيما تدَّعي ﴿ إِنَّكَ

= فيه بعض العبارات التي وردت في ز، ورقة 168. وفي مخطوطة تفسير ابن سلام، القطعة 177 من قطع مخطوطات القيروان كلام طويل في حوالي ورقة، تناول تفسير هذه الآية. وقد روى فيه ابن سلام أحاديث حول من سموا بالجهنميين وحول الشفاعة. وقد حذفها الشيخ هود لأنها لم تثبت عنده. واكتفى بالردّ عليها بالآيات البيّنات الدالة على خلود المشركين والكفار الذين يموتون من غير توبة في نار جهنم. ومسألة الخلود، كما تعلم، من مسائل الخلاف بين الإباضية وبين بعض الفرق الإسلامية.

(1) حديث متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، وأخرجه مسلم في كتاب الأشربة (رقم 2060) (2061 - 2062) كلاهما يرويه في باب المؤمن يأكل في معى واحد... من طرق، عن جابر، وابن عمر، وأبي هريرة وأبي موسى. ورواه الواقدي في كتابه المغازي ج 3 ص 1018 في أخبار غزوة تبوك عن رجل من بني سعد بن هُذَيم.

(2) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب في الزهد في الدنيا وهو أنها على الله عزّ وجلّ رقم 2956). وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب مثل الدنيا (رقم 4113) كلاهما يرويه عن أبي هريرة. وأخرجه الحاكم والطبراني عن سلمان. وأخرجه البزار عن ابن عمر.

لَمَجْنُونٌ ﴾ يعنون محمداً ﷺ. ﴿ لَوْ مَا تَأتِينَا ﴾ أي: لولا، فلوما ولولا واحد. ﴿بِالمَلٰئِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ﴾ أي: حتى تشهد لنا أنك رسول الله، فنصدقك حينئذٍ.

قال الله: ﴿ مَا تَنَزَّلُ المَلٰئِكَةِ ﴾ حتى تعاينوهم ﴿ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بعذابهم واستئصالهم ﴿ وَمَا كَانُوا إِذاً مُّنْظَرِينَ ﴾ طرفة عين، أي: بعد نزول الملائكة.

وقال مجاهد: (مَا تَنَزَّلُ المَلاَئِكَةُ إِلاَّ بِالحَقِّ ﴾ أي: بالرسالة والعذاب.

قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ يعني القرآن ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَـٰفِظُونَ﴾ أي: حفظه الله من إبليس أن يزيد فيه شيئاً أو ينقص منه شيئاً. كقوله: (إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لاَ يَأتِيهِ البَاطِلُ)والباطل هو إبليس (مِن بَيْنِ يَدَيْهِ) فينقص منهُ (وَلاَ مِن خَلْفِهِ) [فصّلت: 41 - 42] فيزيد فيه شيئاً. حفظه الله من ذلك[1].

وقال مجاهد: (وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) أي: عندنا.

قوله: ﴿ وَلَقَد أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ ﴾ أي: أرسلنا الرسل في فرق الأولين، أي: أمم الأولين، أمة بعد أمة. ﴿ وَمَا يَأتِيهِم ﴾ يعني تلك الأمم ﴿ مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ ﴾ أي: نسلك التكذيب[2] ﴿ فِي قُـلُـوبِ المُجْرِمِينَ ﴾ أي: المشركين ﴿ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ ﴾ يعني ما أهلك به الأمم السالفة بتكذيبهم، يخوّف المشركين بذلك.

قوله: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ ﴾ أي: فصاروا فيه

---

(1) الباطل هنا أعمّ من أن يُحصر في إبليس، ومظاهر حفظ الله لكتابه من التحريف والزيادة والنقصان ومن كل شيء، أكثر من أن تحصى. اقرأ خبراً طريفاً رواه القرطبي في تفسير الآية في الجامع الأحكام القرآن، ج 10 ص 5 - 6. وقيل: إن الضمير في قوله: (لَهُ لَحافِظُونَ) راجع إلى محمد ﷺ، ولكن روح العربية تأبى هذا التأويل، فالضمير يرجع إلى أقرب مذكور.

(2) وقيل الضمير في قوله (نَسْلُكُهُ) راجع إلى الذكر المنزل، وهو ما ذهب إليه الزمخشري في تفسيره، ج 2 ص 573، أما جمهور المفسرين فأرجعوا الضمير إلى التكذيب والاستهزاء، انظر مثلاً معاني القرآن للفراء، ج 2 ص 85، وتفسير الطبري، ج 14 ص 9.

﴿ يَعْرُجُونَ ﴾ أي: الملائكة ﴿ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَت أَبْصَارُنَا ﴾ أي: سدّت أبصارنا ﴿ بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾.

وقال بعضهم: (فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) أي: يختلفون فيه بين السماء والأرض. وقال ابن عباس: الملائكة تختلف فيه، يبصرونهم عياناً، لقال من يكذّب بهذا الحديث: (إِنَّمَا سُكِّرَت أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ).

وقال الحسن: فاختلف فيه بنو آدم لقال من يكذب بهذا الحديث: (إِنَّمَا سُكِّرَت أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ).

وقال بعضهم: إن المشركين قالوا للنبي ﷺ: (أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالمَلاَئِكَةِ قَبِيلاً) [الإسراء: 92] أي: عياناً، معاينة، فتخبرنا الملائكة أنك رسول الله، فنؤمن بك. فهو قول الله: (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَت أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ). جواباً لذلك.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً ﴾ قال ابن عباس: أي: نجوماً[1] ﴿وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ أي: زينا السماء بالنجوم للناظرين. كقوله: (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ). [الصافات: 6].

قال: ﴿وَحَفِظْنَـٰهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ والرجيم الملعون. قال الحسن: رجمه الله باللعنة.

﴿ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ ﴾ أي: فإنها لم تحفظ منه، أي: يسمع الخبر من أخبار السماء، ولا يسمع من الوحي شيئاً. وهو قوله: (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ)

(1) كذا في المخطوطات الأربع، وفي ز 169، نسب هذا القول في تفسير البروج بالنجوم إلى ابن عباس. ويبدو أنه سهو من الناسخ الأول، فإن الذين فسّروها كذلك هم الحسن وقتادة ومجاهد، أما ابن عباس فقال: إن البروج هنا هي المنازل، كما في تفسير القرطبي ج 10 ص 11. وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن، ج 1 ص 348. (بُرُوجاً: أي: منازل للمشس والقمر). وبذلك أيضاً فسرها الشيخ الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير، ج 14 ص 82 - 30، وأتى بتفاصيل مفيدة في الموضوع.

[الشعراء: 212]. أي: عن سمع القول. وقال في آية أخرى: (وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا) أي: من السماء (مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَّستَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً) [الجن: 9].

وقال في هذه الآية: ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾: أي: مضيء. وقال في آية أخرى: (فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) [الصافات: ١٠]. وثقوبه ضوءه.

ذكروا أن أبا رجاء العطاردي قال: كنا قبل أن يبعث النبي ﷺ ما نرى نجماً يرمى به، فبينما نحن ذات يوم إذا النجوم قد رمي بها؛ فقلنا ما هذا إلا أمر قد حدث. فجاءنا أن النبي ﷺ قد بُعث. فأنزل الله هذه الآية في سورة الجن: 9: (وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعَد لِلسَّمْعِ فَمَن يَّسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً).

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: إذا رأيتم الكوكب قد رمي به فتواروا فإنه يحرق ولا يقتل.

وفي تفسير الكلبي: إنهم سُراة إبليس يَسْرون بأنفسهم ليأتوا إبليس بخبر السماء. قال: فإذا قذفوا خبلوا فذهبت قوتهم، فلم يستطيعوا أن يصعدوا إلى السماء.

وفي تفسير الحسن أنه يحرقه فيقتله في أسرع من الطرف. ويقول: إن أحدهم يسترق السمع وقد علم أنه سيحرق وأن له عذاب السعير. وهو قوله: (وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينَ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ). [الملك: 5].

قوله: ﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا﴾ أي: بسطناها ﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوٰسِيَ﴾ وهي الجبال، وقد فسّرناه قبل هذا الموضع. وقال في آية أخرى: (والأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا) [النازعات: 30] قال لها انبسطي أنت كذا، وانبسطي أنت كذا. وقد فسرناه قبل هذا[1].

قوله: ﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾. قال الحسن: من كل شيء يوزن، مثل الزعفران والعُصْفُر[2] وكل ما ينبت مما يوزن من النبات.

(1) انظر ما سلف في هذا الجزء، ص: 293.

(2) العُصْفُر: نبات ينبت بأرض العرب يصبغ به باللون الأحمر. يقال: عصفرت الثوب فتعصفر، =

وتفسير الكلبي: أنبت الله في الجبال الذهب والفضة والصفر والرصاص والحديد والجوهر وكل شيء لا يباع إلا وزناً.

وقال بعضهم: كل شيء موزون، أي: معلوم مقسوم. وقال مجاهد: من كل شيء موزون: أي معدود يعد، أي: يقدر[1].

قال الحسن: ثم ذكر الأرض فقال: ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ﴾ أي: مما أخرج الله لهم فيها، ومما عمله بنو آدم.

قوله: ﴿ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَٰزِقِينَ ﴾[2] أي: جعلنا لكم ومن لستم له برازقين معايش قال مجاهد: يعني الأنعام والدوابّ، وقال الحسن: البهائم وغيرها من الخلق. وقال الكلبي: يعني من لا تمونونه، أي: ليس عليكم من مئونته شيء من الوحوش والطيور وكل شيء لا يمونه بنو آدم.

قوله: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُ ﴾ يعني المطر. وهذه الأشياء كلها إنما تعيش بالمطر. ﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾.

ذكروا أن علياً قال: إن هذا الرزق ينزل من السماء كقطر المطر[3]، كل نفس بما كتب الله لها. وذكروا عن ابن عباس أنه قال: ما من عام بأكثر من عام مطراً، أو

= وزعم الأزهري أن الكلمة معربة، ولكن الجواليقي لم يذكرها في معجمه المعرّب.

(1) هذا هو القول الراجح عند كثير من المفسّرين. وهو الصحيح الذي أثبته العلم الحديث، فكل ما في الكون، علويّه وسفليّه، موزون مقدّر من عند الله بقدر معلوم، محدود لا يزاد فيه ولا ينقص منه. وجاءت العبارة في تفسير مجاهد ص 340: «مقدر مقدور»، وفي تفسير الطبري وفي ز ورقة 169: «مقدور بقدر».

(2) هذا وجه من وجوه التأويل، ومن المفسرين من جعل (مَنْ) في قوله: (وَمَن لَّسْتُم لَهُ بِرَازِقِينَ) في محل نصب معطوفاً على (مَعَايِشَ) لا على الضمير المجرور في (لَكُمْ): «يقول جعلنا لكم فيها المعايش والعبيد والإماء» انظر هذا المعنى مفصلاً معللاً في معاني الفراء ج 2 ص 86، وفي كشاف الزمخشري ج 2 ص 574.

(3) كذا في ق وع: «كقطر المطر»، وفي ج ود: «كقدر المطر» والأول أصح.

قال: ماء، ولكن الله يصرفه في الأرض حيث يشاء، ثم تلا هذه الآية: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا) [الفرقان: 50].

قوله: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ أي: للسحاب. قال: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ ﴾ ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: إن الله يرسل السحاب فتحمل الماء بين السماء، ثم يرسل الرياح فتمري السحاب كما تُمرَى اللقحة حتى تدرّ بمطر. وقال في آية أخرى: (يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً) [نوح: 11] أي: تدرّ بالمطر.

قوله: ﴿ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَـٰزِنِينَ ﴾ أي: بحافظين.

وفي تفسير الحسن أن الله ينزل الماء من السماء فيسكنه السحاب، ثم يصرفه حيث يشاء، وللماء خزّان من الملائكة. وقال في آية أخرى: (إِنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ) [الحاقة: 11] أي: على خزانه يوم غرق قوم نوح؛ كان يجري بقدر فطغى يومئذٍ على خزانه.

قوله: (وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ ﴾ أي: نخلق ونميت الخلق ﴿ وَنَحْنُ الْوَٰرِثُونَ ﴾ أي: [يموت الخلق][1] والله الوارث الباقي بعد خلقه، وإليه ترجعون. أي: فكما أحيى هذه الأرض بعد موتها بهذا الماء كذلك يحيي الموتى. قال: (وَنَحْنُ الوَارِثُونَ).

قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ﴾ يعني آدم ومن مضى من ذريته. ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾ أي: [من بقي][2] في أصلبة الرجال.

وقال بعضهم: المستقدمين الأموات، والمستأخرين الأحياء بعد الأموات[3].

(1) و (2) زيادة من ز، ورقة 169.

(3) وقال بعضهم: إن سبب نزول الآية تسابق بعض المؤمنين إلى الصف الأول في الصلاة وتزاحمهم عليه، حتى عزم بعضهم على بيع داره النائية فيشتري أخرى قريبة من المسجد حتى يبتدر الصف الأول، فلا يفوته فضله. فأنزل الله هذه الآية، فقرّ الناس في مساكنهم. انظر في هذا المعنى ما رواه الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 88، وما رواه الواحدي في أسباب النزول ص 280 - 281.

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُم ﴾ أي: هو يحشر الخلق يوم القيامة ﴿ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ أي: حكيم في أمره، عليم بخلقه.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَـٰنَ مِنْ صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ الصلصال التراب اليابس الذي تجمّع، يسمع له صلصلة. وقال في آية أخرى: (خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالفَخَّارِ) [الرَّحمٰن: 14]. يعني الذي يجف من الطين المنتن. وقال مجاهد: الصالّ، يعني المنتن، أي: قد صلّ[1]، مثل قوله: (مِنّ حَمإٍ مَّسْنُونٍ) أي: الطين المنتن. ذكروا عن ابن عباس قال: المنتن. قال الحسن: نشأ ذريته على صورته.

قوله: (وَالجَانَّ خَلَقْنَـٰهُ مِنْ قَبْلُ) الجان، يعني إبليس في تفسير بعضهم. خلقناه من قبل، قال الحسن: أي: من قبل آدم. ﴿ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ أي: سموم جهنم.

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰئِكَةِ إِنِّي خَـٰلِقٌ بَشَراً مِّنْ صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَـٰجِدِينَ فَسَجَدَ المَلَـٰئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ فكانت الطاعة لله، والسجدة لآدم.

قال الحسن: إن إبليس أمره الله بالسجود كما أمر الملائكة، وإنه ليس من الملائكة، وإن الملائكة خلقوا من نور، وخلق إبليس من النار [وقال ابن عباس: لو لم يكن إبليس من الملائكة لم يؤمر بالسجود][2].

قال: ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّـٰجِدِينَ ﴾ قال الحسن: أبى أن يسجد معهم. وكان لإبليس اسم قبل أن يعصي الله، فسمّاه حين عصى إبليسَ. وأبلس من الإبلاس، والإبلاس هو الإياس من رحمة الله. كقوله: (أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُم

(1) صلّ اللحم إذا أنتن وتغيّر. وأدقّ تعريف في رأيي ما قاله: أبو عبيدة في المجاز ص 350: الصلصال: الطين اليابس الذي لم تصبه نار، فإذا نقرته صل فسمعت له صلصلة، فإذا طبخ بالنار فهو فخار وكل شيء له صلصلة، صوت، فهو صلصال. . .

(2) زيادة من ز، ورقة 169.

مُّبْلِسُونَ) [الأنعام: 44] أي: آيسون من رحمة الله. وكقوله: (لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) [الزخرف: 57] أي: آيسون من رحمة الله.

قوله: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَالَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّـٰجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا ﴾ أي: من السماء ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ أي: ملعون ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ أي: إلى يوم الحساب؛ أي: إلى يوم القيامة، وعليك اللعنة أبداً.

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي ﴾ أي: أخّرني ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ أي: إلى النفخة الأولى التي يموت بها كل حيّ. وأراد عدوّ الله أن يؤخره إلى النفخة الآخرة التي يبعث بها الخلق.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: بين النفختين أربعون؛ الأولى يميت الله بها كل حيّ؛ والآخرة يحيي الله بها كل ميّت[1]. ذكر بعضهم قال: النفخة الأولى من الدنيا والثانية من الآخرة.

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ قال الحسن: يريد قوله في أول الكلام (فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّين. قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي) أي: لعنتني ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: يزين لهم الدنيا فيأمرهم بها ويخبرهم أنه لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار، يوسوس ذلك إليهم.

قال: ﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ أي: الذين أخلصوا القول والعمل فوفوا لله بهما[2].

---

(1) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، في سورة الزمر، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين (رقم 2955) كلاهما يرويه عن أبي هريرة.

(2) كذا قرأ المؤلف «المخلِصين» بكسر اللام وفسرها بالإخلاص في العبارة، وقراءة ورش عندنا بفتح اللام (المخلَصين) أي: أخلصتهم لطاعتك، وهي قراءة مشهورة قرأ بها أهل المدينة =

هو كقوله: (لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) [الإسراء: 62] وكقوله: (وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) [الأعراف: 17] أي: مؤمنين. وكان الحسن يقرأها: (وَلَقَدْ صَدَقَ عليهم إبليسَ ظنُّه) [سبأ: 20] يرفع الظن وينصب إبليسَ. يقول صدق عليهم ظنه ولم يقل ذلك بعلم. وكان مجاهد يقرأها مثقلة: (وَلَقد صَدَّقَ عَلَيْهُم إِبْلِيسُ ظَنَّه فاتَّبَعُوهُ) يرفع إبليس وينصب الظنّ.

قوله: ﴿ قَالَ هَـٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ مثل قوله: (إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ) [الّيل: 12] ومثل قوله: (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) [النحل: 9]أي: الهدى.

وقال مجاهد: الصراط الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه [لا يعرّج على شيء](1)، يعني أن الله هو الهادي لمن يشاء إلى صراط مستقيم، أي: إلى الجنة.

وبعضهم يقرأها: (صِراط عَلِيٍّ مستقيم)، يرفعها، يقول: صراط رفيعٌ مستقيم.

قوله: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ مثل قوله: (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) [النحل: 99] أي: لا يستطيع أن يضل من هدى الله. قال: (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ) أي: يتولون إبليس قال: (وَالذِينَ هُمْ بِهِ) أي: بالله (مُشْرِكُونَ) [النحل: 100].

قوله: ﴿ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ ﴾ وهم من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون.

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي: لهؤلاء الغاوين ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ ﴾ بعضها تحت بعض مطبقة، الباب الأعلى جهنم، ثم سقر، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم الجحيم، ثم الهاوية؛ وجهنم والنار يجمعان الأسماء.

= والكوفة. قال الطبري في تفسيره ج 14 ص 33: «(إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُم المُخْلَصِينَ) يقول: إلا من أخلصته بتوفيقك فهديته، فإن ذلك ممن لا سلطان لي عليه ولا طاقة لي به».

(1) زيادة من تفسير مجاهد، ص 341.

وكان الحسن يقول: (وَالجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ) أي: اسم من أسماء جهنم، ويدع بعض هذه الأسماء، ولا أدري أي اسم هو.

﴿ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ بلغنا ـ والله أعلم ـ أن الباب الأعلى لمشركي العرب، والباب الثاني للنصارى، والثالث للصابئين، والباب الرابع لليهود، والخامس للمجوس، والسادس لعبدة الأوثان، والسابع للمنافقين. فقال في آية أخرى: (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) [النساء: 145] أي: الباب الأسفل.

وتفسير مجاهد في قول الله: (وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ) [فصلت: 29] يعني: إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه.

قوله: ﴿ إِنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ والعيون هي الأنهار، وقوله: (إِنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ) [القمر: 54] يعني به جميع الأنهار.

قوله: ﴿ أدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ وذلك حين تتلقّاهم الملائكة تقول لهم: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)]الزمر: 73]. وقد فسّرناه قبل هذا الموضع[1]. وقوله: (آمنين) أي: آمنين من الموت، أي: خالدين فيها لا يموتون، وهو كقوله: (لَا يَذوقُونَ فِيهَا المَوْتَ إِلَّا المَوْتَةَ الأُولَىٰ) [الدخان: 56].

قوله: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ أي: من غلِّ الدنيا الذي كان يكون بينهم في الدنيا، والضغائن التي كانت بينهم.

وبلغنا أنهم إذا توجَّهوا إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من أصلها عينان، فيشربون من إحداهما فتجري عليهم نضرة النعيم، فلا تشعث رؤوسهم، ويغتسلون في الأخرى فيخرج ما في بطونهم من أذى أو قذى أو غلّ أو غش. ثم يتوَجّهون إلى منازلهم، فتتلقاهم الملائكة فتقول لهم: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ. فقال الله: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ).

(1) انظر ما سلف في هذا الجزء، ص 305 - 306.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: يخلُص المؤمنون من النار فيحبسون عند قنطرة بين الجنة والنار، فيُقتصُّ بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذّبوا ونقّوا قيل لهم: ادخلوا الجنة؛ فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى إلى منزله في الجنة منه إلى منزله كان في الدنيا[1]. وذلك قوله: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [سورة محمد: 6] أي: عرفوها حين دخلوها، كأنهم كانوا قبل ذلك فيها. قال بعضهم: ما شبهوا إلا بأهل جمعة انصرفوا من جمعتهم.

قوله: ﴿إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَبِلِينَ﴾ قال بعضهم: ذلك في الزيارة إذا زار بعضهم بعضاً. وقال بعضهم: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض.

قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ أي: تعب، والنصب والتعب واحد. ﴿وَمَا هُمْ مِّنْهَا﴾ أي: من الجنة ﴿بِمُخْرَجِينَ﴾.

قوله: ﴿نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي: لا أغفرَ منه ولا أرحمَ، يغفر للمؤمنين ويرحمهم، فيدخلهم الجنة. ﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ يعني النار ﴿هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ﴾ أي: الموجع.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرٰهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلٰماً قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ أي: خائفون. مثل قوله: ﴿نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ [سورة هود: 70] وقال ها هنا: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ أي: لا تخف، والخوف والوجل واحد. ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلٰمٍ عَلِيمٍ﴾ فعرف أنهم ملائكة.

فـ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونِ﴾. قال مجاهد: عجب من كِبَره وكِبَر امرأته.

---

(1) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة من طريق قتادة عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ، ورواه الطبري بسند يرفعه من هذا الطريق إلى رسول الله ﷺ في تفسيره ج 14 ص 37 - 38، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ج 4 ص 101، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

﴿ قَالُوا بَشَّرْنَـٰكَ بِالحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ القَـٰنِطِينَ﴾ أي: من الآيسين. ﴿ قَالَ وَمَن يَّقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾.

﴿ قال فَمَا خَطْبُكُمْ ﴾ [أي: ما أمركم](1) ﴿ أَيُّهَا المُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ أي: مشركين، وهذا جرم شرك، يعني قوم لوط لِنعذبهم. ﴿ إِلاَّ ءَالَ لُوطٍ ﴾ يعني أهله المؤمنين ﴿ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الغَـٰبِرِينَ﴾ أي: الباقين في عذاب الله، في تفسير بعضهم. وقال الحسن: لمن الهالكين.

قوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ المُرْسَلُونَ ﴾ أي: الملائكة ﴿ قَالَ ﴾ لوط ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾. قال مجاهد: أنكرهم نبي الله لوط.

﴿ قَالُوا بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ يعني جئناك بعذاب قوم لوط، في تفسير مجاهد، وقوله: (بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ) أي: يشكّون، ويقولون لا نعذب، لأنه كان يخوفهم بالعذاب إن لم يؤمنوا.

﴿وَأَتَيْنَـٰكَ بِالحَقِّ ﴾ يعني: وجئناك بعذابهم ﴿ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ الَّيْلِ ﴾ أي: بطائفة من الليل، والسُّرَى لا يكون إلا ليلاً ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ﴾ أي: كن آخرهم. ﴿ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ﴾ أي: لا ينظر وراءه إلى المدينة. ﴿ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾.

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الأَمْرَ ﴾ أي: أعلمناه ذلك الأمر. والقضاء ها هنا إعلام. ﴿ أَنَّ دَابِرَ هَـٰؤُلاَءِ ﴾ أي: أصل هؤلاء ﴿ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ وهو كقوله: (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ). [هود: 81].

قوله: ﴿ وَجَاءَ أَهْلُ المَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ أي: قوم لوط يستبشرون بضيف لوط،

---

(1) زيادة من ز، ورقة 170.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 1 ص 353: «(أَنَّ دَابِرَ هَـٰؤُلاَءِ مَقْطُوعٌ) أي: آخرهم مجتذٌ مقطوع مستأصل».

أي: لما يريدون من عمل السوء، إتيان الرجال في أدبارهم.

﴿ قَالَ إِنَّ هَـٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾. وكانوا إنما يفعلون ذلك بالغرباء، ولا يفعله بعضهم ببعض.

﴿ قَالُوا أَوَلَـمْ نَنْهَكَ عَنِ العَـٰلَمِينَ﴾ أي: أن تضيف أحداً. وكان لا يأوون[1] ضيفاً بليل، فكانوا يعترضون من مر بالطريق بالفاحشة.

﴿ قَالَ هَـٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَـٰعِلِينَ﴾ أمرهم بتزويج النساء. وقد فسّرناه في غير هذا الموضع[2]. وقوله: (إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) أي: إن كنتم متزوّجين.

قوله: ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ وهذا قسم ﴿ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أي: لفي ضلالتهم يلعبون، في تفسير بعضهم. وفي تفسير الحسن: يتمادون.

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ ﴾ أي: بالعذاب ﴿ مُشْرِقِينَ ﴾ أي: حين أشرقت الشمس. ﴿ فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا ﴾. رفعها جبريل حتى سمع أهل السماء الدنيا ضواغي[3] كلابهم ثم قلبها. ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ ﴾ أي: أرسل الله عليهم بعد ما قلبها حجارة فاتبعت سفّارهم[4] ومن كان خارجاً من المدينة، وقوله: (مِنْ سِجِّيلٍ) هي بالفارسية سند وكل: أولها حجر وآخرها طين.

قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ أي: للمتفرسين. وقال بعضهم: للمعتبرين[5]. يقول: فيما أهلك الله به الأمم السالفة.

---

(1) كذا في المخطوطات؛ يقال: أويته وآويته، إذا أنزلته، والجيّد منهما آويته.

(2) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 238.

(3) في مخطوطتي د وج «صواعر»، وفي ق: طوغي، وفيهما تصحيف. والصحيح ما أثبته: «ضواغي» جمع ضاغية. يقال: ضغا الذئب والسنور والكلب، يضغو إذا صوّت وصاح. والضُّغاء: صوت كل ذليل مقهور. انظر اللسان: (ضغو).

(4) كذا جاءت الكلمة في المخطوطات: «سفّارهم». وهو جمع صحيح في العربية لِسافر، كراكب، ركاب ومثله قوم سافِرة، وسَفْر، وأَسْفار، لجماعة المسافرين.

(5) وقال أبو عبيدة في المجاز، ص 354: «(لِلْمُتَوَسِّمِينَ) أي: المتبصّرين المتثبّتين.

قوله: ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾، يعني قرية قوم لوط؛ يقول: إنها لبطريق واضح. وقال مجاهد: لبطريق معلم.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال في آية أخرى: (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [الصافات: 137 - 138].

قوله: ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾ يعني الذين بعث إليهم شعيب ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ والأيكة الغيضة[1].

كانوا أصحاب غيضة. كان عامة شجرهم المقل، وهو الدوم، فسلّط الله عليهم الحرّ سبعة أيام، فكان لا يكنهم منه شيء. فبعث الله عليهم سحابة فلجأوا تحتها يلتسمون الروح[2] فجعلها الله عليهم ناراً، فاضطرمت عليهم فماتوا فيها. وهو قوله: (فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) [الشعراء: 189].

قوله: ﴿ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ يقول: إن منزل قوم لوط وأصحاب الأيكة (لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ) يعني بطريق[3] واضح، أي: بيّن.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ يعني ثمودَ، قومَ صالح. ﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ ﴾ أي: العذاب ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ حين طلع الفجر. ﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أي: للبعث

(1) الغيضة موضع يغيض فيه الماء ويتجمع فينبت فيه شجر كثير ملتف. (انظر اللسان (غيض).

(2) في المخطوطات «الرواح» وهو خطأ صوابه ما أثبته: «رَوْح» وهو نسيم الريح كما جاءت الكلمة في ز.

(3) في المخطوطات: «يعني بموضع» وأثبت ما هو أصح: «طريق». كما جاءت الكلمة في ز، ورقة 171. وزاد ابن أبي زمنين: «قيل للطريق إمام لأنه مُؤتَمّ به أي: يهتدى به». كأنه نقله من مجاز أبي عبيدة ج 2 ص 354 حيث قال: «الإمام كل ما ائتممت واهتديت به».

﴿ وَإِنَّ السَّاعَةَ ﴾ أي: القيامة ﴿لآتِيَةٌ﴾ أي: لجائية ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ ﴾ والصفح ها هنا منسوخ بالقتال. وهو كقوله: (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ) يعني المشركين (وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) [الزخرف: 89]. ثم أمره بقتالهم في سورة براءة فقال: (فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) [التوبة: 5].

قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الخَلَّـٰقُ العَلِيمُ ﴾ أي: لا خالق غيره ولا أعلم منه.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعاً مِّنَ المَثَانِي وَالقُرْآنَ العَظِيمَ ﴾. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: السبع المثاني فاتحة الكتاب[1]. قال بعضهم: إنما سميت المثاني لأنهن يثنين في كل ركعة[2].

قوله: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَٰجاً مِّنْهُمْ ﴾ [أي: أصنافاً منهم][3] قال مجاهد: يعني الأغنياء.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكراً صابراً، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً: من نظر إلى من فوقه في الدين ومن دونه في الدنيا فاقتدى بهما كتبه الله شاكراً وصابراً[4].

قوله: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: على المشركين إن لم يؤمنوا. ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: [ألنه لمن آمن بك][5] أي: ارأف بهم. وهو مثل قوله:

(1) انظر تخريجه فيما مضى، ج 1 ص 74، وانظر ما أورده أبو عبيدة في مجازه، ج 2 ص 354 في المراد بالسبع المثاني في رأيه. واقرأ ما ذكره الطبري في تفسيره ج 14 ص 51 - 60 حول اختلاف المفسرين في المراد بالسبع المثاني وهل هي فاتحة الكتاب أو السبع الطوال.

(2) أما أبو عبيدة فقال في المجاز، ص 354: «وإنما سمّيت آيات القرآن مثاني لأنها تتلو بعضها بعضاً، فثنيت الأخيرة على الأولى، ولها مقاطع تفصل الآية بعد الآية حتى تنقضي السورة وهي كذا وكذا آية. . .».

(3) زيادة من ز، ورقة 171.

(4) أخرجه الترمذي في صفة القيامة، باب النظر في الدين لمن هو أعلى، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند ضعيف. وقال عنه الترمذي: حديث غريب.

(5) زيادة من ز، ورقة 171.

﴿ بِالْمُومِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: 128]. ومثل قوله: ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: 159].

قوله: ﴿ وَقُلْ إِنِّيَ أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾ أي: أنذر الناس النار.

قوله: ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾.

تفسير الحسن: يقول [الله]: إنا أنزلنا عليك القرآن كما أنزلنا على المقتسمين. والمقتسمون أهل الكتابين الذين اقتسموه فجعلوه كتباً بعد إذ كان كتاباً واحداً، فجعلوه كالأعضاء، وحرّفوه عن مواضعه، ثم قالوا: هذا من عند الله. وكتب الله كلها قرآن(1). وقال في آية أخرى: ﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾. [المؤمنون: 53]. وهي تقرأ على وجهين: زُبَراً وزُبُراً؛ فمن قرأها زُبَراً فهو يقول: قِطَعاً، ومن قرأها زبُراً فهو يقول: كتباً.

ذكروا عن ابن عباس قال: هم اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض.

وذكر بعضهم قال: هم رهط خمسة من قريش عضهوا(2) كتاب الله، فزعم بعضهم أنه سحر، وزعم بعضهم أنه شعر، وزعم بعضهم أنه كهانة وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين، وزعم بعضهم أن محمداً مجنون، وزعم بعضهم أنه كاذب.

قال: أما أحدهم فالأسود بن عبد يغوث، أتى على نبي الله وهو عند البيت، فقال له المَلَك: كيف تجد هذا؟ فقال: بئس عبد الله. قال: قد كفيتكه. ثم أتى عليه الوليد بن المغيرة، فقال له: كيف تجد هذا؟ فقال: بئس عبد الله. قال: كفيتكه، ثم أتى عليه الأسود بن المطلب، فقال المَلَك: كيف تجد هذا؟ قال: بئس عبد الله.

(1) كذا في المخطوطات: «وكتب الله كلها قرآن». وهو الصحيح. ومعناه أن كتب الله كلها مجموع أجزاؤها، مضموم بعضها إلى بعض، ومن معاني لفظ القرآن لغةً الجمع والضم. انظر اللسان: (قرأ).

(2) كذا في ق «عضهوا»، وفي د وج «عضّوا» ولكل معنى. فأما عضّى، تعضية، فمعناه فرّق وجزّأ وهذا المعنى هو الأنسب هنا. وأما عضه، يعضه عَضْهاً فمعناه قذفه ورماه ببهتان وقال في الشي أو الشخص ما ليس فيه زوراً وبهتاناً.

قال: كفيتكه. ثم أتى عليه العاص بن وائل، فقال له الملَك: كيف تجد هذا؟ قال: بئس عبد الله. قال: كفيتكه.

فأما الأسود فأتى بغصن من شوك فضرب به على رأسه ووجهه حتى سالت حدقتاه، فكان يقول بعد ذلك: دعا عليّ محمد بدعوة، ودعوت عليه بأخرى، فاستجاب الله له فيّ، واستجاب لي فيه: دعا علي أن أُثكَل وأن أعمى[1] فكان كذلك. ودعوت عليه أن يصير طريداً شريداً وحيداً مع يهود يثرب وسراق الحج، فكان كذلك[2]. وأما الوليد بن المغيرة فذهب يرتدي فتعلق بردائه سهم لا يدرى راميه فأصاب أكحله فمات. وأما العاص بن وائل فوطىء على شوكة فأوتى في ذلك حتى تساقط لحمه عضواً عضواً فمات وهو كذلك. وأما الأسود بن المطلب وعدي بن قيس فلا أدري ما أصابها، وهم المستهزؤون، استهزأوا بكتاب الله وبنبيه[3].

وقال بعضهم: هم خمسة نفر من قريش اقتسموا القرآن خمسة أجزاء، كل رجل منهم جزءاً نقضاً على محمد ورداً عليه.

وفي تفسير الكلبي: إنهم سبعة عشر رجلاً قسموا على عِقَاب[4] مكة لمن قدم مكة من الناس، يسألونهم عن محمد؛ فقالت طائفة: هو كاهن، إنما قوله كهانة، وقالت طائفة: إنما هو شاعر، وقالت طائفة: إنما هو مجنون يهذي من أم رأسه، وقالت طائفة منهم: إنما هو ساحر فعضهوا القرآن.

قال: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

---

(1) قيل إن رسول الله ﷺ دعا عليه فقال: اللهم اعم بصره وأثكله ولده. كذا رواه ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق، ج 1 ص 409، وابن جرير الطبري في تفسيره، ج 14 ص 71.

(2) لا والله لم يكن طريداً ولا شريداً ولا وحيداً، بل كان مكرّماً مبجّلاً، عزيزاً بين السابقين الأولين الذين هاجروا معه، وفي منعة من الأنصار الذين آووا ونصروا؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ورضي الله عنهم أجمعين.

(3) اقرأ بتفصيل: «كفاية الله أمر المستهزئين في سيرة ابن هشام ج 1 ص 408 - 410.

(4) جمع عَقَبَة، وهي الطريق الصاعد في الجبل.

قوله: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُومَرُ ﴾ قال الكلبي: أظهر ما أمرت به، وهذا بعد ما اكتتم سنتين بمكة، ثم أمره أن يظهر ما أمره الله به.

وقال مجاهد: اجهر بالقرآن في الصلاة.

قوله: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾. نسخها القتال.

قوله: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ قال بعضهم: هم المقتسمون الخمسة.

وقال الكلبي: إن المقتسمين السبعة عشر. والمستهزءون خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والحارث بن قيس، وهو عم عبد الله بن الزبعرى، والأسود بن المطلب، وهو أبو زمعة بن أسد، والأسود بن عبد يغوث الزهري، [ابن][1] خال رسول الله ﷺ، أخي أمه. قال: ﴿ الذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَـٰهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ أي: إنك ساحر، وإنك كاهن، وإنك مجنون، وإنك شاعر، وإنك كذاب. ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾ أي: المصلين.

﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾. يعني الموت. وهو تفسير مجاهد.

وقال بعضهم: عند الموت يأتيك يقين، أي: من الخير أو الشر. وكان الحسن يقول: ابن آدم عند الموت يأتيك اليقين.

---

(1) سقطت هذه الكلمة من جميع المخطوطات، والصواب إثباتها، لأنه الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف، وأم الرسول ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف.

تفسير سورة النّحل.
وهي من أولها إلى صدر هذه الآية:
﴿ والذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾ [الآية: 41] مكية وسائرها مدني[1]

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾. قال الحسن: هذا جواب من الله لقول المشركين للنبي عليه السلام: ﴿ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال: 32]، ولقولهم: ﴿ عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا ﴾ [سورة صٓ: 16]. فقال: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعَذَابِ ﴾ [العنكبوت: 54]. وقال: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ أي: إن العذاب قريب. وبعضهم يقول: يستعجلونك بعذاب الآخرة، وذلك منهم تكذيب واستهزاء. فأنزل الله: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾.

قوله: ﴿سُبْحَـٰنَهُ﴾ أي: ينزّه نفسه عما يقول المشركون. ﴿ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ من العلو، أي: ارتفع عما يشركون به.

قوله: ﴿ يُنَزِّلُ المَلَـٰئِكَةَ بِالرُّوحِ ﴾ أي: بالرحمة والوحي ﴿ مِنَ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾.

ذكروا عن كعب قال: إن أقرب الملائكة إلى الله إسرافيل. وإذا أراد الله أمراً أن يوحيه جاء اللوح حتى يصفق جبهة إسرافيل، فيرفع رأسه، فينظر، فإذا الأمر مكتوب، فينادي جبريل فيلبّيه، فيقول: أمرت بكذا، أمرت بكذا، فلا يهبط جبريل من سماء

(1) ورد هذا التفصيل بين ما هو مكي وما هو مدني من هذه السورة في كل من ج، ود، وز، ورقة 171، وسقط من ق.

إلى سماء إلا فزع أهله مخافة الساعة، حتى يقول جبريل: الحق من عند الحق، فيهبط على النبي عليه السلام، فيوحي إليه.

قوله: ﴿ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ أي: لا تعبدوا معي إلـهاً آخر.

قوله: ﴿ خَلَقَ الإِنْسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ يعني بالإنسان ها هنا المشرك[1] ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ وهو كقوله: (أَوَ لَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) [يٓس: 77 - 78].

قوله: ﴿ وَالأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ﴾ يعني الإبل والبقر والغنم ﴿ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ أي: ما يصنع من الكسوة من أصوافها وأوبارها وأشعارها. ﴿ وَمَنَافِعُ ﴾ في ظهورها. هذه الإبل والبقر، وألبانها في جماعتها. قال: ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ أي: من جماعتها، أي: لحومها. ويؤكل من البقر والغنم السمن.

وقال بعضهم: (لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ) أي: لباس. وقال مجاهد: لباس ينسج. وقال مجاهد في قوله: (وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) قال: منها مركب ولحم ولبن.

قوله: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ ﴾ أي: حين تروح عليكم راجعة من الرعي. ﴿ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ أي: تسرحونها إلى الرعي.

وقال بعضهم: (وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ) يعني الإبل. وهي أعجب ما تكون إذا راحت عظاماً ضروعُها، طوالاً أسنمتُها، (وَحِينَ تَسْرَحُونَ) إذا سَرحت لرعيها.

قوله: ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَـٰلِغِيهِ ﴾ أي: البلد الذي تريدونه. وفي تفسير الحسن أنها الإبل والبقر. ﴿ إِلَّا بِشِقِّ الأَنْفُسِ ﴾ أي: لولا أنها تحمل أثقالكم لم تكونوا بالغي ذلك البلد إلا بمشقة على أنفسكم. وقال بعضهم: إلا بجهد الأنفس. ومن فسّرها بجهد الأنفس فهو يقرأها بشق الأنفس.

---

(1) وقيل الإنسان هنا اسم جنس، ويقصد به جميع الناس ولا يُخص به المشرك من غيره.

﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ يقول: فبرأفة الله وبرحمته سخّر لكم هذه الأنعام، وهي للكافر رحمة الدنيا ليرزقه فيها من النعم.

قوله: ﴿ وَالخَيْلَ ﴾ يقول: وخلق الخيل ﴿ وَالبِغَالَ وَالحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ أي: في ركوبها. وذكر بعضهم أن الله خلقها للركوب وللزينة.

ذكروا عن جابر بن عبد الله أنهم أكلوا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير، فنهى رسول الله ﷺ عن لحوم الحمير والبغال ولم ينه عن الخيل.

ذكر عطاء عن جابر بن عبد الله أنهم كانوا يأكلون لحم الخيل على عهد رسول الله ﷺ.

وذكر عن الحسن قال: نهى رسول الله ﷺ عن لحوم الحمر الأهلية وعن ألبانها.

ذكر الحكم الغفاري مثل ذلك. قال: وأَبَى البحر[1] ذلك. قيل: من البحر؟ قال: ابن عباس. قال: (قُل لَّا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ. . .) إلى آخر الآية. [الأنعام: 145].

قال: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي: من الأشياء كلها مما لم يذكر لكم.

قوله: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ أي: قصد الطريق، أي: طريق الهدى إلى الجنة، كقوله: (إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ) [الّيل: 12]. وكقوله: (هَـٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) [الحجر: 41].

وقال بعضهم: قصد السبيل: بيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته.

قوله: ﴿ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ أي: وعنها، أي: عن السبيل جائر، وهو الكافر جار عن

(1) في المخطوطات: «وأبى البحر من ذلك». أي: أن ابن عباس أبى أكل لحوم الخيل. والمروّي في المسألة أن ابن عباس سئل عن أكل لحوم الخيل فكرهها. انظر اختلاف العلماء في أكل لحوم الخيل في تفسير القرطبي، ج 101 ص 75 - 78.

سبيل الهدى. وجار عنها وجار منها واحد، وهي في قراءة ابن مسعود: ومنكم جائر. قال بعضهم: جائر من السبيل، أي: عن سبيل الهدى، ناكب عنها. وذلك تفسيرها[1].

قال: ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾. مثل قوله: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً) [يونس: 99]. وكقوله: (أَفَلَمْ يَيْأَسِ الذِينَ ءَامَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً) [الرعد: 31].

قال: ﴿ هُوَ الذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ أي: ترعون أنعامكم، أي: تسرحونها فيه. وقال مجاهد: (تُسِيمُونَ) أي: تُرْعون.

قوله: ﴿ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ ﴾ أي: بذلك الماء ﴿ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَـٰبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَـرٰتِ﴾ ذكر بعضهم قال: إن الله أهبط إلى الأرض من الجنة ثلاثين ثمرة؛ عشر يؤكل داخلها ولا يؤكل خارجها، وعشر يؤكل خارجها ولا يؤكل داخلها، وعشر يؤكل داخلها وخارجها[2].

قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ وهم المؤمنون. قال: فالذي ينبت من ذلك الماء الواحد هذه الألوان المختلفة قادر على أن يحيـي الموتى.

قوله: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ يختلفان عليكم ﴿ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّـرٰتٍ بِأَمْرِهِ ﴾ يذكر عباده نعمته عليهم، وينبههم بها على لسان نبيه مما لم ينتبهوا له إلا بالمنبهين، وهم الأنبياء. ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ وهم المؤمنون.

قوله: ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: وما خلق لكم في الأرض ﴿ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ﴾ قال الحسن: من النبات. وقال بعضهم: من الدواب والشجر والثمار. قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ وهم المؤمنون.

---

(1) قال الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 97: «(وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ)، يقال: هداية الطريق، ويقال: السبيل: الإسلام. (وَمِنْهَا جَائِرٌ)؛ يقال: الجائر: اليهودية والنصرانية».

(2) هذا نوع من التكرار الذي لاحظه ابن أبي زمنين على تفسير ابن اسلام، والذي لا لزوم له، فقد مر هذا القول في هذا الجزء قريباً في صفحة 293.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي سَخَّرَ البَحْرَ ﴾ أي: خلق البحر ﴿ لِتَأكُلُوا مِنْهُ لَحماً طَرِيّاً ﴾ أي: الحيتان ﴿ وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ أي: اللؤلؤ. ﴿ وَتَرَى الفُلْكَ ﴾ أي: السفن ﴿ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾ يعني شقها الماء في وقت جريها[1].

وقال بعضهم: (مَواخِرَ فِيهِ) أي: سفن البحر مقبلة مدبرة تجري فيه بريح واحدة. وقال مجاهد: ولا تُجري الريح من السفن إلا العظام ﴿ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ يعني طلب التجارة في البحر. ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي: لكي تشكروا. وهو مثل قوله: (لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ) [النحل: 81].

قوله: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ ﴾ وهي الجبال ﴿ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ أي: لئلا تتحرك بكم. وقال مجاهد: أن تكفأ بكم. وقد فسّرناه في غير هذا الموضع[2]. ﴿ وَأَنْهَاراً ﴾ أي: جعل فيها أنهاراً ﴿ وَسُبُلاً ﴾ أي: طرقاً ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ أي: لكي تهتدوا الطرق.

﴿ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ﴾ أي: جعلها في الطرق تعرفونها بها. ﴿ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ والنجم جماعة النجوم التي يهتدون بها[3].

قوله: ﴿ أَفَمَن يَّخْلُقُ ﴾ يعني نفسه ﴿ كَمَنْ لَّا يَخْلُقُ ﴾ يعني الأوثان، على الاستفهام، هل يستويان. أي: لا يستوي الذي يخلق والأوثان التي لا تخلق والتي تعبدون من دون الله، التي لا تملك ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، والنشور البعث.

(1) قال أبو عبيدة في المجاز: «(وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ) من مخرت الماء، أي: شقّته بجآجئها، والفلك ها هنا في موضع جميع، فقال فواعل، وهو موضع واحد، كقوله: (الفُلْكِ المَشْحُونِ). . .» [الشعراء: 119].

(2) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 293.

(3) روى الطبري في تفسيره ج 14 ص 91 - 92 بسند عن قتادة قال: «قوله (وَعَلَامَاتٍ وبِالنَّجْمِ يَهْتَدُونَ) والعلامات النجوم. وإن الله تبارك وتعالى إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصلات: جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدى بها، وجعلها رجوماً للشياطين. فمن تعاطى فيها غير ذلك فقدَ رأيه، وأخطأ حظه، وأضاع نصيبَه، وتكلّف ما لا علم له به».

﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ يقوله للمشركين. والمؤمنون هم المتذكرون. يقول: أفمن يخلق كمن لا يخلق. والله هو الخالق، وهذه الأوثان التي تعبدون من دون الله تُخلَق ولا تَخلق شيئاً.

قوله: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ ﴾ أي: ما يسر المشركون من نجواهم في أمر النبي، أي: ما يتشاورون في أمره، مثل قوله: (وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) أي: الذين أشركوا (هَلْ هَـٰذَا) يعنون محمداً (إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) [الأنبياء: 3] أي: أنه سحر. يعنون القرآن. قال الله ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ أي: من شركهم وجحودهم.

﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ يعني الأوثان ﴿ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ أي: يصنعون بأيديهم. قال إبراهيم: (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) [الصافات: 95 - 96] أي: بأيديكم.

قوله: ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾ أي: الأوثان أموات لا أرواح فيها ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾.

قال بعضهم: تحشر الأوثان بأعيانها فتخاصم عابديها عند الله بأنها لم تدعهم إلى عبادتها، وإنما كان دعاهم إلى عبادتها الشيطان. قال الله: (إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً) أي: أمواتاً لا أرواح فيها (وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَّرِيداً) [النساء: 117].

قوله: ﴿ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ أي: لا يصدّقون بالآخرة ﴿ قُلُوبُهُم مُّنْكِرَةٌ ﴾ أي: لهذا القرآن. وبعضهم يقول منكرة لا إلـه إلا الله ﴿ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن عبادة الله وعما جاء به رسول الله. وقال بعضهم: عن القرآن، وهو واحد.

ثم قال: ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ وهي كلمة وعيد[1]. ﴿ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا

---

(1) أصلها لا بد ولا محالة، ثم صار لها أحياناً معنى القسم. وقال المفسرون: معناها: حقاً. انظر ما قاله الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 58 في أصل معنى لا جرم واستعمالها ومعناها الذي لها بعد =

يَعْلِنُونَ ﴾. وقد فسّرناه قبل هذا الموضع. ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ﴾ أي: إذا قال المؤمنون للمشركين ماذا أنزل ربكم ﴿ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾. وإنما ارتفعت لأنهم قالوا: إنه أساطير الأولين، وهذه حكاية[1]، أي: كذب الأولين وباطلهم. فليس يقرون أن الله أنزل كتاباً، ويقولون: إن النبي افتراه من عنده. وإنما قال ذلك ناس من المشركين، مشركي العرب، كانوا يرصدون بطريق مكة من أتى النبي؛ فإذا مرّ بهم من المؤمنين من يريد النبي قالوا: إنما هو أساطير الأولين.

وفي تفسير الكلبي: إن المقتسمين الذين تفرقوا على عقاب مكة أربعة نفر على كل طريق؛ أمرهم بذلك الوليد بن المغيرة فقال: إن الناس سائلوكم عن محمد غداً بعد الموسم؛ فمن سألكم عنه فليقل بعضكم إنه ساحر، وليقل الآخر: كاهن، وليقل الآخر شاعر، وليقل الآخر مجنون يهذي من أمّ رأسه؛ فإن رجعوا ورضوا بقولكم فذاك، وإلا لقوني عند البيت. فإذا سألوني صدّقتكم كلّكم.

فسمع ذلك رسول الله ﷺ فشقّ عليه، فبعث مع كل الأربعة أربعة من أصحابه وقال لهم: إذا سألوا عني فكذبوا عني فحدّثوا الناس بما أقول. فكان إذا سئل المشركون ما صاحبكم، فقالوا: ساحر قال الأربعة الذين هم من أصحاب رسول الله ﷺ: انطلقوا حتى تسمعوه، بل هو رسول الله حقاً، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويأمر بصلة ذي القربى، وبأن يُقرَىٰ الضيف، وبأن يُعبد الله، في كلام حسن جميل؛ فيقول الناس للمسلمين: والله لما تقولون أنتم أحسن مما يقول هؤلاء، والله لا نرجع حتى نلقاه، فهو قوله: (وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ).

قال: ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ ﴾ أي: آثامهم في تفسير الحسن. وقال بعضهم:

= ذلك. وانظر اللسان (جرم) فإن ابن منظور يفصل مختلف معانيها واستعمالها. وانظر ما سلف في هذا الجزء ص 221.

(1) قلّما يتعرض المؤلف إلى مسائل الإعراب في تفسيره هذا، وإذا فعل فبإيجاز.

ذنوبهم، وهو واحد. ﴿ كَامِلَةً يَوْمَ القِيَـٰمَةِ ﴾ يعني الذين قالوا أساطير الأولين ﴿ وَمِنَ أَوْزَارِ الذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ أي: بئس ما يحملون. أي: يحملون آثام أنفسهم ومثل آثام الذين دعوهم إلى الضلالة فاتّبعوهم عليها. وهو كقوله (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ) [العنكبوت: 13] أي: يحملون آثامهم ومثل آثام الذين دعوهم إلى الضلالة فاتبعوهم عليها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزار الذين اتبعوهم شيء. هذا في القادة والأتباع.

ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: أيما داع دعا إلى هدى فاتّبع عليه كان له مثل أجر من اتبعه من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. وأيما داعٍ دعا إلى ضلالة فاتبع عليها كان عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً[(1)].

قوله: ﴿ قَدْ مَكَرَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ القَوَاعِدِ ﴾ يعني الذين أهلك بالرجفة من الأمم السالفة، رجفت بهم الأرض. ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ أي: سقطت سقوف بيوتهم ومنازلهم عليهم. ﴿وَأَتَـٰهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: أتاها أمر الله من أصلها، فخر عليهم السقف من فوقهم. والسقف أعلى البيوت، فانتقضت[(2)] بيوتهم بهم.

قال مجاهد: يعني [مكر] نمروذ [بن كنعان، وهو الذي حاج إبراهيم في ربه][(3)].

قال: ﴿ ثُمَّ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ ﴾ أي: في النار بعد عذاب الدنيا ﴿ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ﴾ أي: الذين زعمتم أنهم شركائي ﴿ الذِينَ كُنْتُمْ تُشَـٰقُّونَ فِيهِمْ ﴾ أي:

(1) راوه ابن ماجه في المقدمة، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، عن أنس بن مالك (رقم 205) وعن أبي هريرة (رقم 206) وانظر ما سلف في الجزء الأول ص 465.

(2) في مخطوطة ق: «فانتصبت»، وفي ج ود: «ما نتصبت» (كذا) غير مضبوطة. وأثبت ما بدا لي قريباً من الكلمة المصحفة. وفي تفسير الطبري ج 14 ص 98: «فأتفكت بهم بيوتهم» والقول لقتادة.

(3) ما بين المعقوفين زيادة من تفسير مجاهد، ص346.

تفارقون فيهم، يعني المحاربة والعداوة، أي: عادوا الله في الأوثان يعبدونها من دونه.

﴿ قَالَ الذِينَ أُوتُوا العِلْمَ ﴾ وهم المؤمنون ﴿ إِنَّ الخِزْيَ اليَوْمَ ﴾ أي: الهوان ﴿ وَالسُّوءَ ﴾ أي: العذاب ﴿ عَلَى الْكَـٰفِرِينَ﴾ وهذا الكلام يوم القيامة.

قوله: ﴿ الذِينَ تَتَوَفَّيْهُمُ المَلَـٰئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ قال بعضهم: توفتهم عند الموت. وقال الحسن: هي وفاة إلى النار، أي: حشر إلى النار.

﴿ فَأَلْقَوُا السَّلَـمَ ﴾ قال بعضهم: استسلموا. وقال الحسن: أعطوا السلم أي: أسلموا فلم يقبل منهم؛ وقال: إن في القيامة مواطن، فمنها موطن يقرّون فيه بأعمالهم الخبيثة، وهو كقوله: (وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِين) [الأنعام: 130] أي: في الدنيا. وموطن يجحدون فيه فقالوا: ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾ فقيل لهم: ﴿بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: في الدنيا إذ أنتم مشركون. وموطن آخر (قَالُوا: وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) فقال الله: (انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ) [الأنعام: 23 - 24] (وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) أي: من عبادتهم الأوثان، فلم تغن عنهم شيئاً، وموطن آخر، وهو آخرها، أن يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم (وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [سورة يٓس: 65].

قوله: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أي: عن عبادة الله عزّ وجلّ.

﴿ وَقِيلَ لِلذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً ﴾ أي: أنزل خيراً. ثم انقطع الكلام. ثم قال: ﴿ لِلذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ أي: آمنوا ﴿ فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الأَخِرَةِ خَيْرٌ ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ المُؤمن حسنة؛ يثاب عليها بالرزق في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة[1].

---

(1) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا. عن أنس بن مالك (رقم 2808) وزاد في =

وقال الحسن: (لِلذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ): تكون لهم حسنتهم في الآخرة الجنة. قال: (وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ) أي: الجنة خير من الدنيا. ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ المُتَّقِينَ ﴾.

قوله: ﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ﴾. وقد فسّرناه قبل هذا الموضع. وعدن أشرف الجنان، نسبت الجنان كلها إليها.

قال: ﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ المُتَّقِينَ الذِينَ تَتَوَفَّيٰهُمُ المَلَـٰئِكَةُ ﴾ [أي: تقبض أرواحهم][1] ﴿ طَيِّبِينَ ﴾. قال مجاهد: طيبين أحياء وأمواتاً أينما كانوا بالعمل الصالح ﴿ يَقُولُونَ ﴾ لهم ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

ذكروا أن الملائكة تأتي ولي الله عند الموت فيقولون: السلام عليك يا ولي الله، الله يقرئك السلام وتبشره الملائكة بالجنة. ذكروا أن الله يقول لهم: ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: الدرجة في الجنة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض. وإن العبد ليرفع بصره فيلمع له برق يكاد يخطف البصر، فيقول: ما هذا؟ فيقال له: هذا نور أخيك فلان. فيقول أخي فلان! كنا نعمل في الدنيا جميعاً، وقد فضل عليّ هكذا؟ فيقال: إنه كان أحسن منك عملاً. قال: ثم يجعل في قلبه الرضا حتى يرضى[2].

قوله: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ أي: ما ينظرون ﴿ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ المَلَـٰئِكَةُ﴾ أي: بالموت ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ أي: القيامة في تفسير بعضهم. وقال الحسن: هل

= آخره: «وأما الكافر فيُطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزي بها». وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده عن أنس.

(1) زيادة من ز ورقة 173.

(2) انظر تخريجه فيما سلف، ج 1 ص 329.

ينتظـرون إلا أن تأتيهم الملائكة، أي: بعذابهم، يعني مشركي العرب، أو يأتي أمر ربك، يعني النفخة الأولى التي يهلك بها آخر كفار هذه الأمة الدائنين بدين أبي جهل وأصحابه قبل عذاب الآخرة.

قال: ﴿ كَذَلِكَ فَعَلَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي: كذلك كذب الذين من قبل مشركي العرب، فأهلكناهم بالعذاب. قال: ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَـكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ أي: يضرون، وقال الحسن: ينقصون.

قوله: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾ أي: ثواب ما عملوا ﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي: بآيات الله والرسل.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ أي: ما حرّموا على أنفسهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام والزرع. وهو قوله: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا: هَـذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـذَا لِشُرَكَائِنَا. .) إلى آخر الآية. [الأنعام: 136]. وقالوا لو كره الذي نحن عليه لحوّلنا عنه. فقال الله جواباً لقولهم: (كَذَلِكَ كَذَّبَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا) أي: عذابنا. وقد ذكر عنهم في سورة الأنعام قبل هذا القول فقال: (قُلْ هَلْ عِنْدَكُم مِّنْ عِلم فَتُخْرِجُوهُ لَنَا) أي: هل عندكم من حجة أنه لا يكره ما أنتم عليه (إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) [الأنعام: 148] وقال في هذه الآية: ﴿ كَذَلِكَ فَعَلَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَىٰ الرُّسُلِ إِلَّا البَلَٰغُ المُبِينُ ﴾ أي: ليس على الرسل إلا أن تبلغ أممها ما أرسلها به ربها إليهم، ليس عليهم أكثر من ذلك.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً ﴾ يعني ممن أهلك بالعذاب ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّـٰغُوتَ ﴾ والطاغوت الشيطان، هو دعاهم إلى عبادة الأوثان وهو مثل قوله: (إِن يَّدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً وَأَن يَّدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَّرِيداً) [النساء: 117]. قال: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّـٰلَـٰلَةُ ﴾ كقوله: (فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ) [هود: 105]. والذين حقّت عليهم الضلالة والذين شقوا إنما ضلوا وشقوا بأعمالهم.

قال: ﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ أي: الرسل. كان عاقبتهم أن دمّر الله عليهم ثم صيّرهم إلى النار.

قوله: ﴿ إِنْ تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَيٰـهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُهْدَىٰ مَن يُضِلُّ ﴾ كقوله: (مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ) [الأعراف: 186]. وهي تقرأ على وجه آخر: لا يَهدِي من يُضِل): أي: من أضله الله، وقد حقت عليه الضلالة بفعله، فإن الله لا يهديه(1). وقوله: (إِنْ تَحْرِصْ) كقوله: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَّشَاءُ) [القصص: 56] ﴿ وَمَا لَهُم مِّنْ نَاصِرِينَ ﴾ أي: إذا جاءهم العذاب.

قوله: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَّمُوتُ ﴾ قال: ﴿ بَلَىٰ وَعْداً عَلَيْهِ ﴾ ليبعثنهم. ثم قال ﴿ حَقّاً ﴾ فأقسم بقوله حقاً(2). ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ قال: ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾أي: ما يختلفون فيه في الدنيا، أي: ما اختلف فيه المؤمنون والكافرون. ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَـٰذِبِينَ﴾ أي: في قولهم في الدنيا: (لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَّمُوتُ).

قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُ﴾ [قبل أن يكون] ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾.

قوله: ﴿ وَالَّـذِينَ هَاجَـرُوا فِي اللَّهِ ﴾ أي: إلى المدينـة ﴿ مِن بَعْدِ مَـا ظُلِمُوا ﴾أي: من بعد ما ظلمهم المشركون وأخرجوهم من ديارهم، أي: من مكة، وهو قوله: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا) [الحج: 39] ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا

---

(1) قال الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 99: «وقرأها أهل الحجاز (لا يُهدَىٰ من يُضِلّ)، وهو وجه جيّد، لأنها في قراءة أبي (لا هادي لمن أضلّ الله). ومن في الوجهين جميعاً في موضع رفع، ومن قال: (يُهدَىٰ) كانت رفعاً إذ لم يسم فاعلها. ومن قال (لا يَهدِي) يريد: يهتدي يكون الفعل لمَن».

(2) كذا في ق وفي ج ود. «فأقسم بقوله حقّاً» ولم أجد في كتب التفسير أو إعراب القرآن من قال: إن كلمة (حَقّاً) هنا قسم. والصواب أنها صفة لـ (وَعْداً) أفادت توكيد الإثبات الذي دلت عليه كلمة (بَلَىٰ) واقرأ ما كتبه الفراء في المعاني ج 2 ص 100: «وقوله: (بَلَىٰ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً) بلى ليبعثنهم وعداً عليه حقّاً. ولو كان رفعاً على قوله: بلى ذلك وعد عليه حق كان صواباً».

حَسَنَةً ﴾ أي: المدينة منزلاً في تفسير مجاهد[1]. قال الحسن: لنعطينهم في الدنيا النصر. ﴿ وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ من الدنيا ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ لعلموا أن الجنة خير من الدنيا. أي: إن الله يعطي المؤمنين في الآخرة أفضل مما يعطي في الدنيا.

ذكر بعضهم قال: هؤلاء أصحاب نبي الله؛ ظلمهم أهل مكة وأخرجوهم من ديارهم، حتى لحق طوائف منهم بالحبشة، ثم بوأهـم الله بعد ذلك المدينة.

قوله: ﴿ الذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ قال الحسن: هم الذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا.

وقال الكلبي: هم صهيب وخبّاب بن الأرت، وبلال، وعمار بن ياسر، وفلان مولى أبي بن خلف الجمحي[2]، أخذوا بعد ما خرج رسول الله ﷺ من مكة، فعذبهم المشركون على أن يكفروا بمحمد رسول الله ﷺ فعذبوا حتى بلغ مجهودهم.

قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ يقوله للمشركين، يعني أهل الكتابين. وقال بعضهم: يعني أهل التوراة. [وقال بعضهم: أهل الذكر عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا][3]. مثل قوله: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ) [الأنبياء: 7 - 8] أي: لا يموتون.

قوله: ﴿ بِالبَيِّنَٰتِ وَالزُّبُرِ ﴾ فيها تقديم، وتقديمها: وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجالاً يوحى إليهم. والزبر الكتب. قال: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾ أي:

---

(1) ليس هذا قولاً لمجاهد. فإنه لم يرد في تفسيره ولا في تفسير الطبري نسبته إليه، وإنما هو قول لابن عباس كما جاء في بعض التفاسير للشعبي. وجاء في تفسير مجاهد ص 347 ما يلي: «(لَنُبَوِّئَنَّهُـمْ في الدنيا) لنرزقنهم في الدنيا رزقاً حسناً». ولتفسير الآية أوجه أخرى أوردها ابن الجوزي في زاد المسير، ج 4 ص 448.

(2) لم أجد فيما بين يدي من مصادر التفسير والتاريخ والسيرة مولى كان يعذبه أبي بن خلف حتى أتحقق من اسمه.

(3) زيادة من ز، ورقة 174 والقول للسدي.

القرآن ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ أي: ولكي يتفكروا في القرآن.

قوله: ﴿ أَفَأَمِنَ الذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ أي: عملوا السيئات، والسيئات ها هنا الشرك ﴿ أَن يَّخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ قال: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ ﴾ في البلاد، أي: في أسفارهم في غير قرار ﴿ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ أي: بسابقين ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ أي: يهلك القرية، يخيف بهلاكها القرية الأخرى لعلهم يرجعون، أي: لعل من بقي منهم على دينهم، دين الشرك، أن يرجع إلى الإيمان[1].

وقال الكلبي: (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) في البلاد بالليل والنهار. (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ) أي: على تنقص[2]: أي: يبتليهم بالجهد حتى يرقوا ويقلّ عددهم. فإن تابوا وأصلحوا كشف عنهم. فذلك قوله: (فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) أي: إذ جعل لكم متاباً ومرجعاً.

قوله: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ ﴾ ، أي: يرجع ظل كل شيء، من الفيء ﴿ عَنِ اليَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴾ والفيء الظل. وقال الحسن: ربما كان الفيء عن اليمين، وربما كان عن الشمال. وقال الكلبي: هذا يكون قبل طلوع الشمس وبعد غروبها. وقال بعضهم: (عَنِ اليَمِينِ والشَّمَائِلِ). أما اليمين فأول النهار، وأما الشمائل فآخر النهار.

قوله: ﴿ سُجَّداً لِّلَّهِ ﴾ فظل كل شيء سجوده. ﴿ وَهُمْ دٰخِرُونَ﴾ أي: وهم

(1) من هنا أضيف إلى مخطوطاتي السابقة ق، ع، ج، د، وز للتحقيق مخطوطة أخرى من تفسير ابن سلام اقتنيتها مصورة من المكتبة الوطنية بتونس بسعي مشكور من أحد الأساتذة الفضلاء هو الدكتور سعد غراب، جازاه الله عنا وعن الإسلام كل خير، وهي المخطوطة التي تحمل رقم 7447 (عبدلية)، والتي أرمز لها بحرفي س وع هكذا: «سع».

(2) قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن: «أي: على تنقّص، ومثله التخوّن. يقال تخوّفته الدهور وتخوّنته إذا نقصته وأخذت من ماله أو جسمه».

صاغرون فيسجد ظل الكافر كارهاً. أي: يسجد ظله والكافر كاره.

قوله: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلٰئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ أي: عن عبادة الله. يعني الملائكة. قال بعضهم [في قوله: (وَالْمَلَائِكَةُ) أي: تسجد ملائكة الأرض][1] ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَـٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ أي: لا تعبدوا مع الله إلـهاً غيره ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّـٰيَ فَارْهَبُونِ ﴾ أي: فخافون.

قوله: ﴿ وَلَـهُ مَا فِي السَّمـٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً ﴾ أي: دائماً[2] ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ يعني المشركين. على الاستفهام، أي: قد فعلتم، فعبدتم الأوثان من دونه.

قوله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ ﴾ أي: المرض وذهاب الأموال والشدائد ﴿ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ أي: [تصرخون][3]، أي: تدعونه ولا تدعون الأوثان. وقال مجاهد: (تَجْأَرُونَ) أي: تضرّعون.

قال: ﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ يعني بالفريق المشركين. ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا ﴾ أي: في الدنيا ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ وهذا وعيد هوله شديد.

قوله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ﴾ يعني آلهتهم. أي:

---

(1) ما بين المعقوفين زيادة من ز، ورقة 174، والقول لمحمد بن أبي زمنين.

(2) أصل معنى «واصباً» أي: دائماً كما ذكره أبو عبيدة وأكده الفراء وغيرهم. وزاد الفراء في المعاني ج 2 ص 104: «ويقال: «خالصاً»». وفي تفسير مجاهد: «قال: الإخلاص، واصباً، أي: دائماً». وقال ابن قتيبة مبيّناً: «(وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً) أي: دائماً. والدين: الطاعة. يريد أنه ليس من أحد يُدان له ويُطاع إلا انقطع ذلك عنه بزوال أو هلكة، غير الله، فإن الطاعة تدوم له»..

(3) زيادة من ز ورقة 174 ومن سع. وقال ابن قتيبة: أي: تضجون بالدعاء وبالمسألة. يقال: جأر الثور يجأر» إذا رفع صوته.

يجعلون لما لا يعلمون أنه خلق مع الله شيئاً ولا أمات ولا أحيى ولا رزق معه شيئاً، (نَصيباً مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ). يعني قوله: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَائِنَا) [الأنعام: 136]. وقد فسّرناه قبل هذا الموضع[1]. [وقال بعضهم: هم مشركو العرب جعلوا لأوثانهم وشياطينهم نصيباً مما رزقهم الله][2].

قال: ﴿ تَاللَّهِ ﴾ وهو قسم، أقسم الله بنفسه ﴿ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ يقوله لهم، لما يقولون إن الأوثان تقربهم إلى الله زلفىٰ، وإن الله أمرهم بعبادتها.

قوله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَـٰتِ ﴾ كان مشركو العرب يقولون إن الملائكة بنات الله. قال الله ﴿سُبْحَـٰنَهُ﴾ ينزّه نفسه عما قالوا ﴿ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ أي: ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون، أي: الغلمان.

قال: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنْثَىٰ ﴾ التي جعلها الله ـ زعم ـ حيث جعلوا لله البنات، يعنون الملائكة ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً ﴾ أي: مغبراً ﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ أي: قد كظم على الغيظ والحزن.

قال: ﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ ﴾ يقول: يتفكّر كيف يصنع بما بشّر به، أيمسكه، أي: يُمسك الذي بشّر به، أي: الابنة ﴿ عَلَىٰ هُونٍ ﴾ أي: على هوان ﴿ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ أي: فيقتل ابنته، يدفنها حية حتى تموت مخافة الفاقة.

كان أحدهم يقتل ابنته مخافة الفاقة ويغذو كلبه، وكانوا يقولون الملائكة بنات الله، فالله صاحب بنات. جلّ ربنا عن اتخاذ الولد وعمّا وصفه به أهل الجاهلية، فألحقوا البنات به.

(1) انظر ما سلف في هذا التفسير، ج 1 ص 562.

(2) زيادة من سع.

(3) قال أبو عبيدة في المجاز ج 1 ص 361: (وهو كظيم) أي: يكظم شدة حزنه ووجده ولا يظهره، وهو في موضع كاظم، خرج مخرج عليم وعالم.

قال الله: ﴿ أَلَا سَاءَ ﴾ أي: بئس ﴿ مَا يَحْكُمُونَ﴾ إذ جعلوا لله ما لم يرضوا أن يخصّوه لأنفسهم. وهذا مثل ضربه الله لهم.

ثم قال: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُومِنُونَ بِالأَخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعْلَىٰ ﴾ أي: إنه (لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ) [الإسراء: 111] ﴿ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾.

قال بعضهم في قوله: (وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعْلَىٰ) قال: الإخلاص والتوحيد.

قوله: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ ﴾ أي: لحبس المطر فأهلك حيوان الأرض. ﴿ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ﴾ أي: يؤخر المشركين والمنافقين ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: إلى الساعة لأن آخر كفار هذه الأمة أخر عذابها بالاستئصال إلى النفخة الأولى. ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴾ أي: بعذاب الله ﴿ لَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ أي: عن العذاب[1] ﴿ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ أي: يجعلون لله البنات ويكرهونها لأنفسهم ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الكَذِبَ ﴾ أي: يتكلمون به ويعلنون به ﴿ أَنَّ لَهُمُ الحُسْنَىٰ ﴾ أي: الغلمان. وفي تفسير الحسن: (أن لهم الجنة)، إن كانت جنة؛ كقول الكافر: (وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيَ إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ) [فصلت: 50] أي: إن رجعت، وكانت ثمّ جنة.

قال الله: ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ وهي كلمة وعيد ﴿ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾. أي: معجّلون إلى النار. وبعضهم يقرأها (مفرَطون) أي: منسيون فيها مضيَّعون وبعضهم يقرأها (مفرِّطون) يعني أنهم مفرِّطون؛ كقوله تعالى: (يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا) [الأنعام: 31][2].

(1) هذا شرح للجار والمجرور «عنه» الذي زادته خطأ كل المخطوطات، حتى سع. والصحيح هنا في النحل وفي الأعراف: 34، وفي يونس: 49: (لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً). وجاء (عَنْهُ) في سورة سبإ: 30 (قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ). وهذا ـ ولا شك ـ خطأ من النساخ الأوائل تبعهم فيه من بعدهم.

(2) ذكر المؤلف هنا قراءتين: (مفرَطون)، ولها معنيان، ومفرِّطون، بتشديد الراء المكسورة. ولم =

قوله: ﴿ تَاللَّهِ ﴾ قسم، أقسم الله بنفسه ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّنْ قَبْلِكَ يعني من أهلك بالعذاب من الأمم السالفة. ﴿ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَـٰنُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ ﴾ وإلى يوم القيامة ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: في الآخرة.

قوله: ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَـٰبَ ﴾ أي: القرآن ﴿ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ أي: الأرض اليابسة التي ليس فيها نبات فيحييها بالمطر فتنبت بعد إذ لم يكن فيها نبات. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ فيعلمون أن الذي أحيا هذه الأرض الميتة حتى أنبتت قادر على أن يحيي الموتى، لأن المشركين لا يقرون بالبعث.

قوله: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴾ يقول: في هذا اللبن الذي أخرجه الله من بين فرث ودم آية لقوم يعقلون، فيعلمون أن الذي أخرجه من بين فرث ودم قادر على أن يحيي الموتى.

قوله: ﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً ﴾ أي: وجعل لكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: السكر ما حرم الله من ثمراتها، والرزق الحسن ما أحل الله من ثمراتها.

قال بعضهم: نزلت قبل تحريم الخمر؛ قال: أما الرزق الحسن فهو ما أحل الله

= يشر إلى القراءة الثالثة: (مُفْرِطون) بتخفيف الراء المكسورة، وهي قراءتنا في المغرب الإسلامي، عن نافع، وهي بمعنى الإسراف في الشيء ومجاوزة الحدّ فيه. وقد أشار إلى هذه القراءة الأخيرة الطبري في تفسيره ج 14 ص 129 وقال: «بتأويل أنهم مفْرِطون في الذنوب والمعاصي مسرفون فيها». وانظر التيسير للداني، ص 138، والحجة لابن خالويه. ص 187. وفي مخطوطة ز ورقة 175: «قال محمد: وقراءة نافع (مفرِطون) بتسكين الفاء وكسر الراء، وهو من الإفراط في معصية الله».

من ثمراتها مما تأكلون وما تعصرون وتنتبذون وتخللون. وأما السكر فهو خمور الأعاجم.

ذكروا عن أبي موسى الأشعري أنه قال: إن لكل قوم خمراً، وإن خمر فارس العنب، وخمر المدينة البسر والتمر، وخمر اليمن البتع، يعني العسل، وإن خمر الحبشة السكركة، يعني الذرة[1].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال الخمر من هاتين الشجرتين: النخلة والعنبة[2].

وذكروا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن هذه الأنبذة تُنبَذُ[3] من خمسة أشياء، من التمر والزبيب والبر والشعير والعسل، فما خمّرتم منه فعتّقتم فهو خمر.

قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ وهي مثل الأولى.

قوله: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ وهذا وحي إلهام. ﴿ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ أي: ومما يبنون.

﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَٰتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً ﴾ يعني طرق ربك التي جعل الله لك ذللاً، أي: مطيعة. وقال مجاهد: (اسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً) أي: ذلّلت لها السبل لا يتوعّر عليها مكان [سلكته][4].

﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ ﴾ يعني العسل ﴿ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ أي: دواء.

---

(1) جاء في سع: «الاسكركة، قال حماد، يعني الأرز» وأثبت الذرة، وهي الكلمة التي جاءت في اللسان لوصف خمر الحبشة، انظر اللسان (سكر). وفي المخطوطات الأرز.

(2) أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الأشربة، باب بيان أن جميع ما ينبذ مما يتخذ من النخل والعنب يسمى خمراً (رقم 1985) من حديث أبي هريرة.

(3) يقال نبذ وانتبذ التمر أو الزبيب إذا تركه في الماء حتى يشتد ويفور فيسكر.

(4) زيادة من تفسير مجاهد، ص 349.

ذكروا أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنَّ أخي يشتكي بطنه. قال: اذهب فاسقه عسلاً. فذهب فسقاه فلم ينفعه شيئاً. فأتى النبي عليه السلام فقال: يا رسول الله سقيته فلم ينفعه شيئاً. قال: فاذهب فاسقه عسلاً. فذهب فسقاه فلم ينفعه شيئاً. فأتى النبي فقال: يا رسول الله سقيته فلم ينفعه شيئاً. قال: فاذهب فاسقه عسلاً. فذهب فسقاه فلم يغن عنه شيئاً. فأتى النبي فأخبره؛ فقال رسول الله ﷺ في الثالثة أو الرابعة: صدق الله وكذب بطن أخيك، اذهب فاسقه عسلاً. فذهب فسقاه فبَرَأ بإذن الله[1].

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّيكُمْ ﴾ أي: يميتكم. ﴿ وَمِنْكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾ أي: إلى الهرم ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً ﴾ أي: يصير بمنزلة الطفل الذي لا يعقل شيئاً. ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَت أَيْمَانُهُمْ فَهُم فِيهِ سَوَاءٌ ﴾. يقول: هل منكم من أحد يكون هو ومملوكه في أهله وماله سواء؛ أي: إنكم لا تفعلون ذلك بمملوكيكم حتى تكونوا في ذلك سواء، فالله أحق أن لا يُشرك به أحد من خلقه. وهو كقوله: (ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِّنَ أَنْفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّمَّا مَلَكَت أَيْمَانُكُم مِّنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) [الروم: 28] أي: كخيفة بعضكم بعضاً. قال: فهذا مثل ضربه الله. يقول: فهل أحد منكم يشارك مملوكه في زوجته وفراشه وماله، أفتعدلون بالله خلقه؟.

قال: ﴿ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ على الاستفهام، أي: قد جحدوا نعمة الله.

(1) حديث متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الدواء بالعسل وقول الله تعالى: (فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ)، وأخرجه مسلم في كتاب السلام، باب التداوي بسقي العسل (رقم 2217) كلاهما يرويه من حديث أبي سعيد الخدري. وفي لفظ مسلم: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي استطلَق بطنُه، فقال رسول الله ﷺ: اسقه عسلاً...».

قوله: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنَ أَنفُسِكُم أَزْوَجاً﴾ يعني النساء، والنساء من الرجال. ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ أَزْوَجِكُمْ بَنِينَ وحفدة﴾ والحفدة الخدم، يعني ولداً يخدمونه وولد ولده.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: الحفدة الأختان(1).

قوله: ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَـتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤمِنُونَ ﴾ على الاستفهام، أي: قد آمنوا بالباطل، والباطل إبليس. ﴿ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ وهو كقوله: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً) [إبراهيم: 28] وكقوله: (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) [الواقعة: 82] يقول: تجعلون مكان الشكر التكذيب.

قوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِّنَ السَّـمٰوٰتِ وَالأَرْضِ شَيْئاً ﴾ يعني آلهتهم التي يعبدون من دون الله ﴿ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ ﴾ مثل قوله: (وَلاَ يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلاَ حَيَاةً وَلاَ نُشُوراً) [الفرقان: 3] أي: ولا بعثاً.

قال: ﴿ فَلاَ تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ ﴾ أي: الأشباه، فتشبهوا هذه الأوثان الميتة التي لا تحيـي ولا تميت ولا ترزق بالله الذي يحيـي ويميت ويرزق ويفعل ما يريد. ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾.

قوله: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ يعني الوثن ﴿ وَمَن رَّزَقْنَـهُ مِنَّا رِزْقَا حَسَناً ﴾ يعني المؤمن ﴿ فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً ﴾ قال: ﴿ هَلْ يَسْتَوُونَ ﴾ يعني هل يستوي هذا الذي يعبد الوثن الذي لا يقدر على شيء، والذي

(1) الخَتَن: كل من كان من قِبَل المرأة مثل الأب والأخ، وقيل هو زوج بنت الرجل خاصة. وقد وردت معان كثيرة للحفدة، وأصلها راجع إلى الخدمة والسرعة في العمل. وجاء في دعاء القنوت: «وإليك نسعى ونحفد» أي: نسرع إلى العمل بطاعتك. انظر هذه المعاني المختلفة التي أوردها الطبري في تفسيره، ج 14 ص 143 - 147، وانظر ما قاله الفراء في المعاني، ج 2 ص 110، وانظر اللسان (حفد).

يعبد الله الذي يرزقه الرزق الحسن، أي: إنهما لا يستويان. ثم قال: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ أي: الشكر لله ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

قال بعضهم: هذا مثل ضربه الله للكافر؛ رزقه الله مالاً فلم يقدم فيه خيراً، ولم يعمل فيه بطاعة الله. قال الله (وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فهو ينفق مِنْهُ) فهذا المؤمن؛ أعطاه الله رزقاً حلالاً طيباً، فعمل فيه بطاعة الله، وأنفق منه في سبيل الله، وأخذه بشكر. قال الله: هل يستويان مثلاً، أي: إنهما لا يستويان.

قال: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ ﴾، أي: لا يتكلم، يعني الوثن ﴿ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَيْهُ ﴾ أي: على وليه الذي يتولاه ويعبده، أي: إنه عمله بيده وينفق عليه كسبه ويعبده ويتولاه ﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ ﴾ هذه العابد له، يعني دعاءه إياه ﴿لا يَاتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ ﴾ أي: هذا الوثن ﴿ وَمَن يَّأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ وهو الله ﴿ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [وهو الله][1].

قوله: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: يعلم غيب السماوات ويعلم غيب الأرض ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ أي: بل هو أقرب من لمح البصر، ولمح البصر يعني أنه يلمح مسيرة خمسمائة عام إلى السماء، يعني سرعة البصر. ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَـٰرَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي: لكي تشكروا هذه النعم.

قوله: ﴿ أَلَمْ يَرَوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ ﴾ أي: متحلقات في جو السماء، فيما بين السماء والأرض، وهي كلمة عربية، كقوله: (وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ)

(1) زيادة من سع. وجاء بعده. «قال يحيى هي مثل قوله: (إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ). وبعد أن ذكر المؤلف تفسيراً لقتادة بنفس هذا التأويل أورد قولاً للحسن جاء فيه: «وفي تفسير الحسن: إنه المؤمن الذي ضرب الله مثلاً في هذه الآية: (وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) يعني المؤمن. قال يحيى: سمعت غير واحد يذكر أن هذا المثل نزل في عثمان بن عفان».

[إبراهيم: 24] يعني بذلك طولها. أي: ما ارتفع فقد سما. كذلك الطير متحلقة في السماء، أي: قد سمت، والسمو من الارتفاع[1]. ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﴾. يبيّن قدرته للمشركين. يقول: هل تصنع آلهتكم شيئاً من هذا. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: يصدّقون، وهي مثل الأولى.

قوله: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً ﴾ تسكنون فيه[2] ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَـٰمِ بُيُوتاً ﴾ يعني من الشعر والصوف ﴿ تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ ﴾ يعني في سفركم ﴿ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾[3] يعني في قراركم في غير سفر ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَـا أَثَـٰثاً ﴾ والأثاث المتاع في تفسير الحسن، وقال مجاهـد: الأثاث الغنى[4]. وقال بعضهم: الأثاث المال، وهو واحد. ﴿وَمَتَـٰعاً﴾ أي: تستمتعون به ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ أي: إلى الموت.

قوله: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالاً﴾ يعني من المنازل، تظلكم من الشمس والمطر، وجعل لكم أيضاً ظلالاً من الشجر. ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً ﴾ أي: غيرانا تكنّكم أيضاً من الحرّ والبرد والريح والأمطار، يعني الغيران التي تكون في الجبال. ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَـرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ أي: من القطن والكتان والصوف. وقد قال في أول السورة: (لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ) [النحل: 5] أي: من البرد. قال: ﴿ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾ يعني دروع الحديد تقيكم القتال. ﴿ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ أي: لكي تُسلِموا. يقول: إن أسلمتم تمّت عليكم النعمة بالجنة، وإن لم تسلموا لم تتمّ نعمته عليكم إذا صرتم إلى عذابه.

---

(1) هذه الجمل الأخيرة أمثلة من التكرار المملّ أحياناً، وهي غير موجودة في مخطوطتي سع وز. فهل هي من زيادات بعض الشراح أو النساخ.

(2) في المخطوطات الثلاث: «تسكنونها» وأثبت ما في سع وز، وهو أصح.

(3) قال الزمخشري في الكشاف، ج 2 ص 625: «(تَسْتَخِفُّونَهَا) ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل».

(4) كذا في ق وج ود، وفي سع، ولم أجد في تفسير مجاهد، ولا في تفسير الطبري الأثاث بمعنى الغنى. بل جاء في تفسير مجاهد ص 350: «الأثاث: المتاع».

وبلغنا عن ابن عباس أنه كان يقرأها: لعلّكم تسلَمون أي: من الجراح في لبس الدروع.

قوله: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ﴾. وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم. يقول: ليس عليك أن تهديهم؛ كقوله: (لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ) [البقرة: 272].

قوله: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴾ أي: يعرفون ويقرّون أن الله هو الذي خلقهم وخلق السماوات والأرض، وأنه هو الرزاق، ثم ينكرونها، أي: بتكذيبهم. قال مجاهد: يعني نعمة الله التي قصّ في هذه السورة. قال: ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ يعني جماعتهم كلهم. كقوله: (يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ) [الشعراء: 223] أي: كلهم.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ﴾ أي: نبيّها يشهد عليهم أنه قد بلغهم. ﴿ ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ هي مثل قوله: (هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ) أي: بحجة. وهي مواطن، لا يؤذن لهم في موطن في الكلام، ويؤذن لهم في موطن.

قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ ﴾ يعني المشركين ﴿ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ أي: سألوا الله أن يؤخرهم ويردهم إلى الدنيا حتى يتوبوا فلم ينظرهم، أي: لم يؤخرهم.

﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ ﴾ أي: إذا رأوا الشياطين الذين كانوا يضلونهم في الدنيا، أي: يعرف كل إنسان شيطانه ﴿ قَالُوا رَبَّنَا ﴾ أي: يقول بنو آدم ربنا ﴿ هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا ﴾ يعني بني إبليس ﴿ الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ ﴾ لأنهم هم الذين دعوهم إلى عبادة الأوثان. قال الله: (وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَّرِيداً) [النساء: 117] ﴿ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ ﴾ أي: فألقى بنو آدم إلى بني إبليس القول فقالوا لهم: ﴿ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ أي: إنكم كذبتموا في الدنيا وغررتمونا[1] ﴿ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ

(1) كذا في المخطوطات وفي ز وسع، وهو وجه من وجوه التأويل. وقال الفراء في المعاني، ج 2 ص =

السَّلَمَ ﴾ أي: أعطوا الإسلام يومئذٍ واستسلموا له، أي: آمنوا بالله وكفروا بالشياطين والأوثان ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ أي: عبادتهم إياهم في الدنيا افتراء على الله، وهو الكذب. وهو كقوله: (ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا) [غافر: 73 - 74].

قوله: ﴿ الذينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَاباً فَوْقَ العَذَابِ ﴾ بلغنا عن ابن مسعود أنه قال: حيّات وعقارب، لها أنياب مثل النخل الطوال تنهشهم. وقال الحسن: هو كقوله: (فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً) [النبأ: 30] قوله: ﴿ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ يعني الشرك، وهو أعظم المعاصي.

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِنَ أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني نبيّهم. وهو شاهد عليهم ﴿ وَجِئْنَا بِكَ ﴾ يا محمد ﴿ شَهِيداً عَلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ ﴾ يعني أمته ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَـٰناً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي: ما بيّن فيه من الحلال والحرام والكفر والإيمان والأمر والنهي وكل ما أنزل فيه.

ذكروا عن أبي الدرداء قال: أنزل القرآن على ست آيات: آية مُبشّرة، وآية منذرة وآية فريضة، وآية تأمرك وآية تنهاك، وآية قصص وأخبار. قال: ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَـٰنِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَىٰ ﴾ أي: حق القرابة. ذكروا عن الحسن قال: حق الرحم ألا تحرمها ولا تهجرها. قال بعضهم: إن لم يكن لك مال تعطيه فامشِ إليه برجلك.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن الرحم معلقة بالعرش، وليس الواصل بالمكافىء، ولكن الذي إذا انقطعت رحمه وصلها(1).

= 112: «(فَأَلْقَوا إِلَيْهِمُ القَوْلَ) آلهتهم رُدت عليهم قولهم: (إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ) أي: لم ندعكم إلى عبادتنا».

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمكافىء عن عبد الله بن عمرو، وأخرجه =

قوله: ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ ﴾ أي: عن المعاصي ﴿ وَالمُنْكَرِ ﴾ أي: الكذب ﴿ وَالبَغْيِ ﴾ أي: أن يبغي بعضهم على بعض. وكل هذا من المعاصي. ﴿ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ذكر مجاهد عن ابن عباس قال: لو أن جبلاً بغى على جبل لَدُكَّ الباغي منهما.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: ما من ذنب أجدر أن يعجّل لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدّخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم[1].

بلغنا أنه لما نزلت هذه الآية قال بعض المشركين: إن هذا الرجل، يعنون محمداً، ليأمر بمحاسن الأخلاق.

قوله: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ ﴾ يعني المؤمنين، على السمع والطاعة. ﴿ وَلَا تَنْقُضُوا الأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ أي: بعد توكيد العهد، يقول: بعد تشديدها وتغليظها ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾. قال الحسن: عهد الأنبياء، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، يقول: وقد تكفّل الله لكم بالجنة إن تمسّكتم بدينه.

قوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَـٰثاً ﴾ أي: تنكثون العهد، يعني المؤمنين، ينهاهم عن ذلك. قال: فيكون مثلكم، إن نكثتم العهد، كالتي نقضت غزلها من بعد قوة، أي: من بعد ما أبرمته، فنقضته بعد ما كان غزلاً

= أحمد في مسنده وأخرجه الترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في صلة الرحم عن عبد الله بن عمرو، وأخرجه أبو داود في كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم. (رقم 1697) عن عبد الله بن عمرو أيضاً.

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وأخرجه أحمد والترمذي، وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب النهي عن البغي (رقم 4902)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب البغي (رقم 4211) وأخرجه ابن حبان والحاكم كلهم عن أبي بكرة مرفوعاً، وأخرجه الطبراني عن أبي بكرة بزيادة؛ «وإن أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونوا فجرة فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا».

قوياً، (أَنْكَاثاً) أي: عن العهد. قال: (وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) وهو تقديم، وفيه إضمار.

قال: ﴿ تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ ﴾ أي: عهدكم ﴿ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ﴾ أي: خيانة وغدراً، كما صنع المنافقون الذين خانوا الله إذ نقضوا الأيمان فقالوا ولم يعملوا، وتركوا الوفاء بما أقروا لله به. والدخل هو الخيانة[1]. ﴿ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ أي: أكثر من أمة. يقول فتنقضوا عهد الله لقوم هم أكثر من قوم. وقال بعضهم (أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ) أي: [أن يكون قوم][2] أعز من قوم.

وقال بعضهم: يقول: العهد بين الناس فيما وافق الحق[3].

والمرأة التي ضربت مثلاً في غزلها كانت حمقاء تغزل الشعر، فإذا غزلته نقضته، ثم عادت فغزلته.

وتفسير مجاهد قال: هذا في الحلفاء؛ كانوا يحالفون الحلفاء، ثم يجدون أكثر منهم وأعزَّ، فينقضون حلف هؤلاء، ويحالفون الذين هم أعز؛ فنهوا عن ذلك.

قوله: ﴿ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ﴾ أي: بالكثرة، يبتليكم، يختبركم. ﴿ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ أي: من الكفر والإيمان.

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ أي: على الإيمان. وهو كقوله: (وَلَوْ

---

(1) كذا في المخطوطات ق وج ود، وجاء في سع ما يلي: «قال الحسن: كما صنع المنافقون، فلا تصنعوا كما صنع المنافقون، فتظهروا الإيمان وتسروا الشرك، والدخل إظهار الإيمان وإسرار الشرك».

(2) زيادة من سع، ومن تفسير الطبري ج 14 ص 167 للإيضاح، والقول لقتادة.

(3) وردت في سع بعد هذا القول آثار حسنة رأيت من الفائدة إثباتها هنا: «عن مكحول قال قال رسول الله ﷺ: إن الله يوصيكم بأمهاتكم فالأقرب الأقرب. الدَّيْن مقضيّ والأمانة مؤداة، وأحق ما وفى به العبد عهد الله... عن ميمون بن مهران قال قال ابن مسعود: ما نزلت بعبد شدة إلا قد عاهد الله عندها، فإن لم يتكلم بلسانه فقد أضمر ذلك في قلبه، فاتقوا الله وأوفوا بما عاهدتم له. الحسن بن دينار عن الحسن أن ابن مسعود قال: يا أهل المواثيق، انظروا ما تعاهدون عليه ربكم، كم من مريض قال: إن الله شفاني فعلت كذا، فعلت كذا...».

شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَيٰهَا ﴾ [1] [السجدة: 13]. وكقوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً ﴾ [يونس: 99] ﴿ وَلَـٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ ﴾ أي: بفعله ﴿ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ﴾ أي: فتخونوا الله ولا تكملوا فرائضه[2]. ﴿ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾ أي: تزل إلى الكفر والنفاق بعد ما كانت على الإيمان، فتزل إلى النار ﴿ وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وإذا عظّم الله شيئاً فهو عظيم. والسوء عذاب الدنيا، وهو القتل بالسيف. يقول: إن أنتم نافقتم فباينتم بنفاقكم قتلتم في الدنيا[3] ولكم في الآخرة عذاب عظيم.

قوله: ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلًا ﴾ أي: من الدنيا.

ذكروا أنه قدم وفد من كندة وحضرموت على رسول الله ﷺ فبايعوه على الإسلام ولم يهاجروا، وأقروا بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. ثم إن رجلاً من حضرموت قام فتعلق برجل من كندة يقال له امرأ القيس[4]، فقال يا رسول الله، إن هذا جاورني في أرض لي فقطع طائفة منها فأدخلها في أرضه. فقال له رسول الله ﷺ هل لك بينة على ما تزعم؟ فقال: القوم كلهم يعلمون أني صادق وأنه كاذب، ولكنه أكرم عندهم مني. فقال رسول الله ﷺ: يا امرأ القيس، ما يقول هذا؟ قال: ما يقول إلا الباطل.

---

(1) من هنا تعود مخطوطة ع ببعض أوراق بعد عدة أوراق ضاعت، فيها سورة الحجر وسورة النحل إلى هذه الآية.

(2) كذا في المخطوطات الأربع ق وع ود وج، وهذا مما غيّره الشيخ هود ولا شك؛ وجاء في سع مكان هذه الجملة: «تفسير الحسن: أن تسروا الشرك فترتدوا عن الإسلام».

(3) كذا في المخطوطات الأربع، وجاء في سع مكان هذا التفسير الذي هو للشيخ هود: «يقول إن ارتددتم عن الإسلام قتلتم في الدنيا».

(4) هو امرؤ القيس بن عابس الشاعر، انظر ترجمته مختصرة في الاستيعاب لابن عبد البرّ، ج 1، وفيها إشارة إلى هذه القصة. أما خصمه فهو ربيعة بن عبدان أو ابن عمران الحضرمي، وقيل ربيعة بن لهيعة أو لهاعة.

قال: فقم فاحلف بالله الذي لا إلـه إلا هو ما له قِبَلك من شيء مما يقول، وإنه لكاذب فيما يقول. قال: نعم. قال الحضرمي، إنا لله، أتجعلها يا رسول الله إليه، إنه رجل فاجر لا يبالي بما حلف عليه. فقال رسول الله ﷺ: إنه من اقتطع مال رجل مسلم بيمين كاذبة لقي الله وهو عليه ساخط. فقام امرؤ القيس ليحلف، فنزلت هاتان الآيتان: (وَلاَ تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً) أي: عرضاً من الدنيا يسيراً ﴿ إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. قال: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَيَجْزِيَنَّ الذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

فقام الأشعث بن قيس فأخذ بمنكبي امرىء القيس فقال: ويلك يا امرأ القيس إنه قد نزلت آيتان فيك وفي صاحبك، خيرتهما له، والأخرى لك، وقد قال رسول الله ﷺ: من اقتطع مال رجل مسلم بيمين كاذبة لقي الله وهو عليه ساخط. فأقبل امرؤ القيس فقال: يا رسول الله، ما أنزل في؟ فتلا عليه الآيتين، فقال امرؤ القيس: أما ما عندي فينفد، وأما صاحبي فيجازى بأحسن ما كان يعمل؛ اللهم إنه صادق، وإني أشهد الله إنه صادق، ولكن والله ما أدري ما بلغ ما يدّعي من أرضه في أرضي، فقد أصبتها منذ زمان، فله ما ادّعى في أرضي ومثلها معها. فنزلت هذه الآية[1].

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُومِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فقال امرؤ القيس: إليَّ هذه الآية يا رسول الله؟ قال: نعم، فكبّر امرؤ القيس، وحمد الله وشكره.

ذكر بعضهم في قوله: (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال: هي القناعة. وقال بعضهم: هي الجنة.

---

(1) روى هذا الحديث وسبب وروده يحيى بن سلام بدون سند، على غير عادته. والحديث صحيح أخرجه أحمد في سنده، وأخرجه مسلم عن وائل بن حجر في كتاب الأيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، ولفظ مسلم مختصر، (رقم 139) وفيه: «فانطلق ليحلف فقال رسول الله ﷺ لما أدبر: «أما إنه لو حلف على ماله ليأكله ظلماً ليلقيَنّ الله تعالى وهو عنه معرض».

قوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ القُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَـٰنِ الرَّجِيمِ ﴾. والرجيم الملعون، رجمه الله باللعنة.

قال الحسن: نزلت في الصلاة، ثم صارت سنة في غير الصلاة إذا أراد أن يقرأ، وليس بمفروض.

قوله: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَـٰنٌ عَلَى الذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ وهو كقوله: (إِنَّ عِبَادِي) يعني المؤمنين (لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) [الحجر: 42] أي: لا تستطيع أن تضلّهم؛ وكقوله: (وَمَن يَّهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ) [الزمر: 37].

قال: ﴿ إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُ عَلَى الذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ ﴾ أي: الشيطان، أي: يعبدونه ويطيعونه، قال الحسن من غير أن يستطيع أن يكرههم هو عليه. وهو مثل قوله: (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ) أي: بِمُضِلِّينَ (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيمِ) [الصافات: 162 - 163] أي: لا تضلوا إلا من هو صالى الجحيم. وكقوله: (وَمَن يُّضْلِلْ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ) [الأعراف: 178] أي: لا يضل إلا خاسراً.

قوله: ﴿ وَالذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ أي: والذين هم بالله مشركون. فيها تقديم. وتقديمها فاستعذ بالله، ثم قال: (وَالذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ)، أي: بالله؛ رجع إلى الكلام الأول. قال الحسن: أشركوا الشيطان بعبادة الله.

قوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وهذا في الناسخ والمنسوخ في تفسير بعضهم.

قال الحسن: كانت الآية إذا نزلت فعُمِل بها وفيها شدّة، ثم نزلت بعدها آية فيها لين قالوا: إنما يأمر محمد أصحابه بالأمر، فإذا اشتد عليهم صرفهم إلى غيره، ولو كان هذا الأمر من عند الله لكان أمراً واحداً وما اختلف، ولكنه من قِبَل محمد.

قال الله: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالحَقِّ ﴾ والقدس الله، وروحه جبريل. فأخبر أنه نزل به جبريل من عند الله، وأن محمداً لم يغيّر منه شيئاً. قال: ﴿ لِيُثَبِّتَ الذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾.

قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ يعنون عبداً لابن الحضرمي[1] في قول الحسن وغيره. وبعضهم يقول: عداس، غلام عتبة. وكان الكلبي يجمعهما جميعاً ويقول: كان عداس يهودياً فأسلم. وكانا يقرآن كتابهما بالعبرانية، وكانا أعجميي اللسان.

قال: ﴿لِسَانُ الذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ أي: يميلون إليه في تفسير الكلبي. وقال الحسن: الذي يذهبون إليه أنه يعلِّم محمداً أعجمي، أي: كيف يعلّم صاحب اللسان الأعجمي صاحب اللسان العربي، والعربي لا يفهم اللسان الأعجمي ولا يعلم ما يقول: ألا تراه يقول: ﴿وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ أي: بيّن.

وفي قول الحسن: هو عبد لابن الحضرمي، وكان كاهناً في الجاهلية.

وقال مجاهد: هو عبد لابن الحضرمي، رومي وصاحب كتاب. قال: يقول الله: (لِسَانُ الذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ) أي: يتكلم بالرومية، وهذا لسان عربي مبين. فكيف ينقل اللسان العجميُّ [ذو][2] اللسان العربي بما لا يفهمه عنه من لسانه.

قوله ﴿إِنَّ الذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِئَايَـٰتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ هؤلاء الذين لا يريد الله أن يهديهم يلقونه بكفرهم. وهو كقوله: (أُولَـٰئِكَ الذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ) [المائدة: 41] أي: بكفرهم. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: موجع.

قوله: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِئَايَـٰتِ اللَّهِ﴾ يعني المشركين ﴿وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الكَـٰذِبُونَ﴾[3].

قوله: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَـٰنِ﴾ نزلت

(1) قيل كان يسمى جبراً، وقال آخرون: اسمه يعيش. وانظر تفسير الطبري ج 14 ص 177 - 179.

(2) في ق وع: «فكيف يلقن»، وفي ج ود: «فكيف ينقل» وفي العبارة فساد، أثبت ما بدا لي صواباً إن شاء الله بزيادة «ذو» حتى يتضح المعنى.

(3) في ق وع وج ود اضطراب وخلط بين آخر الآيتين، وأسقط النساخ هذه الآية الأخيرة فأثبت صحتها من سع ومن ز ورقة 178.

في عمار بن ياسر وأصحابه. أخذهم المشركون فوقفوهم على الكفر بالله وبرسوله، فخافوا منهم، فأعطوهم ذلك بأفواههم.

ذكروا أن عمار بن ياسر قال: أخذني المشركون فلم يتركوني حتى شتمت رسول الله وذكرت آلهتهم بخير. قال: [فأتيت رسول الله ﷺ][1] فقال لي: ما وراءك؟ قلت: شرٌّ يا رسول الله، والله ما تُركتُ حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير. قال فقال لي رسول الله: كيف تجد قلبك؟ قلت: أجد قلبي مطمئناً بالإيمان. قال: فإن عادوا فعد. فبلغنا أن هذه الآية نزلت عند ذلك: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ أي: راضٍ بالإيمان[2].

قال: ﴿ وَلَـٰكِن مَّنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً ﴾ قال بعضهم: يعني عبد الله بن أبي سرح، ﴿ فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ أي: في الآخرة.

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ ﴾ أي: اختاروا الحياة الدنيا على الآخرة ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَـٰفِرِينَ ﴾ يقول: لا يكونون بالكفر مهتدين عند الله، يعني الذين يلقون الله بكفرهم.

﴿ أُولَـٰئِكَ ﴾ أي: الذين هذه صفتهم ﴿ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ أي: بكفرهم ﴿ وَأُولَـٰئِكَ ﴾ أهل هذه الصفة ﴿ هُمُ الْغَـٰفِلُونَ ﴾.

﴿ لَا جَرَمَ ﴾ وهي كلمة وعيد ﴿ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَـٰسِرُونَ ﴾ أي: خسروا أنفسهم أن يغنموها فصاروا في النار، وخسروا أهليهم من الحور العين، فهو الخسران المبين. وتفسيره في سورة الزمر[3].

(1) زيادة لا بد منها يقتضيها سياق الكلام.

(2) أورد ابن سلام بعد هذه الرواية رواية أخرى أكثر تفصيلاً لقصة عمار بن ياسر، انظر مخطوطة سع ورقة 4 وانظر الواحدي أسباب النزول، ص 288، وانظر الدر المنثور للسيوطي، ج 4 ص 132 - 133.

(3) يشير إلى قوله تعالى في سورة الزمر: 15: ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾.

قوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ﴾ أي: من بعد ما عذّبوا ﴿ ثُمَّ جَـٰهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ قال الحسن: إنهم قوم كانوا بمكة، فعرضت لهم فتنة، فارتدّوا عن الإسلام، وشكوا في نبي الله، ثم إنهم أسلموا وهاجروا إلى رسول الله بالمدينة، ثم جاهدوا معه وصبروا، فنزلت فيهم هذه الآية.

وقال بعضهم: ذكر لنا أنه لما أنزل الله إن أهل مكة لا يقبل منهم إسلام حتى يهاجروا، كتب بذلك المؤمنون إلى أصحاب لهم بمكة، وخرجوا فأدركهم المشركون فردوهم، فأنزل الله: (أَلَمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) [العنكبوت: 201]، والآية الأخرى التي بعدها. فكتب بها أهل المدينة إلى أهل مكة. فلما جاءهم ذلك تبايعوا أن يخرجوا، فإن لحق بهم المشركون أن يقاتلوهم، حتى يلحقوا بالله أو ينجوا، فأنزل الله: (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا) . . . إلى آخر الآية.

قوله: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ قال الحسن: إن كل نفس توقف بين يدي الله للحساب، ليس يسألها عن عملها إلا الله.

قال: ﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾ من خير أو شر ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾. أما الكافر فليس له من حسناته في الآخرة شيء، قد استوفاها في الدنيا. وأما سيئاته، فيُوفّاها في الآخرة، يجازى بها النار. وأما المؤمن فهو الذي يوفّى الحسنات في الآخرة، وأما سيئاته فإنّ منهم من لم يخرج من الدنيا حتى ذهبت سيئاته بالبلايا والعقوبة؛ كقوله: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ) [الشورى: 30]. ومنهم من تبقى عليه من سيئاته فيفعل الله فيه ما يشاء. وقد بلغنا[1] أن منهم من تبقى عليه عند الموت فيشدّد عليه في خروج نفسه. ومنهم من تبقى عليه فيشدد عليه في القبر، ومنهم من تبقى عليه فيشدد عليه في الموقف. ومنهم من تبقى

(1) هذه الكلمة يُوحي ظاهرها أن الخبر بلغَ الشيخ هوداً، والصحيح أنها من يحيى بن سلام. ففي سع ما يلي: «قال يحيى ويلغني أن منهم...».

عليه منها فيشدد عليه عند الصراط حتى يلقى الله وقد غفر له ذنوبه كلها[1].

قوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾.

فالقرية مكة، والرسول محمد ﷺ، كفروا بأنعم الله فكذبوا رسوله ولم يشكروا وهم (الذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) [إبراهيم: 28]. وأما قوله: (فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) فإنه الجوع الذي عذبوا به بمكة قبل عذابهم يوم بدر، ثم عذبهم بالسيف قوم بدر. وأما الخوف فبعدما خرج النبي عنهم.

قوله: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَـٰلاً طَيِّباً ﴾ يعني المؤمنين؛ ما أحلّ الله لهم من الرزق ومن الغنيمة وغيرها. ﴿ وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُم إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾.

قال: ﴿ إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ أي: ذبائح المشركين، ثُمّ أحلّ ذبائح أهل الكتاب من المشركين.

قوله: ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وقد فسّرنا ذلك في سورة البقرة وسورة الأنعام[2].

قوله: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ نزلت هذه الآية في المشركين لما حرموا من الأنعام والحرث وما استحلّوا من أكل الميتة، ثم صارت للناس عامة. تقدّم إليهم ألا يستحلوا التّقوّل على الله، ولا يفتروا الكذب فيحلّوا ما حرّم الله ، ويحرّموا ما أحلّ الله بالادّعاء على الله والكذب عليه فقال:

(1) هذه الجلمة الأخيرة: حتى يلقى الله..» من الشيخ الهواري بدلاً مما جاء في مخطوطة مع: «ومنهم من يبقى عليه منها فيدخل النار فينتقم منه ثم يخرجه الله منها إلى الجنة».

(2) انظر ما سلف من هذا التفسير ج 1 ص 165 وص .563 - 570.

﴿ إِنَّ الذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ ﴾ من المشركين فيما حرّموا من الأنعام والحرث وما استحلوا من أكل الميتة، وممن[1] ادعى من أهل القبلة على الله الكذب، ودان بالأباطيل، واستحلّ وحرّم ما لم يحلّ الله ولم يحرّمه ﴿ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ جميعاً. وهو كقوله: (قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ) [يونس: 59].

قوله: ﴿ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ﴾ أي: إن الذي هم فيه من الدنيا متاع قليل ذاهب. ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرة.

قوله: ﴿ وَعَلَى الذِينَ هَادُوا ﴾ يعني اليهود؛ سمّوا أنفسهم اليهود وتركوا الإسلام ﴿ حَرَّمْنَا ﴾ عليهم بكفرهم ﴿ مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾ في سورة الأنعام وهي مكية، وهذا الموضع من هذه السورة مدني؛ يعني قوله: (وَعَلَى الذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ البَقَرِ وَالغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الحَوَايَا) والحوايا المبعر (أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ) [الأنعام: 146].

قال ﴿ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ وإنما حرّم ذلك عليهم بظلمهم. وقد بيّن ذلك في سورة النساء فقال: (فَبِظُلْمٍ مِّنَ الذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ...) إلى آخر الآية [النساء: 160].

قوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا ﴾ أي: من بعد تلك الجهالة[2] إذا تابوا منها ﴿ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. وكل ذنب عمله العبد فهو بجهالة، وذلك منه جهل[3].

---

(1) في المخطوطات ق وج ود: «فيمن» والصواب ما أثبته «ممن» عطف على «من المشركين» وهذه الجملة من زيادة الشيخ الهواري.

(2) أعاد المؤلف الضمير هنا إلى الجهالة، وأصح منه أن يعود الضمير إلى التوبة كما ذكره الطبري في تفسيره ج 14 a 190 إذ قال: «يقول: إِنَّ رَبَّكَ يا محمد من بعد توبتهم له (لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)». وكما أورده الزمخشري في الكشاف، ج 2 ص 641.

(3) وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 114: «كل من عمل سوءاً فهو جاهل إذا عمله».

قوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ والأمّة السيد[1] في الخير؛ يعلّم الخير ويفقه الناس ويبصّرهم معالم دينهم وسبل رشادهم، أي: إنه كان في الخير إماماً. ﴿ قَانِتاً ﴾ أي: مطيعاً لله. كان إمام هدى يقتدي به، ويؤخذ عنه.

وقال مجاهد: (كَانَ أُمَّةً) أي: كان وحده مؤمناً والناس كفاراً. (قَانِتاً) أي: مطيعاً لله.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: إن معاذ بن جبل كان أمة. وقال ابن مسعود: إن معاذاً كان يعلّم الخير؛ وكل من يعلّم الخير فهو أمة، وهو إمام، وهو القائد[2] الذي يُقتَدَى به.

﴿ حَنِيفاً ﴾ أي: مخلصاً ﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

﴿ شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ ﴾ أي: للنبوة، اختاره لها واصطفاه، واجتبى واصطفى واختار واحد. ﴿ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي: إلى الجنة.

قوله: ﴿وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ وهو كقوله: (وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا) [العنكبوت: 27]. ذكر بعضهم قال: ليس من أهل دين إلا وهم يتولّونه أي: يرتضونه. قال: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ) [الصافات: 108] أي: وأبقينا عليه الثناء الحسن في الآخرين. قال: ﴿ وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ والصالحون أهل الجنة، وأفضلهم الأنبياء.

قوله: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ قال بعضهم [استحلّه بعضهم

(1) في ق وج ود، وفي سع «السنة في الخير» وأثبت ما جاء في ز ورقة 179 «السيد في الخير» وهو أصح، ولكلٍّ وجه.

(2) في ق وع وج ود: «وهو القادة» (كذا) وهو خطأ. وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 114: «مُعَلِّماً للخير» وقال أبو عبيدة في المجاز ص 1 ص 369: «أي: إماماً مطيعاً لله». وقال: «(حَنِيفاً) مسلماً؛ ومن كان في الجاهلية يختتن ويحج البيت فهو حنيف».

وحرّمه بعضهم][1] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ وحكمه فيهم أن يدخل المؤمنين منهم الجنة ويدخل الكافرين النار.

وقال الكلبي: إن موسى أمر قومه أن يتفرّغوا إلى الله في كل سبعة أيام يوماً يعبدونه ولا يعملون فيه من صنعتهم شيئاً، والستة أيام لصنعتهم؛ فأمرهم بالجمعة فاختاروا هم السبت وأبوا إلا السبت. فاختلافهم أنهم أبوا الجمعة واختاروا السبت.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: نحن الآخرون ونحن السابقون، ذلك بأنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم. وهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له، فاليوم لنا [يعني الجمعة][2] وغدا لليهود [يعني السبت]، وبعد غد للنصارى [يعني الأحد][3].

قوله: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ أي: إلى الهدى وهو الطريق إلى الجنة. ﴿ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ يأمرهم بما أمرهم الله به وينهاهم عما نهاهم الله عنه ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ أي: عن طريق الهدى ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ أي: أنهم مشركون ضالّون وأن محمداً وأصحابه مؤمنون مهتدون.

قوله: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾.

ذكر ابن عباس قال: مثل المشركون بحمزة يوم أحد، وقطعوا مذاكيره [فلما رآه النبي عليه السلام جزع جزعاً شديداً فأمر به فغطى ببردة كانت عليه، فمدّها على

(1) زيادة من سع.

(2) ما بين المعقوفين زيادة من سع، ورقة: 5.

(3) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة، وأخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة. (رقم 855) وأخرجه أحمد في مسنده والنسائي وغيرهم. كلهم يرويه من حديث أبي هريرة.

وجهه ورأسه، وجُعِل على رجليه إذ خر][1] ثم قال رسول الله ﷺ: لا مثّلن بثلاثين من قريش[2] فأنزل الله: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ).

قوله: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾ فصبر رسول الله ﷺ ولم يمثّل. ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن المثلة[3].

قوله: ﴿ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: على المشركين إن لم يؤمنوا ﴿ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ أي: لا يضيق صدرك بمكرهم وكذبهم عليك فإن الله معك.

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الذِينَ اتَّقَوْا ﴾ أي: في العون والنصر والتأييد ﴿ وَّالذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾.

---

(1) زيادة من سع، ورقة 5.

(2) انظر هذا الخبر في أسباب النزول للواحدي، ص 290 فقد رواه عن ابن عباس بتفصيل أكثر.

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك عن عمران، ورواه الطبراني عن ابن عمر وعن المغيرة.

تفسير سورة بني إسرائيل[1]
وهي مكية كلها.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قوله: ﴿سُبْحَـٰنَ﴾ يعني نفسه وينزّهُها ﴿الذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ﴾ يعني بيت المقدس. ﴿الذِي بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَـٰتِنَا﴾ يعني ما أراه الله ليلة أُسرِيَ به.

ذكروا أن نبي الله ﷺ قال[2]: بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلًا يقول: أحد الثلاثة بين الرجلين. فأُتيتُ، فَانْطُلِقَ بِي. فأُتيت بطست من ذهب، فيها من ماء زمزم، فشُرِح صدري إلى مكان كذا وكذا. [قال قتادة: فقلت للذي معي: ما يعني][3] قال: يعني إلى أسفل بطني. فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم، ثم كنز أو قال حشي إيماناً وحكمة، ثم أعيد مكانه.

ثم أُتيت بدابة أبيض[4] يقال له البراق، فوق الحمار ودون البغل، يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحُملت عليه.

(1) كذا في ق وع ود وج: «سورة بني إسرائيل. وفي سع، وفي ز ورقة 179: «تفسير سورة سبحان».

(2) في سع ورقة 5 ظ وردت هذه الرواية من طريق سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة. وقد أورد ابن كثير هذه الرواية في تفسيره، ج 4 ص 248 عن الإمام أحمد.

(3) زيادة من سع.

(4) كذا في المخطوطات: «بدابة أبيض» وهو صحيح، لأن لفظ الدّابة يطلق على المذكر والمؤنث، انظر اللسان: (دبب).

ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الدنيا[1]. فاستفتح جبريل؛ فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد عليه السلام. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم. ففتح لنا، فقالوا: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء. قال: فأتيت على آدم، فقلت لجبريل: من هذا؟ قال أبوك آدم. فسلّمت عليه فقال: مرحباً بالابن الصالح والنبيّ الصالح. ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الثانية، فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل؛ قيل: ومن معك؟ قال: محمد عليه السلام. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم. ففتح لنا، وقالوا: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء. فأتيت على يحيى وعيسى، فقلت: يا جبريل، من هذان؟ قال: هذان يحيى وعيسى، وأحسب أنه قال: ابنا الخالة. فسلّمت عليهما فقالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الثالثة، فكان نحو هذا من كلام جبريل وكلامهم. فأتيت على يوسف، فقلت: يا جبريل: من هذا؟ قال: هذا أخوك يوسف، فسلّمت عليه، فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الرابعة. فأتينا على إدريس فقلت: من هذا يا جبريل، فقال: هذا أخوك إدريس، فسلّمت عليه، فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. وعندها قال: [قتادة][2] قال الله: (وَرَفَعْنَهُ مَكَاناً عَلِياً) [مريم: 57] فانطلقنا حتى أتينا السماء الخامسة، فأتينا على هارون، فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك هارون. فسلّمت عليه، فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم انطلقنا حتى أتينا السماء السادسة، فأتيت على موسى فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك موسى، فسلّمت عليه فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. فلما جاوزته بكى؛ فقيل له: وما يبكيك؟ قال: ربِّ، هذا غلام بعثته بعدي

---

(1) لم تشر هذه الرواية إلى بيت المقدس حيث أسرى برسول الله ﷺ أولاً، وهو أمر صحيح ثابت بنص القرآن. أما دخوله ﷺ المسجد الأقصى، وصلاته به إماماً بالأنبياء فمسألة خلافية أثبتها بعض الصحابة ونفاها آخرون. وممن نفاها الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان. انظر تفسير الطبري ج 15 ص 15. وانظر في تفسير ابن كثير ج 4 ص 254 - 255 حواراً بين الصحابي حذيفة ابن اليمان والتابعي زرّ بن حبيش، وتعليق ابن كثير في آخر الرواية.

(2) زيادة من سع، ورقة 5 ظ لا بد من إثباتها ليستقيم التعبير.

يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخل من أمتي. ثم انطلقنا حتى أتينا السماء السابعة فأتينا على إبراهيم، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أبوك إبراهيم. فسلّمت عليه فقال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح. ثم رفع لنا البيت المعمور بحيال الكعبة فقلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لا يعودون فيه أخر ما عليهم[1]. ثم رفعت لنا سدرة المنتهى؛ فحدّثَ نبيُّ الله أن ورقها مثل آذان الفِيَلة، وأن نبقها مثل قلال هجر[2].

وحدّث نبيّ الله أنه رأى أربعة أنهار يخرجن من تحتها: نهران باطنان ونهران ظاهران. فقلت يا جبريل ما هذه الأنهار؟ فقال: أما النهران الباطنان فنهران بالجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات. وأُتِيت بإناءين أحدهما لبن والآخر خمر، فعُرِضا عليّ فأخذت اللبن؛ فقيل لي: أصبت، أصاب الله بك أمتك على الفطرة. وفُرِضت عليّ خمسون صلاة، أو قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم. فجئت بهن، حتى أتيت على موسى فقال لي: بِم أمرت؟ فقلت: بخمسين صلاة كل يوم. فقال: إن أمتك لا يطيقون ذلك؛ إني قد بلوت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، ارجع إلى ربك وسله التخفيف لأمتك. فما زلت أسأل ربي ويقول لي موسى مثل مقالته هذه حتى رجعت بخمس صلوات كل يوم. فلما أتيت عليه قال لي: بم أمرت. قال: فقلت بخمس صلوات كل يوم. فقال: إن أمتك لا يطيقون ذلك. إني قد بلوت الناس من قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، راجع ربّك واسأله التخفيف لأمتك. فقلت: لقد راجعت ربي حتى لقد استحييت، ولكني أرضى وأسلِّم. قال: فنوديت، أو نادى منادٍ: إني قد أمضيت فريضتي وخفّفت عن عبادي وجعلت الحسنة بعشر أمثالها. فانتهى هذا الحديث إلى ها هنا[3].

(1) كذا في سع، وفي المخطوطات الأربع: لم يعودوا إليه.

(2) هي قرية قرب المدينة، كانت تعمل بها القلال الكبيرة. قال أحمد بن حنبل: قدر كل قلة قربتان، انظر اللسان قلل، وانظر معجم البلدان لياقوت الحموي، (هجر).

(3) حديث الإسراء والمعراج هذا أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب المعراج، بعد باب حديث الإسراء عن هدبة بن خالد عن همام بن يحيى عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن =

ذكروا أن رسول الله ﷺ لما أُتِي بالبراق ليركبه استصعب، فقال له جبريل: اسكن، فوالذي نفس محمد بيده ما ركبك مخلوق أكرم على الله منه. قال: فارفضّ عرقاً وقرّ.

وذكروا أن رسول الله قال: مررت ليلة أسري بي على رجال تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالخير والبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: بينما أنا في الجنة إذ أنا بنهر حافاته قباب اللؤلؤ المجوّف، فضربت بيدي إلى مجرى الماء فإذا مسك أذفر. فقلت: ما هذا يا جبريل؟ فقال: هذا الكوثر الذي أعطاك الله(1).

وذكر بعض أصحاب النبي عن النبي عليه السلام هذا الحديث غير أنه أغزر منه وأطول، فيه ما ليس في الحديث الأول(2).

قال: بينما أنا في البيت إذ أتيت، فشق النحر، فاستخرج القلب، فغسل بماء زمزم، ثم أعيد مكانه. ثم أتيت بدابة أبيض(3) يقال له البراق، فوق الحمار ودون البغل، مضطرب الأذنين، يقع خطوه عند منتهى طرفه. فحملت عليه فسار بي نحو بيت المقدس؛ فإذا منادٍ ينادي عن يمين الطريق: يا محمد، على رسلك أسألك، يا محمد على رسلك أسألك، يا محمد على رسلك أسألك. فمضيت ولم أعرج عليه. ثم إذا أنا بمنادٍ ينادي عن يسار الطريق: يا محمد، على رسلك أسألك، يا محمد

= صعصعة. وهذا أصح أحاديث الباب، وله طرق أخرى عن أنس. وقد أخرج حديث الإسراء والمعراج أئمة الحديث عن جمع من الصحابة، منهم من رواه مطولاً، ومنهم من روى طرفاً منه، فارجع إليه في مظانه، وانظره في كتب التفسير مثل تفسير الطبري ج 15 ص 2 - 17، وتفسير ابن كثير، ج 4 ص 239 - 280، والدر المنثور ج 4 ص 136 - 158.

(1) أخرجه البخاري من حديث أنس في كتاب التفسير، تفسير (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ).

(2) هذا الحديث ساقط من د وج، وهو موجود في ق وع، وفي سع. وهو الذي رواه ابن سلام مرفوعاً عن أبي سعيد الخدري. ورواه الطبري في تفسيره، والسيوطي في الدر المنثور.

(3) كذا في ج ود، وفي ق وع: «بدابة بيضاء»، وكلاهما صحيح.

على رسلك أسألك، يا محمد على رسلك أسألك، ولم أعرج عليه.

ثم إذا بامرأة على قارعة الطريق، أحسبه قال: حسناء جملاء[1]، عليها من كل الحليّ والزينة، ناشرة شعرها، رافعة يديها تقول: يا محمد، على رسلك أسألك، يا محمد على رسلك أسألك، يا محمد على رسلك أسألك. فمضيت ولم أعرج عليها حتى انتهيت إلى بيت المقدس، فأوثقت الدابة بالحلقة التي يوثق بها الأنبياء. ثم دخلت المسجد فصلّيت فيه ركعتين ثم خرجت.

فأتاني جبريل بإناءين: إناء من لبن وإناء من خمر. فتناولت اللبن فقال: أصبت الفطرة.

ثم قال لي جبريل: يا محمد، ما رأيت في وجهتك[2] هذه؟ قلت: سمعت منادياً ينادي عن يمين الطريق: يا محمد على رسلك أسألك، يا محمد على رسلك أسألك، يا محمد على رسلك أسألك. قال: فما صنعت؟ قلت: مضيت ولم أعرّج عليه. قال: ذلك داعية اليهود. أما إنك لو عرّجت عليه لتهوّدت أمتك. قلت: ثم ماذا؟ قلت: ثم إذا أنا بمنادٍ ينادي عن يسار الطريق: يا محمد على رسلك أسألك، يا محمد على رسلك أسألك، يا محمد على رسلك أسألك، قال: فما صنعت؟ قلت: مضيت ولم أعرج عليه. قال: ذلك داعية النصارى. أما إنك لو عرّجت عليه لتنصّرت أمتك. قلت: ثم إذا أنا بامرأة على قارعة الطريق، أحسبه قال: حسناء جملاء عليها من كل الحليّ والزينة، ناشرة شَعرَها، رافعة يديها، تقول: يا محمد على رسلك أسألك، يا محمد على رسلك أسألك، يا محمد على رسلك أسألك. قال: فما صنعت؟ قلت: مضيت ولم أعرّج عليها. قال: تلك الدنيا؛ أما إنك لو عرجت عليها لمِلت إلى الدنيا.

ثم أتينا بالمعراج فإذا أحسن ما خلق الله، ألم ترَ إلى الميّت حيث يشقّ بصره،

(1) امرأة جملاء، أي جميلة مليحة، ولا يوجد «أفعل» لهذه الصفة من فعلها. انظر اللسان (جمل).

(2) في سع ب: «ما رأيت في وجهك هذا؟» وهو صحيح والمعنى واحد.

فإنما يتبعه المعراج عجباً به. ثم تلا هذه الآية: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَـٰئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾. [المعارج: 4] فقعدنا فيه، فعرج بنا حتى انتهينا إلى باب السماء الدنيا[1]، وعليها ملك يقال له: إسماعيل، جنده سبعون ألف ملك، جند كل ملك سبعون ألف ملك، وتلا هذه الآية: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر: 31] فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال جبريل؛ قيل: ومن معك؟ قال محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم. قالوا مرحباً به، ولنعم المجيء جاء. ففتح لنا. فأتيت على آدم، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أبوك آدم. فرحّب بي ودعا لي بخير. قال: وإذا الأرواح تعرض عليه. فإذا مرّ به روح مؤمن، قال: روح طيّب ورائحة طيّبة، وإذا مرّ به روح كافر قال روح خبيث ورائحة خبيثة.

قال: ثم مضيت فإذا أنا بأخاوين[2] عليها لحوم منتنة وأخاوين عليها لحوم طيبة وإذا رجال ينهسون[3] اللحوم المنتنة ويدَعون اللحوم الطيّبة، فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الزناة يَدَعُون الحلال ويبتغون الحرام.

قال: ثم مضيت فإذا أنا برجال تُفَكُّ أَلْحِيهم[4] وآخرين يجيئون بالصخور من النار فيقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم. قال: قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً. ثم تلا هذه الآية: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾ [النساء: 10].

قال: ثم مضيت فإذا أنا بقوم يقطع من لحومهم بدمائهم فيُضْفَزُونها[5] ولهم جؤار؛

(1) كذا في سع ورقة 6 ب، وفي ز، ورقة 180، وفي ق وع: «حتى انتهينا إلى باب الحفظة».

(2) أخاوين، جمع خِوان: المائدة إذا كان عليها طعام، وتجمع أيضاً على أخوِنة وخُون، والكلمة معربة، انظر الجواليقي: المعرب ص 177، واللسان (خون).

(3) في ق وع: «ينتهشون» وأصح منه وأفصح ما جاء في سع ورقة 6 ب «ينهسون». والنهس القبض على اللحم بالأسنان والأضراس ونتفه.

(4) جمع لَحْي؛ واللّحيان: العظمان اللذان عليهما الأسنان من داخل الفم، ومنبت اللحية من الإنسان.

(5) يُضفزونها، أي: يُلقمونها على كره منهم. ومن معاني الضفز: الدفع.

فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الهمّازون اللّمّازون، ثم تلا هذه الآية: ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات: 12] قال: وإذا أنا بنسوة معلقات بثُدِيهن، وأحسبه قال: وإذا حيّات وعقارب ينهشنهن؛ فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الظؤورة[1] اللاتي يقتلن أولادهن[2].

قال: ثم أتيت على سابلة آل فرعون حيث ينطلق بهم إلى النار يعرضون عليها غدواً وعشياً؛ فإذا رأوها قالوا ربنا لا تقومن الساعة لما يرون من عذاب الله، وإذا أنا برجال بطونهم كالبيوت يقومون فيقعون لظهورهم ولبطونهم فيأتي عليهم آل فرعون فيثردونهم بأرجلهم ثرداً. فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا. ثم تلا هذه الآية: ﴿ الذِينَ يَأكُلُونَ الرِّبَوا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَـٰنُ مِنَ المَسِّ ﴾. [البقرة: 275].

ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم. قالوا: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء. ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى. فرحبا بي، ودعوا لي بخير. ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم. قالوا: مرحباً به ولنعم المجيء جاء. ففتح لنا فإذا أنا بيوسف، وإذا هو قد أعطى نصف الحسن[3]، قال: فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل. فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال نعم. قالوا: مرحباً به ولنعم المجيء جاء. ففتح لنا فإذا أنا بإدريس. فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى

(1) الظؤورة، والظؤرة والأظؤر جموع لظئر، وهي المرضعة غير ولدها والمعطوفة عليه من النساء والنوق.

(2) كذا في ق وع وسع، وفي تفسير ابن كثير من رواية أبي سعيد الخدري: «هن اللاتي يزنين ويقتلن أولادهن». وهو أصح.

(3) كذا في ق وع. وفي ز ورقة 1 وفي سع 6 ب: «شطر الحسن».

السماء الخامسة، فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم. قالوا: مرحباً به ولنعم المجيء جاء. ففتح لنا. فإذا أنا بهارون. وإذا لحيته شطران: شطر أبيض وشطر أسود. فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا المحبب في قومه وأكثر من رأيت تبعاً. فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل. فقيل من؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل أوقد بعث إليه؟ قال نعم. قالوا: مرحباً به ولنعم المجيء جاء. ففتح لنا فإذا أنا بموسى، وإذا هو رجل أشعر، لو لبس قميصين لنفذهما الشعر. فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك موسى. فرحب بي ودعا لي بخير. قال: فمضيت، ثم سمعت موسى يقول: يزعم بنو إسرائيل أني أكرم الخلق على الله[1]، وهذا أكرم على الله مني. ولو كان النبي وحده لهان عليّ، ولكن النبي ومن تبعه من أمته. ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، فقيل له: من هذا قال جبريل. قيل: ومن معك؟ قال محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم. قالوا: مرحباً به ولنعم المجيء جاء. ففتح لنا. فأتيت على إبراهيم فإذا هو مستند إلى البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى أن تقوم الساعة. فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك إبراهيم. فسلمت عليه، فرحب بي ودعا لي بخير. فإذا أمتي عنده شطران: شطر عليهم ثياب بيض، وشطر عليهم ثياب رمد؛ فدخل أصحاب الثياب البيض واحتبس الآخرون. فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً. وكل إلى خير. ثم قيل لي: هذه منزلتك ومنزلة أمتك. ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 68].

قال: ثم انتهينا إلى سدرة المنتهى فإذا أحسن ما خلق الله، وإذا الورقة من ورقها لو غطّيت بها هذه الأمة لغطّتها. ثم انفجر من تحتها السلسبيل، ثم انفجر من

(1) كذا في ز، وسع ورقة 6 ظ وفي ق وع: «يزعم» يزعم بنو إسرائيل أن أحرم الخلق على الله أنا». والعبارة التي أثبتها أنسب وأفصح.

السلسبيل نهران: نهر الرحمة ونهر الكوثر؛ فاغتسلت من الرحمة فغُفِر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر. ثم أعطيت الكوثر فسلكته حتى انفجر بي في الجنة، فإذا طيرها كالبخت[1]، وإذا الرّمانة من رمانها كجلد البعير المقتّب. قال: ونظرت إلى جارية فقلت: لمن أنت يا جارية؟ فقالت: ليزيد بن حارثة. قال: فبشّرت بها زيداً. قال: ثمّ نظرت إلى النار، فإذا إنَّ عذاب ربي لشديد، لا تقوم له الحجارة ولا الحديد. قال: ثم إني رُفِعت إلى سدرة المنتهى فغشّاها من أمر الله ما غشّى. ووقع على كل ورقة منها ملك، وأيّدها الله بأيده، وأوحى لي ما أوحى، وفرض عليّ في كل يوم وليلة خمسين صلاة. فرجعت إلى موسى فقال: ما فرض عليك ربك؟ فقلت: فرض عليّ في كل يوم وليلة خمسين صلاة. قال ارجع إلى ربك واسأله التخفيف لأمتك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي، فقلت: أي ربّ حُطَّ عن أمتي، فإن أمتي لا تطيق ذلك. فحطّ عني خمساً. فرجعت إلى موسى عليه السلام فقال: ما فرض عليك ربك؟ قال: قلت: حطّ عني خمساً. فقال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك. قال: فرجعت إلى ربي فحطّ عني خمساً. قال: فلم أزل أختلف ما بين ربي وبين موسى[2] حتى قال: يا محمد: لا تبديل، إنه لا يُبَدَّل القولُ لدَيَّ؛ هي خمس صلوات في كل يوم وليلة، كل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة. ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، ومن عملها كتبت له عشراً. ومن همَّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه، ومن عملها كتبت عليه سيئة واحدة. قال: فرجعت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف. فقلت: قد راجعته حتى لقد استحييت[3].

---

(1) قيل: لفظ «البخت» من الدخيل في العربية، وقيل إن اللفظ عربي، وهو جمع بختية، وهي الإبل الخراسانية الطويلة الأعناق. ولم يورد الجواليقي هذه الكلمة في معجمه (المعرب من الكلام الأعجمي).

(2) كذا في سع ورقة 6 ظ، وفي ز، ورقة 182، وفي ق وع: «فلم تزل تلك حالتي فيما بيني وبين ربي وموسى».

(3) تعيد المخطوطتان ق وع، دون د، ذكر الخبرين الواردين في الفقرتين الأولى والثانية من الصفحة =

وذكروا أن رسول الله ﷺ قال: مررت ليلة أسري بي على سرير وعليه ملك قائم بيده حربة. فقلت: من هذا يا جبريل؟ فقال: إن نبياً أسري به قبلك فمر على هذا وهو قاعد، فظن أنه ربه، فأهوى له ساجداً، فأقامه الله منـذ يومئذٍ ليعلم أنه عبد[1].

قوله تعالى: ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَٰتِنَا ﴾ أي: ما أراه الله من الآيات والعبر في طريق بيت المقدس. قال: ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ يعني نفسه، لا أسمع منه ولا أبصر.

قال الكلبي: لما أخبر النبي عليه السلام بذلك المشركين قال المشركون: تحدثنا أنك صليت الليلة في بيت المقدس ورجعت من ليلتك، وهو مسيرة شهر للذاهب وشهر للمقبل.

وقال بعضهم: رويدك يا محمد نسألك عن عيرنا، هل رأيتها في الطريق؟ قال: نعم. قالوا أين؟ قال: مررت على عير بني فلان بالروحاء، وقد أضلّوا ناقة، وهم في طلبها، فمررت على رحالهم وليس بها منهم أحد [فوجدت في إناء من آنيتهم ماء فشربته، فسلوهم إذا رجعوا هل وجدوا الماء في الإناء][2]. قالوا هذه والله آية بينة. قال: فمررت على عير بني فلان فنفرت مني الإبل ساعة كذا وكذا. ووصف جملاً منها؛ قال: كان عليه أجير بني فلان، عليه جُوالق أسود مخطط ببياض. قالوا: هذه والله آية وقد عرفنا الجُوالق. قال: ثم مررت على عير بني فلان بالتنعيم. قالوا فإن كنت صادقاً فإنها تقدم الآن. قال: أجل. قالوا: فأخبرنا بعدتها وأحمالها ومن فيها. قال: كنت مشغولاً عن ذلك. قال: فبينما هو يحدثهم إذ مثل له عدتها وأحمالها في الحَدور[3] يقدمها جمل أورق. فقال رسول الله ﷺ: ها هي ذي منحدرة من ثنية كذا

= 400 التي سلفت قريباً حول البراق الذي استصعب وحول رجال تقرض شفاههم بمقاريض من نار، وهما في سع ورقة 6 ظ، بعد حديث أبي سعيد الخدري هذا الذي انتهى، لذا لم أرَ بأساً من حذفهما هنا تلافياً للتكرار.

(1) لم أجد هذا الحديث فيما بين يدي من مصادر الحديث والتاريخ والتفسير.

(2) زيادة من سع، ورقة 7 ب.

(3) قال الجوهري في الصحاح، (حدر): «الحَدُور: الهَبوط، وهو المكان تنحدر منه، والحُدور، بالضم: فعلك».

وكذا مع طلوع الشمس، يقدمها جمل أورق، وعدتها كذا وكذا، وأحمالها كذا وكذا، وفيها فلان وفلان وفلان، وسمّي الرهط الذين فيها بأسمائهم لم يغادر منهم أحداً. فخرج رهط من قريش يسعون، قِبَل الثنية فإذا هم بها حين انحدرت من الثنية يقدمها جمل أورق كما قال. وفيها الرهط الذين سمّي مع طلوع الشمس؛ فرموه بالسحر، وقالوا: صدق الوليد بن المغيرة فيما قال: إنه ساحر.

وجاء أبو بكر فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، حدثني ما رأيت عن يمينك حين دخلت بيت المقدس، وما رأيت عن يسارك. فحدثه رسول الله ﷺ فصدّقه أبو بكر وقال: أشهد أنك صادق فيومئذٍ سمّي الصديق، فقال رسول الله: وأنت الصديق يا أبا بكر[1].

قوله: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَـٰبَ ﴾ أي: التوراة ﴿ وَجَعَلْنَـٰهُ هدىً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ أي: لمن آمن منهم. ﴿ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴾ أي: ألا تتخذوا من دوني شريكاً. وقال بعضهم: ربّا.

﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ أي: في السفينة، أي: يا ذرية من حملنا مع نوح، ولذلك انتصب[2]. وقال بعضهم: (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَامَعَ نُوحٍ) أي: الناس كلهم ذرية من أنجى الله في تلك السفينة. وذكر لنا أنه نجّى فيها نوحاً وثلاثة بنين له: سام وحام ويافث وامرأته ونساءهم، فجميعهم ثمانية.

قال: ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً). قال بعضهم: ذكر لنا أنه كان إذا استجد ثوباً

(1) من حديث الحسن عن مسراه ﷺ حسبما رواه ابن إسحاق. انظر سيرة ابن هشام، ج 1 ص 398.

(2) انظر بحثاً لغوياً قيماً في أصل كلمة «ذرية»، وهل هي من (ذرأ)، أو (ذرر)، أو (ذرو)، أو (ذرى) فقد تتبع ابن جني في كتابه المحتسب وجوه اشتقاق الكلمة وفصّل القول فيها في ج 1 ص 156-160. أما عن وجوه نصبها فالوجه المشهور لدى المفسرين أنها منصوبة على النداء في قراءة من قرأ: «لا تتخذوا»بالتاء. وقد تكون منصوبة على البدل من قوله (وكيلا)، أو على أنها مفعول أول لـ (تتخذوا) و (وكيلا) المفعول الثاني. وانظر أوجهاً أخرى من الإعراب في كشاف الزمخشري ج 2 ص 648، وفي بيان ابن الأنباري ج 2 ص 86.

حمد الله. والعامة على أن الشكور المؤمن، وهو حقيقة التفسير.

قوله: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾ قال الحسن: يقول: أعلمناهم. كقوله: (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ) [الحجر: 66] أي: أعلمناه: ذكروا أن مجاهداً قال: (وَقَضَيْنَا) أي: كتبنا. ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ [يعني لتهلكن في الأرض مرّتين] ﴿ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً ﴾ [يعني لتقهرن قهراً شديداً][1].

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَيٰهُمَا ﴾ أي: أولى العقوبتين ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ تفسير مجاهد: إنهم فارس. ﴿ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ﴾ فقتلوهم في الدّيار وهدموا بيت المقدس وألقوا فيه الجيف والعذرة ﴿ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً ﴾ أي: إنه كائن.

ذكر بعضهم قال: عوقب القوم على علوّهم وفسادهم، فبعث الله عليهم في الأولى جالوت الجزري[2]، فسبى وقتل وجاسوا خلال الدّيار كما قال الله. ثم رجع القوم على دخن فيهم كثير.

قال: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ﴾ أي: أكثر عدداً. قوله: (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ) ففعل ذلك بهم في زمان داود يوم طالوت.

قال: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ أي: فلأنفسكم. ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ ﴾ أي: من العقوبتين ﴿ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: (لِيَسوءَ) مخففة، أي ليسوءَ اللهُ وجوهَكم، والوجه الآخر (لِيسُوءُا) مثقلة، يعني القوم وجوهَكم. ﴿ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ ﴾ يعني بيت المقدس ﴿ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أي: كما دخله عدوّهم قبل ذلك.

---

(1) ما بين المعقوفين زيادة من سع ورقة 7 ب.

(2) في المخطوطات الأربع: «الحورى»، وفي سع، ورقة 7 ب، وفي ز ورقة 182 جاءت الكلمة هكذا: «الخزري» ولم أرَ للكلمة وجهاً صحيحاً. ويبدو أن الصواب كما أثبته: «الجزري» كما جاء في تفسير الطبري ج 15 ص 28: «الجزري» وقال: «كان الذي بعث الله عليهم في المرة الأولى: جالوت، وهو من أهل الجزيرة».

قال: ﴿ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً ﴾ أي: وليفسدوا ما غلبوا[1] عليه فساداً. فبعث الله في الآخرة بختنصر البابلي المجوسي فقتل وسبى وخرب بيت المقدس، وقذف فيها الجيف والعذرة. ويقال إن فسادهم الثاني قتل يحيى بن زكرياء، فبعث الله بختنصر عقوبة عليهم بقتلهم يحيى، فقتل منهم سبعين ألفاً.

وذكر بعضهم قال: كان يحيى بن زكرياء في زمان لم يكن للرجل منهم أن يتزوج امرأة أخيه بعده. فإذا كذب متعمداً لم يُوَلَّ الملك. فمات الملك، وولي أخوه، فأراد أن يتزوج امرأة أخيه [الملك الذي مات][2]. فسألهم فرخصوا له. وسأل يحيى بن زكرياء فأبى أن يرخص له. فحقدت عليه امرأة أخيه. وجاءت بابنة أخي الملك الأول إليه، فقال لها: سليني اليوم حكمك. فقالت: حتى انطلق إلى أمي. فلقيت أمها فقالت: قولي له: إن أردت أن تفي لنا بشيء فأعطني رأس يحيى بن زكرياء، فقالت: أقول له خيراً من هذا. فقالت هذا خير لك منه[3]. فأتت إليه فسألته. فكره أن يُخلِفها ولا يُوَلَّى الملك. فدفع إليها يحيى بن زكرياء. فلما وضعت الشفرة على حلقه قال: [قولي][4] بسم الله هذا ما بايع عليه يحيى بن زكرياء عيسى بن مريم على أن لا يزني ولا يسرق ولا يلبس إيمانه بسوء. فلما أَمَرَّت الشفرة على أوداجه فذبحته ناداها منادٍ من فوقها فقال: يا ربة البيت الخاطئة الغاوية. قالت: إنها كذلك فماذا تريد منها؟ فقال: لِتَبْشِر، فإنها أول من تدخل النار. قال فخسف بابنتها. فجاءوا بالمعاول فجعلوا يحفرون عنها وتدخل في الأرض حتى ذهبت ولم يُقدر عليها.

(1) كذا في سع، ورقة 7 ب، وفي ز ورقة 182: «ما غلبوا عليه» وفي المخطوطات» ما علوا عليه».

(2) زيادة من سع، ورقة 7 ب.

(3) كذا في المخطوطات، جرى الحوار بين الام وابنتها. أما في سع فالحوار كان بين الملك والابنة هكذا: «فأعطني رأس يحيى بن زكرياء فقال: قولي لها غير هذا خير لك. قال فأبت وتكرّه أن يخلفها فلا يول الملك (كذا). . .» وما جاء في المخطوطات أصح. وانظر تفاصيل هذا في روايات طويلة في تفسير الطبري ج 15 ص 29 فما بعدها.

(4) كذا في سع ورقة 7 ظ، وفي المخطوطات: د وق وج وع: «وتالله وتالله، وبالله».

قوله: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ﴾. قال بعضهم: فعاد الله عليهم بعائدته. قال: ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ عليكم بالعقوبة. كان أعلمهم أن هذا كله كائن.

قوله: (وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا) قال الحسن: إن الله عاد عليهم بمحمد ﷺ فأذلّهم بالجزية. [قال بعضهم: هو كـ][1] ـقوله: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ) أي: وإذ قال ربك في تفسير بعضهم. وقال الحسن: أشعر ربك (لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) [الأعراف: 167]. قال بعضهم: إنهم عادوا فبعث الله عليهم ما شاء من نقمته. ثم كان كتب أن يبعث عليهم العرب فهم منهم في عذاب إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيراً ﴾ أي: سجناً، أي: يحصرهم فيها[2].

قوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي ﴾أي: يدعو ﴿ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾[3] وقال في المزمل: [6] (وَأَقْوَمُ قِيلاً) أي: أصوب. ﴿ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾ أي: الجنة. ﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ أي: موجعاً.

قوله: ﴿ وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ﴾ أي: يدعو بالشر على نفسه وعلى ولده وماله كما يدعو بالخير. وقال في آية أخرى: (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ) [يونس: 11] أي: لأمات الذي يدعو عليه.

قال: ﴿ وَكَانَ الإِنْسَٰانُ عَجُولاً ﴾ وقد فسّرناه قبل هذا الموضع[4]. وقال

(1) زيادة لا بد منها لتستقيم العبارة.

(2) هذا قول نسب إلى ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد وابن زيد. وذهب الحسن أن قوله (حصيراً) يعني مهاداً وفراشاً وانتزع بقوله تعالى: (لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ) [الأعراف: 41]. ومن معاني الحصير البساط الصغير. وقد رجح الطبري في تفسيره ج 15 ص 45 - 46 هذا التأويل الأخير وقال عنه: «هو وجه حسن وتأويل صحيح».

(3) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 117: «(للتي هي أقوم) يقول: لشهادة ألا إله إلا الله». وقال الطبري في تفسيره ج 15 ص 46: «يقول: للسبيل التي هي أقوم السبل».

(4) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 184.

بعضهم: يدعو على ماله فيلعن ماله وولده، ولو استجاب الله له لأهلكه.

قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَا ءَايَةَ الَّيْلِ ﴾ وهي السواد الذي في القمر. ويقال مُحِيَ من ضوء القمر من مائة جزء تسعة وتسعون جزءاً وبقي منها جزء واحد. قال: ﴿ وَجَعَلْنَا ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ أي: منيرة، يعني به ضوء النهار. ﴿ لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ يعني بالنهار. ﴿ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ ﴾ بالليل والنهار.

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فصَّلْنَهُ تَفْصِيلاً ﴾ أي: بيّنّاه تبييناً، وقال الحسن: فصّلنا الليل من النهار وفصلنا النهار من الليل، والشمس من القمر والقمر من الشمس.

قوله: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ قال الحسن: طائره: عمله(1). قوله: ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ كِتَـٰباً يَلْقَيْهُ مَنْشُوراً اقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾ قال بعضهم: سيقرأ يومئذٍ من لم يكن قارئاً في الدنيا.

ذكروا عن أبي بن كعب قال: يُدعى الخلائق يوم القيامة للحساب؛ فإذا كان الرجل في الخير رأساً، يدعو إليه ويأمر به، ويكثر عليه تبعه، دعِيَ باسمه واسم أبيه، فيقوم، حتى إذا دنا أخرج له كتاب أبيض بخط أبيض في باطنه السيئات، وفي ظاهره الحسنات، فيبدأ بالسيئات فيقرأها فيشفق ويتغير لونه. فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه سيئاتك وقد غفرت لك فيفرح. ثم يقلب كتابه فيقرأ حسناته، فلا يزداد إلا فرحاً. ثم إذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه حسناتك وقد ضوعفت لك، فيبيض وجهه، ويؤتى بتاج فيوضع على رأسه ويكسى حلتين، ويحل كل مفصل منه ويطول ستين ذراعاً، وهي قامة آدم. ويعطى كتابه بيمينه، فيقال له: انطلق إلى أصحابك فبشرهم وأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا. فإذا أدبر قال: (هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيَه إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَه) يقول الله: (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ)

(1) هذا هو التأويل الذي ذهب إليه الجمهور من المفسرين. قال مجاهد في ص 359: (طائره في عنقه) قال: عمله، خيره وشره». وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 1 ص 372: «(أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ) أي: حظه.

[الحاقة: 19 - 23] فيقول لأصحابه: هل تعرفونني؟ فيقولون: قد غيرتك كرامة الله، من أنت؟ فيقول: أنا فلان بن فلان، ليبشر كل رجل منكم بمثل هذا.

وإذا كان في الشر رأساً يدعو إليه، ويأمر به، ويكثر عليه تبعه، نودي باسمه واسم أبيه فيقدم إلى حسابه فيخرج له كتاب أسود بخط أسود، في باطنه الحسنات وفي ظاهره السيئات. فيبدأ بالحسنات فيقرأها، فيفرح ويظن أنه سينجو. فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه حسناتك وقد ردت عليك، فيسود وجهه ويعلوه الحزن ويقنط من الخير. ثم يقلب كتابه فيقرأ سيئاته فلا يزداد إلا حزناً، ولا يزداد وجهه إلا سواداً. فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه سيئاتك وقد ضوعفت لك، فيعظم للنار حتى إن فخذه لتكون مسيرة ثلاثة أيام وجلده مقدار أربعين ذراعاً؛ وتَزْرَقُّ عيناه، ويسودّ لونه، ويكسى سرابيل القطران. ثم تخلع كفه[2] اليسرى فتجعل وراء ظهره، ثم يعطى كتابه بشماله ويقال له: انطلق إلى أصحابك وخَبِّرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا. فينطلق به وهو يقول: (يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَه وَلَم أَدْرِ مَا حِسَابِيَه يَا لَيْتَهَا كَانَتِ القَاضِيَةَ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَه هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه) قال الله تعالى: (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ) [الحاقة: 25 - 32] فيسلك فيها سبعين ذراعاً كما قال الله؛ يسلك فيها سلكاً تدخل من فيه حتى تخرج من دبره. فينادي أصحابه فيقول: هل تعرفونني؟ فيقولون: لا ندري. ولكن نرى ما بك من الحزن، فمن أنت؟ فيقول: أنا فلان بن فلان، ولكل إنسان منكم مثل هذا. ثم يُنصب للناس فتبدو فضائحه حتى [يُعيِّر[1] و] يتمنى أن لو انطلق به إلى النار استحياء مما يبدو منه.

قوله: ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾ أي: شاهداً.

قوله: ﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ أي: على نفسه. ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ أي: لا يحمل أحد ذنب آخر.

(1) زيادة من سع، ورقة 8 ب.

(2) كذا في بعض المخطوطات: «كفه»، وهو أصح، وفي بعضها وفي سع، ورقة 8 ب: «كتفه».

قوله: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ قال الحسن: لا يعذب قوماً بالاستئصال حتى يحتجّ عليهم بالرسل. كقوله: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَىٰ حَتَّى يَبْعثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً) [القصص: 59]. وكقوله: (وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ) [فاطر: 24] يعني الأمم التي أهلك الله بالعذاب.

قوله: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ أي: أكْثَرْنا جبابرتَها. قال الحسن: جبابرة المشركين فاتَّبعهم السفلة ﴿ فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَ عَلَيْهَا القَوْلُ ﴾ أي: الغضب ﴿ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾.

وكان ابن عباس يقرأها: (أَمَّرْنَا مُتْرَفِيهَا)، مثقلة، من قبل الإمارة. كقوله: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا) [الأنعام: 123]. وكان الحسن يقرأها: (آمرنا)، وهي أيضاً من الكثرة. وبعضهم يقرأها: (أمرنا) أي: أمرناهـم بالإيمان ففسقوا فيها، أي: أشركوا ولم يؤمنوا.

قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ القُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴾ وهو كقوله: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَـٰتِ) إلى آخر الآية. [إبراهيم: 9].

قوله: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ ﴾ [وهو المشرك الذي لا يريد إلا الدنيا، لا يؤمن بالآخرة][1] ﴿ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَـٰهَا مَذْمُوماً ﴾ أي: في نقمة الله ﴿ مَّدْحُوراً ﴾ مطروداً مباعداً عن الجنة في النار.

قوله: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الأخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾ أي: عمل لها عملها ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ أي: وهو مُوفٍ بالقول والعمل[2] ﴿ فَأُولَـٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ ﴾ أي: عملهم

(1) زيادة من سع ورقة 8 ب، ومن ز، ورقة 183.

(2) كذا في المخطوطات الأربع: «وهو موف بالقول والعمل». وهذا تأويل من الشيخ هود الهواري بدلاً مما جاء في سع ورقة 8 و: (وَهُو مُؤمنٌ): «مخلص بالإيمان». وقد حذف الشيخ هود هنا =

﴿ مَّشْكُوراً ﴾ أي: يثيبهم الله به الجنة.

قوله: ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـٰؤُلَاءِ وَهَـٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ﴾ يعني المؤمنين والمشركين في رزق الله في الدنيا. ﴿ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾ أي: مقبوضاً[1]. وقال بعضهم: ممنوعاً. يقول: يستكملون أرزاقهم التي كتب الله لهم.

قوله: ﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ أي: في الدنيا، في الرزق والسعة وخوَّل بعضهم بعضاً، يعني وملك بعضهم بعضاً. ﴿ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾.

قوله: ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَـٰهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً ﴾ أي: في نقمة الله ﴿ مَّخْذُولاً ﴾ في عذاب الله.

قوله: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾[2] أي: وأمر ربك ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَـٰناً ﴾ يقول: وأمر ربك بالوالدين إحساناً، أي: بِرّاً. ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ﴾ أي: إن بلغا عندك الكبر أو أحدهما، فوَليتَ منهما ما وَلِيَا منك في صغرك، فوجدت منهما ريحاً يؤذيك، فلا تقل لهما أُفٍّ. وقال الحسن: (وَلَا تَقُل لَهُمَا أُفٍّ) أي: ولا تؤذهما. قوله: ﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ يعني الانتهار. وقال مجاهد: لا تغلظ لهما. قوله: ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾ أي: قولاً ليِّناً سهلاً.

= حديثاً لم يصح عنده ذكره ابن سلام هكذا: «خالد عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: لا يقبل الله عمل عبد حتى يرضى قوله». وقد بحثت عن هذا الحديث في عدة مصادر من الحديث والتفسير فلم أعثر له على أثر. فهل هو مما انفرد به تفسير ابن سلام؟..

(1) كذا في المخطوطات الأربع «مقبوضاً»، وفي سع 8 و «منقوصاً».

(2) هذه هي القراءة الصحيحة المشهورة: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ) أي: أمر ربك كما ذكره أبو عبيدة في المجاز ج 1 ص 374. ونسبت قراءة إلى أبي بن كعب وابن مسعود بلفظ: (وَوَصَّى رَبُّكَ) وهي قراءة بالمعنى. والصحيح ما عليه جمهور القراء والمفسّرين. وقد أورد ابن سلّام في كتابه التصاريف ص 340 - 343 عشرة أوجه لتفسير (قَضَىٰ) واستوفى القرطبي في تفسيره ج 10 ص 237 معاني لفظ (قَضَى) موجزاً القول في ذلك. وانظر اللسان (قضى).

قوله: ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ أي: لا تمتنع من شيء أحبّاه.

ذكروا أن رسول الله ﷺ أوصى بعض أهل بيته فكان فيما أوصاه: أطع والديك وإن أمراك أن تخرج من مالك كله فافعل[1].

قوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾ هذا إذا كانا مسلمين، وإذا كانا مشركين فلا يقل رب ارحمهما. هذا الحرف منسوخ نسخه (مَا كَانَ لِلنَّبِي وَالذِينَ ءَامَنُوا أَن يَّسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ) [التوبة: 113].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من أصبح باراً بوالديه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة، [ومن أمسى مثل ذلك][2]، وإن واحد فواحد، ومن أصبح عاقاً لوالديه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار، وإن واحد فواحد، وإن ظلماه وإن ظلماه[3].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: رضا الرب مع رضا الوالد، وسخط الرب مع سخط الوالد[4].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن فوق كل برّ برّاً حتى إن الرجل يهريق دمه في سبيل الله، وإن فوق كل فجور فجوراً حتى إن الرجل ليعق والديه[5].

قوله: ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾ أي: من برّ الوالدين ﴿ إِنْ تَكونُوا صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوّٰبِيـنَ غَفُوراً ﴾ الأوّاب التائب الراجع عن ذنبه.

---

(1) أخرجه يحيى بن سلام عن مكحول مرسلاً. ولم أجده بهذا اللفظ فيما بين يدي من كتب الحديث إلا ضمن حديث روي عن ابن عباس بسند ضعيف.

(2) زيادة من سع ورقة 8 ظ.

(3) أخرجه يحيى بن سلام بسند عن ابن عباس في ورقة 8 ظ، وأخرجه ابن أبي شيبة والبيهقي عن ابن عباس مرفوعاً كما في الدر المنثور ج 4 ص 174.

(4) أخرجه يحيى بن سلام بسند عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمرو في ورقة 8 ظ، وأخرجه الترمذي في أبواب البرّ والصلة، باب الفضل في رضا الوالدين عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً.

(5) أخرجه يحيى عن الحسن مرسلاً، ولم أجده في مصادر أخرى.

قوله: ﴿وَءاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ يعني ما أمر الله به من صلة القرابة. يقال: إن كان لك مال فصله بمالك، وإن لم يكن لـك مال فامشِ إليه برجلك. قال الحسن: حقُّ الرحم ألا تحرمها ولا تهجرها.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إنّ الرّحم معلّقة بالعرش. وليس الواصل بالمكافىء، ولكن الذي إذا انقطعت رحمه وصلها[1].

قوله: ﴿وَالمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ وهما صنفان من أهل الزكاة الواجبة. وكانت نزلت قبل أن يُسمّى أهل الزكاة.

﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾ أي: لا تنفق في غير حقّ.

ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: ما أنفقتم في سبيل الله فلكم، وما أنفقتم على أنفسكم فلكم، وما أنفقتم على عيالكم فلكم، وما تركتم فللوارث[2].

ذكروا عن علي قال: ما أنفقت على نفسك فلك، وما أنفقت على عيالك فلك، وما أنفقت رياء وسمعة فهو للشيطان.

قوله: ﴿إِنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوٰنَ الشَّيَـٰطِينِ﴾ يعني المشركين[3] ينفقون في معاصي الله، فهو للشيطان. وما أنفق المومن لغير الله لا يقبله الله. وإنما هو للشيطان. قال: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾.

قوله: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ أي ابتغاء الرزق ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسوراً﴾.

---

(1) انظر ما سلف قريباً في هذا الجزء ص 383.

(2) أخرجه يحيى بن سلام عن الحسن مرسلاً، في ورقة 8 ظ، ولم أعثر عليه بهذا اللفظ فيما لدي من المصادر.

(3) الآية أعم من أن تقصر على المشركين، بل هي عامة في كل المبذرين في كل زمان ومكان. وقد جدّت أنواع من التبذير في زماننا وتسابق الناس في مظاهر الإسراف وقلّدوا غيرهم في التباهي والتفاخر في موائد الأفراح مثلاً وفي الملبس والمشرب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ذكروا عن الحسن أن سائلاً قام فقال: يا رسول الله، لقد بتنا البارحة بغير عَشاء، وما أحسبنا الليلةَ نرجوه. فقال: يرزقنا الله وإياك من فضله، اجلس. فجلس. ثم قام آخر فقال: مثل ذلك. فردّ عليه رسول الله مثل ذلك. فأُتي رسول الله ﷺ بأربع أواق من ذهب، فقال: أين السائلان؟ فقام الرجلان فأعطى كل واحد منهما أوقية، ولم يسأله أحد، فرجع بأوقيتين، فجعلهما تحت فراشه. فسهر ليلته بين فراشه ومسجده، فقالت أم المومنين: يا رسول الله ما أسهرك؟ أَوَجَع أو أمر نزل؟ فقال: يا عائشة، أُتيت بأربع أواق فأمضيت وقيتين وبقيت وقيتان، فخشيت أن يحدث بي حدث ولم أوجّههما.

قال بعضهم: بلغنا أن قوله: (فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً ﴾ أن يقول لهم: يرزقنا الله وإياك.

ذكر عن عائشة أنها قالت: لا تقولوا للسائل: بارك الله فيك، فإنه قد يسأل البَرُّ والفاجرُ، ولكن قولوا: يرزقنا الله وإياك.

وقوله (ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا) يعني انتظار رزق من ربك.

ذكر الحسن قال: كان السائل يسأل فيقول رسول الله ﷺ: والله ما أصبح في بيوت آل محمد صاع من طعام، وهي يومئذ تسعة أبيات. ولم يكن به شكوى، ولٰكن واللهِ اعتذار منه عليه السلام.

قوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ أي لا تدع النفقة في حق الله فيكون مثلك مثل الذي غُلَّتْ يده إلى عنقه فلا يستطيع أن يبسطها.

قال: ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ أي: فتنفق في غير حق الله ﴿ فَتَقْعُدَ مَلُوماً ﴾ في عباد الله لا تستطيع أن تُوسِع الناس ﴿ مَحْسُوراً ﴾ أي: قد ذهب ما في يديك. يقول: قد حسر(1).

وقال بعضهم: يقول: لا تمسكها عن طاعة الله ولا عن حقه، ولا تبسطها كل

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 1 ص 375: «(مَلُوماً مَّحْسُوراً) أي: منضىً قد أعيا. يقال: حسرتُ البعيرَ، وحسرته بالمسئلة؛ والبصر أيضاً إذا رجع محسوراً».

البسط أي: لا تنفقها في معصية الله وفيما لا يصلح، وهو الإسراف. قال: (فَتَقْعُدَ مَلُوماً) في عباد الله (مَّحْسُوراً) أي: على ما سلف من أمره وفرط.

قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَّشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ أي: ويقتر. وتقتيره على المؤمن نظرٌ له. ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴾.

قوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَـٰدَكُم ﴾ يعني الموءودة ﴿ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ﴾ أي: خشية الفاقة. كان أحدهم يقتل ابنته، يدفنها وهي حية حتى تموت مخافة الفاقة، ويغذو كلبه. ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيراً﴾ أي: ذنباً كبيراً. أي: قتل النفس التي حرّم الله من الكبائر.

قوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ أي: وبئس الطريق.

قوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أي: إلا بالقَوَد؛ أن يقتل قتيلاً فيُقتل بمن قتل. قوله: ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَـٰناً﴾ أي: القَوَد، إلا أن يعفو الولي أو يرضى بالدية إن أُعطِيهَا. قوله: ﴿ فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ﴾ أي: لا يقتل غير قاتله. ﴿ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً ﴾ أي: ينصره السلطان حتى يُقيدَه منه[1].

وقال بعضهم: (إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً) أي: في الآخرة، يعني الذي يُعتَدى عليه فقُتِل، وليس هو قاتل الأول، أي: يُنصر على الذي اعتدى عليه فقتله.

قوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ والتي هي أحسن أن يوفر عليه ماله ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾[2] أي: حتى إذا بلغ أشده دفع إليه ماله إنْ أُونس منه رشد[3].

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 123: «وقوله: (إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً) يقال: إن وليه كان منصوراً. ويقال: الهاء للدم. إن دم المقتول كان منصوراً ، لأنه ظلم. وقد تكون الهاء للمقتول نفسه، وتكون للقتل لأنه فعل فيجري مجرى الدم، والله أعلم بصواب ذلك».

(2) روى عن ابن عباس أنه قال: «الأشد ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين».

(3) جاءت العبارة ناقصة في ق ود، فأثبت التصحيح من ز، ورقة 184، ومن سع، ورقة 9.

قال بعضهم: لما نزلت هذه الآية اشتدّت عليهم فكانوا لا يخالطونهم في المال ولا في المأكل فجهدهم ذلك فنسختها هذه الآية ﴿ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِنَ المُصْلِحِ ﴾ [البقرة: 220].

قوله: ﴿ وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ ﴾ يعني ما عاهدتم عليه فيما وافق الحق. ﴿ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ أي: مطلوباً، يُسأل عنه أهله الذين أعطوه.

قوله: ﴿ وَأَوْفُوا الكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ ﴾ والقسطاس العدل بالرومية ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ أي: إذا وفيتم الكيل وأقمتم الوزن. ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ أي: خير ثواباً وخير عاقبة.

قوله: ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ أي: لا تقل رأيت ولم ترَ، أو سمعت ولم تسمع فإن الله سائلك عن ذلك كله[1].

قال الحسن: لا تقف أخاك المسلم من بعده إذا مرّ بك فتقول: إني رأيت هذا فعل كذا وكذا، ورأيت هذا يفعل كذا وكذا، وسمعته يقول كذا وكذا لما لم ترَ ولم تسمع. ﴿ كُلُّ أُولَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾. أي: لا تقل رأيت وسمعت فإن الله سائلك عن ذلك كله، أي: يسأل السمع على حِدَة عما سمع، ويسأل البصر على حِدة عما رأى، ويسأل القلب عما عزم عليه.

قوله: ﴿ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً ﴾ أي: على الأرض. و (في) في هذا الموضع بمعنى على. (مَرَحاً) أي: كما يمشي المشركون، فتمرح في الأرض، وهي مثل قوله: ﴿ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾

(1) لا تقف من قفوت الأثر إذا تتبعته. قال أبو عبيدة في المجاز ج 1 ص 379: «مجازه: ولا تتبّع ما لا تعلمه ولا يعنيك. وذكر أن النبي ﷺ قال: «نحن بنو النضر بن كنانة لا نقذف أمّنا ولا نقفو أباءنا. وروى في الحديث ولا نقتفي من أبينا». وقال ابن قتيبة في غريب القرآن ص 254: «﴿ لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ أي: لا تُتبعه الحدسَ والظنون ثم تقول: رأيتُ ولم ترَ، وسمعتُ ولم تسمع وعلمتُ ولم تعلم».

[غافر: 75] وكقوله: ﴿ وَفَرِحُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ [الرعد: 26] يعني المشركين الذين لا يقرون[1] بالآخرة.

قال: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ أي: بقدميك إذا مشيت[2]. ﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ في قراءة من قرأها بالرفع، يقول: سيء ذلك الفعل، ومن قرأها بالنصب يقول كل ذلك كان سيئةً توجب عند ربك مكروهاً.

﴿ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَـٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ أي: ملوماً في نقمة الله، مدحوراً في عذاب الله. والمدحور المطرود المبعد المقصى عن الجنة في النار.

قوله: ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَـٰئِكَةِ إِنَـٰثًا ﴾ على الاستفهام. أي: لم يفعل ذلك، لقولهم: إن الملائكة بنات الله. ﴿ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾.

قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا الْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا﴾ أي: ضربنا في هذا القرآن الأمثال، فأخبرناهم أنا أهلكنا القرون الأولى ليذّكروا فيومنوا، لئلا ينزل بهم العذاب مثلما نزل بالأمم السالفة قبلهم من عذاب الله. ﴿ وَمَا يَزِيدُهُمْ ﴾ ذلك ﴿ إِلَّا نُفُورًا ﴾ أي: إلّا تَرْكاً لأمر الله، يعني أنهم كلّما نزل من القرآن شيء كفروا به ونفروا.

ذكروا عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لتدخلُنْ الجنة إلا أن تَشْرُدوا على الله كما يَشْرُدُ البعيرُ على أهله، ثم تلا هذه الآية: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُوراً)[3].

قوله: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ ﴾ وهي تقرأ على الياء والتاء. فمن

---

(1) كذا في د وع: «لا يقرون»، وفي ق: «لا يقولون»، وفي سع «لا يفرحون» وهذه الأخيرة أنسب.

(2) وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 380: «مجازه: لن تقطع الأرض... وقال آخرون: إنك لن تنقب الأرض، وليس بشيء».

(3) رواه يحيى بن سلام هكذا: «يحيى عن الحسن بن دينار، عن الجُريري عن يعلى بن عطاء قال: قال رسول الله ﷺ...»، ولم أعثر عليه فيما بين يدي من المصادر.

قرأها بالياء فهو يقول: إنه قال للنبي: قل لهم: ﴿ لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ ﴾، ثم أقبل على النبي فقال: كما يقولون. ومن قرأها بالتاء فهو يقول: إنه قال للنبي: قل لهم: ﴿ لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ ﴾ كما تقولون؛ ﴿ إذاً لابْتَغوا ﴾ يعني الآلهة لو كانت آلهة ﴿ إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴾ أي: إذاً لطلبوا إليه الوسيلة والقربة. وقال بعضهم: إذاً لعرفوا له فضله عليهم ولابتغوا ما يقرّبهم إليه.

قوله: ﴿ سُبْحَـٰنَهُ ﴾ ينزّه نفسه ﴿ وَتَعَالَىٰ ﴾ أي: ارتفع ﴿ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً ﴾ أي: ارتفاعاً عظيماً.

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَـٰوَاتُ السَّبْعُ ﴾ أي: ومن فيهن ﴿ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ أي: من المؤمنين ومن يسبّح له من الخلق. ﴿ وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـٰكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾.

قال الحسن: إن الجبل يسبّح، فإذا قطع منه شيء لم يسبّح ذلك المقطوع ويسبّح الأصل. وكذلك الشجرة ما قطع منها لم يسبح وتُسبّح[1].

قال (وَلَـٰكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً) كقوله: (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ) [النحل: 61] أي: إذاً لحبس عنهم القطر فأهلكهم. قال: (غَفُوراً) لهم أي: إن تابوا. وقال بعضهم: (حَلِيماً) أي: عن خلقه فلا يعجل كعجلة بعضهم على بعض، غفوراً لهم إذا تابوا وراجعوا الحق.

قوله: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: لا يصدّقون ﴿ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً ﴾ أي: جعل الله الكفر الذي كان منهم حجاباً لهم حجبهم به عن الإيمان.

---

(1) كذا في ع وق، وفي د: ويسبح الأصل؛ وما أثبته هو الصواب. وانظر في معاني الفراء ج 2ص 124 - 125 بياناً لغوياً شافياً في تذكير قوله تعالى: (يُسَبِّحُ) أو تأنيثه، وروى الفراء في آخر كلامه قولاً لسعيد بن جبير قال: «كل تسبيح في القرآن فهو صلاة، وكل سلطان حجة، هذا لقوله: (وإن مِّنْ شَيْءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)».

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ أي: لئلا يفقهوه ﴿ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْراً ﴾ وهو مثل قوله: (وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾ [الجاثية: 23] وكل هذا إنما فعله الله بهم لفعلهم الكفر الذي كان منهم[1].

قال بعضهم: (حِجَاباً مَّسْتُوراً) وهو أكنة على قلوبهم بأن لا يفقهوه. أي: إنما جعل الله الكفر حِجَاباً على أهله لا يفقهون معه الحق ولا يقبلونه لتديّنهم بالكفر وتعلّقهم به[2].

قوله: ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ ﴾ أي: إذا قلت لا إلـه إلا الله ﴿ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُوراً ﴾ أي: أعرضوا. وقال بعضهم: إن المسلمين لما قالوا لا إلـه إلا الله أنكر ذلك المشركون وكبرت عليهم وضاق بها إبليس وجنوده. وهو كقوله: (أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَـٰهاً وَاحِداً إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) [سورة صٓ: 5]. قوله: (وَلَّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً) أي: أعرضوا عنه ونفرت منه قلوبهم، وما برحت أبدانهم من أماكنها، وإنما نفروا بقلوبهم بالإعراض والتكذيب.

قوله: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ ﴾ أي: يتناجون في أمر النبي عليه السلام. ﴿ إِذْ يَقُولُ الظَّـٰلِمُونَ ﴾ أي: المشركون ﴿ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُوراً ﴾.

قـال بعضهـم: بلغنا أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة في رهط من قريش قاموا من المسجد إلى دار في أهل الصفا فيها نبي الله يصلي، فاستمعوا. فلما فرغ نبي الله من صلاته قال أبو سفيان لعتبة: يا أبا الوليد، أناشدك الله هل تعرف شيئاً مما يقول؟ فقال عتبة: اللهم أعرف بعضاً وأنكر بعضاً. فقال أبو جهل: وأنت يا أبا سفيان؟ قال أبو سفيان: اللهم نعم. فقال أبو سفيان لأبي جهل: يا

(1) هذه الجملة الأخيرة من كلام الشيخ هود الهواري، موجودة في المخطوطات الأربع دون سع، وز.

(2) وهذه الجملة أيضاً من قوله: إنما جعل الله الكفر. . .، وهي تأكيد للمعنى الأول، من زيادات الشيخ هود انفردت بها المخطوطات الأربع.

أبا الحكم هل تعرف شيئاً مما يقول؟ قال أبو جهل: لا والذي جعلها بَنِيّة، يعني الكعبة، ما أعرف مما يقول قليلاً ولا كثيراً وإن يتبعون إلا رجلاً مسحوراً، يعني المؤمنين اتبعوا رجلاً مسحوراً.

وقال بعضهم: [نجواهم أن زعموا أنه][1] مجنون وأنه ساحر، وقالوا أساطير الأولين.

قال الله: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ أي: الأشباه[2] ﴿ فَضَلُّوا ﴾ بقولهم ذلك ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ قال مجاهد: مخرجاً [مما قالوا] يعني الوليد بن المغيرة وأصحابه. وقال في قوله: (إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ): [هو مثل][3] قول الوليد بن المغيرة ومن معه في دار النَّدوة[4].

﴿ وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰماً وَرُفَـٰتاً ﴾ أي: تراباً[5] في تفسير مجاهد. ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً ﴾ على الاستفهام، أي: لا نبعث. وهو كقوله: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِـي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [سورة يٓس: 78]. كان أبيُّ بن خلف أتى النبي ﷺ بعظم نَخِر ففتّه، ثم قال: يا محمد، أَيُحيـي الله هذا؟ قال الله (قُلْ يُحْيِيهَا الذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ «مَرَّةٍ») [يٓس: 79].

---

(1) زيادة من سع لتستقيم العبارة.

(2) هذه الكلمة لم ترد في سع ولا في ز، ووردت في المخطوطات الأربع، وهي ليست من زيادات الشيخ هود، فهل معنى ذلك أن أهل المخطوطات الأربع لم تنقل من نفس المخطوطة التي بين أيدينا الآن من تفسير ابن سلّام؟.

(3) زيادة من تفسير مجاهد، ص 396 - 363.

(4) إشارة إلى معنى قوله تعالى [في سورة الأنفال: 310] ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أو يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ المَـٰكِرِينَ ﴾ وقد أيّد الطبري تأويل مجاهد هذا فقال في تفسيره ج 10 ص 95: «وعني فيما ذكر بالنجوى الذين تشاوروا في أمر رسول الله ﷺ في دار الندوة».

(5) جاء في معاني القرآن للفراء ج 2 ص 125: «الرُّفات: التراب لا واحد له، بمنزلة الدُّقاق والحُطام».

قوله: ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً ﴾ لما قالوا: (أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً). قال الحسن: فقال الله: (قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً) ﴿ أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾ أي: الموت، أي: إذاً لأماتكم ثم يبعثكم يوم القيامة ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ﴾ أي: خلقاً جديداً ﴿ قُلِ الذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ ﴾ أي: فسيحرّكون إليك رؤوسهم تكذيباً واستهزاءً. قال: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ﴾ يعنون البعث ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ عَسَىٰ أَن يَّكُونَ قَرِيباً ﴾. وعسى من الله واجبة؛ وكل ما هو آتٍ قريب.

قال: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ ﴾ أي: من قبوركم؛ ينادي صاحب الصُّور أن ينفخ فيه. ﴿ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ﴾ أي: بمعرفته في تفسير الحسن. وقال بعضهم: بطاعته ومعرفته. والاستجابة خروجهم من قبورهم إلى الداعي صاحب الصور إلى بيت المقدس.

قال: ﴿ وَتَظُنُّونَ ﴾ أي: في الآخرة ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ وهو مثل قوله: (قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) [المؤمنون: 113] أي: تصاغرت الدنيا عندهم، ومثل قوله: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ) أي: المشركون (مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ) قال الله: (كَذَٰلِكَ كَانُوا يُوفَكُونَ) أي: يصدّون عن الهدى. وقال: (وَقَالَ الذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَد لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ البَعْثِ) [الروم: 55-56]، وهي مقدّمة؛ يقول: وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله والإيمان لقد لبثتم إلى يوم البعث. وقال في الآية الأولى: (إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً) [المؤمنون: 114] أي: إن الذي كانوا فيه من الدنيا قليل في الآخرة لأنها لا تنقضي، فعلموا هنالك، أي: في الآخرة، أنه كذلك. وقال بعضهم: وذلك مما تحاقرت الدنيا في أنفسهم لمّا عاينوا يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا التِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ أي: يأمروهم بما أمرهم الله به وينهوهم عما نهاهم الله عنه. ﴿ إِنَّ الشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: يفسد بينهم. ﴿ إِنَّ الشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً ﴾ أي: بيّن العداوة.

قوله: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾ أي: بأعمالكم، يعني المشركين ﴿ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ﴾ أي: يتوب عليكم فيمنّ عليكم بالإيمان ﴿ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ أي: بإقامتكم على الشرك ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ أي: حفيظاً لأعمالهم حتى تجازيهم بها.

قوله: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾. قال الحسن: كلّم بعضهم، واتخذ بعضهم خليلاً، وأعطى بعضهم إحياءَ الموتى. ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾. وهو اسم الكتاب الذي أعطاه الله. قال بعضهم: بلغنا أن الزبور دعاء علّمه الله داود، وهو تحميد وتمجيد لله، وليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لا تخيّروا بين الأنبياء[1]. وذكر الحسن قال قال رسول الله ﷺ: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة[2].

قوله: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ ﴾ يعني الأوثان ﴿ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا ﴾ يملكون ﴿ تَحْوِيلًا ﴾ أي: لما نزل بكم من الضر. أي: أن تحولوا ذلك الضر إلى غيره أهون منه.

قوله: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ أي: القربة ﴿ أَيُّهُمْ

---

(1) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة الأعراف؛ باب ولما جاء موسى لميقاتنا عن أبي هريرة بلفظ: «لا تخيّروني من بين الأنبياء». وفي رواية له أخرى في كتاب الأنبياء بلفظ: «لا تخيروني على موسى». وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام (رقم 2373) عن أبي هريرة بلفظ: «لا تخيّروني على موسى»، وبلفظ: «لا تفضّلوا بين أنبياء الله»، وعن أبي سعيد الخدري (رقم 2374) «بلفظ لا تخيّروا بين الأنبياء» وانظر البغوي، شرح السنّة، ج 13 ص 204 - 207.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق عن أبي هريرة (رقم 2278) ولفظه: «أنا سيد ولد آدم وأول من ينشق عنه القبر وأنا أول شافع وأول مشفّع». وأخرجه بهذا اللفظ نفسه أبو داود في كتاب السنّة، باب في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (رقم 4673).

أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ﴾ أي: الجنة ﴿ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ أي: النار ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً ﴾ أي: يحذره المؤمنون.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن، فأسلم الجنيون ولم يعلم بذلك النفر من العرب. قال الله: (أُولَـٰئِكَ الذِينَ يَدْعُونَ) يعني الجنيين الذين يعبدهم هؤلاء (يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِم الوَسِيلَةَ. . .) إلى آخر الآية.

وتفسير الحسن: أنهم الملائكة وعيسى. يقول: أولـئك الذين يعبـدهم المشركون والصابئون والنصارى. لأن المشركين قد كانوا يعبدون الملائكة والصابئون يعبدونهم:

قال بعضهم: بلغنا أن آل بني مليكة[2] كانوا يعبدون الملائكة والنصارى تعبد عيسى. قال: فالملائكة وعيسى الذين يعبد هؤلاء (يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ).

قوله: ﴿ وَإِن مِّنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ القِيَـٰمَةِ﴾ أي: تموت بغير عذاب ﴿ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً ﴾ أي: يكون موتهم بالعذاب.

قال بعضهم: قضى الله إما أن يُهلكوا بموت أو بعذاب إذا تركوا أمرَه وكذبوا رسلَه، يعني إهلاك الأمم بتكذيبها الرسل.

﴿ كَانَ ذَلِكَ فِي الكِتَـٰبِ مَسْطُوراً ﴾ أي: مكتوباً. وقال في آية أخرى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ) [آل عمران: 185].

قوله: ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالأَيَـٰتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ ﴾ أي: إن القوم كانوا إذا سألوا نبيَّهم الآيةَ فجاءتهم الآية، لم يؤمنوا فيُهلكهم الله. وهو كقوله:

(1) كذا في المخطوطات الأربع. «بلغنا أن آل بني مليكة كانوا يعبدون الملائكة» ولم أعثر على اسم هذه القبيلة فيما بين يدي من مصادر التاريخ، ولم ترد الكلمة في سع ولا في ز.

(قَالُوا) يعني مشركي العرب للنبي: (فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ) أي: موسى وعيسى والرسل التي جاءت قومها بالآيات. قال الله: (مَا ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّنْ قَرْيَةٍ) أي: من أهل قرية (أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ) [الأنبياء: 5 - 6] أي: لا يؤمنون لو جاءتهم آية. وقد أخّر الله عذاب كفار آخر هذه الأمة بالاستئصال إلى النفخة الأولى. قال: (وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ) إلى قومك يا محمد (إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ) وكنا إذا أرسلنا إلى قوم بآية فلم يؤمنوا أهلكناهم، فلذلك لم نرسل لهم بالآيات، لأن آخر كفار هذه الأمة أُخِّروا إلى النفخة الأولى.

قال بعضهم: قال أهل مكة للنبي عليه السلام: إن كان ما تقول حقاً، ويَسُرُّك أن نؤمن لك فحوِّل لنا الصفا ذهباً، فأتاه جبريل فقال: إن شئت كان الذي سألك قومك، ولكن إن هم لم يؤمنوا لم يُنظَروا، وإن شئت استأنيتَ بقومك. قال: لا، بل أستأني بقومي[1]. فأنزل الله [(وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ)][2] وأنزل: (مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ).

قوله: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ أي: بيّنة. [وقال مجاهد: آية][3] ﴿ فَظَلَمُوا بِهَا ﴾ أي: ظلموا أنفسهم بعقرها ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفاً ﴾. أي: يخوّفهم الله بالآيات فيخبرهم أنهم إذا لم يؤمنوا بعد مجيء الآية عذّبهم.

قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ ﴾ أي: أوحينا إليك ﴿ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾ قال:

---

(1) رواه ابن سلام بهذا السند: سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران عن ابن عباس، وأخرجه أحمد في مسنده والنسائي وغيرهما عن ابن عباس. وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق آخر عن ابن عباس وعن سعيد بن جبير.

(2) سقطت هذه الآية من المخطوطات ومن سع كذا، وإيرادها هنا ضروري لأنها محل الشاهد في هذا الخبر، وهي مذكورة في تفسير الطبري ج 15 ص 108، وفي الدر المنثور ج 4 ص 190.

(3) زيادة من تفسير مجاهد، ص 364. وقال الفراء في المعاني ج 6 ص 126: «وقوله (النَّاقَةَ مُبْصِرَةً) جعل الفعل لها. ومن قرأ (مَبْصَرَة) أراد مثل قول عنترة: والكفر مَخْبَثَة لنفس المنعم. فإذا وضعت مَفعَلة في معنى فاعل كَفَت من الجمع والتأنيث، فكانت موحدة مفتوحة العين، لا يجوز كسرها. العرب تقول: هذا عشب مَلبَنَة مَسْمَنَة، والولد مَبْخَلَة مَجْبَنَة...».

عصمك من الناس، أي: منعك منهم فلا يصلون إليك حتى تبلغ عن الله الرسالة. كقوله (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) [المائدة: 67] أي: أن يصلوا إليك حتى تبلغ عن الله الرسالة. وكقوله: (عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مِنَ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) أي: من بين يدي ذلك الرسول (وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً) أي: رصداً من الملائكة (لِيَعْلَمَ) أي: ذلك الرسول (أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ) [الجن: 28] أي: أحاط الله بما لديهم حتى يبلغوا عن الله الرسالة.

ذكروا أن مجاهداً قال: أحاط بالناس، فهم في قبضته.

ذكروا عن الحسن أن النبي عليه السلام شكا إلى ربه أمر قومه فقال: يا ربِّ، إن قومي قد خوَّفوني، فأعطني من قِبَلِك آية أعلم ألا مخافة عليّ. فأوحى الله إليه أن يأتي وادي كذا وكذا فيه شجرة، فليدع غصناً منها يأته. فانطلق إلى الوادي فدعا غصناً منها، فجاء يخط في الأرض خطاً حتى انتصب بين يديه. فحبسه ما شاء الله أن يحبسه، ثم قال: ارجع كما جئت، فرجع. فقال رسول الله ﷺ: علمت يا رب ألا مخافة عليّ(1).

قوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا التِي أَرَيْنَـٰكَ ﴾ يعني ما أراه الله ليلة أُسري به، وليس برؤيا المنام، ولكن بالمعاينة ﴿ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ يعني مشركي مكة.

إن النبي عليه السلام لما أخبرهم بمسيره إلى بيت المقدس ورجوعه من ليلته كذّب بذلك المشركون فافتتنوا بذلك.

وقال بعضهم: (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا التِي أَرَيْنَاكَ) أي: ما أراه الله من الآيات والعبر في مسيره إلى بيت المقدس (إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ) أي: إلا بلاء للناس. أي: المشركين.

وقال الحسن: إن نفراً كانوا أسلموا ثم ارتدوا عند ذلك.

---

(1) رواه يحيى بن سلام عن الحسن مرسلاً.

قال: ﴿ وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرْءَانِ﴾ يقول: وما جعلنا أيضاً الشجرة الملعونة في القرآن، يعني شجرة الزَّقُّوم، وهو تفسير مجاهد والحسن، إلا فتنة للناس، أي: للمشركين.

لما نزلت دعا أبو جهل بن هشام لعنه الله بتمر وزبد فقال: تعالوا تزقَّموا، فما نعلم الزقّوم إلا هذا. فأنزل الله: (إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ) أي: للمشركين (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ في أَصْلِ الجَحِيمِ . . .) إلى آخر الآية [الصّافّات: 63 - 64] فوصفها ووصف كيف يأكلونها في النار. وقال الحسن: يعني بقوله: (المَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ) أي: إن أَكَلَتَها ملعونون في القرآن. كقوله: (وَاسْأَلِ القَرْيَةَ التِي كُنَّا فِيهَا) [يوسف: 82]، وإنما يعني أهل القرية.

قال: ﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ ﴾ أي: بشجرة الزَّقُّوم ﴿ فَمَا يَزِيدُهُمْ ﴾ أي: تخويفنا إياهم بها وبغيرها ﴿ إِلَّا طُغْيَـٰناً كَبِيراً ﴾.

قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً ﴾ أي: من طين. كقوله: (هُوَ الذِي خَلَقَكُم مِّنْ طِينٍ) [الأنعام: 2] وقال إبليس: (خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) [سورة صٓ: 76]، وقول إبليس: (ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً) على الاستفهام، أي: لا أسجد له.

ثم قال: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا الذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ﴾ فأمرتني بالسجود له ﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً ﴾. قال مجاهد: لأحتوينَّهم. وقال الكلبي: لأستولِيَن على ذريّته، أي: فأضلّهم، إلا قليلاً. وقال الحسن: لاستأصلن ذريته، يعني يهلكهم، إلا قليلاً، يعني المؤمنين[1].

وهذا القول منه بعد ما أمر بالسجود، وذلك ظنٌّ منه حيث وسوس إلى آدم فلم

(1) وقد جمع أبو عبيدة هذه المعاني المتقاربة بتعبير أدق فقال في المجاز، ج 1 ص 384: «(لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً) مجازه: لأستميلانَّهُمْ ولأستأصلنَّهم». يقال: احتنك فلان ما عند فلان أجمع من مال أو علم أو حديث أو غيره. [أخذه كله واستقصاه]».

يجد له عزماً، أي: صبراً. فقال: بنو هذا في الضعف مثله. وذكروا أن إبليس كان يُطِيف بآدم قبل أن ينفخ فيه الروح، فلما رآه الخبيث أجوف عرف أنه لا يتمالك.

قوله: ﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُوراً ﴾ قال مجاهد: وافراً.

قوله: ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴾ يعني بدعائك، أي: بوسوستك[1]. ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ ﴾.

قال مجاهد: كل فارس في معصية الله فهو من خيل إبليس، وكل راجل في معصية الله فهو من رَجل إبليس. وقال بعضهم: رجاله الكفار والضّلّال من الجنّ والإنسِ. وكان الحسن يقرأها: (وَرِجَالِكَ) وقال: وإن له خيلاً وإن له رجالاً.

قوله: ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوٰلِ وَالأَوْلٰدِ ﴾ قال الحسن: شركته إياهم في الأموال أنه أمرهم، أي: وسوس إليهم، فأخذوها من حرام وأنفقوها في غير حقها. وشركته إياهم في الأولاد أن الله أعطاهم أولاداً على الفطرة فصبغوهم يهوداً ونصارى أو مجوساً أو عابدي وثن.

وقال الكلبي: شركته إياهم في الأموال ما كانوا يحرّمون مما أحلّ الله لهم، وكل ما أصابوا من غير حلّه ووضعوه في غير حقّه، وشركته إياهم في الأولاد ما ولد من الزنا.

قوله: ﴿ وَعِدْهُمْ ﴾ أي: بالأماني، أي: بأنه لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار. وهذا وعيد من الله للشيطان، كقول الرجل: اذهب فاجهد على جهدك، وليس على وجه الأمر له.

قال: ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُوراً ﴾.

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز: (استَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ) أي: استخفف، واستجهل. (بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ) جميع راجل، بمنزلة تاجر والجميع تجْر، وصاحب والجميع صَحْب».

قال: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ يعني المؤمنين، أي: من يلقى الله مؤمناً فليس له عليهم سلطان أن يضلهم. ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴾ أي: حرزاً ومانعاً لعباده المؤمنين.

قوله: ﴿ رَبُّكُمُ الذِي يُزْجِي لَكُمُ الفُلْكَ فِي البَحْرِ﴾ أي: يجريها في البحر ﴿ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي: طلب التجارة في البحر ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ فبرأفته ورحمته سخر لكم ذلك. والرحمة على الكافر في هذا رحمة الدنيا.

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ ﴾ أي: الأهوال ﴿ فِي البَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ ﴾ أي: ما تدعون من دونه ضلّ عنكم. قال: ﴿ إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ تدعونه. كقوله: (بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ) [الأنعام: 41]، يعلمون أنه لا ينجيهم من الغرق إلا الله. قال: ﴿ فَلَمَّا نَجَّـٰكُمْ إِلَى البَرِّ أَعْرَضْتُمْ ﴾ عن الذي نجاكم ورجعتم إلى شرككم ﴿ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً ﴾ يعني المشرك.

قال: ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَن يَّخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ البَرِّ ﴾ كما خسف بقوم لوط وبقارون. ﴿ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ﴾ أي: حجارة من السماء يحصبكم بها كما فعل بقوم لوط، يعني الذين خرجوا من القرية فأرسل عليهم الحجارة وخسف بأهل القرية. ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً ﴾ قال بعضهم: منيعاً ولا نصيراً.

﴿ أَمْ آمِنْتُمْ أَن يُّعِيدَكُمْ فِيهِ ﴾ أي: في البحر ﴿ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ أي: مرة أخرى ﴿ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِّنَ الرِّيحِ ﴾ والقاصف من الريح الشديد ﴿ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً ﴾ أي: لا تجدوا أحداً تبيعاً بذلك لكم فينتصر لكم. وهو كقوله: (فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّيٰهَا) [الشمس: 14 - 15] أي: فسواها عليهم بالعذاب. (فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا) أي: التبعة، فينتصر لهم. وقال بعضهم: ولا يخاف أن يُتْبَع بشيء مما أصابكم. وقال مجاهد: (تَبِيعاً) أي: ثائراً[1].

---

(1) الثائر هنا هو الذي يطلب دم القاتل حتى يدركه. يقال: ثأر القتيل وبالقتيل إذا قتل قاتله. والثائر: =

قوله: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ الطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا في سفر فأتوا على برك من ماء فكرعوا فيها[1] فقال لهم رسول الله ﷺ: اغسلوا أيديكم واشربوا منها[2] فنزلت هذه الآية عند ذلك.

وقال الحسن: فضل الله بني آدم على البهائم والسباع والهوام. وقال بعضهم: ﴿ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ هو جميع ما رزق بني آدم من الخبز واللحم والعسل والسمن وغيره من طيبات الطعام والشراب فجعل رزقهم أفضل من رزق الدواب والطير[3].

= الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك ثأره؛ وليس هو اسم فاعل من ثار يثور ثَوْرة وثَوَرَانا، إذا هاج وغضب، وإنما هو من ثأر يثأر، فالهمزة في الأول أصلية وفي الثاني منقلبة عن أصل واوي.

(1) كرع في الماء يكرع كروعاً وكَرَعاً: تناول الماء بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه أو بإناء. وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل على رجل من الأنصار ومعه صاحب له فقال له النبي ﷺ: إن كان عندك ماء بات هذه الليلة في شنّة وإلا كرعنا. قال: والرجل يحول الماء في حائطه. . إلى آخر الحديث. أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب شَوْب اللبن بالماء. وترجم البخاري في كتاب الأشربة، باب الكرع في الحوض. وعبارة سع، ورقة 11، وجاءت هكذا: «فمروا ببرك فيها ماء فوضع بعضهم رؤوسهم يشربون منها فقال رسول الله ﷺ: «اغسلوا أيديكم. . .».

(2) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأشربة، باب الشرب بالأكف والكرع (رقم 3433) عن ابن عمر، وأخرجه البيهقي في الشعب عن ابن عمر أيضاً ولفظه: «لا تكرعوا، ولكن اغسلوا أيديكم، ثم اشربوا فيها، فإنه ليس إناء أطيب من اليد».

(3) تكريم الله لبني آدم وتفضيله إياهم أعم وأكثر من أن يحصرا في وجه من الوجوه، أو أن يخص بهما طيبات الرزق من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ومركب أو من خلق الإنسان في أحسن تقويم. فحذف المعمول يؤذن بالعموم. ثم إن نعمه علينا لا تعد ولا تحصى، وآلاؤه على العالمين أجل وأعظم من أن يحيط بها علم، أو يفي بحقها وصف. وإن فيما حققه العلم الحديث من معجزات، وما وفرته المدنية من وسائل الرفاهية ولين العيش لأكبر شاهد على إعجاز هذه الآية وتناولها لكل معاني التكريم والتفضيل. فلا وجه لتخصيص بعض المفسرين =

قوله: ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ . أي: بكتابهم، أي: ما نسخت عليهم الملائكة من أعمالهم. وقال بعضهم: (بِإِمَامِهِمْ) أي: بنبيّهم قال: (فَمَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَـٰئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَـٰبَهُمْ﴾ وقد فسّرناه قبل هذا الموضع[1] ﴿ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ وقد فسّرناه في سورة النساء[2].

قوله: ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ قال بعضهم: من كان في هذه الدنيا أعمى، أي: عما عاين فيها من نعم الله وخلقه وعجائبه فيعلم أن له معاداً وأشباه هذا مما جعله الله تبصرة للعباد فيعلمون أن البعث حق، فهو فيما يغيب عنه من أمر الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، أي: وأضل طريقاً.

وقال الحسن: من كان في هذه الدنيا أعمى، وهو الكافر عمي عن الهدى، فهو في الآخرة أعمى في الحجة، أي: ليست له حجة. كقوله: (لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ) [طه: 125].

قوله: ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ أي: ليضلونك. وقال بعضهم: ليصدونك ﴿ عَنِ الذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ أي: القرآن ﴿ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴾ أي: لو فعلت.

وذلك أن المشركين خلوا بنبي الله عليه السلام بمكة ليلة حتى الصباح فقالوا: يا محمد، إن الذي جئت به لم يجىء به أحد من قومك، ورفقوا به، وقالوا له: كُفَّ عن شتم آلهتنا وذمّها وانظر في هذا الأمر، فإن هذا لو كان حقاً لكان فلان أَحقَّ به منك، وفلان أحق به منك. فأنزل الله: (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ. . .) الآية.

قوله: ﴿ وَلَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَـٰكَ﴾ أي: بالنبوة، أي: عصمناك بها ﴿ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ

= لبعض منها دون بعض. فاللهم وفقنا إلى شكرك على ما أوليته إيانا من نعم، وعلى ما غمرتنا به من إحسان ومن مظاهر التكريم والتفصيل، يا منانّ يا كريم، يا وهّاب.

(1) انظر ما مضى قريباً في هذا الجزء ص 411، 412.

(2) انظر ما مضى في هذا التفسير ج 1 ص 388.

إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً إِذاً لَأَذَقْنَـٰكَ﴾ لو فعلت ﴿ضِعْفَ الحَيَوٰةِ﴾ أي: عذاب الدنيا ﴿وَضِعْفَ المَمَاتِ﴾ أي: عذاب الآخرة ﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾ أي: فينتصر لك بعد عقوبتنا إياك.

قوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ﴾ أي: قد كادوا يستفزونك من الأرض، يعني أرض مكة[1] ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذاً لاَّ يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ﴾ أي: بعدك ﴿إِلاَّ قَلِيلاً سُنَّةَ مَنْ قَدَ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾.

قال بعضهم: همَّ أهل مكة بإخراجه من مكة، ولو فعلوا ذلك ما نوظروا؛ ولكن الله كفَّهم من إخراجه حتى أمره الله بالخروج. ولَقَلَّ مع ذلك ما لبثوا بعد خروجه حتى بعث الله عليهم القتل يوم بدر. وهي في هذا التفسير: [قوله في سورة الأنفال [آية: 30] ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾[2]، وقد فسرناه[3].

وقال الحسن: ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ﴾ أي: ليقتلوك، أي: ليخرجوك منها بالقتل. ﴿وَإِذاً لاَّ يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ﴾ أي: بعدك ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾ حتى نستأصلهم بالعذاب فنهلكهم أجمعين لو قتلوك. ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدَ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ أي: إنهم إذا قتلوا نبيّهم أهلكهم الله بالعذاب. ﴿وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾ أي: إن سنّة الرسل والأمم كانت قبلك كذلك؛ إذا كذّبوا رسلهم وأخرجوهم لم ينظروا أن يبعث الله عليهم عذاباً.

ذكروا أن عبد الله بن مسعود قال: أشَد النّاسِ عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً أو قتله نبي أو مصوِّر[4].

(1) كذا في المخطوطات الأربع، وفي ز ورقة 187: «مكة». وفي سع ورقة 11 ظ: «أرض المدينة». وإذا لم تكن هذه الأخيرة سهواً من النساخ فهي تأويل ضعيف أورده الطبري على أن الذين أرادوا أن يخرجوه هم اليهود. والذي عليه جمهور المفسرين أن الآية تعني أهل مكة، وأن الأرض هي مكة، وهو ما رجحه الطبري أيضاً في تفسيره ج 15 ص 133.

(2) زيادة من سع، ورقة 11 ظ. وجاءت العبارة في المخطوطات مضطربة.

(3) انظر ما سلف في هذا الجزء ص: 84 - 85.

(4) هذه بعض ألفاظ حديث أخرجه أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود يرفعه إلى رسول الله ﷺ =

قوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أي: لزوال الشمس عن كبد السماء، يعني صلاة الظهر والعصر بعدها. ﴿إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ﴾ أي: بدو[1] الليل واجتماعه وظلمته؛ صلاة المغرب عند بدو الليل، وصلاة العشاء عند اجتماع الليل وظلمته إذا غاب الشفق.

ذكروا عن الحسن أنه قال: إن رسول الله حين جاء بالصلوات الخمس إلى قومه، خلّى عنهم حتى إذا زالت الشمس عن بطن السماء نودي فيهم: الصلاة جامعة، ففزعوا لذلك واجتمعوا، فصلّى بهم الظهر أربع ركعات لا يعلن فيهن القراءة، جبريل بين يدي نبي الله، ونبي الله بين أيدي الناس، يقتدي الناس بنبيّهم، ويقتدي نبيّ الله بجبريل. ثم خلّى عنهم حتى إذا تصوبت الشمس وهي بيضاء نقية نودي فيهم: الصلاة جامعة، فاجتمعوا، فصلى بهم العصر أربع ركعات دون صلاة الظهر، لا يعلن فيهن القراءة؛ جبريل بين يدي نبي الله، ونبي الله بين أيدي الناس، يقتدي الناس بنبيهم، ونبي الله يقتدي بجبريل. ثم خلى عنهم، حتى إذا غابت الشمس نودي فيهم: الصلاة جامعة. فاجتمعوا فصلى بهم المغرب ثلاث ركعات، يعلن في الركعتين الأوليين، ولا يعلن في الركعة الآخرة. جبريل بين يدي نبي الله، ونبي الله بين أيدي الناس. يقتدي الناس بنبيهم، ويقتدي نبي الله بجبريل. ثم خلى عنهم حتى غاب الشفق وانقضى[2] العَشاء نودي فيهم: الصلاة جامعة. فاجتمعوا؛

= ونصه: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبياً أو قتله نبي، أو رجل يضل الناس بغير علم أو مصوّر يصوّر التماثيل». وانظر الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم 281) ج 1 ص 163-164.

(1) في المخطوطات: «بدء الليل»، وأصح منه ما أثبته من سع، ورقة 11 ظ: «بدو الليل» بمعنى ظهوره.

(2) كذا في المخطوطات: «انقضى العشاء». وجاء في سع ورقة 12 و: «أيتظأ العشاء». وكُتب على هامش الورقة: «أيتظأ أظلم» كأنه تفسير للكلمة. ولم أجد في كتب اللغة هذا الفعل: أيتظأ. لا بمعنى أظلم ولا بمعنى آخر. ولعل في الكلمة تصحيفاً لم أوفق إلى وجه الخطإ فيه وتصحيحه. وإذا لم يكن ذلك فإن المعنى الذي يتبادر إلى الذهن، وهو انقضاء العَشاء (بفتح العين) هو الصحيح إن شاء الله؛ لأن صلاة العِشاء تكون عند العَشاء أو بعده.

فصلى بهم العشاء أربع ركعات، يعلن في الركعتين الأوليين ولا يعلن في الآخرتين؛ جبريل بين يدي نبي الله، ونبي الله بين أيدي الناس. يقتدي الناس بنبيهم ويقتدي نبي الله بجبريل. ثم بات الناس ولا يدرون أيزدادون على ذلك أم لا. حتى إذا طلع الفجر نودي فيهم الصلاة جامعة. فاجتمعوا فصلى بهم الصبح ركعتين أطالهما وأعلن فيهما بالقراءة. جبريل بين يدي نبي الله، ونبي الله بين أيدي الناس. يقتدي الناس بنبيهم ويقتدي نبي الله بجبريل.

ذكروا أن عبد الله بن مسعود قال: والذي لا إلـه غيره إن هذه الساعة لميقات هذه الصلاة، يعني المغرب، ثم قال: (أَقِمِ الصَّلَـوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) يعني غروبها، أي: زوالها حين تغيب، في قول ابن مسعود. (إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ). أي: مجيء الليل، والصلاة فيما بينهما.

وتفسير ابن عباس: [دُلُوكُهَا][1]: زوالها وميلها. وهذا قول العامة، يعني وقت صلاة الظهر.

وقال بعضهم: لو كانت الصلاة من دلوكها إلى غسق الليل لكانت الصلاة من زوال الشمس إلى صلاة المغرب. وقول ابن عباس أعجب إلينا. وهو قول العامة[2].

قوله: ﴿ وَقُرْءَانُ الفَجْرِ ﴾ يعني صلاة الصبح ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾ أي: تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار. يجتمعون عند صلاة الصبح وعند صلاة العصر.

---

(1) زيادة لإيضاح المعنى. وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 1 ص 387: «ودلوك الشمس من عند زوالها إلى أن تغيب».

(2) أورد هذا الخبرَ ابنُ سلام عَن المسعودي، ثم قال: «قال المسعودي: قال السدي، وكان يعالج التفسير، لو كان دلوك الشمس زوالها لكانت الصلاة فيما بين زوالها إلى أن تغيب. وكان قول ابن عباس أعجب إلى المسعودي». فأنت ترى أن هذا الترجيح إنما هو للمسعودي رواه عنه ابن سلام، ولكن اختصار الشيخ هود الهواري للخبر، وحذفه للسند يجعلان المعنى عاماً. وربما وهم القارىء فظن أن ترجيح قول ابن عباس هو للشيخ هود الهواري أولاً. والحق أنه موافقة له وتأييد.

ذكروا أن عبد الله بن مسعود كان يقول: عند صلاة المغرب يجتمع الحرسان من ملائكة الليل وملائكة النهار.

قوله: ﴿ وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ أي: عطية من الله لك. وقال الكلبي: النافلة: الفضل. وقال بعضهم: إن صلاة الليل على النبي فريضة وهي للناس تطوّع. وقال الحسن: لم يقم النبي أقل من ثلث الليل.

ذكروا أن رسول الله ﷺ إذا شغله شيء عن صلاة الليل صلّى من النهار اثنتي عشرة ركعة. وقال بعضهم: النافلة لا تكون إلا للنبي[1].

قوله: ﴿ عَسَى أَن يَّبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً ﴾ وعسى من الله واجبة. يقول: سيبعثك ربك مقاماً محموداً؛ يعني الشفاعة للخلق في الحساب بعد طول قيام وحبس على أرجلهم.

قال حذيفة بن اليمان: يبعث الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد حفاة عراة كما خُلِقوا، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حتى يلجمهم العرق، ولا تكلّم نفس إلا بإذنه. قال: فأول من يدعى محمد ﷺ فيقول: لبّيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك، والمهدي من هديت، عبدك بين يديك، وبك وإليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، وعلى عرشك استويت، سبحانك رب البيت. ثم يقال له: اشفع. قال: فذلك المقام المحمود الذي وعده الله.

قوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ يعني مدخله المدينة حين هاجر إليها. أمره الله بهذا الدعاء. ﴿ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ قال الحسن: مخرج صدق، أي: إلى قتال أهل بدر؛ وقد كان الله أعلمه أنه سيقاتل المشركين ببدر، ثم يظهره الله عليهم. وقال بعضهم: (أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ): الجنة (وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) أخرجه الله من مكة إلى الهجرة بالمدينة.

(1) وقد علّل الفراء ذلك فقال في معاني القرآن ج 2 ص 129: «وقوله: (نَافِلَةً لَّكَ) ليست لأحد نافلة إلا للنبي ﷺ؛ لأنه ليس من أحد إلا يخاف على نفسه، والنبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فعمله نافلة».

﴿ وَاجْعَلْنِي مِن لَّدُنْكَ سُلْطَـٰناً نَّصِيراً ﴾ فأظهره الله عليهم يوم بدر فقتلهم.

وقال بعضهم: علم نبي الله ألا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل سلطاناً نصيراً. أي: لكتاب الله ولحدوده ولفرائضه ولإقامة الدّين.

وقال مجاهد: (سُلْطَاناً نَّصِيراً) أي: حجّة بيِّنة.

قوله: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ ﴾ أي: القرآن. ﴿ وَزَهَقَ البَاطِلُ ﴾ أي: إبليس ﴿ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾ والزهوق: الداحض الذاهب.

قوله: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْءَانِ ﴾ أي: ينزل الله من القرآن ﴿ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُومِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَاراً ﴾ أي: كلما جاء من القرآن شيء كذبوا به فازدادوا فيه خساراً إلى خسارهم.

قوله: ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَـٰنِ ﴾ يعني المشرك، أعطيناه السعة والعافية. ﴿ أَعْرَضَ ﴾ عن الله وعن عبادته ﴿ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ﴾ أي: تباعد عن الله مستغنياً عنه. وقال مجاهد: تباعد منا؛ وهو واحد. ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ ﴾ أي: الأمراض والشدائد. ﴿ كَانَ يَئُوساً ﴾. يقول: يئس أن يفرّج ذلك عنه لأنه ليست له نية ولا حسبة[1] ولا رجاء.

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾ أي: على ناحيته ونيّته؛ أي: المؤمن على إيمانه، والكافر على كفره ﴿ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً ﴾ أي: فهو أعلم بأن المؤمن أهدى سبيلاً من الكافر.

قوله: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ ذكر مجاهد أن ناساً من اليهود لقوا النبي عليه الصلاة والسلام وهو على بغلته فسألوه عن الروح فأنزل الله: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ) ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾.

وفي تفسير الكلبي أن المشركين بعثوا رسلاً إلى المدينة فقالوا لهم: سلوا اليهود عن محمد وصفوا لهم نعته وقوله، ثم ائتونا فأخبرونا.

(1) في ق وع، وفي ز ورقة 188: «ولا حسبة، وهو أصح، وفي د وج: «ولا خشية».

فانطلقوا حتى قدموا المدينة فوجدوا بها علماء اليهود من كل أرض قد اجتمعوا فيها لعيد لهم. فسألوهم عن محمد ووصفوا لهم نعته. فقال لهم حبر من أحبار اليهود: إن هذا لنعت النبي الذي نُحدَّث أن الله باعثه في هذه الأرض. فقالت له رسل قريش: إنه فقير عائل يتيم لم يتّبعه من قومه من أهل الرأي أحد ولا من ذوي الأسنان. فضحك الحبر وقال: كذلك نجده. فقالت رسل قريش: إنه يقول قولاً عظيماً: يدعو إلى الرحمٰن ويقول: إن الذي باليمامة الساحر الكذاب[1]، يعنون مسيلمة. فقالت لهم اليهود: لا تكثروا علينا. اذهبوا فاسألوا صاحبكم عن خلال ثلاث، فإن الذي باليمامة قد عجز عنهن. فأما اثنتان فإنهما لا يعلمهما إلا نبي، فإن أخبركم بهما فإنه صادق. وأما الثالثة فلا يجترىء عليها أحد. قالت لهم رسل قريش: أخبرونا بهن. فقالت لهم اليهود: سلوه عن أصحاب الكهف والرقيم، وقصوا عليهم قصتهم، واسألوه عن ذي القرنين، وحدثوهم بأمره، واسألوه عن الروح، فإن أخبركم فيه بشيء فهو كاذب.

فرجعت رسل قريش إليهم فأخبروهم بذلك. فأرسلوا إلى نبيّ الله فلقيهم فقالوا له: يا ابن عبد المطلب، إنا سائلوك عن خلال ثلاث، فإن أخبرتنا عنهن فأنت صادق، وإلا فلا تذكر آلهتنا بسوء[2]. فقال لهم رسول الله ﷺ: وما هن؟ قالوا: أخبرنا عن أصحاب الكهف، فإنا قد أخبرنا عنهم بآية بيّنة، وأخبرنا عن ذي القرنين، فإنا أخبرنا عنه بأمر بيّن. وأخبرنا عن الروح. فقال لهم رسول الله ﷺ: أنظروني حتى أنظر ما يُحدِث إليَّ فيه ربّي. قالوا: فإنا ناظروك فيه ثلاثة أيام. فمكث رسول الله ﷺ أياماً لا يأتيه جبريل. ثم أتاه جبريل. فاستبشر النبي ﷺ وقال: يا جبريل، قد رأيت ما

(1) كذا وردت العبارة: «يدعو إلى الرحمٰن ويقول: إن الذي باليمامة الساحر الكذاب» في د. وهي الصحيحة، وفي ق وع، وفي سع ورقة: 13 و، وفي ز ورقة 188: «يدعو إلى االرحمٰن الذي باليمامة الساحر الكذاب» وهو خطأ.

(2) كذا في المخطوطات الأربع: «فلا تذكر آلهتنا بسوء»، وهو أصح. وفي ز ورقة 187، وفي سع ورقة 13 و: «فلا تذكرن آلهتنا بشيء»، وله وجه.

سألني عنه قومي، ثم لم تأتني. فقال له جبريل: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً ﴾ [مريم: 64]. فإذا شاء ربك أرسلني إليك. ثم قال له جبريل: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾. ثم قال: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَباً ﴾ [الكهف: 9]، فذكر قصتهم. ثم قال: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي القَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً ﴾ [الكهف: 83]. فذكر قصته.

ثم لقي رسول الله ﷺ قريشاً في آخر اليوم الثالث فقالوا: ماذا أحدث لك ربك في الذي سألناك عنه، فقصّه عليهم. فعجبوا، فغلب عليهم الشيطان أن يصدقوه[1].

ذكروا أن ابن عباس فسّر الروح مرة واحدة ثم أمسك عن تفسيرها. وفسّرها بعض السلف مرة واحدة، ثم كفّ عن تفسيرها. وأما الحسن فقال الروح: القرآن. قال: ﴿ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ أي: القرآن من أمر ربي ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾.

وذكروا عن بعض التابعين أنه قال: الروح خلق من خلق الله لهم أيد وأرجل[2].

وقال بعضهم: لقيت اليهود نبيُّ الله فتعنّتوه[3] وسألوه عن الروح وعن أصحاب

---

(1) لم أجد فيما بين يدي من كتب التفسير رواية الكلبي هذه في سبب نزول الآية بهذا التفصيل. وفيها أن قريشاً هم الذين سألوا النبي ﷺ عن الأسئلة الثلاثة. وقد أورد الطبري في تفسيره ج 15 ص 191 - 192 هذه القصة من طريق عكرمة عن ابن عباس. أما البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم فقد رووا عن عبد الله بن مسعود أن نفراً من اليهود هم الذين سألوا رسول الله ﷺ عن الروح فنزلت هذه الآية. انظر مثلاً صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل. وانظر الواحدي، أسباب النزول ص 299.

(2) من العجيب أن يجرؤ ناس على رواية هذه الأقاويل ونسبتها إلى بعض السلف من الصحابة أو التابعين بعد أن نزل في أمر الروح ما نزل. وقد رواها ابن سلام بدون تمحيص. فنعوذ بالله من التكلف لما لا نعلم، وخاصة فيما استأثر الله بعلمه من أمور الغيب.

(3) كذا في المخطوطات، وفي سع ورقة 13 و: «فتعنّتوه»، وهو الصحيح، قال الجوهري في الصحاح: «جاءني فلان مُتَعَنِّتاً إذا جاء يطلب زلتك». وفي تفسير الطبري ج 15 ص 155: «فتغشوه». والقول لقتادة.

الكهف وعن ذي القرنين؛ فأنزل الله: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنَ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي: اليهود.

قوله: ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ أي: القرآن، حتى لا يبقى منه شيء ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ أي: وليّاً يمنعك من ذلك.

﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ فيها إضمار. يقول: وإنما أنزلناه عليك رحمة من ربك ﴿ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً ﴾ يقول: أعطاك النبوة وأنزل عليك القرآن.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: لَيُسْرَيَنَّ على القرآن ليلة فلا تبقى منه آية في قلب رجل ولا في مصحف إلا رفعت.

قوله: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـٰذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾. أي: عوينا.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ أي: ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل. ﴿ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ ﴾ أي: لن نصدقك ﴿ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً ﴾ أي: عيوناً ببلدنا هذا.

﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَـٰرَ خِلَٰلَهَا ﴾ أي: خلال تلك الجنة. ﴿ تَفْجِيراً أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً ﴾ أي: قطعاً. وقال في آية أخرى: ﴿ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفاً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ [سبأ 9]. وقال: ﴿ وَإِن يَرَوْا كِسْفاً ﴾ والكسف القطعة ﴿ مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ [الطور: 44].

وقال الكلبي في قوله: ﴿ لَن نُومِنَ لَكَ حَتَّىٰ تُفَجِّرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً ﴾ قال: بلغنا ـ والله أعلم ـ أن عبد الله بن أبي أمية المخزومي[1] هو الذي قال ذلك حين

(1) هو ابن عمة رسول الله ﷺ؛ فإن أمه عاتكةُ بنت عبد المطلب بن هاشم، وهو أيضاً أخو أم سلمة، زوج النبي ﷺ لأبيها. وقد كان عبد الله بن أبي أمية هذا شديداً على المسلمين، ثم هداه الله للإسلام فأسلم قبيل فتح مكة على يد أخته أم سلمة، وحسن إسلامه، وشهد مع =

اجتمع الرهط من قريش بفناء الكعبة، فسألوا نبي الله أن يبعث لهم بعض موتاهم، أو يسخر لهم الريح، أو يسير لهم جبال مكة فلم يفعل شيئاً مما أرادوا، فقال عبد الله بن أبي أمية عند ذلك: ما تستطيع يا محمد أن تفعل لقومك بعض ما سألوك، فوالذي يحلف به عبد الله بن أبي أمية لا أؤمن لك، أي: لا أصدقك، (حَتَّىٰ تُفَجِّرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً)، أي: عيوناً (أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ)... إلى قوله (كِسَفاً)، أي: قطعاً.

﴿ أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالمَلَٰئِكَةِ قَبِيلاً ﴾ أي: عياناً، نعاينهم معاينة[1]. وقال مجاهد: (قَبِيلاً) أي: على حدتها، أي: على قبيلة. وقال في آية أخرى: (أَوْ جَاءَ مَعَهُ المَلاَئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) [الزخرف: 53].

﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ ﴾ والزخرف: الذهب فيما ذكروا عن ابن عباس[2] ﴿ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ ﴾ أي: تصعد في السماء ﴿ وَلَن نُّؤمِنَ لِرُقِيِّكَ ﴾ أي: لصعودك ﴿ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ ﴾ من الله إلى عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة أني أنا أرسلت محمداً، وتجيء بأربعة من الملائكة يشهدون أن الله هو الذي كتبه؛ ثم والله ما أدري بعد ذلك هل أؤمن لك، أي: هل أصدقك، أم لا.

فقال الله لنبيه عليه السلام ﴿ قُلْ سُبْحَٰنَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً ﴾.

= الرسول ﷺ حنيناً والطائف، ورُمِي بسهم يوم الطائف فقتله. أنظر ترجمته في كتب التراجم مثل الاستيعاب لابن عبد البّر، ج 3 ص 868.

(1) قال أبو عبيدة في المجاز. ج 1 ص 390: «(والملائكة قبيلاً) مجازه: مقابلة، أي: معاينة وقال:

نُصَالِحُكُمْ حَتَّى تَبُوؤُا بِمِثْلِهَا كَصَرْخَةِ حُبْلَى بَشَّرَتْهَا قَبِيلُهَا

أي: قابِلَتُهَا. فإذا وصفوا بتقدير فعيل من قولهم: قابلت ونحوها جعلوا لفظ صفة الإثنين والجميع من المذكر والمؤنث على لفظ واحد. نحو قولك: هي قبيلي، وهما قبيلي، وهم قبيلي، وكذلك هن قبيلي».

(2) وقال أبو عبيدة: «(بيت من زخرف)» وهو مصدر المُزَخرف وهو المزيّن.

وقال مجاهد: ﴿ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ ﴾ من رب العالمين، كل رجل منا تصبح عند رأسه صحيفة موضوعة يقرأها.

وقال بعضهم: ﴿ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ ﴾ خاصة نؤمر فيه باتباعك. قال: ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ ﴾ أي: من ذهب. ﴿ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ ﴾ أيضاً، فإن السحرة قد تفعل ذلك فتأخذ بأعين الناس. ﴿ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ ﴾ إلى كل إنسان منا بعينه من الله إلى فلان بن فلان وفلان بن فلان أن آمن بمحمد فإنه رسولي. وأظنه تفسير الحسن. قال: وهو كقوله: ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفاً مُّنَشَّرَةً ﴾ [المدثر: 52] يعني كتاباً من الله. ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَراً رَّسُولاً ﴾ أي: هل كانت الرسل قبلي تأتي بهذا فيما مضى، أي: تأتي بكتاب من الله إلى كل إنسان بعينه. كلا: لأنتم أهون على الله من أن يفعل بكم هذا. فقالوا: لن نؤمن لك أي: لن نصدقك، حتى تأتينا بخصلة من هذه الخصال.

قوله: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ ﴾ يعني المشركين ﴿ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً ﴾ على الاستفهام. وهذا استفهام على إنكار منهم. أي: لم يبعث الله ملكاً رسولاً؛ فلو كان من الملائكة لآمنا به.

قال الله للنبي عليه السلام: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ ﴾ أي: مقيمين قد اطمأنت بهم الدار، أي: هي مسكنهم ﴿ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً ﴾. ولكن فيها بشر فأرسلنا إليهم بشراً مثلهم.

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ [إني رسوله][1] ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴾.

قوله: ﴿ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ﴾ أي: لا يستطيع أحد أن يضلّه ﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ﴾ أي: يمنعونهم من عذاب الله.

(1) زيادة من سع، ورقة 13 ظ.

قال: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً ﴾. قال بعضهم: هذا حشر إلى النار. قال الحسن: (عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً) عموا في النار حين دخلوها فلم يبصروا فيها شيئاً، وهي سوداء مظلمة لا يضيء لهبها. (وَبُكْماً) أي: خرساً انقطع كلامهم حين قال: [الله لهم][1] (إِخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) [المؤمنون: 108]. وقد فسّرناه قبل هذا الموضع[2]. (وَصُمّاً) أي: ذهب الزفير والشهيق بسمعهم فلا يسمعون شيئاً. وقال في آية أخرى: (وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ) [الأنبياء: 100].

قوله: ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيراً ﴾. وخبوّها أنها تأكل كل شيء: الجلد واللحم والعظم، والشعر والبشر والأحشاء حتى تهجم على الفؤاد، فلا يريد الله أن تأكل أفئدتهم، فإذا انتهت إلى الفؤاد خبت، أي: سكنت فلم تستعر بهم، وتركت فؤادهم ينضج، ثم يجدّد جلدهم فيعود، فتأكلهم، فلا يزالون كذلك. وهو قوله: (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا). [النساء: 56]. وقال مجاهد: (كُلَّمَا خَبَتْ) أي: كلما طفئت أسعرت.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰماً وَرُفَـٰتاً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً ﴾ على الاستفهام. أي: إن هذا ليس بكائن؛ يكذّبون بالبعث.

قال الله: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوا أَنَّ اللَّهَ الذِي خَلَقَ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ ﴾ وهم يقرّون أنه خلق السماوات والأرض. وهو قوله: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [الزمر: 38] فخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس، والله خلقهما؛ فهو﴿ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَّخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾، يعني البعث. وقال في آية أخرى: (أَوَلَيْسَ الذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَّخْلُقَ مِثْلَهُمْ) [سورة يٓسٓ: 81].

وقال: ﴿ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أي: لا شك فيه، أي: يوم القيامة. ﴿ فَأَبَى الظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُوراً﴾ أي: بالقيامة.

(1) زيادة يقتضيها السياق.

(2) انظر ما مضى في هذا الجزء ص248 - 249.

قوله: ﴿ قُل لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيَ ﴾ يعني مفاتيح الرزق ﴿ إِذاً لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ ﴾ [أي: خشية الفاقة][1] ﴿ وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُوراً ﴾ أي: بخيلاً يقتّر على نفسه وعلى غيره. يخبر أنهم بخلاء أشحاء، يعني المشركين. وقال بعضهم: (قَتُوراً) أي: مِسِّيكاً[2].

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايٰتٍ بَيِّنٰتٍ ﴾ : يده، وعصاه، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، (وَلَقَد أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ، وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ). [الأعراف: 130].

قوله: ﴿ فَاسْئَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ ﴾. يقول للنبي عليه السلام: فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم موسى ﴿ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُوراً ﴾.

﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَـٰؤُلَاءِ ﴾ أي: الآيات ﴿ إِلَّا رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ أي: حججاً. يقول: لقد علمتَ يا فرعون، وهذا مقرأ ابن عباس والعامة. وقال ابن عباس: مثل قوله: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً) [النمل: 14].

وقرأة عليّ بن أبي طالب: (لَقَدْ عَلِمْتُ)، موسى يقوله. أي: لقد علمتُ ما أنزل هؤلاء الآيات إلا ربّ السماوات والأرض بصائر[3].

قوله: ﴿ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً ﴾ أي: مسحوراً[4] في تفسير مجاهد

(1) زيادة من سع، ورقة 14 و، والقول لقتادة كما ذكره ابن سلام وكما أورده الطبري.

(2) في ق وع ود: «مسكيناً» وهو تصحيف صوابه ما أثبته: «مسّيكاً» أي: كثير الإمساك.

(3) انظر في معاني الفراء ج 2 ص 132 اختلاف القراء في فتح التاء أو ضمّها في قوله تعالى: (لَقَدْ عَلِمْتُ) قال الفراء: «والفتح أحب إليّ».

(4) كذا وردت الكلمة في المخطوطات الأربع «مسحوراً»، ولم أهتدِ لوجه صحيح لها، وفي سع ورقة 14 و: «محسوراً» ولعلها تصحيف لكلمة: «محسّر» بمعنى مؤذى، محتقر، مطرود كما جاء في اللسان: (حسر)، وفي ز، ورقة 190: «مهلكاً» وهذه أصح، وهي موافقة لما جاء في تفسير مجاهد، ص 371.

وغيره؛ أي: يدعو بالحسرة والثبور في النار. والثبور الدعاء بالويل والهلاك. وقال الكلبي: (مَثْبُوراً) أي: ملعوناً[1].

قوله: ﴿ فَأَرَادَ أَن يَّسْتَفِزَّهُم ﴾ أي: أن يخرجهم ﴿مِّنَ الأَرْضِ ﴾. أي: أرض مصر. وقال الحسن: يقتلهم، يخرجهم منها بالقتل.

قال: ﴿ فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعاً وَّقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ ﴾ أي: القيامة ﴿ جِئْنَا بِكُمْ ﴾ يعني بني إسرائيل وفرعون وقومه ﴿ لَفِيفاً ﴾ أي: جميعاً في تفسير مجاهد وغيره.

قوله: ﴿ وَبِالحَقِّ أَنْزَلْنَـٰهُ﴾ أي: القرآن ﴿ وَبِالحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَـٰكَ إِلاَّ مُبَشِّراً ﴾ بالجنة ﴿ وَنَذِيراً ﴾ تنذر الناس.

قوله: ﴿ وَقُرْءَاناً فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ أنزله الله في ثلاث وعشرين سنة. ﴿ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنْزِيلاً ﴾.

فمن قرأها بالتخفيف، قال فرَقناه أي: فرَق فيه بين الحق والباطل والحلال والحرام[2]. وكان الحسن يقرأها مثقلة فيقول: وقرآناً فرَّقناه. قال: فرّقه الله، فأنزله يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وعاماً بعد عام، حتى بلغ به ما أراد.

وقال مجاهد: (عَلَىٰ مُكْثٍ) أي: على ترسل في قريش.

وذكر الكلبي عن ابن عباس قال: نزل القرآن إلى السماء الدنيا جملة واحدة ليلة القدر، ثم جعل ينزل نجوماً: ثلاث آيات وأربع آيات، أو أقل من ذلك أو أكثر. ثم تلا هذه الآية: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) [الواقعة: 75].

---

(1) وهنالك معنى آخر ذكره الفراء في المعاني ج 2 ص 132 حيث قال: «وقوله: (يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً): ممنوعاً من الخير. والعرب تقول: ما ثبرك عن ذا، أي: ما منعك منه وصرفك عنه». وأرى أن المعنى الصحيح المناسب هو معنى الهلاك؛ وبذلك فسّره أبو عبيدة وابن قتيبة فقد قالا: «(مَثْبُوراً) أي: مُهْلَكاً».

(2) أما الفراء في المعاني ج 2 ص 133 فقال: «وأما (فَرَقْنَاهُ) بالتخفيف فقد قرأه أصحاب عبد الله، والمعنى أحكمناه وفصّلناه؛ كما قال: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) [الدخان: 4] أي: يفصّل».

قوله: ﴿ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ﴾ يعني القرآن. يقول: قل للمشركين آمنوا به ﴿ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾أي: من قبل هذا القرآن، يعني المؤمنين من أهل الكتاب ﴿ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: القرآن ﴿ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ ﴾ أي: للوجوه ﴿ سُجَّداً وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴾ أي: لقد كان وعد ربنا مفعولاً. ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ ﴾ أي: للوجوه ﴿ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ ﴾ أي: القرآن ﴿ خُشُوعاً ﴾. والخشوع الخوف الثابت في القلب.

قوله: ﴿ قُلُ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ﴾ وذلك أن المشركين قالوا: أما الله فنعرفه، وأما الرحمـٰن فلا نعرفه، فقال الله: (قُلُ ادْعُوا اللَّهَ أَوُ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ﴾ أي: إنه هو الله وهو الرحمـٰن.

﴿ أَيّاً مَّا تَدْعُوا ﴾ يقول أي الاسمين دعوتموه به ﴿ فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ ﴾ وقال: (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالْرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي) [الرعد: 30].

ذكروا عن الحسن أنه قال: الله والرحمـٰن اسمان ممنوعان لا يستطيع أحد من الخلق أن ينتحلهما.

قوله: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴾.

قال الكلبي: إن رسول الله ﷺ، وهو بمكة، كان يجتمع إليه أصحابه، فإذا صلّى بهم ورفع صوته سمع المشركون صوته فآذوه. وإن خفض صوته لم يُسمع من خلفه؛ فأمره الله أن يبتغي بين ذلك سبيلاً.

وقال مجاهد: حتى لا يسمعك المشركون فيسبوك.

وقال بعضهم: كان نبي الله، وهو بمكة، إذا سمع المشركون صوته رموه بكل خبث، فأمره الله أن يغض[1] من صوته وأن يقتصد في صلاته.

(1) في المخطوطات الأربع: «يخفض من صوته». وأثبت ما في سع، فهو أفصح لورود الكلمة في سورة لقمان، آية: 19، ولموافقته لما جاء في تفسير الطبري ج 15 ص 186. والقول لقتادة.

وكان يقال: ما أسمعتَ أذنيك فليس بتخافت[1].

وذكر بعضهم قال: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ أي: في الدعاء والمسألة.

وذكروا عن ابن عباس أنه قال: إن من الصلاة سرّاً، وإن منها جهراً، فلا تجهر فيما تسرّ فيه، ولا تسرَّ فيما تجهر فيه، وابتغ بين ذلك سبيلاً.

ذكروا أن رسول الله ﷺ سمع أبا بكر وهو يصلّي من الليل وهو يخفي صوته، وسمع عمر وهو يجهر بصوته، وسمع بلالاً وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة فقال لأبي بكر: لم تخفي صوتك؟ قال: إن الذي أناجي ليس ببعيد. قال: صدقت. فقال لعمر: لم تجهر بصوتك؟ قال: أرضي الرحمٰن وأرغم الشيطان وأوقظ الوسنان. قال: صدقت. وقال لبلال: لم تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة؟ قال: أخلط طيباً بطيب. قال: صدقت. فأمر أبا بكر أن يرفع من صوته، وأمر عمر أن يخفض من صوته، وأمر بلالاً إذا أخذ في سورة أن يفرغ منها. فأنزل الله: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴾[2].

قوله: ﴿ وَقُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ الذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً ﴾ يتكثر به من القلة. ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ ﴾ أي: خلق معه شيئاً. ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ﴾ أي: يتعزز به ﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً ﴾ أي: وعظّمه تعظيماً.

---

(1) في ج ود: ما أسمعت أذنيك فلست بمخافت، وفي سع: «ما أسمعت أذنيك فليس تخافت» (كذا) والصحيح ما أثبته، وفي الطبري ج 15 ص 186: «ما سمعته أذنك فليس بمخافته» والعبارة من تمام قول قتادة.

(2) أورده يحيى بن سلام بسند مختصر هكذا: «عثمان عن زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ في سع ورقة 14 ظ. وأخرجه ابن جرير الطبري بسند إلى محمد بن سيرين قال: «نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ خفض صوته، وأن عمر كان يرفع صوته قال فقيل لأبي بكر لم تصنع هذا؟ فقال أناجي ربي.. الخ.. وانظر الواحدي، أسباب النزول ص 303 - 305 ففيه مختلف الأقوال في سبب نزول الآية.

ذكروا أن نبي الله عليه الصلاة والسلام كان يعلّمها الصغير والكبير من أهله.

وذكروا عن كعب قال: فتحت التوراة بـ (الحَمْدُ لِلَّهِ الذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) [الأنعام: 1] وختمت بـ (الحَمْدُ لِلَّهِ الذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْه تَكْبِيراً).

[ذكروا عن عائشة قالت: كان رسول الله عليه السلام إذا صلّى ركعتي الفجر قال: اللهم إنا نشهد أنك لست بإلـه استحدثناه، ولا برب يَبِيدُ ذكره، ولا مليك معه شركاء يقضون معه، ولا كان قبلك إلـه ندعوه ونتضرع إليه، ولا أعانك على خلقنا أحد فنشك فيك، لا إلـه إلا أنت، اغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت][1].

(1) زيادة من سع ورقة 14 ظ، رأيت من الفائدة إثباتها، وقد أورد ابن سلام الحديث بسند مختصر هكذا: الفرات بن سلمان قال: قالت عائشة.. ولم أجده فيما بين يدي من االمصادر.

تفسير سورة الكهف
وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ الحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ حمد نفسه وهو أهل للحمد. ﴿ الذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ أي: محمد عليه السلام ﴿ الكِتَابَ ﴾ أي: القرآن ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجاً قَيِّماً ﴾. فيها تقديم. يقول: أنزل على عبده الكتاب قيّماً ولم يجعل له عوجاً.

ذكروا أن مجاهداً قال: أنزله قيماً لا عوج فيه ولا اختلاف.

﴿لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً﴾ أي: عذاباً شديداً. ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ أي: من عنده، من عند الله. ﴿وَيُبَشِّرَ المُومِنِينَ الذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً﴾ أي: عند الله في الجنة. وقال في آية أخرى: (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا) [الأنعام: 132]. قوله: ﴿ مَّـٰكِثِينَ فِيهِ ﴾ أي: في ذلك الثواب، وهو الجنة. ﴿ أَبَداً ﴾.

﴿ وَيُنْذِرَ الذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أن لله ولداً ﴿ وَلَا لِأَبَائِهِمْ﴾ قبلهم الذين كانوا في الشرك.

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنَ أَفْوَهِهِـمْ﴾. هي على قراءة النصب عمل في باب كان[1]. وكان الحسن يقرأها بالرفع (كَبُرَتْ كَلِمَةٌ)، أي: كبُرت تلك الكلمة أن قالوا: إن لله ولداً. قال: ﴿ إِن يَّقُولُونَ إِلَّا كَذِباً ﴾.

(1) كذا في المخطوطات الأربع وفي سع ورقة 14 ظ. «عمل في باب كان». فإذا كانت هذه العبارة تعني أن قوله تعالى: (كَلمةً) جاءت منصوبة على أنها خبر كان، فلست أرى وجهاً لإعرابها كذلك. والصحيح أن الذين قرأوها بالنصب إنما اعتبروها تمييزاً لا غير. قال الفراء في =

قوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ أي: قاتل نفسك في تفسير العامة ﴿ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ﴾ أي: آسفاً، أي: حزناً عليهم في تفسير مجاهد. ﴿ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَـٰذَا الْحَدِيثِ ﴾ أي: القرآن. ﴿ أَسَفاً ﴾. قال بعضهم: غضباً. وهي مثل قوله: (فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا) [الزخرف: 55] أي: أغضبونا. وقال مجاهد: أسفاً: أي: جزعاً[1].

قوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾ أي: لأهلها. ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ ﴾ أي: لنختبرهم ﴿ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ أي: أيهم أطوع لله. وقد علم ما هم فاعلون.

قال: ﴿ وَإِنَّا لَجَـٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا ﴾ أي: ما على الأرض ﴿ صَعِيداً جُرُزاً ﴾ والجُرُز ها هنا الخراب. وقال بعضهم: التي ليس فيها شجر ولا نبات. وقال مجاهد: بلقعاً. وقال في موضع آخر: (أَوَ لَمْ يَرَوا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ) أي: اليابسة التي ليس فيها نبات (فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً) [السجدة: 27].

قوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَباً﴾ أي: قد كان في آياتنا ما هو أعجب منهم.

وقال مجاهد: هم عجب. [قال بعضهم] يقول: ليس هم أعجب آياتنا[2]. والكهف كهف الجبل. والرقيم الوادي الذي فيه الكهف[3].

= المعاني، ج 2 ص 134: «فمن نصب أضمر في (كَبُرَتْ): كبرت تلك الكلمة كلمةً. ومن رفع لم يضمر شيئاً، كما تقول: عظم قولك وكبر كلامك». وقال الزمخشري في الكشاف ج 2 ص 307: «قرىء كلمةً وكلمةٌ بالنصب على التمييز، وبالرفع على الفاعلية، والنصب أقوى وأبلغ، وفيه معنى التعجب، كأنه قيل: ما أكبرها كلمة». ومعنى التعجب هذا هو ما بينه الشيخ الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير، ج 15 ص 252 فقال: «ودل على قصد التعجيب منها انتصاب (كلمةً) على التمييز إذ لا يحتمل التمييز هنا معنى غير أنه تمييز نسبة التعجيب. . .».

(1) وقال أبو عيدة في المجاز: «(أسفاً) أي: ندماً وتلهفاً وأسى». انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ج 1 ص 393.

(2) جاءت العبارة مضطربة في بعض المخطوطات فأثبت التصحيح من سع، ورقة 14 ظ. والقول لقتادة.

(3) هذا وجه من وجوه تفسير الرقيم. وقيل هو اللوح المرقوم. جاء في صحيح البخاري في تفسير =

قوله: ﴿ إذ أَوَى الفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا﴾ أي: أعطنا ﴿ مِن لَّدُنْكَ ﴾ أي: من عندك ﴿ رَحْمَةً ﴾ أي: رزقاً ﴿ وَهَيِّءْ لَنَا مِنَ أَمْرِنَا رَشَداً ﴾، كانوا قوماً قد آمنوا ففروا بدينهم من قومهم. وكان قومهم على الكفر وخشوا على أنفسهم القتل.

قال: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ ءَاذَانِهِمْ فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً ثُمَّ بَعَثْنَـٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً ﴾ أي: المنتهى الذي بعثوا فيه، أي: لم يكن لواحد من الفريقين علم، لا لمـؤمنهم ولا لكافرهم. وقال مجاهد: (أَمَداً) أي: عدداً، أي: لم يكن لهم علم بما لبثوا[1].

قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ أي: خبرهم بالحق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴾ أي: إيماناً.

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: بالإيمان ﴿ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَـٰهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً ﴾ أي: جوراً وكذباً[2].

قوله: ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْلَا﴾ أي: هلاّ ﴿ يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴾ أي: بحجة بيّنة.

تفسير الحسن وابن عباس في هذا الحرف في القرآن كله: حجة بيّنة. وقال بعضهم: هذا الحرف حيث كان في القرآن كله: عذر بيّن. وقال الحسن: بَيِّن بأن الله أمرهم بعبادتهم.

قال: ﴿ فَمَنَ أَظْلَمُ مِمَّن اِفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً ﴾ أي: لا أحد أظلم منه.

= سورة الكهف: «الرقيم الكتاب، مرقوم مكتوب، من الرقم». وقال الفراء في المعاني، ج 2 ص 134: «والرقيم لوح رصاص كتبت فيه أنسابهم ودينهم وممّ هربوا».

(1) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 136: «وقوله (أَيُّ الحِزْبَيْنِ) فيقال إن طائفتين من المسلمين في دهر أصحاب الكهف اختلفوا في عددهم. ويقال: اختلف الكفار والمسلمون. وأما (أَحْصَىٰ) فيقال: أصوب، أي: أيّهم قال بالصواب».

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 1 ص 394: «أي: جوراً وغلواً». وهو أنسب وأدق معنى.

قوله: ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ ﴾ يقوله: بعضهم لبعض (وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ) أي: وما يعبدون من دون الله، أي: وما يعبدون سوى الله. وفي مصحف عبد الله بن مسعود: وما يعبدون من دون الله، وهذا تفسيرها. ﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ﴾ [أي: فانتهوا إلى الكهف][1] ﴿ يَنْشُرْ لَكُم رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ ﴾ أي: من زرقه ﴿ وَيُهَيِّءْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً ﴾.

قوله: ﴿ وَتَرى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَّاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ﴾ أي: تعدل عن كهفهم وقال بعضهم: تميل عن كهفهم ﴿ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت ﴾ أي: غابت ﴿ تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ أي: تتركهم ذات الشمال. وقال الحسن: لا تدخل الشمس كهفهم على كل حال.

﴿ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾ أي: في فضاء من الكهف. وتلك آية. وقال بعضهم: (فِي فَجْوَةٍ مِنه) أي: في عزلة منه.

﴿ ذَلِكَ مِنَ ءَايَـٰتِ اللَّهِ مَن يَّهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ[2] وَمَن يُّضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً ﴾.

قال: ﴿ وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ أي: مفتّحة أعينهم وهم موتى. ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذات اليمين وذات الشمال ﴾ قال بعضهم: وذلك في رقدتهم الأولى قبل أن يموتوا. وقال بعضهم: لهم في كل عام تقليبتان.

﴿ وَكَلْبُهُمْ بَـٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِـالْوَصِيدِ ﴾ أي: بفناء الكهف[3] ﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِّئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً ﴾ أي: لحالهم[4].

(1) زيادة من سع ورقة 15 و، وز ورقة 192.

(2) قال محمد بن أبي زمنين في ز، ورقة 192: (المهتدِ) وقعت في المصحف في هذا الموضع بغير ياء، ووقعت في الأعراف، آية 178 بالياء. وحذف الياء جائز في الأسماء ولا يجوز في الأفعال».

(3) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 1 ص 397: «(بِالوَصِيدِ) على الباب وبفناء الباب جميعاً. لأن الباب يوصد، أي: يغلق، والجميع وصائد ووُصد».

(4) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 137: «وهذا خوطب به محمد ﷺ».

﴿ وَكَذٰلِكَ ﴾ أي: بهيئاتهم ﴿ بَعَثْنَـٰهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾. وكانوا دخلوا الكهف في أول النهار. قال: فنظروا فإذا هو قد بقي من الشمس بقيّة، فقالوا: أو بعض يوم. ثم إنهم شكّوا، فردّوا علم ذلك إلى الله فـ ﴿ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ يقوله بعضهم لبعض.

قال: ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِ ﴾ أي: بدراهمكم هذه ﴿ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾ وكانت معهم دراهم ﴿ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَاماً ﴾ قال بعضهم: أحل طعاماً، وقد كان من طعام قومهم ما لا يستحلون أكله قط[1]. وقال بعضهم: أزكى أي: أطيب ﴿ فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ ﴾ أي: لا يعلمنّ ﴿ بِكُمْ أَحَداً إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ أي: يطلعوا عليكم ﴿ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ أي: يقتلوكم بالحجارة ﴿ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ﴾ أي: في الكفر ﴿ وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً ﴾ أي: إن فعلتم ذلك.

قال: ﴿ وَكَذٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ أي: أطلعنا عليهم، أي: على أصحاب الكهف، أي: أطلعنا أهل ذلك الزمان الذي أحياهم الله فيه، وليس بحياة النشور.

قال: ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾.

وكانت تلك الأمة الذين هربوا منهم قد بادت، وخلفت من بعدهم أمة أخرى، وكانوا على الإسلام. ثم إنهم اختلفوا في البعث؛ فقال بعضهم: يُبعث الناس في أجسادهم، وهؤلاء المؤمنون، وكان الملك منهم، وقال بعضهم: تبعث الأرواح بغير أجساد، فكفروا. وهذا قول أهل الكتاب اليوم؛ فاختلفوا. فبعث الله أصحاب الكهف آية ليُعلمهم أن الناس يُبعثون في أجسادهم، وقال في آية أخرى: (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ) [النبأ: 38] أي: روح كل شيء في جسده، وهو قوله: (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) [المطفّفين: 6].

فلما بعث أصحابُ الكهف صاحبَهم بالدراهم ليشتري بها طعاماً، وهم يرون

(1) وقال الفراء: «يقال أحل ذبيحة لأنهم كانوا مجوساً».

أنها تلك الأمّة المشركة الذين فرّوا منهم، أمروا صاحبهم أن يتلطّف ولا يشعرنّ بهم أحداً.

فلما دخل المدينة، وهي مدينة بالروم يقال لها فسوس[1]، وكان ملكهم يقال له دقيانوس، فأخرج الدراهم ليشتري بها الطعام اسْتُنْكِرت الدراهم، فأُخِذ وذُهِب به إلى ملك المدينة، فإذا الدراهم دراهم الملك الذي فرّوا منه، فقالوا: هذا رجل وجد كنزاً. فلما خاف على نفسه أن يعذّب أطلع على أصحابه. فقال لهم الملك: إن الله قد بيّن لكم ما اختلفتم فيه، فأعلمكم أن الناس يبعثون في أجسادِهم.

فركب الملك والناس معه حتى انتهوا إلى الكهف. وتقدمهم الرجل. حتى إذا دخل على أصحابه فرآهم ورأوه ماتـوا، لأنهم قد كانت أتت عليهم آجالهم.

فقال القوم كيف نصنع بهؤلاء فـ ﴿فَقَالُوا ٱبْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ وهم رؤساؤهم وأشرافهم، وقال بعضهم: مؤمنوهم ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾.

ذكر عكرمة أنهم كانوا بني الأكفاء والرقباء ملوك الروم[2]، رزقهم الله الإسلام ففروا بدينهم، واعتزلوا قومهم حتى انتهوا إلى الكهف فضرب الله على أصمختهم[3]

(1) كذا في المخطوطات: «فسوس» وفي سع ورقة 16 ظ. وقيل هي: «أبسس» بفتح الهمزة وسكون الموحدة وضم السين بعدها سين أخرى مهملة، وكان بلداً من ثغور طرسوس بين حلب وبلاد أرمينية وأنطاكية» انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 15 ص 261. أما ياقوت الحموي فإنه لم يجزم في الأمر، فقد أورد في ج 1 ص 231 من معجم البلدان كلمة «أفسوس» قال: «بضم الهمزة وسكون الفاء والسينان مهملتان، والواو ساكنة: بلد بثغور طرسوس. يقال إنه بلد أصحاب الكهف».

(2) كذا في المخطوطات وفي سع ورقة 16 ط: «بنى الأكفاء والرقباء ملوك الروم». وفي الدر المنثور، ج 4 ص 214: «أبناء الملوك». وفيه عن مجاهد: «كان أصحاب الكهف أبناء عظماء أهل مدينتهم وأهل شرفهم.

(3) كذا في ق وع: «أصمختهم» ومفرده صماخ، وهو الخرق الباطن المفضي إلى الدماغ. وفي سع: «أسمختهم» وهو لغة في أصمختهم. وفي ج ود: «أسماعهم».

فلبثوا دهراً طويلاً حتى هلكت أمتهم، وجاءت أمة مسلمة. وكان ملكهم مسلماً، فاختلفوا في الروح والجسد. فقال قائلون: يبعث الروح والجسد معاً. وقال قائلون: تبعث الأرواح، أما الأجساد فتأكلها الأرض فلا تكون شيئاً.

فشق على ملكهم اختلافُهم؛ فانطلق فلبس المسوح، وقعد على الرماد. ثم دعا الله فقال: إنك ترى اختلاف هؤلاء، فابعث لهم آية تبيّن لهم بها. فبعث الله لهم أصحاب الكهف. فبعثوا أحدهم ليشتري لهم من الطعام. فجعل ينكر الوجوه ويعرف الطرق، ورأى الإيمان في المدينة ظاهراً. فانطلق، وهو مستخف، حتى انتهى إلى رجل ليشتري من طعامه. فلما أبصر صاحب الطعام الورِق أنكرها. قال له الفتى[1] أليس ملككم فلاناً؟ قال الرجل: بل ملكنا فلان. فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك.

فأخبره صاحب الكهف بحديثه وأمره. فبعث الملك في الناس فجمعهم فقال: إنكم اختلفتم في الروح والجسد، وإن الله قد بعث لكم آية وبيّن لكم الذي اختلفتم فيه؛ فهذا رجل من قوم فلان، يعني ملكهم الذي مضى. فقال صاحب الكهف: انطلقوا إلى أصحابي. فركب الملك وركب الناس حتى انتهوا إلى الكهف. فقال الرجل: دعوني حتى أدخل إلى أصحابي. فلما أبصرهم وأبصروه ضرب الله على أصمختهم. [فلما استبطأوه][2] دخل الملك ودخل الناس معه، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئاً، غير أنه لا أرواح فيها. فقال الملك: هذه آية بعثها الله لكم. (قَالَ الذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ)، وهم ملوكهم وأشرافهم (لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً).

قال الله: ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ أي: سيقول أهل الكتاب ﴿ ثَلٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالغَيْبِ ﴾ أي: قذفاً بالغيب ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ

(1) في المخطوطات الأربع: «قال له الرجل: أليس ملككم فلاناً؟ قال بلى ملكنا فلان» وفيه خطأ. وفي سع ورقة 16 ظ: «قال له الرجل: أليس ملككم فلان؟ قال: لا، بل ملكنا فلان. وهو صحيح. وأولى بالصحة والصواب والإيضاح ما أثبته من الدر المنثور ج 4 ص 214.

(2) زيادة من الدر المنثور يقتضيها سياق الكلام.

وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ أي: إلا قليل من الناس.

ذكروا أن ابن عباس كان يقول: أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله؛ كانوا سبعة وثامنهم كلبهم.

قال: ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً ﴾ يقول الله للنبي عليه السلام: لا تمار، أي: لا تجادل أهل الكتاب في أصحاب الكهف إلا مراءً ظاهراً أي: إلا بما أخبرتك. وحسبك ما قصصت عليك من أمرهم. ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ ﴾ أي: في أصحاب الكهف ﴿ مِنْهُمْ أَحَداً ﴾ أي: من أهل اليهود. يقول: لا تسأل عنهم من اليهود أحداً، وهم الذين سألوه عنهم ليعنتوه بذلك(1).

قال: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَّشَاءَ اللَّهُ﴾ يقول: إلا أن تستثنى. بلغنا أن اليهود لما سألت رسول الله ﷺ عن أصحاب الكهف قال لهم رسول الله: أخبركم عنهم غداً، ولم يستثن، فأنزل الله هذه الآية.

قال: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [أي: إذا نسيت الاستثناء](2) ﴿ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَّهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَداً ﴾. ومتى ما ذكر الذي حلف فليقل إن شاء الله، لأن الله أمره أن يقول: إن شاء الله.

ومن حلف على يمين فاستثنى قبل أن يتكلم بين اليمين وبين الاستثناء بشيء فله ثنياه، ولا كفارة عليه. وإن كان استثنى بعدما تكلم بعد اليمين قبل الاستثناء، أو

---

(1) في ج ود: «ليفتنوه بذلك» وفيه تصحيف صوابه ما أثبته من ق وع: «ليُعنتوه». يقال: «أعْنَته وتعَنَّته تعنتاً أي: سأله عن شيء أراد اللبس عليه والمشقة». انظر اللسان (عنت).

(2) زيادة من سع ورقة 16 ظ، لا بد من إثباتها. وهذا على مذهب من رأى أن الذكر هنا خاص، أي: إذا نسيت الاستثناء فاستثن. وهذا ما ذهب إليه جلة من العلماء، منهم ابن عباس. ذكر ذلك الفراء في المعاني ج 2 ص 137 فقال: «قال ابن عباس: إذا حلفت فنسيت أن تستثني فاستثن متى ذكرت ما لم تحنث». ومنهم من قال: إن الذكر هنا عام؛ والمعنى أذكر ربك إذا نسيت ذكره، وهو ما اختاره الطبري في تفسيره، ج 15 ص 229. وانظر وجوهاً أخرى في تأويل الآية أوردها القرطبي في تفسيره، ج 10 ص 385 - 386.

متى ما استثنى، فالكفارة لازمة له، وسقط عنه المأثم حيث استثنى، لأنه كان قد ركب ما نهى عنه من تركه ما أمر به من الاستثناء. أي: لا يقول: إني أفعل حتى يقول إن شاء الله، ولا يقول: لا أفعل حتى يقول إن شاء الله.

ذكر ابن عمر أنه قال قال رسول الله ﷺ: إذا استثنى فله ثنياه[1].

وقال بعضهم: ليس الاستثناء بشيء حتى يجهر به كما يجهر باليمين. أي: إن الاستثناء في قلبه ليس بشيء حتى يتكلم به لسانه.

ذكروا عن الحسن أنه قال: من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأتِ الذي هو خير وليكفر عن يمينه إلا طلاق أو عتاق.

قوله: ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلٰثَ مِائَةٍ ﴾ ثم أخبر ما تلك الثلاثمائة فقال: ﴿ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ﴾ أي: تسع سنين.

قال بعضهم: هذا من قول أهل الكتاب. أي: إنه رجع إلى أول الكلام: (سَيَقُولُونَ ثَلاَثَةٌ رَّابِعُهُم كَلْبُهُمْ)وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ، ويقولون: (لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاَثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً). فردّ الله على نبيه فقال:

﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ﴾ يقول: ما أبصره وما أسمعه كقول الرجل للرجل: أَفْقِه به، وأشباه ذلك. فلا أحد أبصر من الله، ولا أسمع من الله[2].

(1) أخرجه أبو داود في كتاب الأيمان والنذور، باب الاستثناء في اليمين (رقم 3261) عن ابن عمر، ولفظه: من حلف على يمين فقال إن شاء الله فقد استثنى. وانظر ما سلف، ج 1 ص 495.

(2) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 139: «يريد الله سبحانه وتعالى كقولك في الكلام: أكرم بعبد الله ومعناه: ما أكرم عبد الله، وكذلك قوله: (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ): ما أسمعهم، ما أبصرهم. وكل ما كان فيه معنى من المدح أو الذم فإنك تقول فيه: أظرف به وأكرم به، ومن الياء والواو: أطيب به طعاماً، وأجود به ثوباً». .

﴿ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ ﴾ أي: يمنعهم من عذاب الله ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً ﴾. وهي تقرأ بالياء والتاء. فمن قرأها بالتاء فهو يقول: ولا تشرك يا محمد في حكمه أحداً، أي: لا تجعل معه شريكاً في حكمه وقضائه وأموره. ومن قرأها بالياء فهو يقول: ولا يشرك الله في حكمه أحداً.

قوله: ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَـٰبِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِ ﴾ أي: لا يحكم في الآخرة بخلاف ما قال في الدنيا. وهو كقوله: (مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ) [سورة ق: 29].

قوله: ﴿ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً ﴾ أي: ولياً ولا موئلاً[1].

قوله: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ وهما الصلاتان: صلاة الصبح وصلاة العصر. وإنما فرضت الصلوات الخمس قبل خروج النبي عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة بسنة. ثم نزلت هذه الآية في سلمان الفارسي، وبلال، وصهيب، وخباب بن الأرتّ، وسالم، مولى أبي حذيفة.

قال المشركون للنبي: إن أردت أن نجالسك فاطرد عنا هؤلاء القوم، فأنزل الله: (وَلَا تَطْرُدِ الذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ). [الأنعام: 52].

قال: ﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ مَحْقَرَةً لهم إلى غيرهم[2] ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ [قال بعضهم: ذكروا عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ: لَذِكر الله بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحّاً][3].

(1) كذا في ق وع ود: «ولياً ولا موئلاً». وفي تفسير الطبري، ج 15 ص 233 عن قتادة: «ملجأ ولا موئلاً». وقال أبو عبيدة في المجاز ج 1 ص 398: «أي: معدلاً، واللحد منه والإلحاد».

(2) أي: لا تنصرف عيناك عنهم» كما ذكره الفراء.

(3) زيادة من ز، ورقة 194، ومن سع ورقة 17 و حيث ورد الحديث بالسند التالي: «يحيى عن أشعث عن يعلى بن عطاء عن عمرو بن عاصم عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ... وقد أورد ابن سلام أحاديث في فضل الذكر ومجالسته الذاكرين الله. وانظر الدر المنثور ج 4 ص 219 - 220.

قوله: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا[1] وَاتَّبَعَ هَوَيٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾ أي: ضياعاً. وهو مثل قوله: (يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا) [الأنعام: 31] أي: على ما ضيعنا فيها.

قال: ﴿ وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ يعني القرآن ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُومِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ وهذا وعيد هو له شديد، أي: من آمن دخل الجنة، ومن كفر دخل النار.

قال: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: للمشركين والمنافقين ﴿ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ أي: سورها، ولها عمد. فإذا مدّت تلك العمد أطبقت على أهلها، وذلك حين يقول: (اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) [المؤمنون: 108]. فإذا قال ذلك أطبقت عليهم؛ وهو قوله: (إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّوصَدَةٌ) أي: مطبقة (فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ) [الهمزة: 98].

قوله: ﴿ وَإِن يَّسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ﴾.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه أهديت له سقاية ذهب وفضة. فأمر بخدود فخدّت في الأرض. ثم قذف فيها من جزل الحطب. ثم قذف فيها تلك السقاية، حتى إذا أزبدت وماعت قال لغلامه: ادع من بحضرتنا من أهل الكوفة. فدعا رهطاً. فلما دخلوا عليه قال: أترون هذا؟ قالوا: نعم. قال: ما رأينا في الدنيا شبهاً للمهل أدنى من هذا الذهب وهذه الفضة حين أزبد وماع.

وقال بعضهم: المهل كعكر الزيت. وقال مجاهد: المهل: القيح والدم.

قوله: ﴿ يَشْوِي الوُجُوهَ ﴾ أي: يحرق الوجوه إذا أهوى ليشربه. ﴿ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾ أي: منزلاً ومأوى. وقال مجاهد: (وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً) أي:

(1) قيل معناه: من جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا: وقيل معناه: وجدناه غافلاً كما قال عمرو بن معد يكرب لبني الحارث بن كعب: «والله لقد سألناكم فما أبخلناكم، وقاتلناكم فلما أجبنّاكم، وهاجيناكم فما أفحمناكم». أي: ما وجدناكم بخلاء ولا جبناء ولا مُفحَمين. انظر تفسير القرطبي ج 10 ص 392، وتفسيرالكشاف ج 2 ص 718.

مجتمعاً. وقوله: وساءت أي: بئس المنزل والمأوى هي جهنم. وهذا وعيد هـوله شديد لمن كفر.

ثم أخبر بوعده لمن آمن فقال: ﴿إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنَ أَحْسَنَ عَمَلاً أُولَـٰئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَـٰرُ﴾. قد فسّرناه في غير هذا الموضع[1].

قوله: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنَ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن الرجل من أهل الجنة لو بدا سواره لغلب على ضوء الشمس[2].

ذكروا أنه ليس من أهل الجنة أحد إلا وفي يده ثلاثة أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ. وهو قوله: (يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنَ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً) [الحج: 23]، وقوله: (وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فضَّةٍ) [الإنسان: 21].

قوله: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ قال بعضهم: أما لسندس فالخز الذي يقال له الرقيم. وأما الإستبرق فالديباج الغليظ. وبعض الكوفيين يقول: هي بالفارسية: استبره.

قوله ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ أي: على السرر [في الحجال][3] ذكر ابن عباس في قوله: (عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ) [الواقعة: 14] قال: مرمولة بالذهب[4]. وقال الحسن: مرمولة بالدر والياقوت.

(1) انظر ما مضى في الجزء الأول ص 90.

(2) هذا حديث رواه ابن سلام عن ابن لهيعة، وهو ممن لا يحتج بهم، فقد ضعفه كثيرون، وإن وثقه البعض. ورواه السيوطي في الدر المنثور، ج 4 ص 221 بدون سند عن ابن مردويه عن سعد عن النبي ﷺ ولفظه: لو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدت أساوره لطمس ضوءه ضوء الشمس كما يطمس ضوء النجوم. وأصح منه ما رواه الشيخان عن أبي هريرة قال: سمعت خليلي يقول: تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوَضوء. واللفظ لمسلم، أخرجه في كتاب الطهارة. باب تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء، (رقم 250).

(3) زيادة من سع ورقة 17 ظ.

(4) مرمولة: أي نسجت نسجاً رقيقاً.

وقال بعضهم: يعانق الرجل زوجته قدر عمر الدنيا، لا تملّه ولا يملّها.

ذكروا عن معاذ بن جبل أنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الرجل من أهل الجنة ليتنعم في تكأة واحدة سبعين عاماً[1].

ذكر ابن عباس قال: إن الرجل من أهل الجنة ليتكىء على أحد شقيه فينظر إلى زوجته كذا وكذا سنة. ثم يتكىء على الشق الآخر، فينظر إليها مثل ذلك في قبة حمراء، من ياقوتة حمراء، ولها ألف باب، وله فيها سبعمائة امرأة.

قوله: ﴿ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً ﴾ أي: منزلاً ومأوى، يعني الجنة.

قوله: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنَ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ أي: أطعمت ثمرتها ﴿ وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئاً ﴾ أي: ولم تنقص منه شيئاً ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَراً ﴾ أي: بينهما ﴿ وَكَانَ لَهُ ثُمُرٌ ﴾. وهي تقرأ على وجهين: ثُمُر، وهو الأصل. قال بعضهم: من كل المال. وثَمَر، وهي الثمَرَة[2]. وقال مجاهد: يعني ذهباً وفضة.

﴿ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِ﴾ بلغنا أنهما كانا أخوين من بني إسرائيل ورثا عن أبيهما مالاً فاقتسماه، فأخذ كل واحد منهما أربعة آلاف دينار. فأما أحدهما، فكان مؤمناً، فأنفقه في طاعة الله، وقدّمه لنفسه. وأما الآخر، فكان كافراً، فاتخذ بها الأرضين والجنان والدور والرقيق وتزوّج.

واحتاج المؤمن فلم يبقَ في يده شيء، فجاء إلى أخيه يزوره ويتعرّض لمعروفه. فقال له أخوه: فأين ما ورثت يا أخي؟ فقال له: أقرضته ربّي وقدّمته

(1) رواه يحيى بن سلام عن إبان بن أبي عياش عن شهر بن حوشب عن معاذ بلفظ بلغني. . . وذكر الحديث.

(2) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 144 «. . . عن مجاهد قال: ما كان في القرآن من ثُمُر، بالضم، فهو مال، وما كان من ثَمَر، مفتوح، فهو من الثمار. وانظر ابن خالويه، الحجة، ص 122 وص 198. وانظر اللسان: (ثمر).

لنفسي. فقال له أخوه: لكنني اتخذت به لنفسي ولولدي ما قد رأيت.

قال الله: (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ) ﴿ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ أي: يراجعه الكلام ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً ﴾ أي: أكثر رجالاً وناصراً.

قال الله: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ يعني بشركه ﴿ قَالَ: مَا أَظُنُّ ﴾ أي: ما أوقن ﴿ أَنْ تَبِيدَ هَـٰذِهِ أَبَداً ﴾ أي: أن تفنى هذه أبداً، أي: إنها لا تفنى فتذهب. ولكن ظن أن يعيش فيها حتى يأكلها حياتَه. كقوله: (يَحْسِبُ أَنَّ مَـالَهُ أَخْلَدَهُ) [الهُمَزة: 3] أي: يحسب أنه يخلد في ماله حتى يأكله.

﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ أي: وما أوقن أن الساعة قائمة. أي: يجحد البعث. ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهُمَا ﴾ أي: من جنتي ﴿ مُنْقَلَباً ﴾ أي: في الآخرة إن كانت آخرة. كقوله: (وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيَ إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ) [فصلت: 50] أي: الجنة إن كانت جنة. أي: ولـكن ليس جنة ولا مردّ.

وهي تقرأ على وجه آخر: (لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهُمَا مُنْقَلَباً) يعني الجنتين؛ هي في موضع جنة، وفي موضع جنتان. قال: (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ) وقال: (جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنَ أَعْنَابٍ) كانت جنة فيها نهر، فصارت جنتين، فهي جنة وهي جنتان.

﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ ﴾ المؤمن ﴿ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ﴾ يعني أول خلق الإنسان، يعني آدم. ﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّيٰكَ رَجُلاً لَـٰكِنَّا[1] هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً ﴾.

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 144: «(لَـٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي) معناه: لكن أنا هو الله ربي. ترك همزة الألف من أنا، وكثر بها الكلام. فأدغمت النون من (أَنَا) مع النون من (لَـٰكِنْ). ومن العرب من يقول: أنا قلت ذاك، بتمام الألف، فقرئت لكنا على تلك اللغة، وأثبتوا الألف في اللغتين في المصحف. . . ومن العرب من يقول إذا وقف: أَنَهْ، وهي في لغة جيدة، وهي في عليا تميم وسفلى قيس. وأنشدني أبو ثروان:

وَتَرْمِينَنِي بِالطَّرْفِ أَي أَنْتَ مُذْنِبٌ وَتَـقْلِينَنِـي لَـٰكِنَّ إِيَّـاكِ لَا أَقْـلِي

يريد: لـكنْ أنا إياك لا أقلي. فترك الهمز فصار كالحرف الواحد. . .».

﴿ ولولاَ ﴾ أي: فهلا ﴿ إذ دَّخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ ﴾ ثم قال: ﴿ إنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَداً فَعَسَىٰ رَبِّيَ أَن يُّوتِيَنِي ﴾ في الآخرة ﴿ خَيْراً مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ أي: ناراً من السماء، يقول: عذاباً من السماء، وهي النار ﴿ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً ﴾ أي: لا نبات فيها. والصعيد الزلق التراب اليابس الذي لا نبات فيه[1]. وقال بعضهم: قد حصد ما فيها فلم يترك فيها شيء. ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً ﴾ أي: ذاهباً قد غار في الأرض[2] ﴿ فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً ﴾. وقال الكلبي: الغور: الذي لا تناله الدلاء.

قال الله: ﴿ وَأُحِيطَ بِثُمُرِهِ ﴾ أي: من الليل ﴿ فَأَصْبَحَ ﴾ من الغد قائماً عليها ﴿ يُقَلِّبَ كَفَّيْهِ ﴾ أي: يصفق كفيه. قال الحسن: يضرب إحداهما على الأخرى ندامة. ﴿ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا ﴾ وقال بعضهم: تلهفاً على ما فاته منها. ﴿ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ قال الحسن: عروشها: التراب، قد ذهب ما فيها من النبات[3]. [وبعضهم يقول: مقلوبة على رؤوسها][4]. ﴿ وَيَقُولُ ﴾ أي: في الآخرة ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي ﴾ أي: في الدنيا ﴿ أَحَداً ﴾.

قال الله: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ ﴾ أي: عشيرة ﴿ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً ﴾ أي: ممتنعاً في تفسير بعضهم.

قوله: ﴿ هُنَالِكَ الوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ الحَقِّ ﴾ أي: في الآخرة. هنالك يتولّى الله كلُّ عبد. أي: لا يبقى أحد يومئذٍ إلا تولى الله. ولا يقبل ذلك من المشرك.

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ج 1 ص 403: «الصعيد وجه الأرض، والزلق الذي لا يثبت فيها القدم».

(2) وقال أبو عبيدة: «(أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً) أي: غائراً، والعرب قد تصف الفاعل بمصدره، وكذلك الإثنين والجميع على لفظ المصدر. قال عمرو بن كلثوم:

تَـظَلُّ جِـيَـادُهُ نَـوْحـاً عَـلَيْـهِ مَقَلَّدَةً أَعِنَّتَهَا صُفُونَا. أي: نائحات».

(3) كذا في المخطوطات وسع. وأصح من ذلك ما قاله أبو عبيدة: «خالية على بيوتها». «أو خراب على سقوفها».

(4) ما بين المعقوفين زيادة من سع، ورقة 18 و.

وهي تقرأ على وجهين: أحدهما برفع الحق والآخر بجرّه. فمن قرأها بالرفع يقول: هنالك الولاية الحقُّ، فيها تقديم؛ أي: هنالك الولاية الحقُّ لله. ومن قرأها بالجر فهو يقول: هنالك الولاية لله الحقِّ، والحق اسم من أسماء الله[1].

﴿ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً ﴾ أي: خير من أثاب، وهو خير ثواباً للمؤمنين من الأوثان لمن عبدها. ﴿ وَخَيْرٌ عُقْباً ﴾ أي: خير عاقبة.

قوله: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ ﴾ وقد فسّرناه في غير هذا الموضع[2] ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾ أي: هشمته الرياح فأذهبته. فأخبر أن الدنيا ذاهبة زائلة كما ذهب ذلك النبات بعد بهجته وحسنه. ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً ﴾.

قوله: ﴿ المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَالبَـٰقِيَـٰتُ الصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً ﴾ قال الحسن: الفرائض.

ذكروا عن علي أنه قال: الباقيات الصالحات هن سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلا الله والله أكبر. وكان ابن عباس يجمعهما جميعاً فيقول: الصلوات الخمس وسبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلا الله والله أكبر. (خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً) أي: عاقبة. ﴿ وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ أي: وخير ما يأمل العباد في الدنيا أن يثابوه[3] في الآخرة.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ أي: مستوية ليس عليها بناء ولا شجر. [وقال مجاهد: ليس عليها خَمَر ولا غيابة][4]. ﴿وَحَشَرْنَـٰهُمْ﴾ أي:

---

(1) الوِلاَية بالكسر، الملك والسلطان. والوَلاية بالفتح: النصرة والموالاة. وقد قرىء بهما جميعاً. والقراءة بفتح الواو أنسب للمقام لما ذكر قبله من النصرة. أما الطبري فقد رجح في تفسيره ج 15 ص 201 القراءة بكسر الواو. وانظر تفسير القاسمي ج 11 ص 48.

(2) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 189.

(3) كذا في ج ود، وفي سع ورقة 18 و: «أن يثابوه»، وفي ق وع: «أن ينالوه».

(4) زيادة من سع ورقة 18 و، ومن تفسير مجاهد ص 377. والخَمَر، بالتحريك، ما واراك من الشجر والجبال أو غيرهما. والغَيَابة. بياءين، لا بياء وباء كما جاءت خطأً في سع وفي تفسير الطبري - =

وجمعناهم ﴿ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً ﴾ أي: أحضروا فلم يغب منهم أحد.

﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّاً ﴾ أي: صفوفاً.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه ذات يوم: أيسركم أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أيسركم أن تكونوا شطر أهل الجنة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: الناس يوم القيامة عشرون ومائة صف، وأنتم منهم ثمانون صفاً[1].

ذكروا عن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً) [الانشقاق: 8] قال: ذلكم العرض ولكن من نوقش الحساب عُذّب[2].

قوله: ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أي: حفاة عراة غرلاً ﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ ﴾ يقول للمشركين ﴿ أَن لَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِداً ﴾ يعني أن لن تبعثوا.

وبلغنا عن الحسن أن عائشة قالت: يا رسول الله، أما يحتشم الناس يومئذٍ بعضهم من بعض؟ قال: هم أشغل من أن ينظر بعضهم إلى بعض[3] أي: إلى عورة بعض.

= هي كل ما أظلك من سحاب أو غَبَرة أو ظل. ومنه الحديث: «تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان».

(1) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد. باب صفة أمة محمد ﷺ من حديث أطول عن عبد الله (رقم 4283) وأخرجه آخر الحديث من حديث آخر في الباب عن سليمان بن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ (رقم 4289) بلفظ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم».

(2) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة الانشقاق، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب، (رقم 2876) كلاهما يرويه من حديث عائشة. وفي بعض ألفاظه: «من نوقش الحساب هلك».

(3) أخرجه ابن أبي حاتم، وصححه الحاكم عن عائشة قالت: واسوأتاه! إن الرجال والنساء =

قال: ﴿ وَوُضِعَ الكِتَـٰبُ﴾ أي: ما كانت تكتب عليهم الملائكة في الدنيا من أعمالهم. ﴿ فَتَرَى المُجْرِمِينَ ﴾ أي: المشركين والمنافقين ﴿ مُشْفِقِينَ ﴾ أي: خائفين ﴿ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَـا مَالِ هَـٰذَا الكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَيـٰهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً ﴾ أي: في كتبهم ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾.

قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ ﴾. قال الحسن: هو أول الجن كما أن آدم من الإنس وهو أول الإنس.

وقال بعضهم: كان من الجن، وهم قبيل من الملائكة يقال لهم الجن. وكان ابن عباس يقول: لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود، وكان على خزانة السماء الدنيا في قول بعضهم؛ قال: جُن عن طاعة ربه. وكان الحسن يقول: ألجاه[1] الله إلى نسبه.

قال: ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ أي: عصى أمر ربه، أي: عن السجود لآدم، في تفسير مجاهد. ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ ﴾ يعني الشياطين الذين دعوهم إلى الشرك. ﴿ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِيسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلاً ﴾ أي: ما استبدلوا بعبادة ربهم إذ أطـاعوا إبليس. فبئس ذلك بدلاً لهم.

قوله: ﴿ مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ وذلك أن المشركين قالوا: إن الملائكة بنات الله. وقال في آية أخرى: (وَجَعَلُوا المَلَائِكَةَ الذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ إِناثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ) [الزخرف: 19] أي: ما أشهدتهم شيئاً من ذلك، فمن أين ادَّعوا أن الملائكة بنات الله.

= سيحشرون جميعاً ينظر بعضهم إلى سوأة بعض؟ وفي رواية: واسوأتاه لك يا ابنة أبي بكر! فقال رسول الله ﷺ: (لِكُلِّ آمْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) [عبس: 27]. لا ينظر الرجال إلى النساء، ولا النساء إلى الرجال، شُغِل بعضهم عن بعض.

(1) كذا في ق وع: «ألجاه الله إلى نسبه»، وهو موافق لما جاء في تفسير الطبري، ج 15 ص 260. وفي سع ورقة 18 ظ: أنجاه الله، وفي ج «أنجاه الله»، وكأن في العبارة تصحيفاً، ولم أهتدِ لمعنى مناسب أطمئن إليه.

قــال: ﴿ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً ﴾ أي: أعواناً. وقال بعضهم: المضلين: الشياطين.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً ﴾. والموبق وادٍ في جهنم.

وبعضهم يقول: (مَّوْبِقاً) أي: مهلكاً. يقول: وجعلنا بينهم أي: وصلهم الذي كان في الدنيا مهلكاً. وقال بعضهم: هو وادٍ يفرق به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة. وقال بعضهم: يقول: أوبقناهم، أي: أدخلناهم في النار بفعلهم فأُوبِقوا فيها[1].

قوله: ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ ﴾ أي: المشركون والمنافقون ﴿ فَظَنُّوا ﴾ أي: فعلموا ﴿ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً ﴾ أي: معدلاً إلى غيرها.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ كقوله: (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) [الزمر: 27] ﴿ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ أي: الكافر يجادل في الله[2].

قوله: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ﴾ أي: من

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 1472: «(وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً) يقال جعلنا تواصلهم في الدنيا (مَوْبِقاً) يقول مهلكاً لهم في الآخرة. . .» وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص 269 «(موبقاً) أي: مهلكاً بينهم وبين آلهتهم في جهنم». وأصل الفعل وَبِق، يَبِقُ، وبْقاً ووبوقاً: هلك، وأوبقه أهلكه. ومنه الموبقات من الذنوب، أي: المهلكات. انظر اللسان (وبق).

(2) الحق أن هذه طبيعة ابن آدم، أياً كان، وليست خاصة بالكافر. فقد ترجم البخاري في كتاب التفسير، وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً، فروى حديثاً عن علي بن أبي طالب «أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة وقال ألا تصليان؟. . . وفي رواية لمسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما روى فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح (رقم 775): «ألا تصلون؟ فقلت: يا رسول الله: إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك. ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول: (وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً).

شركهم ﴿ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي: ما عذب الله به الأمم السالفة ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ أي: عياناً. وقال مجاهد: فجأة.

قوله: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ ﴾ أي: بالجنة ﴿ وَمُنْذِرِينَ ﴾ أي: من النار. ويبشرونهم أيضاً بالرزق في الدنيا قبل دخول الجنة إن آمنوا. وقد فسّرناه قبل هذا الموضع[1]. وينذرونهم العذاب في الدنيا قبل عذاب الآخرة إن لم يؤمنوا.

قوله: ﴿ وَيُجَـٰدِلُ الذِينَ كَفَرُوا بِالْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا ﴾ أي: ليذهبوا ﴿ بِهِ الْحَقَّ ﴾ فيما يظنون؛ ولا يقدرون على ذلك. قال: ﴿وَاتَّخَذُوا ءَايَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾.

قال: ﴿ وَمَنَ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِئَايَـٰتِ رَبِّهِ ﴾ يقوله على الاستفهام. وهذا استفهام على معرفة ﴿ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ أي: لم يؤمن بها. ﴿ وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ أي: ما سلف منه. قال الحسن: عمله السوء. أي: لا أحد أظلم منه.

قوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ أي: غلفاً ﴿ أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ أي: لئلا يفقهوه. ﴿وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْراً﴾ وهو الصمم عن الهدى. ﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً ﴾ يعني الذين يموتون على كفرهم.

﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ أي: لمن آمن. ولا يغفر أن يشرك به ﴿ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا ﴾ أي: بما عملوا ﴿ لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَهُم مَّوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا ﴾ قال الحسن: ملجأ[2].

قوله: ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾ أي: لما أشركوا وجحدوا رسلهم. ﴿ وَجَعَلْنَا لِمُهْلِكِهِم مَّوْعِداً ﴾ أي: الوقت الذي جاءهم فيه العذاب. وقال مجاهد: موعداً: أجلاً[3].

(1) انظر ما سلف، ج 1 ص 527.

(2) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 148: (الموئل) المنجي، وهو الملجأ في المعنى واحد. والعرب تقول: إنه ليوائل إلى موضعه، يريدون: يذهب إلى موضعه وحرزه». وانظر اللسان: (وأل).

(3) اقرأ تحقيقاً عزيزاً في اللغة قلما تظفر بمثله حول وزن مفعل ووجوه صرفه قدّمه لنا الفراء في المعاني ج 2 ص 148 - 153.

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَيٰهُ ﴾ وهو يوشع بن نون، وهو اليسع ﴿ لَآ أَبْرَحُ ﴾ أي: لا أزال أمضي قدماً ﴿ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ بحر فارس والروم حيث التقيا، وهما ميحطان بالخلق(1).

وبعضهم يقول: الرسّ والكرّ، وهما بالرومية(2). والعامة على أنهما بحر فارس والروم. وبحر الروم نحو المغرب، وبحر فارس نحو المشرق.

﴿ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً ﴾ أي: سبعين سنة في تفسير مجاهد. وبعضهم يقول: الحقب ثمانون سنة.

وذلك أن موسى عليه السلام قام في بني إسرائيل مقاماً فقال: ما بقي اليوم أحد أعطاه الله مثل ما أعطاكم: أنجاكم من آل فرعون، وقطع بكم البحر، وأنزل عليكم التوراة. ورأى في نفسه حين فعل الله ذلك به وعلمه أنه لم يبقَ أحد أعلم منه. فأوحى الله إليه: إن لي عبداً أعلم منك يقال له الخضر، فاطلبه. فقال له موسى: رب كيف لي بلقائه. فأوحى الله إليه أن يجعل حوتاً في متاعه، ويمضي حتى يبلغ مجمع البحرين، بحر فارس والروم. وجعل العلم على لقائه أن يفتقد الحوت، فإذا فقدت الحوت فاطلب صاحبك عند ذلك.

فانطلق هو وفتاه، وهو يوشع بن نون. وحملا معهما مكتلاً فيه حوت مملوح. قال: فسايرا البحر زماناً، ثم أويا إلى صخرة على ساحل البحر الذي عند مجمع البحرين؛ عندها عين ماء، فباتا بها. وأكلا نصف الحوت، وبقي نصفه. فانسرب الحوت في العين. وقال بعضهم: أدنى فتاه المكتل من العين فأصابه الماء فعاش

(1) كذا في ق وع، وفي سع 19 و: «محيطان بالخلق»، وفي ج ود: «مختلطان بالحُلو». كذا ضبطت العبارة.

(2) كذا في ق وع ود، «وهما بالرومية». وفي تفسير القرطبي، ج 11 ص 9: «وقال السدي الكُر والرس بأرمينية». وهو أصح فقد قال ياقوت: الرس وادٍ بأذربيجان. والكر والرس نهران وليسا بحرين. انظر اختلاف المفسرين حول مجمع البحلين في تفسير القرطبي.

الحوت فدخل في البحر. [وذلك قوله: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً ﴾][1].

وارتحل موسى وفتاه فسايرا البحر حتى أصبحا. ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَيٰهُ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَباً ﴾ أي: شدة، يعني نصب السفر.

﴿ قَالَ ﴾ فتاه: ﴿ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَـٰنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَـٰنُ أَنْ اذْكُرَهُ ﴾ وفي بعض القراءات (أَن أُدْرِكَهُ).

وقال بعضهم: إن موسى لما قطع البحر، وأنجاه الله من آل فرعون جمع بني إسرائيل فخطبهم فقال: أنتم اليوم خير أهل الأرض وأعلمهم. قد أهلك الله عدوكم، وأقطعكم البحر، وأنزل عليكم التوراة. قال: فقيل له: إن ها هنا رجلاً هو أعلم منك. فانطلق هو وفتاه يوشع بن نون يطلبانه. وتزوّدا بحوت مملوح في مكتل لهما. وقيل لهما: إذا نسيتما بعض ما معكما لقيتما رجلاً عالماً يقال له: خضر. فلما أتيا ذلك المكان ردّ الله إلى الحوت روحه فسرب لهما من المكتل[2] حتى أفضى إلى البحر، ثم سلك فيه. فجعل لا يسلك فيه طريقاً إلا صار الماء جامداً.

ومضى موسى وفتاه. فلما جاوزا قال لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً. قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة، يعني إذ انتهينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره. وفي مصحف عبد الله بن مسعود: أن أدركه. فرجعا عودهما على بدئهما فارتدا على آثارهما قصصاً. فلقيا الخضر.

وذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: إنما سمي الخضر خضراً لأنه جلس على قردد[3]

(1) زيادة لا بد منها لم ترد في المخطوطات.

(2) كذا في المخطوطات الأربع: «فسرب لهما من المكتل». وفي سع ورقة 19 و: «فسرب له من الجُدّ». وفي اللسان: «الجُد بالضم شاطىء النهر، والجُدّة أيساً، وبه سمّيت المدينة التي عند مكة جُدة».

(3) وردت الكلمة هكذا: «قردد» في المخطوطات الأربع وفي سع ورقة 19 و، وهي المكان الغليظ المرتفع من الأرض كما شرحه صاحب اللسان (قرد)، وجاءت الكلمة في صحيح البخاري، =

بيضاء فاهتزّت به خضراء[1].

قال: ﴿ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً ﴾. أي: موسى اتخذ سبيل الحوت في البحر عجباً[2]. وهو تفسير مجاهد.

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ أي: قال: قيل لي: إذا فقدت الحوت فيحنئذٍ تلقى الخَضِر.

قال: ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ ءَاثَارِهِمَا قَصَصاً﴾ أي: عودهما على بدئهما راجعين حتى أتيا الصخرة. فاتبعا أثر الحوت في البحر. وكان الحوت حيث مر ببدنه ييبس، فصار كهيئة الطريق في البحر. فاتبعا آثاره حتى خرجا إلى جزيرة، فإذا هما بالخضر في روضة يصلي. فأتياه من خلفه، فسلم عليه موسى. فأنكر الخضر السلام[3] في ذلك الموضع. فرفع رأسه فإذا بموسى، فعرفه فقال: وعليك السلام يا نبي بني إسرائيل. فقال موسى: وما يدريك أني نبيّ بني إسرائيل؟ فقال: أدراني بك الذي أدراك بي.

قوله: ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَهُ مِن

= وفي تفسير الطبري ج 15 ص 282، وفي تفسير ابن كثير ج 4 ص 417 هكذا: «فروة بيضاء». وقال ابن كثير: «والمراد بالفروة ها هنا الحشيش اليابس، وهو الهشيم من النبات، قاله عبد الرزاق. وقيل المراد بذلك وجه الأرض». فلفظ القردد إذاً يؤيد هذا المعنى. ففي اللسان: «القَردد كالقُردودة وهي المتن المشرف على الأرض». . . «لا ينبت إلا قليلاً». وهو ما دل عليه لفظ بيضاء، أي: لا تنبت، فلما قعد عليها الخضر اهتزت به خضراء.

(1) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده وأخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، في حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، ولفظه: «إنما سمّي الخضِرَ أنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء».

(2) كذا في المخطوطات، وفي سع: «موسى يعجب من أثر الحوت في البحر». وهذا على قراءة من جعل الكلام يتم عند قوله (عَجَباً)، وجعل هذه الكلمة الأخيرة مفعولاً ثانياً (اتّخَذَ). ومن المفسّرين من جعل تمام الكلام عند قوله: (فِي الْبَحْرِ)، وما بعده استئنافاً، فتكون كلمة (عَجَباً) حكاية لقول يوشع. والوقف في قراءة ورش يدل على هذا التأويل الأخير. انظر تفصيل ذلك في تفسير القرطبي، ج 11 ص 14.

(3) كذا في المخطوطات الأربع: «السلام» وفي ز ورقة 197، وفي سع ورقة 19 ط: «أنكر الخضِرُ التّسليمَ».

لَّدُنَّا عِلْماً قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ اتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾ أي: أن ترشدني. ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرا فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً ﴾ أي: أتيت شيئاً عظيماً. وقال مجاهد: منكراً[1].

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ﴾ وكان موسى ينكر الظلم. ﴿ قَالَ ﴾ له موسى ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً ﴾.

قال: ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلْماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً ﴾ أي: لم تذنب[2] ﴿ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً ﴾ والنكر المنكر.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِي[3] عُذْراً ﴾. أي: قد أعذرت فيما بيني وبينك.

﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا ان يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ وزعموا أنها أنطاكية[4]. ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾ أي: رفعه بيده ﴿ قَالَ ﴾ له موسى ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً ﴾ أي: ما يكفينا اليوم.

﴿ قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ ﴾ أي: سأخبرك ﴿ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً ﴾[5].

---

(1) في مجاز القرآن لأبي عبيدة ج 1 ص 409: «أي: داهية نكراً عظيماً. وفي آية أخرى: (شَيْئاً إِدّاً). [مريم: 90] قال:

قَـدْ لَقِيَ الأَقْـرَانُ مِنِّي نُكْـراً   دَاهِـيَـةً دَهْـيَـاءَ إِدّاً إِمْـرا»

(2) وقال أبو عبيدة في المجاز ج 1 ص 410: «أي: مطهرة». .

(3) روى أبو داود في سننه، كتاب الحروف والقراءات (رقم 3985) «عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قرأها (قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً) وثقلها». وقراءة ورش عن نافع (مِن لَّدُنِي) بالتخفيف.

(4) وقيل هي أُبُلَّة، وقيل هي بجزيرة الأندلس. وقيل هي برقة، والله أعلم بها.

(5) روى أبو داود في سننه كتاب الحروف والقراءات (رقم 3984) عن أبي بن كعب قال: كان =

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَـٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ قال مجاهد: أن أخرقها. ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم ﴾ يقول: بين أيديهم[1] ﴿ مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ﴾ وفي بعض القراءة: (وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْباً). قال بعضهم: ولعمري لو عمّ السفن ما انفلتت، ولكن كان يأخذ خيار السفن.

﴿ وَأَمَّا الْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُومِنَيْنِ ﴾ قال بعضهم: في بعض القراءة: كان أبواه مؤمنين وكان كافراً.

قوله: ﴿ فَخَشِينَا أَن يُـرْهِقَهُـمَا طُغْيَـٰناً وَكُفْراً ﴾. ذكر بعضهم قال: في مصحف عبد الله بن مسعود: فخاف ربك أن يرهقهما طغياناً وكفراً. وتأويل فخاف ربك: أي: فكره ربّك؛ وهو مثل قوله تعالى: (وَلَـٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ) [التوبة: 46] وتفسير كره: لم يُرد[2]. ﴿ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَـوٰةً ﴾ أي: في التقوى ﴿ وَأَقْرَبَ رُحْماً ﴾ أي: برّاً. وقال الحسن: (وَأَقْرَبَ رُحْماً) أي: أقرب خيراً[3].

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ قال الحسن: مال، وقال مجاهد: صحف علم.

وقال الكلبي: بلغنا أنه كان لوحاً من ذهب فيه حكمة: ثلاث كلمات فقط:

= رسول الله إذا دعا بدأ بنفسه، وقال: رحمة الله علينا وعلى موسى، لو صبر لرأى من صاحبه العجب. . .» وروي عنه عليه السلام بلفظ آخر: يرحم الله موسى، لوددت أنه كان صبر حتى يقصّ علينا من أخبارهما».

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ج 1 ص 412: «(وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ) أي: بين أيديهم وأمامهم، قال:

أَتَرْجُو بُنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي وَقَوْمِي تَمِيمٌ وَالْفَلاَةُ وَرَائِيَا

أي: أمامي.

(2) هذا وجه من وجوه التأويل، وللفراء في المعاني ج 2 ص 157 رأى آخر. قال: «وقوله: (فَخَشِينَا): فعلمنا وهي في قراءة أبي: (فَخَافَ رَبُّكَ أَن يُرْهِقَهُمَا)، على معنى: علم ربك. وهو مثل قوله: (إِلَّآ أَن يَخَافَا) [البقرة: 229] قال: إلا أن يعلما ويظنا. والخوف والظن يُذهَبُ بهما مذهب العلم».

(3) وقيل معناه: «أقرب أن يُرحما به، وهو مصدر رحمت».

عجباً لمن أيقن بالموت كيف يضحك، وعجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب، وعجباً لمن أيقن بالدنيا وتقلّبها كيف يطمئن إليها. ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحاً ﴾.

﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ لهما ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ ﴾ أي: وما فعلت ما فعلت ﴿ عَنَ أَمْرِي ﴾ أي: إنما فعلته عن أمر الله.

﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً ﴾ قال الكلبي: بلغنا أنهم لم يفترقوا حتى بعث الله طائراً، فطار إلى المشرق، ثم طار إلى المغرب، ثم طار نحو السماء، ثم هبط إلى البحر، فتناول من ماء البحر بمنقاره، وهما ينظران، فقال الخضر لموسى: أتعلم ما يقول هذا الطير؟ قال موسى: وما يقول؟ قال: يقول: ورب المشرق، ورب المغرب، ورب السماء السابعة، ورب الأرض السابعة، ما علمك يا خضر وعلم موسى في علم الله إلا قدر هذا الماء الذي تناولته من البحر في البحر.

قوله: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ﴾ فإنما سألته اليهود. ﴿ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً ﴾ أي: خبراً.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾ أي: بلاغاً لحاجته. وقال بعضهم: علماً، وهو علمه الذي أُعْطِيَ. بلغنا أنه ملك مشارق الأرض ومغاربها.

﴿ فَاتَّبَعَ سَبَباً﴾ أي: طرق الأرض ومنازلها. وقال بعضهم: منازل الأرض ومعالمها. ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: حمئة وحامية.

ذكر عطاء قال: اختلف ابن عباس وعمرو بـن العاص في عين حمئة؛ فقال عمرو: حامية، وقال ابن عباس حمئة. فجعلا بينهما كعباً[1] فقال كعب: نجدها في التوراة تغرب في ماء وطين كما قال ابن عباس. وإنما يعني بالحمأة الطين المنتن. ومن قرأها حامية يقول: حارّة.

(1) هو كعب الأحبار، كان على دين اليهود ومن علمائهم. وكان ينزل اليمن، وبها أسلم. ودخل المدينة على عهد عمر رضي الله عنه.

قال: ﴿ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ ﴾ قال الحسن: يعني القتل؛ وذلك حكم الله فيمن أظهر الشرك إلا من حكم عليه بالجزية من أهل الكتاب إذا لم يسلم وأقر بالجزية، ومن تقبل منه الجزية اليوم. ﴿ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً ﴾ يعني العفو. قال: فحكّموه، فحكَم بينهم، فوافق حكمُه حكمَ الله.

﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ يعني من أشرك ونافق[1] ﴿ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ﴾ يعني القتل ﴿ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْراً ﴾ أي: عظيماً في الآخرة.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ﴾ أي: الجنة، يقول: فله ثواب الجنة، والحسنىٰ هي الجنة[2]. ﴿ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا ﴾ أي: ما صحبناه في الدنيا وصحبنا ﴿ يُسْراً ﴾ يعني المعارف. وقال مجاهد: (مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً) أي: معروفاً. وهو واحد.

قال: ﴿ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَباً ﴾ أي: طرق الأرض ومعالمها لحاجته على ما وصفت من تفسيرهم فيها. ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِنْ دُونِهَا سِتْراً ﴾.

قال بعضهم: ذكر لنا أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه البناء، وأنهم يكونون في أسراب لهم، حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا في معايشهم وحروثهم. وقال الحسن: إذا طلعت الشمس انسربوا في البحر، فكانوا في البحر، فكانوا فيه حتى تغيب الشمس. فإذا غابت الشمس خرجوا وتسوّقوا[3] وتبايعوا في أسواقهم وقضوا حوائجهم بالليل.

---

(1) كلمة «ونافق» غير واردة في سع، وهي من زيادات الشيخ هود فيما يبدو. والمنافق لا يقتل لنفاقه.

(2) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 159: «وقوله: (فله جزاءً الحسنىٰ) نصبت الجزاءَ على التفسير. . . وقوله: (جزاءُ الحسنىٰ) مضاف. وقد تكون الحسنى حسناته فهو جزاؤها. وتكون الحسنى الجنة، تضيف الجزاء إليها، وهي هو. كما قال: (حَقُّ اليَقِينِ) [الواقعة: 95]، و(دِينُ الْقَيِّمَة) [البينة: 5] و(لَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ) [يوسف: 109].

(3) قال الزمخشري في أساس البلاغة: «تسوّق القوم: اتخذوا سوقاً». وفي اللسان: تسوّق القوم إذا باعوا واشتروا.

قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً ﴾ أي: هكذا كان ما قص من أمر ذي القرنين.

قال: ﴿ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَباً ﴾ أي: طرق الأرض ومعالمها لحاجته ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السُّدَّيْنِ ﴾[1] أي: بين الجبلين ﴿ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً ﴾ أي: لا يفقهون كلام غيرهم. وهي تقرأ على وجه آخر: (لَا يَكَادُونَ يُفْقِهُونَ قَوْلاً) أي: لا يفقه أحد كلامهم.

﴿ قَالُوا يَـٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: قاتلون الناس في الأرض ﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً ﴾ أي: جُعلا ﴿ عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سُدّاً ﴾.

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾ أي: من جُعلكم ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾ أي: بعدد، عدد من الرجال ﴿ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً ﴾[2].

﴿ءَاتُونِي﴾ أي: أعطوني ﴿ زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾ أي: قطع الحديد في تفسير مجاهد ﴿ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ﴾ أي: رأس الجبلين، ساوى ما بينهما فسدّه. ﴿ قَالَ انْفُخُوا ﴾ أي: على الحديد ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَاراً ﴾ يعني أحماه بالنار ﴿ قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً ﴾ فيها تقديم؛ أي: أعطوني قطراً أفرغ عليه. والقِطر النحاس؛ فجعل أساسه الحديد، وجعل ملاطه[3] النحاس ليلزمه.

---

(1) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 414: «(بين السُّدَّين) مضموم إذا جعلوه مخلوقاً من فعل الله، وإن كان من فعل الآدميين فهو سَد، مفتوح». وقد أنكر الطبري هذا الفرق بينهما في تفسيره ج 16 ص 15.

(2) أصل الردم هو سد الثلمة أو المدخل أو نحوهما. «وقيل: الردم أكثر من السد لأن الردم ما جعل بعضه على بعض». انظر اللسان (ردم).

(3) يقال: ملط الحائط، أي: طلاه. والمِلاط: «الطين الذي يجعل بين سافي (أي: صفّي اللَّبِن) في البناء، ويملط به الحائط». وفي بعض المخطوطات: «وجعل خلاطه النحاس». والمعنى قريب من الأول.

قال بعضهم: ذكر لنا أن رجلاً قال: يا رسول الله، قد رأيت سدّ ياجوج وماجوج. قال: أنعته لي. قال: هو كالبُرد المُحَبَّر، طريقة سوداء وطريقة حمراء. قال: قد رأيته[1].

قال: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَّظْهَرُوهُ﴾ أي: أن يظهروا عليه من فوقه. ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً﴾ أي: من أسفله.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أن يأجوج ومأجوج يخرقونه كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدا. فيعيده الله كأشد ما كان. حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس. حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غداً إن شاء الله، فيغدون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيخرقونه، فيخرجون على الناس، فينشفون المياه، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون سهامهم[2] إلى السماء، فترجع وفيها كهيئة الدماء، فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء. فيبعث الله نغفاً[3] في أقفائهم فيقتلهم بها. فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن دواب الأرض لتسمن وإنها لتشكر[4] من لحومهم شَكَرًا[5].

---

(1) رواه ابن سلام عن قتادة مرسلاً. وكذلك أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 16 ص 23 عن قتادة مرسلاً أيضاً. وأورده البخاري في كتاب بدء الخلق، باب قصة ياجوج وماجوج، عن قتادة أيضاً ولفظه: «قال رجل للنبي ﷺ: رأيت السد مثل البرد المحبَّر، قال: رأيته».

(2) في المخطوطات: «فيرمون بنشابهم إلى السماء» جمع نشابة، وهي السهام، وأثبت ما جاء في سع ورقة 20 و. والمعنى واحد.

(3) النَّغَف، واحدتها نَغَفَة: نوع من الدود يكون في أنوف الإبل والغنم. «وقيل هو أيضاً الدود الأبيض الذي يكون في النوى إذا أنقع». انظر الجوهري: الصحاح (نغف).

(4) شكِرت الحلوبة شَكراً إذا سمنت وامتلأ ضرعها لَبناً. وقيل الشُّكِرَة والمشكار من الحلوبات التي تغزر على قلة الحظ من المرعى.

(5) حديث صحيح رواه ابن سلام ورقة 20 و، وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 16 ص 21 بنفس السند وأخرجه أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم من طريق سعيد عن قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

قوله: ﴿ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي إِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي ﴾ يعني خروجهم ﴿ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ أي: الجبلين، أي: السّدّ. وهي تقرأ على وجه آخر: (دَكَّاءَ) ممدودة، أي: أرضاً مستوية. ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾.

ذكروا عن عقبة بن عامر الجهني قال: كان يومي الذي كنت أخدم فيه النبي ﷺ، فخرجت من عنده فإذا أنا برجال من أهل الكتاب معهم مصاحف أو كتب. فقالوا: استأذن لنا على رسول الله. فانصرفت إليه، فأخبرته بمكانهم. فقال: مالي ولهم يسألونني عما لا أدري. وإنما أنا عبد لا أعلم إلا ما علمني الله. ثم قال: آيتوني وَضوءاً. فأتيته بوَضوء. فتوضأ، ثم قام إلى المسجد فركع ركعتين. فما انصرف حتى بدا لي السرور في وجهه. فقال: اذهب فأدخلهم وأدخل من وجدت بالباب من أصحابي.

فلما وقفوا عليه قال: إن شئتم أخبرتكم بما أردتم أن تسألوني عنه قبل أن تتكلموا. وإن شئتم سألتـم وأخبرتكم. قالوا: بل أخبرنا بما جئنا له قبل أن نتكلم. قال: جئتم تسألونني عن ذي القرنين. وسأخبركم عما تجدونه مكتوباً في كتبكم:

إن أول أمره أنه كان غلاماً من الروم، وأعطي ملكاً. فسار حتى انتهى إلى أرض مصر، فبنى عندها مدينة يقال لها الإسكندرية. فلما انتهى من بنائها أتاه ملك فعرج به حتى استقله فرفعه ثم قال له: انظر ما تحتك. فقال: أرى مدينتي وأرى مدائن أخرى. ثم عرج به فقال: انظر، فقال: قد اختلطت مدينتي مع المدائن. ثم زاد فقال: انظر، فقال: أرى مدينتي وحدها لا أرى غيرها. فقال له الملك: إنما تلك الأرض كلها، وهذا السواد البحر. وإنما أراد الله أن يريك الأرض، وقد جعل لك سلطاناً فيها. فسر في الأرض، فعلّم الجاهل، وثبّت العالم. فسار حتى بلغ مغرب الشمس، ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس، ثم أتى السّدّين، وهما جبلان ليّنان يزلق عنهما كل شيء، فبنى السد. فوجد ياجوج وماجوج يقاتلون قوماً وجوههم كوجوه الكلاب، ثم قطعهم فوجد أمة قصاراً يقاتلون الذين وجوههم كوجوه الكلاب. ثم مضى فوجد أمة من الغرانيق يقاتلون القوم القصار. ثم مضى فوجد أمة من الحيات

تلتقم الحية منها الصخرة العظيمة. ثم أفضى إلى البحر المدير بالأرض.

فقالوا: نحن نشهد أن أمره كان هكذا، وإنا نجده في كتابنا هكذا[1].

ذكروا عن عبد الله بن عمرو قال: إن خلف ياجوج وماجوج ثلاث أمم [لا يعلم عدتهم إلا الله][2]: تارس وتاويل وميسك.

ذكروا عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن ذي القرنين فقال: لم يكن ملكاً ولا نبياً، ولكنه كان عبداً صالحاً، ناصحاً لله فنصحه[3]. دعا قومه إلى الإيمان فلم يجيبوه. فضربوه على قرنه فقتلوه، فأحياه الله. ثم دعا قومه أيضاً فضربوه على قرنه فقتلوه فأحياه الله فسمِّيَ ذا القرنين.

ذكروا أن رجلاً سأل عبد الله بن عمرو عن ياجوج وماجوج: الأذرع هـم أم الأشبار؟ فقال: ما أجد من ولد آدم بأعظم منهم ولا أطول. ولا يموت الميت منهم حتى يولد له ألف ولد فصاعداً. قال: قلت فما طعامهم؟ قال: هم في شجر ما هضموا، وفي ماء ما شربوا، وفي نساء ما نكحوا. ذكر بعضهم قال: إن هؤلاء الترك ممن سقط دون الردم من ولد يأجوج ومأجوج[4].

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: يخرج ياجوج وماجوج يموجون في الأرض فيفسدون فيها. ثم قرأ عبد الله: ﴿ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ [الأنبياء: 96] ثم يبعث عليهم دابة مثل النَّغف، فتلج في أسماعهم ومناخرهم فيموتون منها. قال: فتنتن الأرض منهم، فتجأر إلى الله، فيرسل الله عليهم ماء فيطهر الأرض منهم.

---

(1) رواه يحيى بن سلام بسند في ورقة 20 و، وظ.

(2) زيادة من سع ورقة 20 ظ.

(3) كذا في المخطوطات، وفي سع ورقة 20 ظ: «ناصح الله فنصحه».

(4) مثل هذه الآثار لا يمكن أن يستسيغها عاقل، ولم يثبت في بعض تفاصيلها حديث يوثق بصحته، وفي بعضها أغراض شعوبية لا تمت إلى الدين ولا إلى الحقيقة التاريخية بصلة، وقد تناقلها المفسرون بدون تمحيص.

وذكروا عن كعب قال: إن ياجوج وماجوج ينقرون كل يوم بمناقرهم في السّدّ، فيسرعون فيه. فإذا أمسوا قالوا: نرجع غداً فنفرغ منه؛ فيصبحون وقد عاد كما كان. فإذا أراد الله خروجهم قذف على ألسن بعضهم الاستثناء، فيقولون نرجع غداً إن شاء الله فنفرغ منه، فيصبحون وهو كما تركوه فينقبونه، ويخرجون على الناس، فلا يأتون على شيء إلا أفسدوه. فيمر أولهم على البحيرة فيشربون ماءها، ويمر أوسطهم فيلحسون طينها، ويمر آخرهم عليها فيقولون: قد كان ها هنا مرة ماء، فيقهرون الناس، ويفر الناس منهم في البرّيّة والجبال، فيقولون: قهرنا أهل الأرض فهلمّوا إلى أهل السماء. فيرمون نشابهم[1] نحو السماء فترجع تقطر دماً، فيقولون: قد فرغنا من أهل الأرض وأهل السماء، فيبعث الله عليهم أضعف خلقه: النغف: دودّة تأخذهم في رقابهم فتقتلهم حتى تنتن الأرض من جيفهم، ويرسل الله الطير فتلقي جيفهم إلى البحر. ثم يرسل الله السماء فتطهر الأرض. وتخرج الأرض زهرتها وبركتها، ويتراجع الناس حتى إن الرمانة لتشبع أهل البيت. [وتكون سلوة من عيش. فبينما الناس كذلك إذ جاءهم خبر ان ذا السويقتين قد غزا البيت][2] فيبعث المسلمون جيشاً فلا يصلون إليهم، ولا يرجعون إلى أصحابهم، حتى يبعث الله ريحاً طيبة يمانية من تحت العرش، فتكفت روح كل مؤمن. ثم لا أجد مثل الساعة إلا كرجل أنتج مهراً له فهو ينتظر متى يركبه. فمن تكلّف من أمر الساعة ما وراء هذا فهو متكلّف.

ذكروا أن عيسى عليه السلام يقتل الدجال [بباب لد أو عندها][2] فبينما هم كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا ندين لاحد بقتالهم فحرّز عبادي في الطور. ويبعث الله ياجوج وماجوج، وهم كما قصّ (مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ). [الأنبياء: 96]. فيمر أولهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: قد كان ها هنا ماء مرة. فيسيرون حتى ينتهوا إلى الجبل الأحمر لا

---

(1) كذا في ج ود وق: «نشابهم»، وفي سع «نبالهم».

(2) زيادة من سع 20 ظ. و «لد» أو «اللّدّ»، بلدة بالشام من أرض فلسطين.

يعدونه. فيقول بعضهم لبعض: قد قتلنا من في الأرض [إلا من دان لنا][1] فهلمّوا فلنقتل من في السماء. فيرمون بسهامهم نحو السماء فيردها الله مخضوبة دماً. ويحصرون نبي الله عيسى وأصحابه. فبينما هم كذلك إذ رغبوا إلى الله، فأرسل الله عليهم نغفاً في رقابهم فيصبحون فرسي[2] كموت نفس واحدة. فيهبط نبي الله عيسى وأصحابه فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم ودماؤهم. فيرغب عيسى ومن معه إلى الله فيرسل الله عليهم كأعناق البخت فتلقيهم في البحر.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لَيُحَجَّنَّ البَيْتُ وَلَيُعْتَمَرَنَّ بعد خروج ياجوج وماجوج[3].

قوله: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ يعني يوم يخرجون من السد.

قال: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَـٰهُمْ جَمْعاً ﴾ وقد فسّرنا الصور في غير هذا الموضع.

قوله: ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضاً ﴾ أي: عرضها عليهم فأدخلوها خالدين.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: ليس أحد من الخلق كان يعبد من دون الله شيئاً إلا وهو مرفوع له بنعته[4] فيقال لليهود: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد عزيراً. فيقال لهم: هل يسرّكم الماء؟ فيقولون: نعم. فيرون جهنم وهي كهيئة السراب. ثم قرأ: (وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضاً) ثم يلقى النصارى، فيقال لهم: من تعبدون؟ فيقولون: المسيح. فيقال لهم: هل يسرّكم الماء؟ فيقولون: نعم، فيرون

(1) زيادة من سع ورقة 21 و.

(2) «فرسي» كذا وردت في المخطوطات وهي جمع فريس، ومنه فريسة الأسد. أي: قتلى، وزنا ومعنى.

(3) أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه البخاري في كتاب الحج، باب جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ.

(4) كذا في المخطوطات: «وهو مرفوع له بنعته»، وفي سع ورقة 21 و: «إلا وهو مرفوع له يتبعه».

جهنم وهي كهيئة السراب، ثم كذلك بمن كان يعبد من دون الله شيئاً. ثم قرأ: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ) [الصافّات: 24].

قوله: ﴿ الذِينَ كَانَتَ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي ﴾أي: كانت على أعينهم غشاوة الكفر. كقوله: (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) أي: غطاء الكفر (فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) [سورة قٓ: 23] أي: أبصر حين لا ينفعه البصر. ﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً ﴾ أي: لا يسمعون الهدى بقلوبهم. وقال مجاهد: لا يعقلون.

قوله: ﴿ أَفَحَسِبَ الذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ ﴾ يعني من عبد الملائكة؛ أي أفحسبوا أن تتولاهم الملائكة على ذلك، أي: لا يتولونهم. وليس بهذا أمرتهم؛ إنما أمرتهم أن يعبدوني ولا يشركوا بي شيئاً. ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا ﴾ أي: أعددنا ﴿ جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً ﴾.

قوله: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾ وهم أهل الكتاب، ضَلَّ أوائلهم فاتّبعهم أواخرهم على ضلالتهم، (وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً).

قوله: ﴿ أُولَـٰئِكَ الذِينَ كَفَرُوا بِئَايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتَ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ وَزْناً ﴾. وهي مثل قوله: (وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَـٰئِكَ الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ) [المؤمنون: 103] قال: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا ءَايَـٰتِي وَرُسُلِي هُزُؤاً ﴾.

قوله: ﴿إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾ ذكروا عن أبي هريرة قال: الفردوس جبل في الجنة تتفجر منه أنهار الجنة. ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ أي: مُتَحَوَّلاً في تفسير مجاهد.

قوله: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ البَحْرُ مِدَاداً ﴾ أي: مداداً للقلم يستمد منه للكتاب ﴿ لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ أي: آخر

مثله من باب المدد. وهي تقرأ على وجه آخر: (وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مِدَاداً) يُسْتَمَدُّ مِنْهُ لِلْقَلَمِ، لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي، أي: علمه الذي خلق الأشياء كلها.

قوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ وذلك أن المشركين قالوا له: (مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا)[1] [الشعراء: 154] فقال الله له: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) ولكن يوحىٰ إليّ، وأنتم لا يوحى إليكم. ﴿ أَنَّمَا إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ وهو الله، لا إلـه إلا هو ولا معبود سواه. ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَـٰلِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ أي: يخلص له العمل، فإنه لا يقبل إلا ما أُخلِص له.

ذكروا أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني أقف المواقف أريد وجه الله، وأحب أن يُرَى مكاني. فسكت النبي عليه السلام [ولم يردّ عنه شيئاً][2] فأنزل الله هذه الآية: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً).

---

(1) إذا كان قصد المؤلف أن هذه الجملة: (ما أنت إلا بشر مثلنا) نهي ما خاطَبَ به المشركون نبيَّنا محمداً ﷺ وبهذا اللفظ عينه، فإنه لا يوجد هذا في القرآن موجهاً إليه. وإنما ورد هذا في سورة الشعراء فيما حكاه الله عما قالته ثمود للنبي صالح وما قاله أصحاب ليكة للنبي شعيب عليهما السلام. أما بالنسبة لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام فقد ورد هذا المعنى بألفاظ أخرى، منها: (هَلْ هَـٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) فيما أسرّ المشركون من نجواهم وأخبر الله به في سورة الأنبياء: 3، أو بصفة أعمّ فيما خاطب به المشركون رسُلَهم بقولهم: (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا) كما قصه الله في سورة إبراهيم: 10.

(2) زيادة من سع ورقة 21 و.

. . . .

(1) هذا ما جاء في آخر ورقة من مخطوطة جربة التي رمزت لها بحرف ج، والتي هي محفوظة في خزانة الشيخ الوقور سالم بن يعقوب في غيزن، أمد الله في أنفاسه.

«تم والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً. وقع الفراغ من نسخ هذا الكتاب يوم الثلاثة (كذا) عند صلاة الظهر، وهو اليوم الرابع من شهر الله المبارك من شهور سنة ستة (كذا) وثمانين وألف بعد هجرة سيدنا محمد المصطفى، على يد العبد الذليل الحقير الفقير المحتاج إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو حسبي ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير، وهو صالح بن قاسم بن محمد بن سعيد بن إبراهيم بن بونوح بن صالح البلاز. غفر الله له ولهم ولوالديهم ولمن نظر في هذا الكتاب، ولمن دعا لهم بالمغفرة ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات أجمعين والحمد لله رب العالمين».

(2) وهذا ما جاء في مخطوطة القرارة التي رمزت لها بحرف ق، والتي هي محفوظة في خزانة المرحوم الشيخ بالحاج:

«تم النصف الأول من تفسير القرآن العظيم بحمد الله وحسن عونه وتأييده ونصره على يد العبد الفقير الحقير الذليل الراجي عفو مولاه، الغني عن من سواه (كذا) أبي القاسم بن موسى ابن الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن يحيى. سألتك بالله العظيم يا من ينظر فيه أن تبسط لي عذراً لأني نسخته من نسخة ركيكة وفي زمان التشويش. وأنا لم آل فيه جهداً. نسأل الله العفو والعافية لنا ولكم معشر المسلمين. وكان الفراغ منه ضحوة يوم الأحد يوم الأخير (كذا) من شهر الله ربيع الأول عام الثامن عشر مائة (كذا) وألف من هجرة النبي ع م والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين والحمد لله رب العالمين».

(3) وهذا ما جاء في آخر مخطوطة العطف التي رمزت لها بحرف ع، والتي هي محفوظة بخزانة الشيخ المرحوم الحاج داود بن يوسف:

«كمل بحمد الله وحسن [عونه] والصلاة التامة الشاملة على من لا نبي بعده. والله يعين ناسخه بحوله وقوته إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين». (هكذا بدون ذكر لاسم الناسخ ولا تاريخ النسخ).

(4) وهذا ما جاء في آخر مخطوطة جربة التي رمزت لها بحرف د والتي هي محفوظة في خزانة آل الجادوي:

«تم وكمل النصف الأول من تفسير القرآن على يد كاتبه علي بن سليمان بن بيان للموصوف بأكمل الخصال الحسان: العلم والحلم والتقى والورع الجم والإحسان، من هو القدوة المرتضى في هذا الأوان، ذلك شيخنا وإمامنا أبو الربيع بن عبد الله بن أبي زيد سليمان. جازاه =

. . . .

= الله عن الإسلام خيراً وأسكنه فسيح الجنان مع الحور والولدان، متكئاً على رفرف خضر وعبقري حسان، مجاوراً للنبي المصطفى من آل عدنان. صلى الله عليه وعلى آله ما لمع برق ودام الجديدان، وأن يفعل ذلك بي وبجميع المسلمين، إنه هو العزيز الغفور، الفرد الصمد، الواحد الدّيّان، ولا سيما شيخنا وحيد الدهر وفريد العصر أبو عبد الله (كذا) محمد بن عمرو بن أبي ستة، أسكنه الله فراديس الجنة، وجمعنا في دار تبقى فيه الصحبة، وأظلنا في ظل عرشه، يوم لا يجد أحد ظلاً إلا ظله. ووقانا في دنيانا الشرّ والحسد والفتنة، وأماتنا على منهاج صالحي أهل الدعوة، إنه هو الغفور ذو الرحمة. وقد أحضرت لكتابة هذه النسخة في الأول نسختين، وللثاني ثلاث نسخ، وأظن أنها كلها منسوخة من أصل واحد هو كثير الفساد. وفيه بياض في بعض المواضع، وفيه ما كتب طلسماً من غير بيان، فنقلته كما هو».

وفي الورقة الأخيرة من الورقات المكتوبة ما يلي: «الحمد لله رب العالمين. وبعد فقد وقع بيدي هذا الكتاب فيه تفسير النصف الأول من القرآن الشريف بيدي الفقيه شعبان بن يعقوب التندميرتي النفوسي بجامع بني لاكين عمره الله بقوات (كذا) العلم آمين والله أعلم بما تعلمون (كذا) خبير سبحانه وتعالى عما يشركون».

وهذه الجمل الأخيرة مكتوبة بخط مخالف لخط الناسخ الأول. ويبدو أنها زيادة من أحد الطلبة الذين كانوا يدرسون بالمسجد المذكور.

فهرس الجزء الثاني

رقم السورة	اسمها	صفحاتها	رقم السورة	اسمها	صفحاتها
7	الأعراف	70 - 5	13	الرعد	317 - 292
8	الأنفال	110 - 71	14	إبراهيم	338 - 318
9	التوبة	179 - 111	15	الحجر	358 - 339
10	يونس	211 - 180	16	النحل	396 - 359
11	هود	255 - 212	17	بني إسرائيل(الإسراء)	449 - 397
12	يوسف	291 - 256	18	الكهف	484 - 450